المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة البحث العلمي

دكتوراه (١٣٠)

القرينة الصوتية في النحو العربي
دراسة نظرية تطبيقية

إعداد
د/ عبد الله بن محمد بن مهدي الأنصاري

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

عمادة البحث العلمي
Deanship of Academic Research

مكتبة لسان العرب
رابط بديل
lisanerab.com
أ. علاء الدين شوقي
www.lisanarb.com

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com
lisanerab.com
رابط بديل

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة البحث العلمي

سلسلة الرسائل الجامعية
- ١٣٠ -

القرينة الصوتية في النحو العربي
دراسة نظرية تطبيقية

إعداد
د/ عبد الله بن محمد بن مهدي الأنصاري

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

ح

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٤هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الأنصاري، عبد الله بن محمد بن مهدي
القرينة الصوتية في النحو العربي: دراسة نظرية تطبيقية./ عبد الله بن محمد بن مهدي الأنصاري – الرياض، ١٤٣٤هـ
٤٨٧ص، ١٧×٢٤سم

ردمك: ١-١٩٤-٥٠٥-٦٠٣-٩٧٨ (سلسلة الرسائل الجامعية، ١٣٠)

١- اللغة العربية – النحو ٢- اللغة العربية – الأصوات أ. العنوان
ديوي ٤١٥,١ ١٤٣٤/١٠٨٠٥

رقم الإيداع ١٤٣٤/١٠٨٠٥
ردمك: ١-١٩٤-٥٠٥-٦٠٣-٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com
رابط بديل lisanerab.com

حقوق الطباعة والنشر محفوظة للجامعة

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

تقديم عميد البحث العلمي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله، وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . أما بعد:

فقد نصت المادة الأولى في نظام مجلس التعليم العالي والجامعات في المملكة العربية السعودية على أن الجامعات السعودية مؤسسات علمية وثقافية، تعمل على هدي الشريعة الإسلامية وتقوم بتنفيذ السياسة التعليمية بتوفير التعليم الجامعي والدراسات العليا، والنهوض بالبحث العلمي، والقيام بالتأليف، والترجمة، والنشر وخدمة المجتمع في نطاق اختصاصها.

وعمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في سبيل تحقيق أهدافها المنوطة بها تعنى بنشر البحوث العلمية، والرسائل الجامعية، وترجمة ما ترى فيه النفع إلى العديد من اللغات العالمية، وتستكتب في السلاسل الثقافية التي تصدرها العديد من المتخصصين؛ لتقدم المتميز من الأعمال العلمية.

وها هي تضع بين يدي القراء هذا الرسالة العلمية الموسومة بـ:

القرينة الصوتية في النحو العربي دارسة نظرية تطبيقية
التي أعدها الدكتور : عبد الله بن محمد بن مهدي الأنصاري

وقد قدمت هذه الرسالة لنيل درجة الدكتوراه بقسم النحو والصرف وفقه اللغة في كلية اللغة العربية– بجامعة الإمام في الرياض، ونوقشت في يوم ١ / ١١/ ١٤٢٨هـ.

وقد وافق المجلس العلمي في الجامعة على نشرها في جلسته (الثانية عشرة) المعقودة في يوم ٦ / ٤ / ١٤٣٤هـ، بقراره ذي الرقم (١٨٦ – ١٤٣٣ هـ / ١٤٣٤هـ).

وهي الرسالة الثلاثون بعد المائة من سلسلة الرسائل الجامعية التي نشرتها الجامعة، وطبعتها في مطابعها.

نسأل الله ـ عز وجل ـ أن ينفع بها، إنه سميع مجيب.

عميد البحث العلمي

أ. د فهد بن عبد العزيز العسكر

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، أحمده وأستعينه، وأسأله التوفيق والسداد، والعصمة من تعمد الخطإ والفساد، وأعوذ به من الضلال والعصيان، وصلى الله وسلم على عبد الله ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد :

فإن هذا الموضوع - كما هو ظاهر من عنوانه - دراسة نحوية متخصصة في جانب الصوتيات الوظيفية، وما تبديه من علاقات تركيبية تربط بين أجزاء الجملة العربية، وهو محاولة لإبراز أثر القرائن الصوتية في الكشف عن الأحكام النحوية وتحديدها، وسيظهر من خلال ذلك قوة العلاقة بين الصوتيات الوظيفية وعلم النحو بمعناه الشامل، الذي يتناول في أولى خطواته التحليلية الأصوات، باعتبارها المكوّن الأساس لمادة الكلام البشري، فإن دراسة اللغة تتعلق بدراسة أصواتها، تلك الدراسة التي يجب ألا يقتصر فيها على جانب الصوت المجرد، بل يجب أن تكون دراسة "الصوت" من حيث هو "صوت" تمهيدًا للدراسة الوظيفية للأصوات .

والنظام الصوتي هو الأساس الأول لأيّ دراسة لغوية، ومن غير تكوينه تكوينًا صحيحا، لن تستوي اللغة على أصولها الجذرية، والدراسات اللسانية على العموم لا نجاح لها من غير تتبع دقيق بثاقب البصر للعلاقات الكائنة بين الأصوات ومعانيها الوظيفية، لأن الاقتصار على دراسة الصوت المجرد لا يمكن بحال التسليمُ بإدراجه ضمن الدرس اللغويّ، إذ الصوت في أصله التكوينيّ لا يُكوّن لغةً، ولا يؤدي للإنسان غرضًا، ومن ثم لزم أن تكون تحليلاته ودراساته لأجل التوصل إلى ما يرمز له من معانٍ، وما يؤديه من أغراض للمتكلمين به، وعندئذ يصبح قاعدة مهمة - بل لا بد منها - لبناء أي دراسة لسانية، يراد لها أن تسير وفق المنهج الواضح والمستقيم في اللغة .

وإن غياب الدرس الصوتي المؤصَّلِ، والمنضبطِ بما يوفره من وظائف، في مجال البحوث اللغوية، ليُعدُّ خللا واضحًا في أي دراسة يراد لها أن تُنْظَم في سلك الدراسات اللغوية الناجحة، ولأجل مراعاة هذه المسألة كان هذا الموضوع محددًا بالقرائن الصوتية ذات الأثر الوظيفي البالغ في النحو العربي، مع استبعاد بعض الصوتيات التي ليس لها وظائف تتعلق بالدراسة النحوية، أو التي لها وظائف قليلة أو غير واضحة، لأنها لا تضيف إلى الدرس التركيبي

المتخصص شيئًا ذا بال، و بالأحرى أن لا تندرج في هذا الموضوع القرائنَ اللفظية غير الصوتية، كالرتبة والأدوات والمطابقة والتضام .....ونحو ذلك .

وتتلخص الأسباب التي اختير هذا الموضوع من أجلها فيما يلي :

أسباب اختيار الموضوع

١. إبراز أثر القرينة الصوتية في النحو العربي، ومحاولة سد بعض النقص الموجود في الدراسات النحوية في هذا الجانب .
٢. لفت أنظار الدارسين في مجال اللسانيات عمومًا، إلى أهمية الصوتيات الوظيفية .
٣. إيضاح الصلة القوية بين الصوتيات وعلم النحو، مع الكشف عن مكنون التراث العربي في المجال الصوتي .
٤. تحديد النواحي التي تنعقد وتقوى فيها الصلة بين الدرس الصوتي والتركيبي .
٥. تخصيص الجانب الوظيفي بالدراسة في الدرس الصوتي، لكونه الغرض الأصلي للصوتيات .
٦. المشاركة في الجهود التي تبذل لإثراء المادة النحوية، بدراسته دراسةً موسعة شاملة للأسس التي بُنِيَ عليها : الصوت . المبنى . التركيب .
٧. محاولة الربط والمقارنة بين مستجدات الدرس النحويّ عند المتأخرين، وما لهم من آراء وانتقادات وتحليلات جديدة في إطار الصوتيات، وما دونه علماء النحو العربي وتوصلوا إليه قديمًا من أحكام في الإطار نفسه.
٨ . يهدف البحث أيضًا إلى ربط علم اللغة الحديث بالجانب التركيبي من علم النحو عن طريق القرينة الصوتية ، لما لهذه الدراسة الصوتية من مكانة في مباحث علم اللغة الحديث، إلا أن الباحثين فيه كثيرًا ما يغفلون وظائفها النحوية .

الدراسات السابقة

إن الركيزة المعتمدة في هذا البحث هي ما قدمه علماء العربية من نحويين وبلاغيين ولغويين وغيرهم، من دراسات وتحليلات للنصوص العربية، مضافًا إليها ما له صلة مما تيسر الوصول إليه من دراسات الصوتيين الأجانب، لما لهم فيما يخص البحوث الصوتية من تحليلات متميزة، ومن ثم كانت عناصر هذه الرسالة مستقاة من جميع هذه الميادين والمنابع الفكرية، العربية وغير العربية، القديمة منها والحديثة .

ولقد تعددت الدراسات الصوتية في هذا العصر، متخذة أنحاء مختلفة في مناهجها، غير أن الدراسة الوظيفية للوحدات الصوتية لم تحظ بنصيب وافر فيما وقفت عليه من هذه الدراسات. ومن ثمّ لم أجد من أفرد هذه القرائن بالدراسة، ولا من قصد بيان مالها من وظائف نحوية، غير أن هناك من أسهم فيها بالكتابة في بعض جوانبها الصوتية المحضة، وهؤلاء منهم من اكتفى بالإشارة إلى دور القرينة الصوتية في النحو، ومنهم من ذكر بعض الوظائف النحوية بإيجاز شديد، وغالبهم من أغفلها إغفالا كاملا .

وقد أدرك بعض الباحثين ما للظواهر الصوتية من علاقة بالدراسات النحوية فاكتفى بالإشارة إلى ذلك، ضمن مباحث صوتية عامة، من غير أن يخصص لها باباً يجمعها، ومن غير أن يبين علاقة بعضها ببعض، بل أدرجها في موضوعات تضم قرائن سياقية ولفظية وصوتية، ومباحث متنوعة من علم اللغة، وهذا هو منهج عامة الصوتيين في مؤلفاتهم .

ومن الباحثين من أفرد بعض هذه الصوتيات بالدراسة، في رسالة خاصة أو مؤلف خاص بقرينة واحدة من هذه القرائن، وجميع من وقفت على كتاباتهم فيها يغلب عليهم منهج الدراسة الوصفية المجردة للأصوات، واستقصاء ما للظاهرة من أقسام في اللغة، وربما أضاف بعضهم سردًا لأقوال من تكلم عنها، أما الدراسة الوظيفية فيمرون عليها سراعًا دون توقف، فمن أمثلة تلك البحوث كتاب (العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث) للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، تحدث فيه عن الجمل بالتفصيل، ثم عرض جملة من أقوال القدماء والمحدثين في الإعراب، كما عرض أقوالهم في دلالة العلامة العربية على العموم، وذكر

أمثلةً ومواضع لدلالتها مع القرائن الأخرى، وهو يُعد خير ما وقفت عليه مما يتعلق بقرينة العلامة الإعرابية - من جهة جمع المعلومات - غير أنه لم يخرج في الجانب النظري عما دونه القدماء في هذا الموضوع، وطغى اهتمامه بالتأصيل التاريخي للحركات على التأصيل الصوتي، كما أنه قصر حديثه في الجانب التطبيقي على رؤوس الوظائف العامة التي يذكرها النحويون للعلامة الإعرابية، كالدلالة على الإسناد، والتخصيص، وركز على المواضع التي لا تدل فيها العلامة الإعرابية أكثر من تركيزه على المواضع التي تدل فيها، حتى إنه قد يبدو لِمَن يقرأ هذا الكتاب أن العلامة الإعرابية أقل القرائن النحوية أهمية. ومنها كتاب ﴿ ظاهرة التنوين في اللغة العربية ﴾ للدكتور عوض المرسي جهاوي، وقد ذكر أنواع التنوين، وتعرض لوظائفه في المعربات والمبنيات بالإجمال من غير تفصيل، وذكر بإيجاز شديد بعض وظائف التنوين إجمالا .

ومنها: بحث (الوقف في العربية على ضوء اللسانيات) لعبد البديع النيرباني، تحدث فيه عن الوقف عموماً وفيما يتعلق بالدراسة النحوية تحدث عن شيئين أحدهما: الفصل بالوقف بين المتلازمات النحوية، نحو الوقف على المبتدإ قبل الخبر، والموصوف قبل الصفة، والفاعل قبل المفعول، والمتبوع قبل التابع، ونحو ذلك،وقد أطال في هذه المسألة، وجعلها هي الوظائف، مع كونها لا علاقة لها بوظائف الوقف النحوية . والثاني: المعاني النحوية التي يفيدها الوقف، وذكر فيه باختصار شديد بعض الأوجه الإعرابية التي تستفاد من الوقف، بأمثلة قليلة جدا .

ومما كتب في الوقف كتاب ﴿في الصواتة الزمنية، الوقف في الصوتيات الكلاسيكية﴾ للدكتور مبارك حنون، عرض فيه مؤلفه أقوال الغربيين في ظاهرة الوقف، وآراء نقادهم ومدارسهم الصوتية، وعلاقة الوقف بالدراسة اللغوية على العموم، والدراسة الصوتية على وجه الخصوص، ولكنه لم يتجاوز الدراسات الأجنبية إلى العربية، بل أشار إلى جهود علماء العربية في هذا المجال إشارتين خفيفتين بينهما شيء من التناقض؛ ذلك أنه ذكر - ذكرًا عابرًا في مقدمة كتابه - جمعًا من علماء العربية من القدماء، فوصف كتاباتهم بأنها قد أكدت دور الوقف المُنَظِّم للقول وتراكيبه[1]، وأتبع ذلك

---

1) في الصواتة الزمنية ، لمبارك حنون ، ص٧.. ط١، ١٤٢٤هـ الرباط.

بجملة اعترف فيها بوفرة الكتابات القديمة حول الوقف، وعناية العرب القدامى به وبأحواله[1]. ثم ذكر بعد ذلك في تمهيده أن " الوقف لم يحظ لا في الزمن الماضي ولا في الدراسات الفونولوجية، إلا بالقليل من العناية "[2]! وفيما سوى ذلك لم أجد له التفاتة إلى الثقافة العربية .

ومنها رسالة في ﴿ التنغيم اللغوي في القرآن الكريم﴾ لسمير العزاوي، تحدث فيها عن التنغيم بوصفه ظاهرة صوتية لغوية، وذكر بعضا مما يتصل بالتنغيم من أقوال علماء العربية، ثم عرض بعض الجوانب الصوتية التي تدخل في دراسة ظاهرة التنغيم عند المحدثين والقدماء، وأشار من خلال ذلك إلى بعض الدلالات الوظيفية العامة للتنغيم، كاستعماله في الدلالات العاطفية والأسلوبية، وهي الدلالة التي لا يكاد يخلو منها كتاب من كتب الصوتيات العربية، وهذه الرسالة تُعَد بحق خير ما وقفت عليه فيما كتب في موضوع التنغيم، لولا قصور الناحية الوظيفية فيها .

ومن الحق الذي يوجبه عليّ الإنصاف لهؤلاء جميعًا . وغيرهم ممن لم أذكرهم هاهنا ولكن سيأتي ذكرهم في ثنايا هذا البحث . أن أذكر أن لهم فضلا عليّ، بما استفدته مما أودعوه كتبهم مما له صلة بهذا البحث، ولا تعد هذه الدراسة إلا لبنة تضاف إلى ما وضعوه من لبنات في مجال الصوتيات العربية، في نسق الجهود التي تبذل في المحافظة على صرح العربية الشامخ، وليس نقدي فيما انتقدتهم فيه إلا مشاركة لهم في استدراك بعض الفوائت وتقييدها، فجزاهم الله خيرًا وبارك في جهودهم .

منهج البحث

انتهج البحث منهجا وصفيا تفسيريا، يعتمد على تحديد الظاهرة الصوتية من جهة المفهوم اللغوي، ثم الاصطلاحي، والتأصيل الصوتي لكل ظاهرة، ثم حصر أهم العناصر التي تدور الظاهرة في فلكها في مجال النحو العربي، والحديث عن كل عنصر بما يحدد مفهومه قديمًا وحديثًا، مُرَكِّزًا على ما يخدم الجانب التركيبي خاصة، لأنه ميدان هذه الدراسة، مع الاستعانة بما

---

١) السابق ص ١٠

٢) السابق ص ١٦.

توصل إليه علم اللغة حديثًا من نتائج في الصوتيات بعامة، ثم الصوتياتِ العربية على الخصوص، وقد استعان البحث في هذا الجانب خاصة ببعض الرسوم والصور الطيفية بالأجهزة الصوتية الحديثة، للوصول إلى ما أمكن من الحقائق الصوتية على وجه الدقة، ولتقريب تصوّرها بوضوح، وكان لذلك أثر ظاهر فيما توصل إليه البحث من نتائج .

وتجدر الإشارة إلى أن دراسة هذا الموضوع دراسة حديثة، إلى جانب الاعتماد على التراث النحوي القديم، والربط بين المنهجين : القديم والحديث، كل ذلك قد كلف البحث عناء غير هيّن، وأشده يتمثل في عدم تحدد المصطلحات الصوتية عند المحدثين، وعدم اجتماعهم على مفاهيم يمكن الاعتماد عليها، ولا سيما فيما يخص المصطلحات المترجمة عن اللغات الأخرى، ومن ثم اضطر البحث ـ في بعض الكلمات ـ إلى اعتماد المصطلح الأجنبي وتعريبه بدلا من بعض الألفاظ المقترحة في ترجمته، لأجل المحافظة على المفهوم العام، ومن أمثلة هذا مصطلحات : الفونيتيك ـ الفونولوجيا ـ الفونيم ـ المورفيم ....لأن المرادف العربي لكل كلمة مختلف فيه بين المترجمين، ولا تخلو ترجمة منها من مآخذ، ومن ثم اختار البحث المحافظةَ على المصطلح الأجنبي، وقد يكون شيوع هذه المصطلحات في الدراسات اللسانية الحديثة مبررًا آخر لقبولها واستعمالها، ومما يقرب منها المصطلحات التي كثر دورانها في كتب اللغة الحديثة، وقد تبدو جديدة على القارئ العربي، ولكن شيوعها يستلزم إلمامه بالمراد منها، نحو : صامت ـ صائت ـ صوتيم ـ قطعي ـ فوقِطعي ـ تطريزي ـ غير تطريزي ـ فونيم تمييزي ......إلخ.

وأما النصوص التي اعتمدها البحث في التطبيق لبيان الوظائف النحوية للقرائن الصوتية فالتركيز فيها على القرآن وفصيح كلام العرب ـ ومنه الفصحى المعاصرة ـ مع الاستنارة بما في المصادر التي خدمت التراث العربي في تحليل هذه النصوص، وفي تفسير الظواهر اللغوية تفسيرًا صوتيا وظيفيا دون اللجوء إلى المصطلحات غير الواضحة، ولا إلى الكلمات والعبارات التي لا تخدم الغرض العام من البحث، وهو بيان الدور الوظيفي للقرائن الصوتية في النحو.

وفيما يخص المخطط الذي بُني عليه البحث : فقد جاء موزّعًا بين تمهيد وخمسة أبواب، يقع كل باب في فصلين، على التفصيل الآتي :

المقدمة : وتتضمن : تحديد الموضوع . أسباب اختيار الموضوع . الدراسات السابقة. منهج البحث .

التمهيد : ويتضمن : الصوتيات الوظيفية وعلاقتها بالنحو. معنى القرينة الصوتية ومفهومها النحوي. أنواع القرائن الصوتية

الباب الأول : **الحركة والسكون ووظائفهما**

الفصل الأول : الحركات والسكون : (حركات الإعراب . حركة البناء . حركة التخلص من التقاء الساكنين – حركة الإتباع – حركة الإطلاق – الحركة الطويلة). السكون ..

الفصل الثاني : وظائف الحركات والسكون النحوية بوصفها قرائن صوتية .

الباب الثاني : **التنوين**

الفصل الأول : أنواع التنوين وأحكامه الصوتية .

الفصل الثاني : وظائف التنوين النحوية .

الباب الثالث : **الوقف**

الفصل الأول : أنواعه وأحكامه الصوتية .

الفصل الثاني : وظائف الوقف النحوية .

الباب الرابع : **الإدغام**

الفصل الأول : أنواعه وأحكامه الصوتية .

الفصل الثاني : وظائف الإدغام النحوية .

الباب الخامس : **التنغيم**

الفصل الأول : مفهومه وأحكامه الصوتية، مع فونيم النبر، مفهومه ومحدداته .

الفصل الثاني : وظائف التنغيم النحوية، موزعة في قسمين :

أولا : وظائف التنغيم بالنبر (على مستوى المفردات والصيغ)

ثانيا : وظائف التنغيم في الجمل .

الخاتمة، وتتضمن نتائج الدراسة .

وقد جاء هذا الجهد معبرًا - بالدرجة الأولى - عن عناية خاصة، ورعاية متميزة، ومتابعة دقيقة مخلصة، من قبل الموجه العلمي الذي تولى الإشراف عليه وهو أستاذي الموقر: الدكتور عبد الجبار توامي، الذي فتح لي أبواب هذه الدراسة ودلني على طرقها، وأعانني بوسائلها، وأوصلني إلى مضامينها، وزاد على ذلك أن فتح لي مكتبه وبيته ومكتبته، وصرف وقته وبذل جهده في سبيل إنجاح هذا الموضوع، ولم يأل جهدًا في تشجيعي وتوجيهي إلى كل ما يفيدني في حياتي العلمية، وكان يعاملني معاملة الصديق لصديقه، والأخ لأخيه، ويؤثرني على راحته وأشغاله الخاصة، فقدم لي مثلا رائعًا في تواضع العلماء، والصبر في درب التعلم، وآنسني بالعلم وحبب إلي هذه الدراسة، حتى جعلني بلطفه ومعاملته لا أمل ولا أتعب في البحث والمدارسة والاطلاع ومتابعة ما يَجِدّ في موضوعي. فجزاه الله خير الجزاء، ورفع مقامه في الدنيا والآخرة، وتقبل منه هذا الجهد، وغيره مما يقدمه للعلم وطلابه، في دروسه وكتبه وسائر أعماله، وأسأل الله أن يسدد عمله وأن يتولى توفيقه،وأن يمده بالصحة والعافية، وأن يبارك له في علمه وعمله وكسبه.

كما أتقدم بالشكر والعرفان لأخي الدكتور منصور بن محمد الغامدي في مركز الصوتيات بمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، الذي أعانني بما أحتاجه مما لديه من معلومات لها صلة بهذا الموضوع، وكان من أهمها أنه مكّنني من التعامل مع الأجهزة الصوتية والرسم الطيفي للكلام، وقدم لي في ذلك كل ما طلبته منه بدون تردد. ضاعف الله له الأجر والمثوبة.

والشكر موصول لأساتذتي جميعا، وزملائي وإخواني وأصدقائي، الذين أعانوني وساندوني بالنصح والتوجيه والدعاء لإنجاز هذا العمل، وإتمامه على الوجه الذي يمكن من مقاربة الكمال.

التمهيد

الصوتيات الوظيفية وعلاقتها بالنحو

المراد بالصوتيات الوظيفية : ما يعرف في علم اللغة الحديث بـ(الفونولوجيا)[1] كما يعرف بـ(علم الأصوات الوظيفي) بمعنى دراسة الأصوات اللغوية من جهة وظائفها في الاستعمال اللغوي.[2] وهو فرع من علم اللغة يدرس الفروق الوظيفية بين الأصوات[3].

إنه فهم خاص مغاير لعلم الأصوات العام الذي هو النظام المجرد للغة، المعالج لأصوات اللغة بوصفها الجانب المادي للكلام الإنساني، دون أن يُعنى باللغة من جهة الاستعمال، بينما يعد الفونولوجيا : علم الأصوات المعالج من خلال وجهة نظر وظيفية وبنيوية، أي أن اهتمامه منصب على الصوت الذي يؤدي وظيفة محددة في البنية اللغوية[4].

وقد يُطلقُ عليه مصطلح : "علم الأصوات التنظيمي" أو "علم وظائف الأصوات" انطلاقًا من كونه يعنى بتنظيم المادة الصوتية وإخضاعها للتقعيد والتقنين، أو أنه يبحث في الأصوات من جهة وظائفها في اللغة[5].

ويرى الدكتور مصطفى حركات أن اللسانيين العرب أكثرهم لا يميز في أعماله التطبيقية بين (الصوتيات) و(الصوتيات الوظيفية) إلا في الأبواب

---

١) هكذا عُرّبت هذه الكلمة فأصبحت تستخدم في الكتابات العربية بهذا اللفظ . وهناك من اختار ترجمتها بـ(علم الأصوات التنظيمي، أو : علم وظائف الأصوات . أو : التشكيل الصوتي . أو : علم الأصوات الوظيفي . أو : الصوتيات الوظيفية . و " الصواتة " ومصطلحات أخرى غير هذه) انظر : علم وظائف الأصوات اللغوية لعصام نور الدين ٢٤، ٢٥، ط١، ١٩٩٢، دار الفكر اللبناني . ودراسة الصوت اللغوي لأحمد مختار عمر ٦٩ ، ط / ١٤١١هـ عالم الكتب . القاهرة.

٢) انظر علم الأصوات اللغوية لمناف مهدي ص ٢٦ ، ط١، ١٤١٩، عالم الكتب . بيروت.

٣) معجم المصطلحات الألسنية لمبارك مبارك (علم الصوتيات الوظيفي) ط١، د ١٩٩٥، دار الفكر، بيروت.

٤) تاريخ علم اللغة الحديث لجرهارد . ترجمة سعيد حسن بحيري ص٩٨، ١٦١ـ ط١، ٢٠٠٣القاهرة.

٥) علم الأصوات لكمال بشر ص٦٧، ط٢٠٠٠م . دار غريب . القاهرة.

النظرية فحسب، ولكنهم عند التطبيق يهتمون بالمستوى الصوتي المجرد فقط " وأن الدليل على ذلك أن الأبحاث في الفونولوجيا العربية شبه معدومة "[١].

ثم أضاف أنهم لا يتجاوزون في أبحاثهم الصوتية ما ذكره (سيبويه) في وصف الحروف والحركات إلا في بعض النقاط. أما التحديد الدقيق للصفات التي تميز حرفا عن آخر، والمنبثقة من عملية التقابل المبنية على الوظيفة التبليغية. فهذا لن يجده الدارس في كتبهم، مع أنه هو العمل اللساني البحت وهو الركيزة لتعيين النظام الفونولوجي العربي. و" أن تفاعل هذه الأصوات في المجال التركيبي واندماج المكونات الصغرى في ميداني الصرف والنحو، لا يدرس دراسة جديدة وإنما يكتفى بتكرار ما قيل قديما حول الإدغام وبعض الجوانب الصوتية الصرفية "[٢].

كلام الدكتور (مصطفى حركات) هنا يوضح ثلاثة أمور تهدف إليها هذه الدراسة :

الأول : التلميح إلى القصور الموجود في الدراسات الحديثة فيما يتعلق بالصوتيات الوظيفية، التي هي ميدان هذا البحث، فلعله يضيف شيئا يسهم في تدارك ذلك القصور .

الثاني : أن كلامه يتضمن تحديد المفهوم العام للصوتيات الوظيفية، التي عرفت بمصطلح (الفونولوجيا).

الثالث : أنه أعطى تصورا مختصرا في التفريق بين علم الأصوات العام، وعلم الفونولوجيا.

فليس يكفي في الدراسة الصوتية الاقتصار على الوصف المجرد للأصوات من الناحية العضوية والسمعية، دون الاهتمام بالدور الفونولوجي، الذي يوصف بأنه : يقدم وصفا للخيارات المحددة التي يقوم بها متحدث ما ضمن لغته المعينة ونظامها الخاص .[٣]

---

١) الصوتيات و الفونولوجيا ، لمصطفى حركات ١٣، ط١، ١٤١٨، المكتبة العصرية ، بيروت.

٢) السابق ١٣، ١٤.

٣) (الطبيعة الداخلية للغة) في : الموسوعة اللغوية ١/ ٢٩ (بتصرف) تحرير الدكتور ن.ي.كولنج ، نشر جامعة الملك سعود بالرياض.

وثَمّةَ آراء مختلفة فيما يتعلق بالتفريق بين العِلْمين وعدهما مختلفين أو متحدين.[1]

والذي يبدو في إطار الدراسات المقدمة والنظر في حقائق هذين العلمين. أو الفرعين. أنهما متكاملان يخدم أحدهما الآخر. غير أن لكل واحد منهما خصائصه وجوانبه المتميزة عن الآخر من غير أن يعني ذلك التباين والتغاير التام، وثمة من علماء الأصوات والباحثين من يجنح إلى هذا الرأي.[2]

والصوت اللغوي الذي يعتبر ميدان هذه الدراسة هو أثر سمعي يصدر إرادياً عن أعضاء النطق بأوضاع وحركات معينة[3]، وسببه "تموّج الهواء دفعة وبقوة وبسرعة، من أيّ سبب كان"[4].

ذلك أن ما يسمى صوتا هو" الأثر الواقع على الأذن من بعض حركات ذبذبية للهواء، والذبذبات في اللغة يحدثها الجهاز الصوتي للمتكلم".[5]

ووصف الجاحظ الصوت " بأنه آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، ومنه يوجد التأليف)[6] ثم قال :" ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف".

---

١) انظر : علم الأصوات لمحمود أحمد ص ١٧، ط١، ١٤٢٤، الرياض، وعلم الأصوات لبرتيل مالمبرج ص ٧. ترجمة عبد الصبور شاهين، نشر مكتبة الشباب ،ودراسة الصوت اللغوي ٦٧. و علم وظائف الأصوات اللغوية لعصام نور الدين ٢٦، ٢٧.

٢) انظر علم اللغة بين القديم والحديث ٩٥، لعبد الغفار حامد هلال ،ط٢، ١٤٠٦هـ. و علم الأصوات لمحمود أحمد ص ١٨، ولكمال بشر١١٣، وعلم وظائف الأصوات لعصام نور الدين ٢٧، و علم الصوتيات لعبد العزيز أحمد وعبد الله ربيع ٤٩، ط١، ١٤٢٥هـ الرياض.

٣) بتصرف من علم الأصوات لمناف مهدي ٢٧.

٤) أسباب حدوث الحروف، لابن سينا ص٤، ط٢، ١٣٥٢هـ المطبعة السلفية، القاهرة.

٥) اللغة لـ:ج.فندريس ٤٣، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، المكتبة الفيصلية.

٦) البيان والتبيين للجاحظ١/ ٧٩ تحقيق عبد السلام محمد هارون ،ط ٥، ١٤٠٥هـ مطبعة المدني بالقاهرة.

والصوت الإنساني هو النفس المسموع، والحرف هو الصوت المعتمد على المخرج[1].

والمخرج هو المقطع المحقق، والمراد بالمقطع المحقق أن يكون اعتماد الصوت على جزء معين من أجزاء الحلق واللسان والشفة، أو مقطع مقدر، وهو هواء الفم .[2]

ويحدث أي صوت من تموج جسم سيال رطب كالهواء أو الماء بين جسمين متصاكين متقاومين .[3]

الجسم السيال هنا هو الهواء المنبعث من الرئتين، والجسمان المتصاكان هما مخرجا الحرف، كالشفتين أو أي جزء من أجزاء اللسان مع غيره .

ويرى بعض العلماء اللغويين أن الأصوات هي اللبنات الأولى للأحداث اللغوية، وهي التي يتكون منها البناء الكبير.[4] وتُعَدُّ أصوات اللغة أساس كل دراسة لغوية، نظرية كانت أو عملية[5] . ومن المستحيل أن تبدأ دراسة الصرف بدون تحديد صوتي لعناصره، أو بدون تعريف هذه العناصر بواسطة التلوين الصوتي، أما النحو بالذات فلا تكتمل دراسته بدون دراسة الأنماط التنغيمية أو النماذج الموسيقية للكلام .[6]

والصوتيات **الوظيفية** تشمل جميع الظواهر الناشئة عن تفاعل الأصوات فيما بينها، فقد تكون صرفية تعنى بتكوينات المباني، وما يطرأ

---

١) انظر: جهد المقل ١٤٥-١٤٦ للعلامة محمد ساجقلي .تحقيق سالم قدوري الحمد، ط١، ١٤٢٢هـ الأردن.

٢) المنح الفكرية ١٩، للعلامة ملا علي القارئ، ط١، ١٤٢٤هـ، دار المنهاج بالقاهرة.

٣) السابق، و"علم الصوتيات" مقال في مجلة الأزهر ١١/ ١٢٦٩، السنة ٦٣، ذوالقعدة ١٤١١هـ ، وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. للتهانوي ٢/ ١٠٩٩، تحقيق د: علي دحروج، ط١، ١٩٩٦م، لبنان.

٤) علم الأصوات لكمال بشر ٦٠٥ .

٥) see, Firth, papers in Linguistics, p. ٩٥. نقلاً عن: علم الأصوات لكمال بشر ٦٠٥ .

٦) السابق نفسه: ٦٠٥ - ٦٠٦.

عليها من تغييرات بالزيادة والنقص وغيرهما، وبمعاني الصيغ الصرفية، وقد تكون تركيبية تعنى بالمعاني النحوية الناشئة عن التركيب، كالإسناد والتخصيص ونحوهما، أو معجمية صرفة تتعلق بالكلمة في واقعها النطقي فحسب، كالتفخيم والترقيق والمد والقصر والاختلاس والتسهيل .....إلخ . وتعنى هذه الصوتيات بالمكوّنات الصوتية الجزئية المميزة، في الكلمات والجمل، تلك المكونات الصوتية التي تعرف بالوحدات الصوتية ذات الدلالة الوظيفية، أو التي تميز الصوت عن الآخر من جهة الدلالة والقيمة، وهذه الوحدات هي المسماة في علم اللغة الحديث بـ(الفونيمات الإفرادية)[١]. وسيأتي الحديث عن هذا المصطلح في المبحث التالي لهذا .

والدراسة اللغوية تقدم علم الفونولوجيا أولا ثم الصرف ثم التركيب، بناء على أن الوصف الصوتي هو الذي يمكّن القارئ من لفظ الكلمات المشمولة في القسمين التاليين له، والصرف يمكّنه من دراسة أبنية الكلمات قبل التراكيب التي تحتويها .[٢]

ونظرية الفونولوجيا هذه ليست جديدة على النحو العربي من جهة الإجمال، فقد تعرض علماء العربية قديما لما يُعرف الآن بـ(الصوت في الكلام) فلحظوا ما يطرأ على الحروف من تغيرات في أثناء الكلام، غير ما كانت عليه وهي أصوات مستقلة [٣].

وسترد لذلك أمثلة وافرة في مواضع من كلام ابن جني والداني ومكي القيسي، وغيرهم. في ثنايا أبواب هذا البحث . ومن أظهر الأدلة على ذلك ما نجده من مؤلفات في وظائف حروف المعاني، و معاني الصيغ الصرفية، وكذلك اهتمامهم بإبراز دلالات الحركات، والتنوين، والوقف، وأصوات التذكر، والترنم، والندبة، والاستغاثة، والإنكار، ونحو ذلك من العناصر الصوتية التي نراها وافرة في كتب التراث العربي .

---

١) انظر : علم الصوتيات لعبد العزيز أحمد وعبد الله ربيع ٤٦، ٤٩ . ودراسة الصوت اللغوي ١٦٥، وعلم وظائف الأصوات اللغوية لعصام نور الدين ٥٧.

٢) (الطبيعة الداخلية للغة) في: الموسوعة اللغوية ١/٤٧ .

٣) انظر فقه اللغة في الكتب العربية للراجحي ١٣٩.

ثم ظهرت هذه النظرية على وجه التفصيل والتحليل في الدراسات اللغوية الحديثة عند أعضاء مدرسة (براغ) التشيكية، على أنها "النظرية التي تحلل اللغة بهدف إبراز الوظائف التي كانت مكوناتها البنيوية المختلفة تؤديها في استعمال اللغة بأجمعها ".[١] فهي تميز بين أصوات اللغة من جهة وظائفها أو دلالاتها[٢].

ويعني ذلك أن ينظر إلى كل عنصر من مكوّنات اللغة فيقال : ما الغاية منه؟ كما ينظر المرء إلى محرك ما فيحاول أن يفهم الوظائف التي تؤديها أجزاؤه المختلفة، وكيف تحدد طبيعة جزء معين منه طبيعة غيره من الأجزاء الأخرى.[٣]

وتوصل العلماء ـ عن طريق ملاحظة كيفيات النطق المختلفة، ووظائف الأصوات المتنوعة ـ إلى الاستعانة بالوحدة الصوتية المميزة أو الدالة، وهي التي اصطلحوا على تسميتها بـ (الفونيم) للقياس والتحليل، وتحديد الوظائف والدلالات التي يعنى بها هذا النوع من الدراسة .[٤]

---

١) مدارس اللسانيات التسابق والتطور د ١٠٥. لجفري سامسون . ترجمة محمد زياد كبة . نشر جامعة الملك سعود. و مدخل إلى اللسانيات لرونالد ايلوار ٩٢.ترجمة بدر الدين القاسم ، وزارة التعليم العالي السورية ١٤٠٠هـ. و علم اللغة بين القديم والحديث ٨٨وما بعدها، وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربي لمحمد السعران ص ١٩٩، طبعة دار النهضة . بيروت .

٢) (نظرية علم اللسانيات الحديث وتطبيقها على أصوات العربية) لـ(كونغ إلجو) مقال منشور في مجلة دارة الملك عبد العزيز العدد ٣ ص ١١٣،١١٤.

٣) مدارس اللسانيات التسابق والتطور (١٠٦بتصرف) .

٤) انظر : دراسة الصوت اللغوي ١٧١، و(نظرية علم اللسانيات الحديث وتطبيقها على أصوات العربية) لكونغ إلجو ، في مجلة الدارة ص١١٤، و علم الأصوات في القرن العشرين ، عرض وتحليل محمد سامي أنور ، في مجلة عالم الفكر ٢٨٦، المجلد١٨، العدد ٣، الكويت ١٩٨٧، وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربي ١٩٩، ويشار إلى أن منهم (مثل: مارتينيه) من جعل وحدة التحليل و القياس ما سماه بـ"وثيقة الصلة " على أنها هي الوحدة الفارقة الأكثر التصاقا بقيمة الظاهرة اللغوية بوجه عام .وجعلها هي الوحدة الأساسية للفونولوجيا . وهو يعني بـ"وثيقة الصلة " : الروابط السياقية أو اللفظية التي تكشف عن الصلات بين عناصر اللغة الملاحظة ، ولذلك سميت =

والمنهج الفونيمي يعتمد على العناصر الداخلية للنظام اللغوي نفسه، وهي تتمثل فيما يسمعه الناطق الأصلي للغة وحكمه عليه، أو ما يسمى بالواقع النفسي للفونيم.[1]

وهذا المنهج هو نفسه الذي ارتضاه أصحاب علم نظام الأصوات التوليدي، وجعلوه مفهوما شاملا للصوتيات الوظيفية، أو (الفونولوجيا) **متخذين لهذه الدراسة وسيلتين للتحليل اللغوي :**

الأولى : الدليل الداخلي، وهو الاستدلال على اتخاذ موقف معين، أو افتراض فرضية معينة بناء على المعلومات اللغوية نفسها، دون مساعدة من عوامل أخرى خارجة عن اللغة[2].

الثانية : الاستدلال الخارجي الذي يكون بظواهر غير لغوية، كالعوامل التاريخية والجغرافية والاجتماعية...ونحوها[3]، لما لها من أثر واضح في اللغة.

وسميت بالصوتيات الوظيفية التوليدية لارتباطها بالنحو التوليدي، بمعنى أنها تعالج المسائل اللغوية النحوية من جهة كونها تحدد – أو تولّد – جميع السلاسل الصوتية السليمة من جهة التركيب النحوي.[4]

وهذه العلاقة تدعونا إلى ضرورة دراسة الأصوات اللغوية لنستبين مكونات هذا النظام، وطرق تأليفه. فإن" دراسة الأصوات ومعرفة أقسامها وصفاتها وما يعرض لها من تأثير هي البداية الأولى لمعرفة وإتقان أي لغة من

= " بالخاصة المعينة أو الملائمة " انظر: (تاريخ علم اللغة الحديث لجرهارد هلبش صـ١٦١ـ١٦٢) ودراسة الصوت اللغوي ١٩٩، ومنهم (مثل :فيرث) من جعلها ما سماه بـ"البروسودي" يريد به جميع أنواع الوحدات الصوتية وملامحها. انظر : دراسة الصوت اللغوي ٢٣٧ـ٢٣٩.

١) (علم الأصوات في القرن العشرين) مقال في مجلة عالم الفكر المجلد ١٨ صـ٢٨٥.

٢) انظر : مدارس اللسانيات التسابق والتطور ١٣٠، ١٤٧، ١٥٦–١٥٧.

٣) انظر : (الاستدلال في علم نظام الأصوات التوليدي) مقال لعبد العزيز السويل في مجلة كلية الآداب في جامعة الملك سعود العدد ٢ المجلد ١٣ صـ٧٣١ . ومدارس اللسانيات التسابق والتطور لجفري سامسون ٢٤٦.

٤) مدارس اللسانيات التسابق والتطور ١٩٨، وما بعدها .

لغات البشر، والأساس الذي تنطلق منه أي دراسة لغوية "[1]. والحدث اللغوي المتمثل في الكلام ما هو إلا نوع من الاستجابات الصوتية لحدث معيّن [2].

وبناء على هذه المعطيات يستنتج أن "فهم النظام التركيبي للّغة ودراسته لا يمكن أن يتم دون معرفة نظامها الصوتي والأدائي، ومدى ما يسهم به هذا النظام الأخير في بناء الجملة، وتركيب الكلام وربط أجزائه بعضها ببعض، بما يمكن أن يسمى – إذا اتحدت قضاياه – النحو الصوتي "[3] كإفادة التنغيم للاستفهام والخبر بحسب نوع النغمة، والاستغناء به عن الأدوات، ونحو ذلك من طرق الأداء، كالوقف والابتداء، وليس " الأداء " مقتصرًا على التنغيم، كما تميل بعض الآراء، بل الذي يبدو للمتأمل أن مصطلح " الأداء" يشمل كل أنماط التعبير في الصوتيات الوظيفية. لأنه الطريقة أو الكيفية التي يخرج بها الصوت، أو قل : حالة الصوت في أثناء خروجه، وهي الحالة التي تمكن المستمعين من فهم مراد المتكلم، مما هو متوقَّع، ومما لا يمكن التنبؤ به.[4]

ومما يوضح هذا المعنى لـ(الأداء) النظر إليه من جهة النظم الصوتية، المتعلقة بتفاعل الأصوات في البناء والتركيب، وليس من الجهة الصوتية المعزولة[5]، وعندئذ تتبين استحالة كونه مقتصرًا على "التنغيم" الذي لا يمثل إلا نوعًا من أنواع التفاعلات الصوتية المركبة.

وإن علاقة الصوتيات الوظيفية بالنحو تبرز من خلال الأداء السليم للجمل النحوية في جميع طرق الأداء المتاحة للمتكلم، وبناء على هذا المفهوم للأداء : يمكننا بشكل خاص أن نفرض مؤقتاً أن أداء عمل كلامي إنما هو في الواقع النطق بجملة، على أنه من المهم أن نلاحظ في هذه

---

1) التنغيم في التراث العربي صـ١ . مقال للدكتور عليان بن محمد الحازمي ، في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية ، عدد ٢٣، شوال ١٤٢٢.

2) انظر : مقدمة لدراسة اللغة لحلمي خليل ٢٨٢، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٧، القاهرة .

3) علم الصوتيات لعبد العزيز علاّم وعبد الله ربيع : ٥٣ .

4) انظر حول هذا المفهوم " الطبيعة الداخلية للغة " في الموسوعة اللغوية ٣٦/١، ٥٤ .

5) انظر اللسانيات ، المجال والوظيفة والمنهج ص٧٩، ٧٨.

المرحلة أنه يمكن لشخصين أن ينطقا الجملة ذاتها دون أن يقولا الشيء ذاته بالضرورة .[١]

معنى هذا أن الكلام يحدث بالنطق لجملة ما، ولكن أداء هذه الجملة قد يختلف من شخص لآخر، فقد ينطقها شخص بأداء، وآخر بأداء مختلف، فيكون كل أداء لهذه الجملة مفيداً لمعنى مغاير. واختلاف المعنى هنا بسبب تنوع طرق الأداء للجملة الواحدة يجعلها بمنزلة جمل متعددة، ومتنوعة الألفاظ. **فالأداء** إذن قرينة صوتية كبرى تندرج تحتها قرائن أخرى تكوّن منها الصوت الوظيفي، كالنبر والسكت، والوقف، والأنماط التنغيمية، وإطالة الصوت لأغراض إبلاغية.......[٢] ونحو ذلك مما سيرد بعد .

ومن أبرز الصوتيات الوظيفية الحركات والسكنات، وهي أصوات وظيفية، تُعدّ من جملة القرائن التي بها تبرز المعاني النحوية وتتميز. وقد أدرك لها علماء النحو هذا الدور منذ قديم، فتتابعوا على تأكيده، كمثل قول أبي سعيد السيرافي :

" معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير، وتوخي الصواب في ذلك، وتجنب الخطأ من ذلك ".[٣]وكقوله أيضاً : " فإن الخطأ والتحريف في الحركات كالخطأ والفساد في المتحركات ".[٤]

وذكر ابن أبي الربيع أن القصد من تغيير الحركات في أواخر الكلمات المعربة في الأصل هو الدلالة على المعاني من الفاعلية والمفعولية والإضافة، وأن جعل الحركات في الآخر دالة على المعاني من أحسن ما عمل في

---

١) انظر رأي (ليون جونز) في : مقومات الدلالة النحوية للدكتور رشيد بلحبيب ص٣. موقع: " نحو العربية"
(summerh@uaeu.ac.ae) على الشبكة .

٢) انظر: العربية وعلم اللغة الحديث لمحمد محمد داود ١٣٩، دار غريب. القاهرة. ٢٠٠١.

٣) الإمتاع والمؤانسة ١٢١/١، دار مكتبة الحياة. بيروت.

٤) السابق ١١٥ .

الكلام و أخصره .[1]وممن ذكر نحوًا من ذلك وأكده من أئمة اللغة : ابن جني [2]، وابن فارس[3].

وتبعهم المحدثون في إيضاح هذه العلاقة بين الصوتيات الوظيفية والنحو، وتوسعوا أكثر في الدراسات الصوتية على الخصوص لإبراز تلك العلاقة. فأكدوا أن الفاعل الأكبر في فهم العلاقات بين أجزاء مجموعة اللغات ذات الترتيب الحر هو العلامات الإعرابية.[4]

ولا يخفى أن العلامة الإعرابية متنوعة، ومنها الحركات القصيرة والطويلة، وحذف الحركة وقصرها، ونحو ذلك، **كما لا يخفى أن الدلالة على الوظائف النحوية المشار إليها لا تختص بها الحركات، بل تشاركها فيها قرائن أخرى مما سيرد بعد .**

ويؤكد المهتمون بالصوتيات من المحدثين أن المعاني الوظيفية النحوية، كالفاعل ونائبه، والحال والتمييز، والمستثنى، والمضاف إليه، والنعت والبدل والتوكيد ... تحرسها قرائن صوتية كالعلامة الإعرابية .... وأن الأبواب النحوية وظائف تكشفها القرائن أو معان وظيفية للقرائن المستمدة من الأصوات[5]. و أن إعراب نص ما يتوقف على وظائف الأصوات ووظائف المباني، ووظائف القرائن ونظام العلاقات[6].

---

1) انظر البسيط في شرح جمل الزجاجي . لابن أبي الربيع ١/ ١٧٢ – ١٧٣ . تحقيق عياد الثبيتي . ط١، ١٤٠٧، دار الغرب الإسلامي . بيروت.

2) الخصائص لابن جني ٣٥/١ . تحقيق محمد علي النجار . دار الكتاب العربي . بيروت.

3) الصاحبي في فقه اللغة للعلامة أحمد بن فارس ٧٦ . تحقيق مصطفى الشويمي ، بيروت ١٩٦٣.

4) مقومات الدلالة النحوية صـ٥. و: في التحليل اللغوي . منهج وصفي تحليلي . لخليل أحمد عمايره ص٣٠–٣٤،٩٤ . ط١، ١٤٠٧هـ مكتبة المنار . الأردن .

5) اللغة العربية معناها ومبناها ٢٣٣، لتمام حسان ،ط:١٤٢١، دار الثقافة ، الدار البيضاء . ومقومات الدلالة النحوية ص ٥.

6) اللغة العربية معناها ومبناها ١٨٥

إنّ الإحساس بهذه العلاقة الوثيقة بين الصوتيات الوظيفية وعلم التركيب حمل كثيراً من علماء اللغة والصوتيات على الجزم بأن (علم وظائف الأصوات) ـ الفونولوجيا – جزء لا يتجزأ من النحو بمعناه الواسع.[1]

وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من معرفة جذور هذه الدراسة الصوتية، للوقوف على نقاط التقائها بعلم النحو، ويعلم ذلك بالرجوع إلى الأسس الصوتية التي هي أصول الوحدات اللغوية بعامة، ثم تحليلها صوتيا، تحليلا شاملا للبنيتين السطحية متمثلة في الألفاظ، والعميقة متمثلة في المعاني .[2] بناء على أن الأولى ترشد إلى الثانية، وهذا هو الغرض من اللغة، فاللغة "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ".[3]

تلك الأسس هي الوحدات الصوتية (الفونيمات) بقسميها : الصامتة، والصائتة، وما يتبعهما من الظواهر الأدائية فوق التركيبية، كالنبر والتنغيم، والوقف، والإدغام.

والكلام إذا تألف من هذه الأصوات أمكن أن يكون كلاماً يعبر عما يريده الإنسان من المعاني، حسب ما اعتاد عليه.قال ابن خلدون :

" الحروف هي كيفيات الأصوات الخارجة من الحنجرة تعرض من تقطيع الصوت بقرع اللهاة وأطراف اللسان مع الحنك والحلق والأضراس، أو بقرع (اهتزاز) الشفتين أيضاً، فتتغاير كيفيات الأصوات بتغاير القرع، وتجيء الحروف متمايزة في السمع، وتتركب منها الكلمات الدالة على ما في الضمائر " [4].

فمن الصوت تتكوّن الحروف بالكيفية المذكورة، والحروف منها تتكوّن الكلمات، والكلمات تتكوّن منها الجمل، والجمل تكوّن النص، والأداء يكيف التركيب كله للدلالة على المعاني التي في الضمائر، **وهذه هي السلسلة النحوية :**

الصوت > الكلمة > الجملة > النص > المعنى .

---

1) انظر : علم الأصوات لكمال بشر ٦١٢

2) انظر : النحو العربي والدرس الحديث للراجحي ١٢٣ـ١٢٤،دار النهضة ، ١٤٠٦هـ، والأبعاد المعنوية في الوظائف النحوية لأسامة كامل جرادات ٥٢، دار الفرقان ٢٠٠٤، الأردن .

3) الخصائص ٣٣/١.

4) مقدمة ابن خلدون ٣٩ ، تحقيق درويش الجويدي ، المكتبة العصرية بيروت ، ١٤٢٢.

اللبنة الأولى في هذه السلسلة هي الصوت والغرض الذي تؤديه في النهاية هو المعنى الذي في نفس المتكلم أو السامع، **والمعنى هو المقصود من إنشاء الكلام، وهو" المركب الكلي للوظائف الذي يمكن أن يكون لشكل لغوي"** .[1] ومن الواضح أن المراد بالمعنى هنا هو المفهوم العام، الذي هو شامل لجميع ما ينتظم بالهيكل اللغوي، من معانٍ نحوية واجتماعية .

هذا الصوت حينما يؤدى يكون مصحوباً بكيفيات وملامح تميز بين عناصره في أثناء التفاعل، لتدل على المعاني المقصودة بكلماته، وبناء على هذا تتكون سلسلة أخرى بجانب الأولى، وهي السلسلة الصوتية المتكونة أثناء السلسلة النحوية :

الصوت ← ما يصاحبه من ملامح مميزة[2] أثناء التفاعل ←

← الأداء ← التركيب ← الوظيفة [3].

مثال تطبيقي على جملة " مَنْ يعبُدِ اللهَ فهو مصيب" :

* **الوحدة الصوتية :** حركة التخلص من التقاء الساكنين في الفعل (يعبد) .

* **الملمح الصوتي المميز أثناء التفاعل:** الصفات النطقية للكسر، المميزة له. عن الفتح والضم . : (وسطي منفرج، أمامي ضيّق)[4].

* **التركيب :** القالب العام للجملة، المنظم والمفيد للعلاقة والنسبة النحوية بين الكلمات من جهة السياق.[5]

* **الوظيفة :** الدلالة على أن (مَنْ) شرطية . وليست موصولة ولا استفهامية . وأن الأسلوب أسلوب شرط .

---

١) تاريخ علم اللغة الحديث لجرهارد ١٦٠.

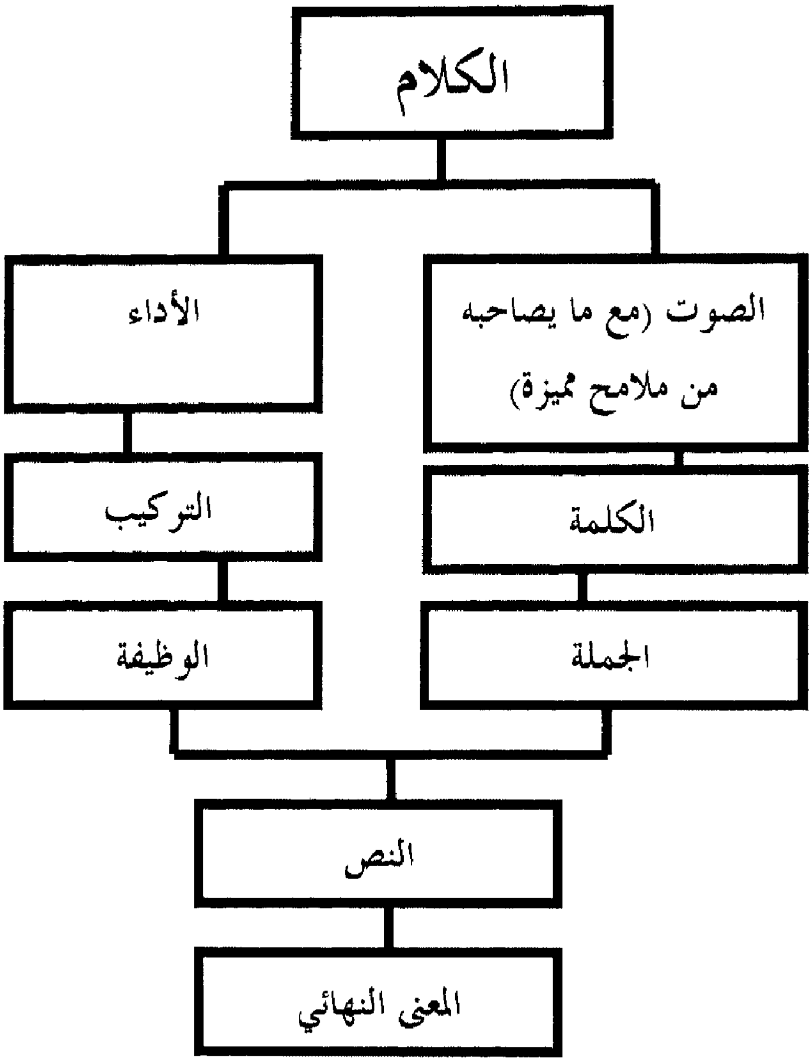
٢) أو : المعالم الصوتية (الطبيعة الداخلية للغة ضمن الموسوعة اللغوية١/٣٦) أو: الصفات المميزة (الصوتيات والفونولوجيا ١٣٥) .

٣) انظر : الوظائف التداولية في اللغة العربية لأحمد المتوكل ٣٤ – ٣٥ ، ط١، ١٤٠٥هـ الدار البيضاء .

٤) انظر شرح هذه الصفات في بداية الفصل الأول من الباب الأول ، في هذه الدراسة .

٥) انظر : اللغة ، لفندريس ١٠٤– ١٠٥. والوظائف التداولية في اللغة العربية ١٩– ٢٤.

وبوضع هذه السلسة بجانب الأولى تتبين العلاقة الوثيقة بينهما على النحو التالي:[1]



فالصوت بملامحه التمييزية يحمل الأداء، والكلمات التي تكونت من الصوت تؤدي إلى التركيب، والتركيب مكيّف بالأداء، والجمل المكونة من الكلمات تؤدي الوظائف التركيبية، وبذلك يتم النص بمعناه النهائي.

---

١) انظر لنحو هذا التمثيل للتسلسل الهرمي الصوتي مع التسلسل الهرمي النحوي: (علم الأصوات في القرن العشرين) عالم الفكر ٢٩٣، ٢٩٤.

و"معنى الجملة هو معنى وظائف المكونات النحوية التي تتركب منها، وصوت الجملة هو وظيفة المكونات الصوتية لها" فهذا التمثيل يوضح العلاقة بين الصوت والمعنى التركيبي الذي هو الوظيفة.[1]

فإذا كانت النتيجة النهائية العامة للكلام هي المعنى المراد، أو الوظيفة بالمفهوم التفصيلي،[2] فإن المعاني النحوية هي الوظائف التي تسعى لها هذه الدراسة، وهذه الوظائف لا تظهر إلا بالأداء السليم الذي يتميز بملامحه وسماته الصوتية في أثناء إنتاج الكلام، **والتمييز يأتي عن قصد المتكلم وإرادته**، وهو خلاف ما يقدمه الوصف الصوتي العام، الذي هو بمعزل عن الوظائف.[3]

فالحركات مثلاً وحدات صوتية مميزة بين معاني الإسناد والتخصيص، وهذه الوحدات لها ملامح صوتية . أو سمات نطقية . تميز بينها، تظهر من خلال النطق والتقابل بين النظائر[4].

مثال ذلك :

- الوحدة الصوتية : الحركة الطويلة > أحمد **يدعو، ويرمي، ويسعى**.
- الملمح الصوتي المميز : إشباع الضم – إشباع الكسر – إشباع الفتح في الفعل المضارع.
- الوظيفة التركيبية : الدلالة على الرفع بمعونة السياق، والرفع علاقة تركيبية سياقية، وهذه وظيفة تضافرت عليها قرينتان: القرينة الصوتية، والقرينة المعنوية(السياقية).

والنظير المقابل للحركة الطويلة هو قصر الحركة بقطع الإشباع، مثال ذلك :

- الوحدة الصوتية المميزة[5]: الحركة القصيرة > لم يدعُ – لم يرمِ – لم يرضَ .

---

١) (علم الأصوات في القرن العشرين) في مجلة عالم الفكر ٢٩٤،٢٩١.

٢) انظر تاريخ اللغة الحديث لجرهارد ١٦٠.

٣) انظر : الصوتيات والفونولوجيا ١٨، ١٤.

٤) (نظرية علم اللسانيات الحديث) في مجلة الدارة ص ١١٥

٥) كثيرا ما يطلق علماء الصوتيات على الوحدة الصوتية مصطلح (الفونيم) وعلى الملمح الصوتي لها مصطلح (ألوفون). على خلاف بينهم في ذلك على أن هذه الملامح هي تجمعات من الخصائص النطقية التي تميز فونيم عن آخر ، وعلى هذا يكون (الملمح الصوتي وسيلة لتصنيف الفونيمات (الوحدات الصوتية) ولا وجود له بمفرده ، =

- الملمح الصوتي المميز: الصفة النطقية للحركة القصيرة الدالة على حذف الآخر.
- الوظيفة التركيبية: الدلالة على الجزم.

هذه الوحدات الصوتية تخدم الجانب الوظيفي – كما تبين هذه الأمثلة – والجانب الوظيفي الذي تؤديه أصوات اللغة هو المميز للمعاني النحوية، وتلتئم تلك المعاني مع وحداتها الدالة في السياق اللغوي المركب تركيبا فصيحاً.[1] وتعد هذه الوحدات من عناصره، "فكلمات الجملة متداخلة متشابكة، يرتبط بعضها ببعض في أثناء النطق ارتباطا وثيقا، والأساس الصوتي لا يصلح وحده للتمييز بين حدود الكلمات في الكلام المتصل"[2]. ولكن كثيرا ما يستعان به في وصل الكلام وفهم علاقاته.

وبناء على هذه المعطيات يمكننا الحصول على التمثيل الفونولوجي للفظ ما من كامل الخواص الصوتية لذلك اللفظ، مستبعدين كل الصفات الصوتية التي تجبر المتكلم على تنفيذها، ونركز على الصفات التي بمقدوره **أن يضبطها ويغيّرها بإرادته**..... "فالتمثيل الفونولوجي يعد خيطًا من العناصر المنفردة المستقلة تمامًا كالأحرف في الكلمة المطبوعة".[3]

ويلزم لفت النظر هنا إلى أن وصف العناصر الفونولوجية بالانفراد والاستقلال: ليس المراد منه انفرادها واستقلالها عن التركيب اللغوي. كما قد يتبادر إلى الذهن. بل معناه ما ذُكر قبل ذلك من أن المتكلم بإمكانه أن يغيرها ويستبدل بها غيرها، فهي عناصر أدائية أو وحدات صوتية تساق بحسب وظائفها المعنية بها، ولأجل ذلك يمثّل لها بالأحرف في الكلمة المطبوعة، فلو أن المتكلم غيّر حرفا بحرف أو تصرف فيها بالتقديم والتأخير ونحو ذلك لتغيرت وظائفها وتغيّر المعنى في التركيب.

= وبعضهم يسميه (المعلم المميز) و(الملامح التمييزية). وليس ثمة اتفاق على شيء من هذه المصطلحات: انظر: دراسة الصوت اللغوي ١٨٣ـ ١٨٩، و(علم الأصوات في القرن العشرين) في مجلة عالم الفكر ٢٩١،٢٩٢، و (الطبيعة الداخلية للغة) في الموسوعة اللغوية ١/ ٤٤، و أسس علم اللغة لماريو باي ٩٠.

١) انظر رأي تروبتسكوي وبلومفيلد في (نظرية علم اللسانيات الحديث) لكونغ إلجو، في مجلة الدارة ١١٦–١١٧

٢) دلالة الألفاظ لإبراهيم أنيس ٣٩.

٣) (الطبيعة الداخلية للغة) في الموسوعة اللغوية ١/ ٣٠ بتصرف يسير.

والأداء السليم للنص اللغوي يجب أن يشمل جميع الوحدات والظواهر الصوتية كالإدغام والنبر والتنغيم والوقف (أو المفصل) ونحو ذلك، لأنها - جميعا - تميز بين الأصوات من جهة وظائفها، ومن خلال مجموع الملامح الصوتية المميزة للفونيمات ، حينما تقابل بوحدات صوتية أخرى تفقد هذه الملامح، تتجلى المعاني التركيبية من خلال هذا التقابل الوظيفي[١]،والمعنى هنا هو (وظيفة الوحدة الصوتية المميزة) كما يؤكد فريق من علماء الصوتيات[٢].

و العناصر الصوتية المميزة تتحدد من خلال الدور الذي تؤديه في بنية الكلام، وهي عنصر التركيب الصوتي الذي تقدم تمثيله في السلسلة الصوتية. والملامح الصوتية للوحدات الوظيفية تتميز – كما قرر بعض علماء اللغة – من خلال التقابلات النطقية.[٣] فقصر الحركة يقابله طولها وإثبات الحركة يقابله حذفها والوقف يقابله الوصل، والنغمة الهابطة تقابلها الصاعدة، والسكون تقابله الحركة، والتنوين يقابله حذفه،و الإدغام يقابله الإظهار أو الفك، والهمس يقابله الجهر، والتفخيم يقابل الترقيق، وهكذا .[٤]

وتؤدي هذه الفونيمات دورها الوظيفي في السياق اللغوي من خلال هذا التقابل، ويتحدد ذلك الدور باستبدال فونيم بآخر في نظام لغوي واحد [٥]، فيما يعرف في دراسة الصوتيات الوظيفية حديثا بالمعيار التوزيعي للفونيمات.[٦]

---

١) (نظرية علم اللسانيات الحديث وتطبيقها على أصوات العربية) في مجلة دارة الملك عبدالعزيز ص ١١٦، العدد٣، السنة ١٧، ١٤١٢هـ الرياض .

٢) انظر رأي كل من : (بلومفيلد) و(جاكبسون) و(كونغ إلجو) حسب شرح الأخير في مقاله :(نظرية علم اللسانيات الحديث وتطبيقها على أصوات العربية) في مجلة الدارة ١١٤،١١٥ ، ورأي (إيرك فدج) في كتاب "الطبيعة الداخلية للغة " في الموسوعة اللغوية ١/ ٣٥،٣٦.

٣) انظر آراء جاكبسون في ذلك في (نظرية علم اللسانيات الحديث) في مجلة الدارة ١١٩–١٢١، وفي علم الأصوات في القرن العشرين ، عالم الفكر ٢٨٨. ومدخل إلى اللسانيات لـ(رونالد ايلوار) ٨٨ وما بعدها .

٤) النظر : دراسة الصوت اللغوي ١٨٦ـ ١٩٥، و المدخل إلى علم اللغة لـ(كارل ديتر بونتنج) ٧٨وما بعدها ترجمة سعيد حسن بحيري، ط١، ١٤٢٤هـ مؤسسة المختار . القاهرة .

٥) انظر : مدخل إلى اللسانيات لـ(رونالد ايلوار) ٨٨ و ما بعدها ، ومدخل إلى التصوير الطيفي للكلام لـ(إرنست بولجرام) ٢٣٠– ٢٣١، ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح ، عالم الكتب ١٤٢٢هـ .

والجدول التالي يبين ذلك :الوظائف النحوية للقرينة الصوتية متمثلة في الوحدات والظواهر الصوتية في جملة : ﴿ رُدَّ مالك ﴾ :

القرينة الصوتية	الإدغام "رُدَّ"	حركة اللام "مالُك، مالَك"	حركة الكاف "مالكَ"	التنغيم	الوقف على " مالك "	الوقف على " ردّ "
الملمح الصوتيّ المميز	تضعيف الدال	الصفة النطقية للضم (مالُك)	الصفة النطقية للفتح (مالكَ)	نغمة صاعدة	هبوط النغمة عند قطع الصوت	صعود النغمة عند قطع الصوت على الدال
الملمح الصوتيّ المميز		الصفة النطقية للفتح	الصفة النطقية للكسر	نغمة مستوية		
الوظيفة النحوية	بناء صيغة الفعل للأمر والماضي. وإبهام الإسناد(٢).	إسناد الفعل (الماضي) للمفعول "رُدّ مالُك"	تعيين جنس المخاطب	أسلوب الاستفهام (النغمة الصاعدة)	إبهام جنس المخاطب	تقسيم الكلام إلى جملتين إنشائيتين مختلفتين(٣)
		إسناد الفعل للمخاطب (الأمر)"ردمالَك"		أسلوب الخبر(النغمة المستوية)		

١) (نظرية علم اللسانيات الحديث) في مجلة الدارة ١١٧، ١١٨، والصوتيان والفونولوجيا ٢٥، ودراسة الصوت اللغوي ١٩١ – ١٩٥.

٢) أصل الفعل (ردَد) وماضيه المبني للمجهول (رُدِدَ) =(رُدَّ)، وأصل الأمر منه : (ارْدُدْ) = (رُدَّ) فتساوت الصيغتان بسبب الإدغام، والتبس الماضي بالأمر.

٣) الجملة الأولى : "رُدَّ" فعل أمر، تم عليه الكلام بالوقف. الجملة الثانية : (مالك ؟) جملة استفهامية، كأن القائل قال : مالك ساكتا؟ أو : مالك لا تجيب ؟ أو : مالك لا ترد ؟ ونحو ذلك، كقوله تعالى: ﴿ مالكم ؟ كيف تحكمون ؟﴾ سورة القلم (٣٦).

يلحظ المرء من خلال هذا الجدول أن الوحدات الصوتية المذكورة والظواهر المصاحبة بجميع أقسامها تعد قرائن وعناصر أساسية في التركيب الصوتي للغة العربية، وليست مجرد ظواهر تطريزية لتزيين الكلام، كما رآه آخرون.[1]

وبتحليل الأصوات بهذه الطريقة يمكن للمتأمل أن يفرق (وظيفيا) بين الملامح الصوتية المميزة، وما تقارنه من وحدات صوتية وظواهر مصاحبة لها، من جهة كون كل عنصر صوتي يُعدّ مقابلا استبداليا، سواء أكان حرفًا أو ظاهرة أو ملمحًا. وبهذه الطريقة أيضاً تتضح العلاقة الوثيقة بين التحليل الصوتي للظاهرة بملامحها المميزة، والتحليل الصرفي بوحداته الجزئية، فيما يقدمانه للدراسة النحوية في التراكيب اللغوية.[2]

وفي الأخير يتضح أن التركيب النحوي يتكون من وحدات متعددة ومتنوعة، والوحدة الصوتية الوظيفية تشكل قسماً من تلك الوحدات في التركيب، وهذا يؤكد أهمية دراسة التركيب اللغوي دراسة شاملة لجميع صنوف الصوتيات الوظيفية، و الفونيمات، والملامح التطريزية[3]وغير التطريزية في البناء اللغوي.[4] مع استبعاد بعض العناصر التي لا أثر لها في التركيب النحوي، كبعض العناصر التطريزية مثل المقاطع الصوتية داخل الكلمة[5]، وبعض أنواع النبر، والتنغيم غير الوظيفي، و زيادات كمية الصوت، أو تقليصه واختلاسه، والإمالة ونحو ذلك. فإن هذه الملامح قد لا يكون لها تأثير من جهة الوظائف النحوية.[6]

---

١) (نظرية علم اللسانيات الحديث) في مجلة الدارة ١٢٩

٢) انظر حول هذا المفهوم : اللغة العربية معناها ومبناها ١٨٤–١٨٥

٣) "**التطريزية**" سميت بذلك تشبيها لها بالتطريز الذي توشى به الثياب ونحوها، ويسميها بعضهم "**فونيمات فوقطعية**" كالنبرات والنغمات والفواصل. انظر الأصوات اللغوية للخولي ٦٣ ، دار الفلاح ـ الأردن، ١٩٩٠.

٤) انظر : (نظرية علم اللسانيات الحديث) في مجلة الدارة ١٣١

٥) انظر : المدخل إلى علم اللغة لكارل ٧٥.

٦) انظر للاستئناس : رأي فيرث في العناصر التطريزية ، في المرجع السابق ١٣٢

القرينة الصوتية ومفهومها النحوي

القرينة في اللغة هي الدليل على الشيء، والعلامة عليه، لأنها تقارن ما تدل عليه وتصحبه، والأصل فيها الاقتران الذي هو الاجتماع[١]، ومن ثَمَّ استعملت في الاصطلاح مرادًا بها ما يعيّن الشيء ويدل عليه أو ينوب عنه، أو ما يمحض الشيء ويمنعه من الالتباس بغيره، سواء أكان هذا الدليل حسيًا أو معنويًا [٢]، والقرينة الصوتية هي الدليل الصوتي، فهي من جملة القرائن الحسية المنطوقة، لأنها مدركة من جهة المادة الصوتية المسموعة، وهي جزء من التحليل الصوتي للكلام، هذا التحليل الذي يبنى عليه النظام الصوتي، ويعد من أهم العلامات اللفظية التي يتم بها تعيين المعاني والروابط بين الألفاظ والتراكيب في النهاية[٣].

وإن الوقوف على معنى القرينة الصوتية ومفهومها النحوي يستدعي التعرف على ما يسمى بـ(الفونيم) في الدراسات الصوتية، باعتباره وحدة التحليل الفونولوجي الأساسية على الأشهر[٤]، وهو مصطلح إنجليزي اللغة أساسًا، وشاع استعماله في الدراسات المعاصرة وغلب حتى شاع لدى اللسانيين العرب[٥].

---

١) انظر : مقاييس اللغة لابن فارس ص٨٥٢ (قرن) ط١، ١٤٢٢هـ دار إحياء التراث العربي / بيروت . والتعريفات للجرجاني ص٢٥٥ تحقيق محمد المرعشلي ط١، ١٤٢٤هـ دار النفائس /بيروت.

٢) انظر : . مع ما سبق . كشاف اصطلاحات العلوم والفنون للتهانوي٢ / ١٣١٥ تحقيق د: علي دحروج، ط١، ١٩٩٦م /لبنان والقرائن المعنوية للدكتور عبد الجبار توامي ١٧(مخطوط).

٣) انظر : اللغة العربية معناها ومبناها . لتمام حسان، ١٨٠ ، ط:١٤٢١، دار الثقافة ، الدار البيضاء .

٤) انظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ٢١،والأبعاد المعنوية في الوظائف النحوية ٥١، و أسس علم اللغة لماريوباي ٩٠، ترجمة أحمد مختار عمر ، ط٢، عالم الكتب ، القاهرة ١٩٨٣. و(علم الأصوات في القرن العشرين) في مجلة عالم الفكر ٢٨٦ ، ودراسة الصوت اللغوي ١٧١وما بعده.

٥) انظر الأصوات اللغوية للخولي ٥٩.

وقد كثر الخلاف وتنوعت الاتجاهات في تفسيره [١]، حتى قال بعضهم : "إن مفهوم (الفونيم) ما يزال لم يحدد تحديدا كافيا، فالفونيم مفهوم نظري يتحدد تحديده الدقيق في النظرية الفونولوجية، ولا يوجد في علم اللغة مفهوم واحد ونظرية واحدة، بل عدة مفاهيم ونظريات للفونيم ".[٢]

والغرض هنا تناوله من جهة كونه وحدة صوتية ذات وظيفة نحوية – أي حين يؤدي وظيفة في التركيب – فهو عندئذ يمثل القرينة الصوتية بمفهومها النحوي، فإن (الفونولوجيا) - كما تَقَدَّم - "تهتم بالوحدات الصوتية من ناحية تأثيرها أو عدم تأثيرها في مدلول الإشارة اللغوية ".[٣]

وتجدر الإشارة هنا إلى أن ما سبق من الحديث عن الصوتيات الوظيفية يعطي فكرة عامة عن القرينة الصوتية، لكونها تشكل قسما مهما من أقسام الصوتيات الوظيفية كما تقدم .

وحدات العناصر اللغوية

العناصر اللغوية – على العموم – تأتي في أربع وحدات أساسية، ثم ظواهر تكون تابعة لها، وتتكون في أثناء الحدث الكلامي، هذه الوحدات هي:

١ـ **الوحدة الصوتية**، وتسمى بـ(الفونيم) وهي حروف المعجم التي هي الأساس للمادة اللغوية، وهي أصوات ملفوظة لأنها تتكون عن طريق الصوت المعتمد على مخرج، نحو: ء، ب، ت، ج ...إلى آخر الحروف الهجائية، و منها الحركات، فكل من الحرف والحركة وحدة صوتية بسيطة، والحرف مع حركته وحدة صوتية مركبة، وكل مقطع من المقاطع الصوتية المعروفة يُعد وحدة صوتية مركبة .

١) ومما نقل عن عالم الصوتيات :(دانيال جونز) " أن تعريف الفونيم لم يُتوصل إليه ، ولا يمكن تقديم تفسير له لا يترك منفذا للشذوذ والاستثناء " (دراسة الصوت اللغوي ١٧٤).

٢) المدخل إلى علم اللغة لكارل ديتر ٧٧. ٧٨. وانظر الأصوات اللغوية للخولي ٥٨.

٣) الصوتيات والفونولوجيا ٢٣.

٢ـ **الوحدة الصرفية**، وتسمى بـ(المورفيم)[1] وهي تتكون من الحروف السابقة، ويدخل في هذا القسم جميع الوحدات الصرفية الحرة كحروف المعاني المنفصلة، والصيغ، والأدوات، وكذلك المقيدة كالضمائر المتصلة[2]، ويتميز بأنه إذا قُسّم فقد معناه[3].

٣. **الوحدة التركيبية**، وهي ما تركب من كلمتين فأكثر، ظاهرًا أو تقديرًا ـ كما هو مشهور في كتب النحو. نحو: صدق محمد، و:محمد صادق، و: قُم، و: إنْ قام، و: يا الله، و: من يتق الله يفز، و : إيه. هيهات ....

٤. **الوحدة النصية**، وهي الجملة، أي الشكل النهائي للعبارة اللغوية، وهي وحدة ذهنية مبنية على المعاني، من غير التفات إلى ما يمثلها من الأصوات[4].

ثم بعد ذلك تأتي الظواهر المصاحبة، وهي عناصر ممتدة غير قابلة للتقطيع والتمايز، ولا تندرج تحت الإطار الفونيتيكي[5]، مثل النبر والتنغيم والوقف والإدغام[6]، وإنما تنشأ عن تفاعل الأصوات فيما بينها .

وتعرف عناصر هذه المجموعة الأخيرة بأنها فونيمات أدائية، تأتي مصاحبة للعناصر التركيبية، وتؤثر في الأصوات الكلامية .

وقد يعبر عنها: بالأداء الصوتي، لأنها تنتج عن الطريقة التي تؤدى بها الكلمات والجمل بحسب الوظائف والدلالات المقصودة.

---

١) المقصود بالمورفيم : أصغر وحدة لغوية تحمل معنى في بنية الكلمة [انظر : القرائن المعنوية في النحو العربي للدكتور عبد الجبار توامي ٢١٣(مخطوط) و معجم علم الأصوات للخولي ١٦٥]

٢) انظر : مدخل إلى علم الأصوات ، لمحمود فهمي حجازي ص٥٨– ٥٩، ط٢، ١٩٧٨، دار الثقافة بالقاهرة.

٣) انظر : أسس علم اللغة ١٠١.

٤) انظر : دروس في الألسنية العامة لـ(ديسوسير)ص١٦١–١٦٢.

٥) انظر : في الصواتة الزمنية ص١٨.

٦) انظر : أسس علم اللغة لماريو ٩٢، (علم الأصوات في القرن العشرين) في مجلة الفكر ٢٨٦وما بعدها ، والأصوات اللغوية للخولي ٥٨.

بيان ذلك : إذا قيل : " محمدٌ يذهبُ إلى المسجدِ ". فلكل حركة وظيفة ودلالة، وللتنوين وظيفة، ولكون الحركة ضمة أو كسرة أو فتحة دلالة ووظيفة، ولنبر جزء من أجزاء كلمة من هذه الكلمات وظيفة، ولتنغيم الجملة وظيفة خاصة فقد تنطق بنغمة استفهام، أو إخبار، أو إنكار، أو تقرير، أو تهديد، أو تعجب ..... ونحو ذلك . وللوقف على إحدى هذه الكلمات والاستئناف بما بعدها وظيفة خاصة .

هذا الأداء الصوتي لهذا التركيب النحوي . بهذه الطريقة . هو الذي أدى إلى هذه الوظائف التركيبية، وهذه القرائن الصوتية لا دلالة لها إلا في هذا الضرب من أضرب تكونات أجزاء اللغة [١].

ويدل على ذلك أنك لو حركت أي كلمة من هذا التركيب كـ(يذهب)أو(محمد)أو(المسجد) في نهايتها بأي حركة شئت خارج التركيب لما كان ذلك خطأ ولا مؤثراً في معناها المعجمي، وكذلك لو سكنت أواخرها .[٢]

وأما في حال التركيب فيجب أداؤها بهذه الحركات والكيفيات المعينة، فإن لم تؤدَّ بها فسوف تفقد بعض الدلالات وتحتمل وجوها أخرى، ودلت . بالأحرى . على جهل ناطقها بالتعبير اللغوي، لأنه لم يكوّن بنطقه نظاما لغويا[٣]، و"اللغة لا تتكون من أصوات معزولة، بل من نظام من الأصوات "[٤]، وهذه الحركات من مكونات هذا النظام بالطريقة الوظيفية، وستكون الأصوات بدونها معزولة لا رابط بينها، ومنحرفة دلاليا .[٥]

ومعنى هذا أن دور القرينة الصوتية يأتي في الكلام المركب التركيب الفصيح، وأنها هي الآلة التي تستعمل لإنتاج التراكيب الفصيحة[٦]، ومن ثم صح القول بأن الظواهر الصوتية التي تساير الوحدات الصوتية، أو الجمل،

---

١) انظر مقدمة لدراسة اللغة لحلمي خليل ٦٤– ٦٥.

٢) انظر : اللغة . لفندريس ١٠٨– ١٠٩.

٣) انظر حول هذا لمفهوم : أسس علم اللغة لماريوباي ٩١

٤) انظر : اللغة لفندريس ٦٢

٥) انظر : المدخل إلى علم اللغة لكارل ٢٧١.

٦) انظر : دلالة الألفاظ لإبراهيم أنيس ٣٩، ط٦، ١٩٨٦، دار المعارف . القاهرة.

تؤدي وظائف دلالية، وأهم هذه الظواهر الصوتية : النبر الوظيفي والتنغيم، على أن المراد بالنبر هنا : النبر المقطعي، والتنغيم فوق مقطعي، ليصدق عليهما الرأي القائل بأن :"الفونيم لا يتطابق مع صوت واقعي، وإنما تتحقق الفونيمات عن طريق أصوات الكلام ".[1]

فإذا كانت هذه الوحدة الصوتية الوظيفية(الفونيم)[2] تنتج وظائف نحوية، أو يقال : لها دلالات نحوية، ساغ اعتبارها قرينة صوتية بمفهوم نحوي، و يسوغ حينئذ تسميتها بالفونيم النحوي، أو المصوت النحوي، أو الصوت الفارق[3]، (إذا أردنا الترجمة العربية).

والمراد بالمصوّت الصوت المميِّز مطلقا، فإذا أضيف إلى (النحو) صار مقتصراً على الفونيم ذي الوظيفة النحوية، وقد يكون على المستوى المعجمي أو الصرفي، فيقيد بما يضاف إليه [4].

ومما يُقَرِّبُ مفهوم الوحدة الصوتية الوظيفية مما توصف به : أنها علامة رمزية تشكيلية ذات وظيفة مستقلة، والوظيفة الأساسية لها عندما يتم التعرف عليها وتحديدها هي أن تجعل من الممكن التعرف على الكلمات وتحديدها أو تحديد أجزاء الكلمات التي لها قيمة الرمز، فمن الممكن تعريف الوحدات على أنها أصغر الأجزاء في التيار المسموع، والتي لها هذه الوظيفة[5].

والمراد بالتيار المسموع الكلام المنطوق، وهو المؤدى بالصوت المشتمل على حروف وحركات مدركة، وهذا يعني جميع القرائن اللفظية سواء أكانت ظواهر صوتية أو كانت مع ذلك قرائن لفظية أخرى، **وتمثيل ذلك في الجدول التالي :**

---

١) دراسة الصوت اللغوي ٢٠٣.

٢) المدخل إلى علم اللغة لكارل ١٠٥

٣) انظر : المدخل إلى علم اللغة لكارل ٩٠.

٤) انظر المدخل إلى علم اللغة لكارل ١١٣،١١٢وما بعدهما

٥) علم الأصوات لبرتيل ٢٥٢.

الكلمات اللغوية	الفونيم،أو: الصوت المميز	نوعه، أو: (مدلول الفونيم)	وظيفته
تاب – طاب محذور – محظور	الترقيق ــ التفخيم[1]	معجمي	التمييز بين الكلمات أو (تحديد المعنى المعجمي)
هذا – هذي	الفتح، الكسر	صرفي	التمييز بين المذكروالمؤنث
١ـــ قيلَ – قيلاً ٢ـــ علِم ـــ عَلَم	١ـــ التنوين وعدمه ٢ـــ الكسر والفتح	صرفي تركيبي	التمييز بين الاسم والفعل (وظيفة تقسيمية)
ما هذا بشرٌ– ما هذا بشراً	الضم، الفتح	تركيبي	التمييز بين المرفوع والمنصوب وبين لهجتين[2] (وظيفة إعرابية لهجية)

يتبين من هذا الجدول أن (الفونيم) على المستوى المعجمي والصرفي والنحوي ليس سوى (الصوت المميز) الذي يمكن عن طريقه التفريق بين المعاني[3]، أو التفريق بين الوحدات الصوتية، ذات الدلالة والقيمة اللغوية في كل مستويات الدراسة اللغوية.[4]

١) التفخيم ناشئ من الإطباق والاستعلاء، والترقيق ناشئ من الانفتاح و الاستفال.
٢) النصب لغة أهل الحجاز، والرفع لغة تميم.
٣) الأصوات اللغوية للخولي ٥٨.
٤) انظر حول هذا المفهوم: الصوتيات والفونولوجيا ٣٢–٣٣ وعلم الصوتيات لعبد العزيز أحمد وعبد الله ربيع ٤٨–٤٩ ودراسة الصوت اللغوي لأحمد مختار عمر ١٧٢، ١٧٣، ١٨٠، ١٩٩.

هذه الفونيمات، سواء منها ما كان وحدات صوتية، أو ظواهر مصاحبة، تعد وحدات لغوية، وينظر إليها على المستوى الفونولوجي بأنها قرائن صوتية تعبر عن الوظائف التمييزية للغة .[١]

وهناك اتجاهان في تفسير مكونات الوحدة الصوتية (الفونيم)، أو العناصر التي تكونها :

الاتجاه الأول يرى أصحابه أن الفونيم يتكون من أصوات مادية حقيقية قابلة للتحليل مرة أخرى إلى عناصر .

الاتجاه الثاني يرى أصحابه أنه ملمح أو كيفية نطقية لا وجود لها بمفردها، تشكل الصوت اللغوي بانضمامها إلى غيرها .[٢]

الاتجاه الأخير من هذين الاتجاهين هو المنسجم مع كثير من الوحدات الصوتية المعنية هنا في تفسير (الفونيم) بوصفه قرينة صوتية (وظيفية) في النحو، وبيان ذلك أن القرائن اللفظية الصوتية تبدو عند تدقيق النظر في قسمين بارزين :

١. أصوات مستقلة تتكون منها هيئات الكلمات والجمل .

٢. أصوات غير مستقلة، تكون ناتجة عن كيفيات الأداء النطقي للكلمات والجمل .

فالحرف الصامت صوت مستقل، **وفتحه أو ضمه أوكسره أو إسكانه** ، لاحقةٌ له، لا وجود لها بدونه، وليس شيئاً آخر قابلا للتحليل إلى عناصر أخرى[٣].

وإدغام حرف في حرف ينتج منه صوت هو في الحقيقة كيفية أداء للحرفين معا بعمل واحد، وليس له استقلال مادي عنهما، كما أنه لا يترتب

---

١) انظر: علم الصوتيات لعبد العزيز أحمد وعبد الله ربيع ٤٨–٤٩ .

٢) دراسة الصوت اللغوي ١٨٣–١٨٤ وانظر مقدمة لدراسة اللغة لحلمي خليل ١٩٣–١٩٤ وأسس علم اللغة لماريوباي٨٨ .

٣) انظر اللغة ، لفندريس ١١٥.

عليه زيادة في المادة اللغوية أو حذف شيء من أصولها، فهو ناتج تركيبي صوتي صرف.

والوقف على كلمة بقطع الصوت عليها أو قبلها أو بعدها، كيفية أداء للقراءة، وليس هو شيئاً آخر يمكن أن يحلل إلى عناصر أخرى .

والتنوين الذي هو صوت نون مصاحب لإحدى الحركات الثلاث، لا يعدو كونه ملمحا تركيبيا تختتم به إحدى هذه الحركات فتتميز به عن المرادف غير المنون، لأداء وظيفة ما .

وكذا **يقال في النبر والتنغيم**، فهما كيفية أداء للكلمات والجمل، تظهر بحسب الوظيفة المعنية للمتكلم .

وعلى هذا يمكن أن يقال: ـ حسب المعطيات السابقة ـ إن القرائن الصوتية يُعنى بها هذه الوحدات الأدائية، أو المصوّتات التمييزية التي تظهر في الأداء النطقي الذي يعطي العنصر اللغوي صفة ما، هي في الحقيقة الصورة النهائية للعنصر اللغوي نفسه كلمة كان أو جملة[١] .

وهذه الوحدات والظواهر منها ما هو قطعي، وهو السواكن ـ كالتنوين مثلا ـ والحركات، ومنها ما هو (فوق قطعي) وهو الظواهر الصوتية الأدائية، التي تصاحب الوحدات التركيبية، مثل : التنغيم، وبعض أنواع النبر، والوقف، والإدغام، وإشباع الحركات، (أو طول الصوت) وهذه كلها تسمى بالفونيم غير التركيبي ، لأنها تصاحب التركيب، ولم يتركب منها الكلام باستقلال عن الحركات والسكنات.[٢]

مثال ذلك في الأمور الحسية : من يلبس لِبسة يظهر بها على هيئة تدل على التواضع أو التكبر أو الفقر أو الترف أو نحو ذلك، فهذه الوظيفة نتيجة لتلك الهيئة أو الكيفية التي لبس بها الثوب، والثوب نفسه – وكذا صاحبه – في الحقيقة لا يدل على معنى من هذه المعاني في حال تجرده من الكيفية

---

١) انظر : مدخل إلى اللسانيات لـ(رونالد ايلوار) ٨٦–٨٨. ومدخل إلى التصوير الطيفي للكلام لـ(إرنست) ١٠٥–١١١.

٢) انظر دراسة الصوت اللغوي ٢١٩، وما بعدها . و معجم علم الأصوات للخولي ١٢٧،١١٤، ط: ١٩٩٨، دار الفلاح ـ الأردن.

الموظفة . فالإطار العام للبسة هنا كالفونيم وهو القرينة، ودلالة اللبسة على تلك المعاني كدلالة القرينة على الوظائف النحوية .

ومن الآراء التي تدور حول هذا المفهوم للقرينة الصوتية القول بأن "الفونيم الفونولوجي فكرة صوتية أو مفهوم صوتي. أما الاستعمال. الفونيماتيكي[١] فهو التمثيل أو تحقيق الفونيم بالنطق، وهذا هو موضوع علم الأصوات ".[٢]

هذه المعاني تدور حول كيفيات النطق وأحوال أداء الكلام. ولكنّ فيها خلطًا بين الصوت الملفوظ والفكرة التي يوحي بها، أو الوظيفة التي يؤديها. فليس الصوت فكرة مجردة – وإن كان استجابة لفكرة – ولكنه حدث مادي محسوس وإذا أردنا بالفونيم الصوت المميز. فلن يكون فكرة أيضا، ولكن الصوت المميز – أو الفونيم الفونولوجي – يحمل فكرة نتجت من خلال موقعه حينما يحقق في النظام اللغوي [٣].

ويظهر هذا بالتقابل الثنائي، والتبادل التوزيعي، نحو : الإدغام مع الإظهار، والوقف مع الوصل، والتنوين مع حذفه ...فإن هذه الوحدات الصوتية تختلف وظيفيا تبعا لاختلافها النطقي.[٤]

ومن ثم كانت محاولات تفسير الفونيم في علم الفونولوجيا أو (علم الأصوات الوظيفي) تدور في فلك التركيب النحوي وسياقه .

فمنها القول بأن " الفونيم يتحقق واقعياً في مجموعة من الأصوات تسمى تنوعات، واحد من هذه التنوعات الصوتية داخل الوحدة الوظيفية (الفونيم) يسمى عادة التنوع الأساسي للفونيم في حين تعد الأصوات

---

١) (الفونوماتيكي) بمعنى : دراسة الأصوات الكلامية المجردة ، أو علم عناصر الفونيمات المجردة ، وهو المراد بـ" الفوناتيك" (انظر دراسة الصوت اللغوي ٦٧ ـ ٦٨، وعلم وظائف الأصوات اللغوية لعصام نور الدين ٢٧.)

٢) دراسة الصوت اللغوي ١٩٩ وانظر علم الأصوات لبرتيل ٢٥٢ ، والمدخل لكارل ٧٧–٧٨.

٣) انظر المدخل إلى علم اللغة لكارل ٨٩، ٩٢.

٤) انظر السابق ٩٣.

الأخرى تنوعاته التكاملية "[١]. وقد يُنْعَت "بالتنوعات السياقية" أو: "أصغر وحدة محتملة تخالف بين الكلمات المتشابهة ويدركها المتكلم الوطني كشيء مختلف"[٢]

أو: "أصغر وحدة صوتية عن طريقها يمكن التفريق بين المعاني".[٣]

وهذا التعريف ينطبق انطباقاً واضحا على حركات الإعراب والتنغيم والتنوين والوقف .... ولذلك يلحظ المرء أنه حينما يوضع فونيم مكان آخر يكون الناتج كلمة أخرى[٤]. و يتضح ذلك في وضع الضم مكان الفتح في نحو قولك: (أكرم الرجلَ/الرجلُ صديقَه/صديقُه)، ووضع الكسر مكان الفتح في نحو: زيد أكرم رجلٍ / رجلاً، ونحو: كم كوكباً / (كوكبٍ) في السماء.

والمراد هنا بيان كون الوحدة الصوتية الموصوف بها الحرف حين أدائه – وهي هنا العلامة الإعرابية – تمثل القرينة الصوتية المؤدية للوظيفة التركيبية الإسنادية أو التخصيصية أو الإعرابية، أوغير ذلك من الوظائف التركيبية الأخرى، دون حاجة إلى ضرورة الوقوف على المصطلح الفونولوجي الدقيق لهذه الوحدة الصوتية أهو أي المصطلح. (فونيم) كما يراه صاحب التعريف السابق[٥]. (Morris Swadesh) - أو هو (ألفون فونيم)[٦] كما يراه الدكتور أحمد مختار عمر حين انتقد هذا التعريف في تحديد المراد بمصطلح (فونيم).[٧]

---

١) دراسة الصوت اللغوي ٢٠١.

٢) دراسة الصوت اللغوي ٢٠١(في الحاشية).

٣) السابق ١٧٩، وانظر علم الأصوات لبرتيل ٢٥٠–٢٥١، وأسس علم اللغة لماريو باي ٨٨.

٤) دراسة الصوت اللغوي ٢٠١وانظر أسس علم اللغة لماريوباي ٩١ فإنه أكد هذه الفكرة.

٥) و غيره كالدكتور سلمان العاني. انظر كتابه: التشكيل الصوتي في اللغة العربية ١١٥.

٦) بمعنى إحدى التنوعات الجزئية للحرف. أو (الملمح الصوتي للفونيم)، أو (الهيئة النطقية للفونيم) أو (أحد عناصر الزمرة التي يمثلها الفونيم): التشكيل الصوتي ١٥٩، وانظر معجم علم الأصوات للخولي ٢٢(ألفون).

٧) دراسة الصوت اللغوي ٢٠٢

والذي تعنى به هذه الدراسة في مفهوم القرينة الصوتية يتطابق مع الأمرين معاً، متى تحققت الغاية وهي كون هذه الوحدة ذات وظيفة نحوية .

ومع ذلك لابد من التفريق بين الصوت نفسه من حيث هو صوت، والوحدة الصوتية[1]، أو الملمح الأدائي للصوت، فإن توظيف هذا الأداء بحيث يكون قرينة مصاحبة لذات الصوت وتكوّن جزءا منه . هذا الأمر . مما يختص به المتدرب على اللغة أو المتحدث بها على سليقته وطبيعته، وفي هذه الحال تكون القرينة الصوتية هي القيمة المعنوية التي تغني المخاطب أو السامع عن الاستفهام عن المراد[2].

ولهذا التشابك بين القرينة الصوتية والبناء الصوتي الذي يتضمنها، قال أحد علماء الأصوات . في التفريق بين مفهوم الفونيم، والصوت المجرد . : "إن الفونيم هو الصورة الذهنية التي يكد المتكلم في الوصول إليها، أما الصوت فهو الإنجاز الذي يحققه، تحت أي ظرف معيّن، وفي أيّ محيط محدد ".[3]

إن الوحدة الصوتية أو الظاهرة التي يمثلها (الفونيم) هي التي أعنيها بالقرينة الصوتية هنا، ولكن المراد الوحدات المادية المسموعة، لا المعاني الذهنية المدلول عليها بهذه الوحدات، وهو يريد أن المتكلم يجتهد في الوصول إلى أغراضه الكلامية باستعمال القرائن المؤداة بالصوت، ويستدل على ذلك بـ"أن المتكلمين يفطنون بسرعة إلى كل الاختلافات في الوحدات الصوتية الوظيفية، ولكنهم ربما لا يكونون على علم بالاختلافات الصوتية، ثم يذكر أن سبب ذلك أن تغيير الوحدة الصوتية ذات الوظيفة يصحبه تغيير المعنى، مما يثير انتباه السامع في حين أن تغيير الصوت نفسه لا يصحبه ذلك التغير .[4]

---

١) انظر لهذا الفرق : مدخل إلى اللسانيات لـ(رونالد ايلوار) ٨٧، ٩٤.

٢) انظر تأكيداً لهذا من رأي بلومفيلد في تفسير الفونيم : دراسة الصوت اللغوي ٢٠٣وانظر أيضاً مقومات الدلالة النحوية ص٣ .

٣) أسس علم اللغة لماريو باي ٩٠.

٤) أسس علم اللغة لماريو باي ٩٠بتصرف يسير .

يتضح هذا بالمثال : (زيدٌ ابنُ خالدٍ) نطق هذه الجملة بنغمة متدرجة . صاعدة فهابطة . ذو وظيفة تركيبية، وهي الدلالة على الاستفهام، ولو غيرت هذه القرينة بالمقابل لها وهو النغمة الإخبارية (المسطحة) لاختلف المعنى، وهذا يثير انتباه السامع. أما تغيير إحدى الكلمات أو حرف من حروفها فلا أثر له في المعنى التركيبي، لأن التنغيم . وهو القرينة . محتفظ بوظيفته التي هي تعيين الأسلوب التركيبي، بحسب نوع النغمة، مهما تنوعت الوحدة التي يتبعها التنغيم.[١]

هذا المفهوم للقرينة الصوتية هو على المستوى التركيبي دون الصرفي. أما المستوى الصرفي فالقرينة الصوتية فيه هي التي تسمى في الاصطلاح الأعجمي بـ(المورفيم)[٢]، وهو أصغر وحدة لغوية ذات معنى[٣]، ويختلف عن الكلمة، إذ قد تتكون الكلمة من "مورفيم" واحد أو أكثر.[٤] ولذلك يأتي التمثيل له بكلمة أو جزء من كلمة . كما تقدم . ويكون منفصلا، كصيغ الأسماء والأفعال، ومتصلا كنوني التثنية والجمع[٥].

ومما يحسن ذكره هنا أن هذا التفسير للقرينة الصوتية ومفهومها النحوي، هو اللائق باللغة العربية والنحو العربي بخاصة، وقد لا يتناسب بعضه مع بعض اللغات الأخرى، وإن اشترك بعضها مع العربية في قدر منه، فلكل لغة نظامها وخصائصها[٦]. ذلك أنّ " درجة الاختلاف الصوتي المطلوب للإبقاء على التميز هو أمر يتعلق بنظام اللغة، وليس بالطبيعية الصوتية للأصوات نفسها " [٧].

---

١) انظر لمزيد من الأمثلة التحليلية لفهم هذه المسألة : مدخل إلى اللسانيات لـ(رونالد ايلوار) ٨٩، و٩٣ وما بعدها .

٢) انظر الأصوات اللغوية للخولي ٦٣، ومبادئ اللسانيات لأحمد قدور ١٥٣، ط٢، ١٤١٩، دار الفكر. دمشق

٣) معجم علم الأصوات للخولي : ١٦٥.

٤) القرائن المعنوية في النحو العربي للدكتور عبد الجبار توامي ٢١٣(مخطوط) . والأصوات اللغوية للخولي ٦٥ .

٥) انظر : السابق ، وأسس علم اللغة لماريو باي :١٠١.

٦) انظر : مقدمة لدراسة اللغة لحلمي خليل ٢٦٦–٢٦٧، مدخل إلى اللسانيات لـ(رونالد ايلوار)٩٧ـ ٩٨، و١٠١، ومدخل إلى التصوير الطيفي للكلام لـ(إرنست) ١٠٦– ١٠٩.

٧)دراسة الصوت اللغوي ٢٠٦

ويسهل تصنيف الفونيمات بوصفها قرائن صوتية ذات مفهوم نحوي عندما يكون تفريقها بين المعاني على المستوى التركيبي، وتكون كذلك عندما تقع موقعا لا يمكن فيه استبدال غيرها بها، لأن استبدالها يؤدي إلى خلل في فصاحة الكلام واستقامة تركيبه، أو في دلالته على مراد المتكلم[1]، مثال هذا : قولك : (متى تخرجِ اليوم تكلمِ الناس) فإن حركة التقاء الساكنين في كلمتي : (تخرج) و (تكلم) قرينتان صوتيتان صاحبتا البناء الصرفي، وجاءتا عارضتين لأسباب صوتية، وقدمتا مفهومين متلازمين في هذه الجملة، وهما :

- الدلالة على أن (متى) شرطية، فالجملة شرطية (وظيفة أسلوبية) .
- والدلالة على أن الفعلين مجزومان .(وظيفة إعرابية).

ويمكن استبدال الضمة بالكسرة هنا، فيقال : (متى تخرجُ اليوم تكلمُ الناس) فيتغير المعنى ويتغير الإعراب، إذ تصبح (متى) استفهامية، والفعلان مرفوعين، والأسلوب إنشائياً، ناهيك بعد ذلك عما تضيفه قرائن صوتية أخرى يمكن للمتكلم أن يوظفها في إفادة هذه المعاني، أو غيرها، مثل التنغيم والوقف والنبر، والقرائن كثيراً ما تتضافر فيكون ذلك أجلى لمعاني التركيب في الكيان اللغوي.[2]

---

1) انظر مدخل إلى اللسانيات لـ(رونالد) ٧٨–٨١.

2) انظر : اللغة العربية معناها ومبناها ٢٣٢ وما بعدها ، وتاريخ علم اللغة الحديث لجرهارد ١٦٢.

أنواع القرائن الصوتية

لكل لغة من لغات البشر نظامها الصوتي الخاص، وتتجمع القرائن الصوتية تبعا لدلالاتها المعنوية بحسب النظام الصوتي أو المقطعي للغة المتكلم بها.[1]

وقد سبق الحديث في المبحث الذي قبل هذا عن القرائن الصوتية وما لها من دور في الدرس النحوي، وتبين من خلال العرض السابق أن هذه القرائن تنشأ عن الأغراض الوظيفية التي تؤديها في البناء اللغوي، إذ كان الكلام للتعبير عن الأغراض، وليست اللغة سوى أداة للتواصل والتفاهم البشري.[2]

والقرينة الصوتية - كغيرها من القرائن - هي الدليل الذي يرشد إلى الوظائف والمعاني، وتراثنا في اللغة العربية حافل باعتبار القرائن الصوتية وتوظيفها في النصوص اللغوية، ومن سنن العرب في بلوغ الفصاحة وتنميق الكلام الاعتناء بالألفاظ، ليكون الصوت ملائما للمعنى المراد، وتكون المعاني مدلولا عليها بما يناسبها ويجليها من الألفاظ والنظم الصوتية الأخرى، و قد عبر ابن جني في بعض مقالاته عن المعاني وإيثار العرب لها، بما يدل على هذا المعنى، فقال: "إن العرب كما تعنى بألفاظها فتصلحها وتهذبها وتراعيها، وتلاحظ أحكامها، بالشعر تارة، وبالخطب أخرى، وبالأسجاع التي تلتزمها وتتكلف استمرارها، فإن المعاني أقوى عندها، وأكرم عليها، وأفخم قدرا في نفوسها، فأول ذلك عنايتها بألفاظها فإنها لما كانت عنوان معانيها، وطريقها إلى إظهار أغراضها، ومراميها، أصلحوها ورتبوها، وبالغوا في تحبيرها وتحسينها، ليكون ذلك أوقع لها في السمع، وأذهب بها في الدلالة على القصد، ألا ترى أن المثل إذا كان مسجوعا لذ لسامعه فحفظه فإذا هو حفظه كان جديرا باستعماله، ولو لم يكن مسجوعا لم تأنس النفس به ولا أنِقت لمستمعه، وإذا كان كذلك لم

---

١) أسس علم اللغة لماريو باي ٩٠.

٢) انظر: دراسة الصوت اللغوي ١٣، ١٤، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ٤٩.

تحفظه، وإذا لم تحفظه لم تطالب أنفسها باستعمال ما وضع له، وجيء به من أجله " .[1]

ثم قال أيضا : " فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظها وحسنوها، وحَمَوْا حواشيها وهذبوها، وصقلوا غُروبَها وأرهفوها، فلا ترينّ أن العناية إذ ذاك إنما هي بالألفاظ بل هي عندنا خدمة منهم للمعاني، وتنويه بها وتشريف منها ".[2]

وشبه ابن جني إصلاح الألفاظ وإجادتها لأجل ما تحمله من المعاني السامية، بإصلاح الأوعية وتحصينها لأجل ما يحفظ فيها ويُحمل من المواد. ويعد هذا الكلام من العلامة ابن جني دليلا على إدراكه للدور المهم للقرائن الصوتية في إبراز المعاني الوظيفية للغة. فقد لحظ أن التفنن الصوتي من شعر إلى خطب، والقصد إلى مراعاة التناسق الصوتي بالأسجاع ونحوها إلى درجة تصل إلى لزوم ما لا يلزم، وإلى التكلف أحيانا. كل ذلك لأجل إيثار ما تحمله تلك الألفاظ من المعاني، والإدلال عليه بالوحدات والظواهر الصوتية المشار إليها في الأشعار والخطب ونحوها. كالنبر، والتنغيم، والاستفهام، والنفي والإنكار، والتعجب، والتحسر، والتذكر، والترقيق والتفخيم، والتأديات المتنوعة للمصوتات، وما ينشأ من تأثير الأصوات بعضها في بعض في أحوال المماثلة والمخالفة ..... ونحو ذلك مما قد تعجز الكتابة عن تسجيله من الظواهر ذات الدلالات اللغوية .[3]

فهم يُعنَوْن بتحبيرها وترتيبها وتحسينها وفقا لما يريدون من المعاني، وهذا ما عناه بقوله: "ليكون ذلك أوقع لها في السمع وأذهب بها في الدلالة على القصد " .

---

1) الخصائص ١/ ٢١٥-٢١٦.

2) الخصائص ١/ ٢١٧،

3) انظر : المنهج الصوتي للبنية العربية لعبد الصبور شاهين صـ١٠، ط١، ١٤٠٠، مؤسسة الرسالة- بيروت .

ولا ريب أن هذا التعبير والتحسين والترتيب المشار إليه لإظهار المعاني ؛ أنه شامل للقرائن الصوتية الدالة على المعاني النحوية. كما يشمل المحاسن اللفظية الأخرى التي تدرس في علم البلاغة .

ومن هنا يدرك الإنسان سر عناية العرب باللفظ وكيفيات أداءاته الصوتية. حتى إنهم استهجنوا الألفاظ ذات الجرس الثقيل، والكلمات المتنافرة الحروف، والموغلة في الغرابة، وعابوا التركيب الركيك في ترتيبه وسياقه، واستحسنوا الألفاظ المتناسقة في أصواتها، والسهلة على الناطق، كما استحسنوا الوقف عند تمام المعنى، والوصل لغير ذلك، واستكرهوا أداء الإنشاء بنغمة توهم الإخبار، أو العكس، ونحو ذلك كثير مما يدل على اعتبارهم للقرائن الصوتية من قبل سجاياهم، وما فُطِروا عليه من الإحساس اللغوي، ويدل أيضا على تنوع هذه القرائن ودورها البارز في فهم النصوص اللغوية، وصياغتها بما يلائم أغراض المتكلم .[1]

ومما يدل على هذه القناعة لدى علماء العربية القدامى، قول أبي هلال العسكري :

" إن الكلام ألفاظ تشتمل على معان تدل عليها، ويعبر عنها فيحتاج صاحب البلاغة إلى إصابة المعنى كحاجته إلى تحسين اللفظ، لأن المدار بَعْدُ على إصابة المعنى، ولأن المعاني تحل من الكلام محل الأبدان، والألفاظ تجري معها مجرى الكسوة، ومرتبة إحداهما على الأخرى معروفة، ومن عرف ترتيب المعاني واستعمال الألفاظ على وجوهها بلغة من اللغات ثم انتقل إلى لغة أخرى تهيأ له فيها من صنعة الكلام مثل ما تهيأ له في الأولى ".[2]

إن الوحدات الصوتية الدالة على المعاني التي يتحدث عنها أبو هلال العسكري هنا ومن قبله ابن جني - كما تقدم - وغيرهما من علماء اللغة،

---

١) انظر : دلائل الإعجاز للعلامة عبد القاهر الجرجاني ٥-٩، ٤٤، تحقيق محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ٥١-٦٤،٥٧،٥٢-٩٢، ط١، ١٤٠٢، دار الكتب العلمية ،بيروت.

٢) الصناعتين لأبي هلال العسكري ٨٤، ط٢، ١٤٠٤، دار الكتب العلمية . بيروت.

متنوعة تنوع المعاني التي تدل عليها، لأنها الأدوات التي تنقل الأفكار وتترجم عنها. وقد أدرك هؤلاء العلماء دورها في الكلام المنطوق، كما أدركوا عموم هذا النظام الصوتي اللغوي في كل اللغات، لأن تحسين اللفظ المشار إليه لا يمكن إلا بمراعاة القيم الصوتية للوحدات المميزة لأجل إصابة المعنى المطلوب، وهذا تحتاج إليه كل لغة.[1]

وإذا كانت الدراسة التفصيلية للغة تقتضي دراسة تحليلية لمادتها الأساسية، ولعناصرها التكوينية، وتقتضي أيضا دراسة تجمعاتها الصوتية، فإن وسيلة ذلك هو الوحدات والظواهر الصوتية التي تدل على ما في الضمائر من المعاني.[2]

وإن التركيب النحوي يتأسس من هذه الوحدات والظواهر الصوتية، التي أشار إليها هؤلاء العلماء، ولا يتصور أن نظامًا نحويًا في لغة من اللغات يمكن أن يقوم بوظيفته دون مراعاة لهذه الظواهر والوحدات التي تتكون منها العناصر المباشرة للتركيب النحوي.[3] وهذا ما انتهى إليه كثير من علماء الصوتيات في العصور المتأخرة، والسبب في هذا أن الصوت هو أصل الكلام الملفوظ،[4] والكلام هو أصل اللغة، وأما الكتابة وما سواها فما هي إلا رموز ومحاولات لتمثيل الكلام[5]، فجاءت هذه السلسلة على الترتيب التالي :

الصوت > اللفظ > الكلام > اللغة .

يدرك المرء من هذا أن اللغة لم تتكون من الصوت مباشرة، ولكن تكونت بعد مرور الصوت بمرحلة اللفظ، وهي مرحلة تكوين الحروف، ثم مرحلة تكوين الكلمات الملفقة من الحروف، ثم تمام البناء بالتركيب، فكانت اللغة، وفي هذه المراحل يحتاج الإنسان إلى تحديد الأجزاء الصوتية التي تقف وراء هذه التكوينات الدالة، فالحرف لم يتكون إلا من أجزاء مادية،

---

١) انظر : علم اللغة بين القديم والحديث ٨٦، وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربي ٤٩-٥٠.
٢) دراسة الصوت اللغوي ٤٠١، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ١٤٤-١٤٦
٣) انظر : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ٢١٢.
٤) سر الفصاحة ٣٩، ٤٠، وقال : " الكلام هو الصوت الواقع على بعض الوجوه " .
٥) انظر : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ١١٥-١١٧.

وأخرى أدائية، وكذا الكلمات، لم تتكون إلا من أجزاء ما دية وهي الحروف، وأجزاء أدائية[1]، وتلك الأجزاء لم تتركب منها الكلمات اعتباطا، وإنما بحسب الأغراض الإنسانية، ومن ثم كانت الحاجة ملحة إلى معرفة هذه الأجزاء الدالة، أو العلامات التي لها السر في الدلالة اللغوية بعامة، وقد أمكن التعرف عليها من خلال طبيعتها الصوتية وأغراضها المعنوية .

هذه الأجزاء الدالة هي القرائن الصوتية (الوظيفية)، التي يعنى بها في علم وظائف الأصوات (الفونولوجيا) لتمييز لغة عن أخرى، واستخلاص العادات النطقية للمتكلمين بلغة معينة، وهي العادات التي تؤمّن الاتصال بين الناطقين بلسان ما .[2]

وإذا كانت الدراسات الصوتية ذات علاقة وثيقة بفهم كثير من الظواهر الصرفية والتركيبية فإن المعين على ذلك هو هذه الوحدات والظواهر الصوتية الدالة، التي نعنيها بالقرائن الصوتية، وبيان ذلك أن النص اللغوي يمثل موردا مقصوداً لكل ناظر في اللغة، للاستفادة مما يتضمنه من معان، والوسيلة الموصلة إلى ذلك المورد هي العلامة الدالة عليه، المبينة لطبيعته ومبناه، وقد يكون لهذا النص أوجه متعددة، والمتعين منها لا يتحدد إلا بالقرائن.[3]

واللغة المنطوقة كلها أصوات [4]، والغالب على الألفاظ كونها دالة على معان تراد بها، ومن ثم يعد كل لفظ قرينة تؤدي وظيفتها مفردة، أو في أثناء سياق معين، ويبنى على هذا إمكانية تقسيم القرائن الصوتية ـ على وجه العموم ـ إلى ثلاثة أقسام رئيسة :

---

١) انظر علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ٢٣٠-٢٣١.

٢) وظيفة الألسن وديناميتها لمارتينيه ١٣، ترجمة نادر سراج، ط١، ١٤١٦، دار المنتخب ـ بيروت .

٣) انظر : القرائن المعنوية للدكتور عبد الجبار توامي ٢١، واللغة العربية معناها ومبناها ١٦٣، ١٦٥.

٤) انظر : سر الفصاحة ٣٩.

١. **قرائن صوتية لفظية، نحو: الحروف، والحركات . وهي غير اللفظية المستقلة كالأدوات، والصيغ، والضمائر، والرتبة[1]ونحو ذلك .**

٢. **قرائن صوتية أدائية، مصاحبة للأداء النطقي للحروف والكلمات والجمل، كبعض أنواع النبر والتنغيم، والوقف، والإدغام، والإشباع، والوصل، والاختلاس، وما شابه ذلك مما لا يدخل في أصل تركيب عناصر اللغة..[2]**

٣. **سمات تمييزية، توصف بها الأصوات، وظيفتها الدلالة على طبيعة تلك الحروف وحقائقها الصوتية، والتفريق بين ما تجانس منها في المخرج، كالهمس، والجهر، والشدة، والإطباق، والصفير، والتكرير، والتفشي، والغنة ...ونحو ذلك.**

هذه القرائن . كما يتبين من أصنافها السابقة . متنوعة من جهة تكوينها الصوتي، ومن جهة وظائفها في اللغة مرة أخرى. **فمنها ما له صلة مباشرة بالنحو،** وهو العلامات الإعرابية والبنائية، والتنوين والوقف والإدغام والتنغيم، فهذه قرائن ذات وظائف نحوية مباشرة، وهذا ما يحاول هذا البحث بيانه ودراسته، باسم : " القرينة الصوتية في النحو العربي " .

ومنها ما تكون علاقته بالنحو غير مباشرة، لكونه لا يؤدي وظائف تركيبية مباشرة، ولكن قد يؤدي وظائف لغوية عامة، أو صوتية خالصة، كالتفريق بين الحروف واللهجات، أو الصيغ، وكالدلالة على علل الإدغام وتأثّر الحروف وتأثير بعضِها ببعض، ونحو ذلك من الوظائف اللغوية والصوتية العامة، التي يستفيد منها النحوي وغيره من دارسي اللغة، من باب اتصال فروع اللغة وتكاملها.

وهكذا يرى المتأمل في الدراسات الصوتية الوظيفية أن **الفونولوجيا** يمكن اعتبارها الحلقة الوسطى بين مادة النطق التي هي موضوع الدراسة

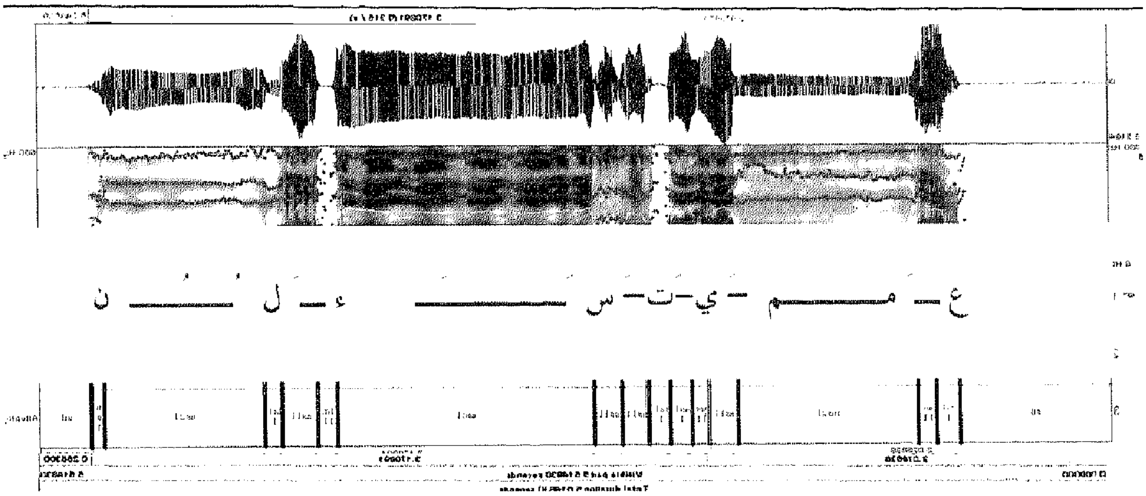
---

١) انظر : اللغة العربية معناها ومبناها ٢٠٥.

٢) انظر : دراسة الصوت اللغوي ٢٢٠، واللغة العربية معناها ومبناها ٢٦٢، و القرائن المعنوية للدكتور عبد الجبار٢٣.

الصوتية، والتحليل النحوي، ويتأكد القول بأن التحليل الفونولوجي ينبغي في دراسة اللغة أن يتم قبل التحليل النحوي لها [١].

وفيما يلي صورة طيفية لجملة (عمّ يتساءلون) التقطت بجهاز الراسم الطيفي (الاسبكتروجراف) لتوضيح الفروق بين بعض القرائن الصوتية التي لا أثر لها في التركيب النحوي، مع وضوح أثرها الصوتي :



يتبين من هذه الصورة الطول الصوتي المتمثل في (غنة الميم المشددة) و(الزيادة في الحركة الطويلة بعد السين) و(الزيادة في لحركة الطويلة بعد اللام) هذه الأطوال لها أثر من جهة الأداء المتميز لما توفره من تمييز صفات الأصوات والفروق التي بينها في المخارج، ولكن لا ينبني على ذلك شيء يتعلق بالتركيب النحوي، ومن ثم لا تدخل هي وما يماثلها فيما يعنى في هذا البحث بـ(القرينة الصوتية في النحو) .

---

١) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ٢٠٩–٢١٠(بتصرف) .

الباب الأول

قرينة

الحركة والسكون ووظائفهما

الفصل الأول

الحركات، أنواعها وأجناسها

تعريف الحركة ووصفها وكيفية حدوثها

ا لحركة وحدة صوتية منطوقة مسموعة، تحدث عن طريق مرور الهواء المنبعث من الرئتين بالوترين الصوتيين فتحصل نغمة حنجرية، يتخذ اللسان من خلالها وضعًا خاصّا في منطقة محدودة من التجويف الفموي، من غير أن يعترض على الهواء المنبعث[1].

وعرفها الرازي بأنها صوت مخصوص، يوجد عقيب اللفظ بالحرف.[2] ويصفها علماء الصوتيات بأنها : " صوت مجهور يحدث في أثناء النطق به أن يمر الهواء حرا طليقا خلال الحلق والفم، دون أن يقف في طريقه أي عائق أو حائل، ودون أن يضيق مجرى الهواء ضيقاً من شأنه أن يحدث احتكاكا مسموعا "[3].

وعند حدوث الحركة يحصل للخلاء الفموي تجويف وانفتاح عام، بحيث لا يعترضه مؤثر يحده بقوة بالقياس إلى ما يحصل عند حدوث السكون، مع وجود شيء من الانقباض، ولا يعني ذلك عدم تحدد نوع الحركة بسبب الوضع المعين للشفتين واللسان، فقد يرتفع اللسان من مقدمه أو وسطه أو جزئه الخلفي بحسب جنس الحركة، وكذلك تكون الشفتان مضمومتين قليلاً أو كثيراً بشكل مستطيل أو مستدير، أو نحو ذلك .[4]

---

١) انظر : دراسة السمع والكلام ، لسعد مصلوح ١٩٣-٢٠٤، ط١، ١٤٢٠هـ عالم الكتب ، القاهرة.

٢) التفسير الكبير ١/ ٤٧.

٣) علم الأصوات لكمال بشر ١٥١. الأصوات العربية المتحولة وعلاقتها بالمعنى ١٤٣، المدخل إلى علم اللغة لرمضان عبد التواب ٩١، دراسات في علم اللغة لصلاح الدين صالح ١١٤-١١٥ ، مقدمة لدراسة اللغة لحلمي صالح ٢٢١، علم اللغة للسعران ١٤٨ .

٤) انظر : أسس علم اللغة لماريوباي ٧٩ ، والتشكيل الصوتي للعاني ٣٨-٤٦ (وصفها كتابة ورسماً)

والحركة وحدة صوتية صاعدة تتلو الحروف ولا تسبقها، ومن ثم تجدها في أواسط الكلمات وأواخرها[١]، وهي صوت مفرد، ينتج بحد أقصى من الاستمرار والإسماع، وبحد أدنى من التوتر والاحتكاك الذي يحصل في الحروف.[٢] ولقد أطال ابن جني في الاستدلال لكون الحركة بعد الحرف، وذكر ما يفيد أن لها نوع استقلال عنه، وإن كانت مع ذلك لا توجد إلا معه، ولا تتصور بدونه.[٣] ووافقه المحدثون.[٤]

وكون صوت الحركة تابعاً لصوت الحرف من جهة الوجود، أمر ملحوظ صوتياً، والواقع النطقي يفرضه ، إذ لا يمكن أن يبدأ النطق إلا بصامت[٥]، ويدل عليه أن كل حركة أريد النطق بها منفردة تعذر نطقها إلا بصوت الهمزة قبل الحركة[٦]، والهمز هو آخر مخارج الحروف الصوامت في أقصى الحلق، وليس بعده مما يلي الصدر مخرج .[٧]

وهذه الحقيقة - التي هي وجود الحركة بعد الحرف وليس قبله ولا معه - تعد مما أثبتته الدراسات الصوتية الحديثة، بعد ملاحظة حركات أعضاء النطق عن طريق الأجهزة الآلية الحديثة[٨] .

وإيضاحًا لذلك أقدم الرسم الطيفي الآتي، بجهاز (الاسبكتروجراف) لكلمة (كُتِبَ) فقد بدت جميع الحركات الثلاث تابعة لحروفهن الصوامت في المرتبة، كما يلاحظ أن الحركة تستأثر بالنصيب الأوفر من التصويت

---

١) التشكيل الصوتي للعاني ١١٥،١١٦، ١٣١.

٢) انظر : أسس علم اللغة لماريوباي ٧٨–٨١ وما سبق في(٣) .

٣) انظر : الخصائص ٣٢١/٢ و سر الصناعة ٢٨/١ و الهمع ٦٢/١

٤) انظر : التواصل اللساني ٤٤/٦ (نقلا عن "دي سوسير") ، و المنهج الصوتي للبنية العربية ٣٥–٣٦ .

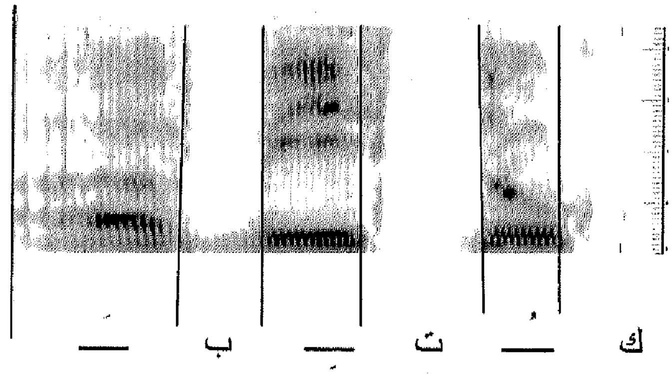
٥) انظر : دراسة السمع والكلام ، لسعد مصلوح ٢١٤.

٦) التشكيل الصوتي للعاني ٣٨ . وتهذيب اللغة ٥١/١.

٧) المنح الفكرية ٢٣ .

٨) انظر : Mansour Alghamdi :Analysis, Synthesis and Perception of Voicing in Arabic. P:١٤٤–١٤٥. Al-toubah bookshop. jareer St.-Riyadh .

والجهارة، ويلاحظ أيضًا أن حركة الحرف المبدوء به أقل في الطول من حركة الحشو وحركة الأخير[1]:



ولما كانت حروف الهجاء سواكن في الأصل، لكونهن أصواتاً مجردةً قابلة للتكييف والتحريك، جيء بهذه الحركات ليتمكن من النطق بالحروف وبناء الكلم منهن[2]، لأن الحرف الساكن لا يجري فيه الصوت، فإذا حُرّك انبعث الصوت في الحركة، ثم انتهى إلى الحرف.[3]

وإذا أريد تحديد مخرج الحرف بدقة واعتبار صداه الصوتي المعين، فلا بد من الإتيان به ساكنا لا متحركا، لأن الحركة تُقلق الحرف عن موضعه ومستقره، وتجتذبه إلى جهة الصوت الذي هي بعضه، ثم تُدخَل عليه همزة الوصل مكسورة ـ أو مضمومة ـ من قَبْلِه، لأن الساكن لا يمكن الابتداء به نحو: إكْ . إقْ . إجْ . وهكذا في سائر الحروف ....فإن اتسع مخرج الحرف حتى لا يقتطع الصوت عن امتداده واستطالته، استمر الصوت ممتدا حتى ينفد، فيفضي إلى مخرج الهمزة، فينقطع بالضرورة عندها إذ لم يجد منقطعا فيما فوقها.[4]

---

١) صورت هذه الصورة الطيفية في معمل الصوتيات في مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية بالرياض.

٢) انظر: سيبويه ٤ /٢٤١-٢٤٢. واللغة العربية معناها ومبناها ٧٠، ٧١.

٣) الخصائص ٣ /١٣٠، وسر الصناعة ١/ ٦-٧، ١٧-٢٧.

٤) سر الصناعة ١/ ٧.

وهذا أيضاً يقتضي كون الحركات بعد الحروف، كما يدل على الأهمية الكبرى لهذه الحركات، إذ لا يتصور تركيب كلمة ما بدون حركات، ولا تتشكل المباني إلا بالحركات، وكذلك المقاطع الصوتية لا تتكون إلا من الحروف المتحركة. أما الساكن المجرد فيكون تابعا للمتحرك في التحليل المقطعي[1].

وقد عدّ الدكتور تمام حسان الصامت المجرد من الحركة مقطعا مستقلا، وقال إنه المقطع الأقصر الذي يمثل حرفا صحيحا مشكلا بالسكون، ومَثَّلَ له بلام التعريف وسين الاستفعال[2]، وهذا غير دقيق[*]، لأن الحرف الساكن ينقطع عليه الصوت، ومنقطع الصوت ليس هو البداية، بل لا بد من مبتدإ للصوت قبله لأنه لا ينطق وحده، وعلى هذا فالمقطع الأقصر في اللغة العربية هو الحرف المتحرك بحركة واحدة، نحو حروف كلمة: (قرأ) قَ،رَ، أ.[3] ولعله قاس اللغة العربية على بعض اللغات التي يزعم أهلها وجود مثل هذا المقطع فيها،كالإنجليزية[4]، ومع عدم صحة هذا القياس، يبدو أن المزعوم في هذه اللغات موضع نظر، وليس من السهل التسليم به

---

١) (الطبيعة الداخلية للغة) في الموسوعة اللغوية ١/ ٥٠، بحث في المد والسكون في مجلة التواصل اللساني ٦/ ٤٤.

٢) اللغة العربية معناها ومبناها ٦٩.

(*) لقد التقيت بالدكتور تمام حسان بعد كتابة هذه الرسالة في ندوة استُدعي إليها في مدينة الرياض قبل وفاته رحمه الله وكانت في النادي الأدبي فناقشته في هذه المسألة وذكرت له كلامه هذا فأقر لعدم صحته وشكرني على هذا الاستدراك رحمه الله وغفر ذنبه.

٣) انظر: علم الأصوات لكمال بشر ٥١٠، والتشكيل الصوتي للعاني ١٣٣، الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس ١٦٣، الأصوات اللغوية للخولي ١٩٤.

٤) انظر دراسة الصوت اللغوي ٣٠٠، والأصوات اللغوية للخولي ١٩٤.

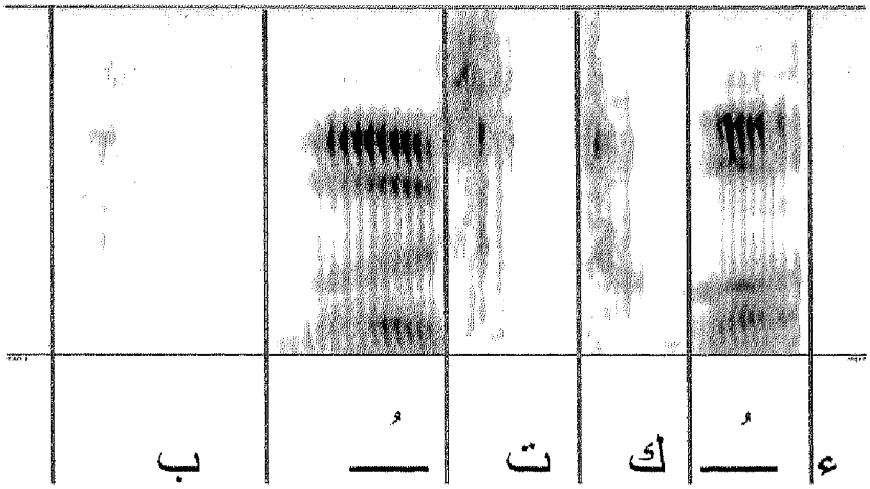
صوتيا[1]، وسبب ذلك أن الأصل في عضو النطق السكون وعدم الحركة، والصوت المنبعث من الصدر لا يسمى حرفا ساكنا ولا حركة، وإنما هو صوت مجرد، فإذا اصطدم بمخرج الحرف تكوّن الحرف الصامت، فإن حرّك سُمِع، و إن لم يُحرّكْ لم يُسمع، لعدم وجود حركة قبله ولا بعده، والساكن لا يحركه إلا قوة طارئة عليه، كما هو مشهور، والحركة لا وجود لها قبل الصامت، لعدم وجود حيز لها مستقل، وكيف يُزعم أن صوتا ما قد انقطع وهو لم يبدأ بعد؟! وكيف يزعم أن حرفا مفردا يكوّن مقطعا وهو غير محرك ؟ والحرف لا يظهره إلا حركته أو حركة ما قبله، ومن ثم اتفق علماء العربية على عدم جواز الابتداء بالساكن، وأن الحركة في ابتداء النطق تحملها همزة متحركة حركة كاملة، أو مختلسة، ووافقتهم الدراسات الصوتية الحديثة، بعد الاستعانة بالأجهزة الحديثة في تصوير أعضاء النطق، وتحديد المخارج، فصرحت هذه الدراسات . "بعد بناء الوصف الصوتي للحركات العربية على المواد الملفوظة مدعمة برسومات أشعة إكس، والأحكام الذوقية ومجسمات الاسبكتروجراف . أنها تبدأ بصوت الهمزة، وتبين أن وجود هذه الهمزة مقبول ؛ لأن كل كلمة في العربية لا تبدأ إلا بصوت ساكن، كما أن الكلمة التي يظن أنها مبدوءة بحركة فإنها عادة تبدأ بصوت الهمزة قبل الحركة" [2].

ولبيان هذا يُنظر إلى الرسم الطيفي الآتي لكلمة (اكْتُبْ) فقد بدت مسافة الهمزة واضحة قبل الضمة في بداية الكلمة، وسيلاحظ المتأمل أنه لا فرق بين الهمزة وسائر الحروف الصامتة في الطبيعة الصوتية، إلا ما يتبع بعضها من نبرات ناشئة عن الهمس، كما في الكاف والتاء، أو ناشئة عن القلقلة كما في الباء :

---

1) و ذكر ابن جني في مثل هذه الأحكام الصوتية أنه يرجع فيها إلى الفهم والحس ، لا إلى إجماع ولا سابق سنة ولا قديم ملة ، وكل واحد فيها يرجع إلى التأمل والطبع ، لا إلى التبعية و الشرع . (الخصائص ٢ / ٣٢٦).

2) التشكيل الصوتي للعاني صـ٣٨.(بتصرف يسير) . وانظر : دراسة السمع والكلام ٢٠٤–٢٠٧، وأثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة ١٠٤.



وذكر ابن جني رحمه الله أن الحركة حرف صغير، وأن المتقدمين من العلماء قبله كذلك كانوا يسمونها، واستدل لكونها حرفا صغيرا بأن مطل أي حركة يولد الحرف الذي هي من جنسه، وأنها متى مد بها الصوت جرت مجرى الحروف الكوامل، ولا يبعد أن تكون الحركة حرفا صغيرا لأن الحروف أنفسها قد يكون بعضها أتم صوتا من بعض.[1] وجرى على هذا كلام جمهور المحدثين في الدراسات الصوتية[2].

يستفاد من كلام ابن جني هنا أنه تنبه إلى أن الحركة حرف قابل للتبعيض، وأنها إذا أشبعت اختلفت وتفاوتت في الكمية عما كانت عليه وهي قصيرة، وقد ينتج عن ذلك الاختلاف والتفاوت الصوتي اختلاف في المعنى وتغاير في المبنى، ووافقه المحدثون على هذه الحقائق فيما توصلوا إليه.[3]

---

١) انظر الخصائص ٢/ ٣١٥، والتفسير الكبير ١/ ٤٨.

٢) انظر: الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس ٣٨-٣٩، ودراسة السمع والكلام لسعد مصلوح ٢٠٩.

٣) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها ٧٠-٧١، والتشكيل الصوتي للعاني ١١٥، والمدخل إلى علم أصوات العربية لغانم الحمد ١٦٩.

وتجدر الإشارة هنا فيما يفهم من كلام ابن جني إلى أن ما درج عليه ـ هو وجمهور علماء العربية ـ من تسمية مد الحركة حرفا يلي تلك الحركة، اصطلاح لهم خاص ليس على إطلاقه، بل هو بالنظر إلى المعاني الزائدة لهذه المدة، تلك المعاني التي تشبه بها الحروف الصحيحة، لا من جهة الحقيقة الصوتية، وسيأتي بيان ذلك وافيا إن شاء الله[1] .

وبناء على ذلك ينبغي ألا يحمل قوله إن مطل الحركة يولد الحرف الذي هي من جنسه ... إلى آخر ما ذكره، على أن الحركة يتولد منها حرف آخر، فإن الاستمرار في الحركة هو إطالة لها وإشباع من جهة الكمية الصوتية، والصوت الواحد لا يكون غير نفسه، ومن ثم وصفت الحركات غير المشبعة بالقصيرة، والمشبعة بالطويلة، وكلا النوعين حركة، وليست المشبعة حرفاً مغايراً صوتيا لغير المشبعة، وإنما يفرق بينهما من جهة الكمية الصوتية، مع ما يستدعيه مد الصوت من كيفية لها نوعُ تَمَيُّزٍ مع الكسر والضم خاصة، ومن زيادة في انخفاض اللسان مع الألف خاصة[2] .

وصوت الحركة يتبع الحرف الموصوف بها من جهة التفخيم والترقيق، فترقق مع المرقق نحو: (كَتَبَ)، (كتاب)، (جال يجول)، وتفخم مع المفخم نحو فتحتي الصاد والراء من (صبر) وألف (صابر) وضمة الغين من (غُفر).[3]

وتكتسب الحروف مراتب متفاوتة في التفخيم والترقيق، متأثرة بما يتلوها من حركات، و السبب في ذلك يعود إلى طبيعة مخارج هذه الحركات، فهي خاضعة لأحوال أعضاء النطق عند خروجها تفخيما وترقيقا، فيكون الحرف المفتوح انفتاحا واسعًا أكثر تفخيما من غيره لانفتاح التجويف الفموي كله عند إخراج الفتح [4]، ويليه المضموم، ثم

---

1) انظر ص١٣٨ وما بعدها .

2) انظر : دراسة السمع والكلام لسعد مصلوح ٢٠٩–٢١٠ و التشكيل الصوتي للعاني ٤٢.

3) انظر: النشر لابن الجزري ٢١٨/١، وعلم الأصوات لكمال بشر ٤٦٢–٤٦٤ .

4) انظر: التشكيل الصوتي للعاني ٤٥

المكسور، ولمّاً كان السكون سلباً للحركة، والصامت غير المتحرك غير متأثر بصوت حركة واقعة بعده، فإن الحرف الساكن يبقى على طبعه الخالص بدون زيادة ولا نقصان عندما يخرج، لأن الصوت لا يجري في الساكن[1]، ولذلك يأتي في التفخيم قبل المكسور، لكون المكسور مسلوب التفخيم تأثراً بالكسر.[2]

ولتبيان هذا أقدم فيما يلي وصفاً لأجناس الحركة :

---

1) الخصائص ٣/ ١٣٠.

2) انظر : النشر لابن الجزري١/٢١٨ ، علم الأصوات لكمال بشر ٤٦٢-٤٦٤ .

أجناس الحركة

تعريف كل جنس وتحديد مخرجه

الفتحة : تسمى الصائت الأمامي المفتوح، وهي أمامية منخفضة متسعة غير مدورة، وعند نطقها تنخفض مؤخرة اللسان إلى أقصى انخفاض ممكن، مع رجوع هذا الجزء من اللسان إلى الخلف قدر المستطاع، محاذيا لوسط الحنك، ويكون ممراً للهواء، وإذا تأخر أكثر ضُيّق على الهواء الخارج فيظهر صوت آخر، والشفتان تكونان في وضع محايد غير مضمومتين.[1]

وليس من الدقيق ما يذكره بعضهم من أن الشفتين تكونان مفتوحتين، والصواب أنهما تابعتان للفكين، والفكان هما اللذان ينفتحان ويتباعدان، ومن ثم يُلحظ أن التجويف الفموي ينفتح كله عند حدوث الفتحة، فيخرج الهواء بانبعاث كامل دون حبس أو تضييق عليه، ولهذا كانت أخف الحركات، لأنها لا تتطلب إشراك اللسانِ أو الشفتين، بل تنسل انسلال النَّفَس .[2]

الضمة : تسمى الصائت الخلفي المفتوح جزئياً، وهي حركة خلفية مرتفعة ضيقة، مدورة، وهذه هيئات أعضاء النطق عند خروجها، فهي خلفية لارتفاع مؤخرة اللسان تجاه أقصى الحنك الأعلى، بحيث يسمح للهواء بالمرور من الرئتين، مع حدوث اهتزاز للأوتار الصوتية، من غير حدوث لحفيف مسموع .[3] وضيقة لكون فتحة الفم تضيق عند نطقها، ومدوّرة لاستدارة الشفتين متوجهتين للأمام، وإذا ارتفعت مؤخرة اللسان أكثر من ذلك حدث حفيف فينتج حرف الواو .[4]

---

١) علم الأصوات اللغوية لمناف ٩٥ ، والصوتيات والفونولوجيا ١٢٧ . ١٢٨.

٢) انظر : مجلة التواصل اللساني ٦ / ٤٦، العددان :١،٢.

٣) لأن الهواء لم يصطدم بجسم .

٤)علم الأصوات اللغوية لمناف ٩٦ ، و والصوتيات والفونولوجيا ١٢٧. ١٢٨.

الكسرة : تسمى الصائت الوسَطي المفتوح جزئياً، وهي حركة أمامية، لارتفاع مقدمة اللسان السفلية تجاه الحنك الأعلى إلى أقصى ما يمكن أن يرتفع إليه، ولكن بدون ارتفاع يلزم منه حدوث حفيف، ضيقة لضيق مجرى الهواء في أثناء حدوثها، بمعنى أن أعلى جزء من اللسان يرتفع نحو الحنك الأعلى حتى يقترب منه، وتبقى الشفتان على وضعهما المعتاد منفرجتين غير مدورتين، وإذا ارتفعت مقدمة(*) اللسان ارتفاعاً يحدث معه حفيف حتى يبلغ وسط اللسان نتج من ذلك حرف الياء .[1]

يستنتج من هذا الوصف لمخارج الحركات الخصائص التالية للحركات :

1. جهارة جميع الحركات صوتيا، و الجهارة الصوتية كما عرفها بعض اللغويين هي: "المتلازم المدرك لزيادة في قدرة تيار الهواء الخارج من الرئتين".[2] وهذه الجهارة هي التي تساعد على توضيح الصوامت وإظهارها حين تقع هذه الحركات بعدها، ومن ثم نجد أنه لا يتكون مقطع في اللغة العربية بدون صائت .[3] لأجل نبر الحرف الصائت فيكون بارزًا في السمع،[4] ولهذا السبب أيضا إذا توالت حروف ساكنة ليس معها صائت استحال إبرازها واضحة كاملة الصفات في النطق .
2. من أجل الجهارة السابقة تأتي الحركة الطويلة ضعف الحركة القصيرة، وفي التصوير الطيفي للكلام على جهاز الناقل الطيفي(الاسبكتروجراف) تظهر هذه الجهارة واضحة، كما تُظهر الصورة الآتية لكلمة (كاتِب) :

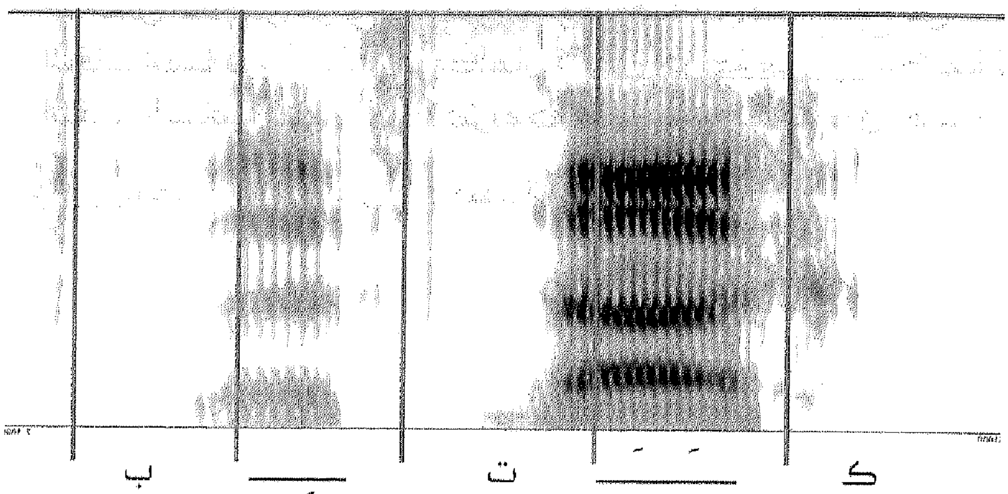
(*) المقصود بمقدمة اللسان مقدمته من منبته، وهي المؤخرة من الداخل.

١) علم الأصوات اللغوية لمناف ٩٤ ، والصوتيات والفونولوجيا ١٢٧، و الدراسات الصوتية عند علماء العربية للأصيبعي ١٣٥و علم الأصوات لكمال بشر ٢٣٧

٢) (الطبيعة الداخلية للغة العربية) في الموسوعة اللغوية ٢٣/١.

٣) انظر : الصوتيات العربية للغامدي ٧٨ وأثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة ١٠٤.

٤) انظر الطبيعة الداخلية للغة في الموسوعة اللغوية ٢٣/١.



يلحظ هنا أن الجهارة الصوتية تحملها الحركات، وأن الحركة الطويلة (الألف) لا فرق بينها وبين القصيرة (كسرة التاء) إلا في الكمية،وأن الكاف والتاء تكادان تختفيان لولا الهمس الذي يتبع كل واحدة . وهو الذي يعبر عنه الظل الخفيف الذي يسبق الحركة بعد الحرف . وكذلك الباء تكاد تختفي لولا صوت القلقلة الذي يلحظ بعدها، ويعبر عنه الظل القائم كالعصا في الصورة بعدها .

٣. الحركات أصوات هوائية تتميز عن طريق شكل التجويف الفموي، فإن التجويف الفموي يضيق ويتسع، وينخفض اللسان فيه ويرتفع، ويتقدم ويتأخر، ويبقى على وضعه الطبيعي أحيانا، كل ذلك يحصل في أثناء تأثر التجويف الفموي بالتيار الهوائي المنبعث من الرئتين عبر ذبذبات الوترين الصوتيين الْمُصَدِّرين للرنين.[١] وهذه الخاصية تدل على أن الحركة لا يمكن أن تستقل في النطق ، لعدم تقيدها بمقطع معين للصوت، ومن ثم لا يبدأ بها مقطع البتة، فإذا كان المقطع لا يبدأ إلا بصامت، ولا يوجد مقطع من صامت بدون حركة . كما يقتضيه النطق في الواقع، ويوضحه الصوت المسموع، وتؤكده الدراسات الحديثة [٢]- إذا كان الأمر كذلك فقد تقرر أن الحركة لا يمكن أن تستقل في النطق، كما تقرر أن الحرف الساكن الذي لا تليه حركة لا يمكن أن يكوّن وحدة لغوية بمفرده، ولكن يكوّنها تابعا لما قبله[٣] ، باستثناء ما أشار إليه بعض

١) انظر : البنية الصوتية للكلمة العربية ٣٧، والصوتيات العربية للغامدي ٧٣.
٢) انظر : علم الأصوات لكمال بشر ٥٠٩، والمنهج الصوتي للبنية العربية ٤١.
٣) انظر : الإيضاح للزجاجي ٩٣، ١٣٢.

الباحثين اللغويين من وجود صوامت مقطعية من هذا النوع في بعض اللغات السلافية [1]، وقال بروكلمان : "كل حركة في أول الكلمة في اللغات السامية تنطق في الأصل محققة، بمعنى أنها تسبق بهمزة ".[2]

والآن يمكن تقرير ما يلي في ضوء المعطيات السابقة :

أ. أن التنوين وحدة صوتية وظيفية تابعة للحركة السابقة له، وليس حرفا مستقلا من جهة المقطعية الصوتية .

ب. أن الحركات وحدات صوتية وظيفية تابعة للحروف قبلها، وبينها وبين سلبها فيسكن الحرف تضاد"[3]، غير أن السكون لا يشكل معه الحرف وحدة صوتية مستقلة مقطعيا كشأن الحركة ، لأن السكون لا يُخرج الحرف عن حالته الطبيعية .

ج. أن وصف الحروف بأنها متحركة أو ساكنة منوّنة أو غير منوّنة، أوصاف صوتية أدائية للحروف الصوامت، تأثرًا بما يصاحبها من هذه الوحدات الصوتية البسيطة، فتتشكل منها وحدات مركبة تتكون منها مقاطع الكلمات، كما أن التنغيم والإدغام أوصاف أدائية للكلمات، والوقف وصف أدائي للجمل، ومن هنا استحقت هذه الوحدات أن يطلق عليها:"قرائن صوتية"من قِبَل أنها صوتيات تظهر في الأداء الصوتي للكلمات والجمل، عندما تستعمل للدلالة على الوظائف [4]، ويمكن تغييرها بغيرها من صنوف الأداء الأخرى مع بقاء الأصول الجذرية للبناء، فيؤثر ذلك في الوظائف .

---

١) انظر : البنية الصوتية للكلمة العربية ٤١.

٢) فقه اللغات السامية لبروكلمان ٤١. نقلا عن :أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة ١٠٤.

٣) انظر : شرح الكافية للرضي ١/ ٦٠ (حفظي)

٤) انظر : اللغة لفندريس ١١٣، ومبادئ اللسانيات لأحمد قدور ١٥٣.

أنواع الحركات

أ- حركة الإعراب : تعريفها ومعانيها العامة

حركة الإعراب هي الحركة التي تتوارد على الكلمات المعربة، وقد ترتبط بمعاني الأبواب النحوية من فاعلية و مفعولية وإضافة، ونحو ذلك.[1] وهي الضمة والفتحة والكسرة، قصارا وطوالا، وقد تدل على نوع الإعراب من رفع ونصب وجر، إذا حركت بها المعربات.

والنحويون جعلوا لهذه الحركات، ألقابا مخصوصة لا يسمونها بها إذا كانت في البناء، فالرفع والنصب والجر للمعرب، والضم والفتح والكسر للمبني، فإذا قلت : جاءني زيدٌ، قلتَ : إنه مرفوع، وإذا قلتَ : رأيتُ زيدًا، قلتَ : إنه منصوب، وإذا قلتَ : مررت بزيدٍ، قلتَ : إنه مجرور، وتقول في (مُنْذُ) : إنه مضموم، وفي (أينَ) : مفتوح، وفي (هؤلاءِ) : مكسور، وقد تستعمل ألقاب البناء في الإعراب، فيقال لحركة (زيد) في قولك رأيتُ زيْدًا :الفتحة، وذلك يُفعل اتساعا واعتمادًا على وضوح المعنى، ويرى بعضهم أن الأجود ألاّ يُفعل[2].

وهذا التفريق اصطلاحي، ولكنه جيد مستحسن لأجل التفريق بين المبني والمعرب، ومن ثم التزمه أكثر النحويين، وإن اشتهر عدمه أيضا.[3]

هذه الحركة تسمى بهذا الاسم نسبة إلى وظائفها المتنوعة، ومنها المعاني التي ترد لها الكلمات المعربة، مضافة إلى الوظيفة العامة التي هي الدلالة على كون الكلمة معربة غير مبنية، والإعراب هو :"الإبانة والإيضاح"[4]، ولا يختلف النحويون في موافقة هذا المعنى لبعض وظائف هذا النوع من الحركات، ولكن اختلفوا في المستحق لهذه التسمية التي هي " الإعراب"

---

١) انظر : الإيضاح للزجاجي ٦٩، و الصاحبي ٦٦، ٧٧.

٢) انظر المقتصد في شرح الإيضاح ١/١٠٠.

٣) انظر : الأشباه والنظائر للسيوطي ٢/ ٤٠،٤١.

٤) انظر : شرح التسهيل ١/ ٣٣ ، والأشباه والنظائر للسيوطي ١/ ١٧٨، وذكر له اشتقاقات خمسة يرجع غالبها إلى معنى البيان والإيضاح.

وفي حقيقته، أهو الحركة ؟ فهو لفظي، أم تغيّر واختلاف ؟ فهو معنوي والحركات دلائل عليه.[١]

وفي الدراسات اللسانية الحديثة جرت محاولات متعددة حول تحديد مفهوم الإعراب، ومدى الحاجة إليه، والغالب أن مؤدى تلك المحاولات - في النهاية - لا يكاد يخرج عن مفهومه لدى القدماء، وإن اختلف المنهجان من جهة العرض والتحليل والتعليل، حتى إن بعض الباحثين خلص - بعد عرضه لهذه المحاولات - إلى أن آراء المحدثين في الإعراب ما هي إلا إعادة لما قاله النحويون القدماء[٢].

والسبب في هذا أن وصفهم له يدور في غالبه على تفسيره بالعلامات الدالة عليه، وهي الحركات الدالة على الوظائف التركيبية، وأن هذه الحركات هي الروابط بين الألفاظ. فالتصرف فيها ما بين رفع ونصب وجر وجزم هو الإعراب[٣].

ويظهر الخلاف بين الفريقين في أن أكثر المحدثين دعوا إلى ربط الإعراب بالمعنى. لا بما يسمى بـ(العامل النحوي) لأن الطرق التركيبية في اللغة مرتبطة بالمعاني اللغوية، فكل طريقة تركيبية جاءت لبيان معنى وظيفي في اللغة، وليس ثمة أسباب منطقية واضحة يمكن القطع بأنها تربط بين هذه المعاني وأنواع الإعراب، كالربط بين الفاعلية والرفع، والمفعولية والنصب .....ولا أسباب - خارجة عن المعنى - يمكن أن يقال إنها تربط بين العلامة الإعرابية وما يدعى بـ(العامل النحوي) ومن ثم دعا كثير من المحدثين إلى تصنيف الموضوعات النحوية وفق الوظائف، وأن تصدر الأحكام بالنظر إلى اللغة المدروسة نفسها مع صرف النظر عن أي سبب منطقي أو فلسفي، وهذا يؤدي إلى استبعاد التقديرات العقلية وما تؤدي إليه

---

١) انظر المرجعين السابقين ، وشرح الكافية للرضي ٤٢/١، ٥١.

٢) انظر : (اتجاهات البحث في قضية الإعراب عند اللغويين العرب المحدثين) لخالد الحجيلان ص٣٣(مخطوط).

٣) انظر : علم اللغة بين القديم والحديث لعبد الغفار حامد هلال ٢٦١-٢٦٢.

من تأويل[1]. وستأتي ـ قريبًا ـ مناقشة من ذهب من المحدثين إلى عدم دلالة الحركات الإعرابية[2].

وتنبه بعض المحدثين إلى عدم دقة تعميم القول بالدلالة في علامات الإعراب، كالقول بدلالة الضمة على الإسناد، ودلالة الفتحة على التخصيص بالنصب، والكسرة على الإضافة ....لأن الإسناد يضم عددًا من الأبواب النحوية، ولكل باب منها معنى وظيفي يخصه، ويختلف به عن غيره، ولا يمكن أن تدل العلامة الواحدة على أكثر من معنى في شيء واحد، فاحتاجت كل علامة إلى قرينة أخرى تنضم إليها في الدلالة على الوظيفة المعينة، فإذا قيل ـ مثلا ـ (خالدٌ الكبيرُ يكرمُه أخوه زيدٌ) فهذه خمس كلمات كل منها مرفوع بالضم، ولكل منها معنى وظيفي خاص يحتاج إلى قرينة تجرده، لأن الإسناد المدلول عليه بالضم مفهوم عام لا يكفي للتفريق بين المسند والمسند إليه وتوابعهما[3].

ونتج عن هذه الملاحظة في مفهوم الإعراب عند المحدثين الدعوة إلى توسيع دائرة العلامات الدالة على الإعراب، والدعوة إلى عدم تركيز النظرة على أواخر الكلمات لفهم العلاقات الإعرابية في الجمل التركيبية، وإلى عدم الاقتصار على ما بُوِّبَ له في كتب النحو العربي بـ(علامات الإعراب الأصلية، والفرعية).

فاتجهت الدراسات النحوية في اللسانيات الحديثة إلى مبدإ " تضافر القرائن " إذ لحظوا أن الوظائف النحوية تتوزعها قرائن متنوعة ومتعددة، تجتمع أحيانا في الدلالة على وظيفة معينة، وأحيانا تنفرد قرينة واحدة في الدلالة على وظيفة من الوظائف، ولا فرق في ذلك بين القرائن اللفظية

---

١) انظر : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ٧٤–٨٠، واللغة العربية معناها ومبناها ٢٣١–٢٣٣، وأصول النحو العربي لمحمد عيد ٢٢٨وما بعدها، ط٤، ١٤١٠هـ، عالم الكتب، القاهرة.

(٢) انظر ص٧٧.

٣) انظر : اللغة العربية معناها ومبناها ٢٠٥، ٢٣٢، والقرائن المعنوية في النحو العربي للدكتور عبد الجبار توامي ص٩٠(مخطوط)، والعلامة الإعرابية في الجملة لمحمد حماسة ٢٧٩.

الصوتية، كالحركات، والمعنوية، كالعلاقات السياقية، ولكل قرينة منها قيمتها وأثرها في الإفصاح عن المعاني النحوية[1]، وهذا يفسر سرّ الاستغناء عن الحركات الإعرابية - دون إخلال بالكلام - في كثير من المواطن، كالكلمات التي تعرب بتقدير الإعراب عليها، وإعراب المبنيات، والإعراب المحلي والمحكي.

ونظرية القرائن الدالة على الوظائف النحوية هذه وُجدتْ لها جذور صالحة للبناء عليها في كتب النحو القديمة، فمن يقرأ كتاب سيبويه (مثلا) يجده يعتمد في تحليله للتراكيب النحوية جميع القرائن الدالة، ويوظفها، ويعلل موافقة العلامات الحركية وتخلفها أحيانًا، بانيًا أحكامه على ما يقتضيه السياق، كقوله: "هذا باب ما يجري على الموضع لا على الاسم الذي قبله، وذلك قولك: ليس زيدٌ بجبانٍ ولا بخيلا،وما زيدٌ بأخيك ولا صاحبَك، والوجه فيه الجر، لأنك تريد أن تُشرك بين الخبرين، وليس يَنقُض إجراؤه عليك المعنى، وأن يكون آخره على أوّله أولى، ليكون حالهما في الباء سواء، كحالهما في غير الباء، مع قربه منه"[2].

فقد بيّن سيبويه أن السياق يقتضي جر كلمتي (بخيلا) و(صاحبَك) عطفًا على ما قبلهما، لأن الغرض هو الجمع بينهما في المعنى، وليس الجر بمانع من ذلك، كما أن التشاكل الصوتي بين المعطوف والمعطوف عليه أولى، ولا سيما مع تقاربهما وعدم الفصل بينهما، فالمساواة بينهما في الجر بعد الباء أولى وأفضل، ولكن الحركة هنا تخلفت عن هذه الدلالة، وجاءت على ما يجب لموضع المجرور، وهو النصب.

وقال أيضًا: " وتقول: **كتبتُ إليه أنْ لا تقلْ ذاك، وكتبت إليه أن لا يقولَ ذاكَ**، وكتبتُ إليه أن لا تقولُ ذاك. فأما الجزم فعلى الأمر، وأما النصب فعلى قولك: لئلا يقول ذاك، وأما الرفع فعلى قولك: لأنك لا تقول ذاك، أو بأنك لا تقول ذاك، تخبرُه بأن ذا قد وقع من أمره "[3]

---

1) انظر: اللغة العربية معناه ومبناها في الموضع السابق، والقرائن المعنوية لعبد الجبار توامي ١٨. و: في التحليل اللغوي، منهج وصفي تحليلي، لخليل أحمد عمايره ٩٤.

2) سيبويه ١/٦٦-٦٧.

3) سيبويه ٣/١٦٦.

فعلل اختلاف الإعراب باختلاف المعاني، واعتمد على الحركة في التمييز بين هذه المعاني، مع أن التركيب واحد لم يختلف، ومن ثم ربط الحركات الإعرابية بالمعاني ولم يربطها بالألفاظ، أعني لم يربطها بالعامل.

وعلل قراءة النصب في قول الله تعالى ﴿وامرأتُه حمالَةَ الحطب﴾[1] بنصب (حمالةَ). وهي قراءة عاصم، وقرأ سائر السبعة بالرفع[2]- فقال: "لم يجعل (الحمالة) خبرًا للمرأة، ولكنه كأنه قال: أذكرُ حمالةَ الحطب، شتمًا لها، وإن كان فعلا لا يستعمل إظهاره"[3] فلما رأى النصب المدلول عليه بالفتحة هنا لا يوافق ظاهر السياق، وهو أن تكون (حمالة) مسندًا. كما في قراءة الجمهور. اعتمد على قرينة أخرى في تعليل النصب، فقدر مسندًا آخر يستقيم به المعنى.

ولقد أكدت بعض الدراسات المتميزة في هذا المجال أن مفهوم "النظم" الذي بنى عليه العلامة عبد القاهر الجرجاني كتابه "دلائل الإعجاز" مرادف لمفهوم "النحو" من جهة أنه بناه على اجتماع القرائن النحوية وتضافرها على بيان المعاني المقصودة للمتكلم[4]، فإن الكلام يرتبط باعتبار هذه القرائن، وينتظم في سلك واحد، ويأخذ بعضه بسبب بعض.

ومن عبارات **عبد القاهر في هذا المنحى** قوله: "اعلم أنْ ليس النظم إلا أن تضع كلامَك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعملَ على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نُهجت فلا تَزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رُسمت لك فلا تُخِلَّ بشيء منها"[5].

وقوله: "وإذ قد عرفت أن مدار أمر النظم على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه، فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجد لها ازديادًا بعدها....."[6].

---

1) سورة المسد (٤).
2) السبعة لابن مجاهد (٧٠٠).
3) سيبويه ٢/ ٧٠.
4) انظر: القرائن المعنوية في النحو العربي ٢٢.
5) دلائل الإعجاز ٨١.
6) السابق ٨٧.

كما أشار ابن خلدون إلى ذلك أيضا، إشارة أكثر صراحة، فبيّن أن المعاني التي لا تدل عليها ألفاظ بأعيانها : **يُدَلّ عليها بأحوال وكيفيات في تراكيب الألفاظ وتأليفها**، من تقديم أو تأخير، أو حذف، أو حركة إعراب ..."[1] وذكر أن كل معنى لا بد وأن تكتنفه أحوال تخصه فيجب أن تعتبر تلك الأحوال في تأدية المقصود لأنها صفاته[2] ، وأن الحركة إذا عُدمت . أو فسدت . أمكن أن يُعتاض عنها بأمور أخرى وكيفيات موجودة في اللسان العربي نفسه[3].

فالعلامة الإعرابية قرينة من قرائن متضافرة في بيان المعاني النحوية، وفق ترتيب معيّن، وتظهر قيمتها فيما بينها من تقابل أو اختلاف، ولا تستقل الحركة ببيان تلك القيمة التي هي الإعراب، أو الوظيفة الإعرابية، وهذا هو الاتجاه العام في مفهوم الإعراب في الدراسات اللسانية الحديثة[4].

ومما يمكن إثباته هنا أن المعنى اللغوي لكلمة (إعراب) أعم من التغيّر الذي يحصل في أواخر الكلمات المعربة، كما أن مقاصد المتكلمين من الكلام أعم مما تدل عليه تلك الكلمات، ومن ثم جاءت الدعوة بتعميم مفهوم الإعراب ليشمل جميع الطرق والوسائل التي يعبر بها عن العلاقة القائمة بين الألفاظ ومعانيها.

والمراد في هذه الدراسة هو معرفة الحركة التي تصحب الإعراب، دون الاستطراد فيما وقع من الخلاف في المراد بالإعراب نفسه، فهذه الحركة "فونيم نحوي تبديلي "، أي : وحدة صوتية ذات وظيفة تركيبية، يمكن تبديلها بغيرها، بحسب الأغراض والمعاني المعنية في التركيب، وقد تدل على أنواع الإعراب الثلاثة : الرفع والنصب والجر، ويدل حذفها أو حذف بعضها على

---

١) مقدمة ابن خلدون ٥٥٥.

(٢) يريد أن الأحوال صفات للمعنى .

٣) السابق ٥٥٥، ٥٥٦.

٤) انظر : اتجاهات البحث في قضية الإعراب عند اللغويين العرب المحدثين ١٤.٤.

الجزم في الأفعال، ومن ثم اقتَصَر كثير من النحويين في تعريف الإعراب على أنه الرفع والنصب والجر والجزم[1].

وفي ضوء ما هو معروف من طبيعة هذه الحركات، وما قدمه النحويون واللغويون من دراسات في الإعراب يتبين أن حركاته تتميز عن الحركات البنائية بمايلي :

أولا : أنها لا تكون إلا بالتركيب، ولا يمكن أن تحصل بدونه .

ثانيا : لما كانت الحركة الإعرابية لا توجد إلا في الكلام المركب تركيبا نحويا فصيحا، استلزم ذلك كون معانيها طارئة، قابلة للتغيير، بتغير التركيب، والمراد بمعانيها : وظائفها في الإسناد والتخصيص، وأنواع الأوجه الإعرابية، ونحو ذلك، وهي معان توجد بتركيب الكلام، وتُعرب عنها الحركات بالدلالة عليها. أما معاني المبنيات فقد لا تكون طارئة، وإن كان التركيب يستدعيها، غير أنها قد توجد قبل التركيب، نحو التصغير، والتذكير والتأنيث، والخطاب والغيبة، والجمع والإفراد، والمبالغة، والطلب، وغيرها [2]، فإن الكلمات الدالة على هذه المعاني غير مقيدة بالتركيب في دلالتها تلك، وإن كانت مع ذلك لا مفهوم لها - من جهة الإفادة العامة - خارج التركيب، كما هو شأن جميع المورفيمات .

ثالثا : أن التبادل الذي يكون بين أنواعها وظيفي تركيبي دائما، بمعنى أنه يدل على المعاني التركيبية، ومن ثم فُسِّر الإعراب بأنه الإبانة عن المعاني بالألفاظ، فإن المرء إذا سمع: (أكرم سعيدٌ أباه) و(شكر سعيداً أبوه)، علم برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام بغير إعراب لاستبهم أحدهما من صاحبه.[3]

---

1) انظر : سيبويه ١/١٣، المقتضد ١/٩٧ وما بعدها ، ودراسات في الإعراب للفضلي ١١ وما بعدها .

2) انظر : شرح التسهيل ١/ ٣٤، وشرح الرضي على الكافية ١/٥٠ (الحفظي).

3) الخصائص ١/٣٥.

والنحويون مطبقون على اعتبار حركة الإعراب قرينة صوتية لفظية يجاء بها لبيان المعاني النحوية ورفع اللبس عنها، وقد قرر كثير منهم هذا المعنى وأكدوا هذه الوظيفة،[1] عن طريق ذلك التبادل الموقعي.

وإن ما تتيحه قرينة الحركة الإعرابية من خيار للمتكلم في تقديم ما شاء من أجزاء الجملة بحسب أغراضه، قد لفت انتباه بعض اللغويين من غير العرب، فنظروا إليها نظرة إعجاب وإكبار، لأنها بذلك جعلت نظام التركيب في اللغة العربية نظاما يسيرا مرنا، لا يتقيد بمواضع محددة لكل كلمة، أو لكل وظيفة في الجملة، و قد لا يفرض النحو في اللغة العربية أيّ نظام إجباريّ، و في كثير من الأحيان لا تتأثر العلاقة المنطقية التي بين كلمات الجملة في شيء إذا غيّر وضعها،كما يقال : (يضرب زيدٌ عمْرًا) أو (يضرب عمْرًا زيدٌ) أو (عمرًا يضرب زيدٌ) دون أن يؤدي ذلك إلى تردد في معرفة الفاعل والفعل والمفعول، لأن التحليل المنطقي . في غالب الأمر . لا يرى في ذلك أي اختلاف[2].

وقد يوجد هذا التبادل أحيانا في حركات البناء من دون أن يكون له وظائف تركيبية، نحو : مِنِ ابْنك، و: مِنْ خالد، و: مِنَ الرجل، تغيرت العلامات على نون (مِنْ) في كل مرة، ولم يدل ذلك على معنى تركيبي[3]، ونحو ذلك التبادل الذي يحصل بين علامات بناء الفعل الماضي، نحو : كَتَبَ . كَتَبْنَ . كَتَبُوا، لم يُعْرِب هذا التبادل الصوتي . الحادث بين حركات الباء . عن وظائف تركيبية، وإنما كان لأسباب صوتية فونولوجية .

رابعا : حركة الإعراب وظائفها تركيبية باستمرار، وأما حركات البناء فتكون وظائفها نحوية شاملة، وغير ذلك، نحو : كَتَبَ . كتبْتُ . كتبْتِ . كتبْتَ، دلت قرينة الحركة البنائية هنا على معان صرفية هي : التكلم والخطاب والتذكير والتأنيث، ولكنها مع ذلك أفادت معنى تركيبيا مُهِمّا وهو ربط العلاقة بين الفعل والضمير، وهي وظيفة إسنادية تركيبية، دلت

---

١) انظر (مثلا) : شرح المفصل لابن يعيش ١/ ٧٢، و الإيضاح للزجاجي ٦٩، و الصاحبي ٦٦.٦٧.

٢) اللغة لفندريس ١٨٧(بتصرف يسير).

٣) انظر : المقتصد ١/٩٩ .

عليها الحركة نفسها، أيّا ما كان نوعها، والفونيم التبديلي المقابل هو حذفها، كما رأى بعض النحويين أن ضم نون (نحْنُ) الثانية للدلالة على الجمع[1]؛ لأن الضم من الواو، والواو علامة الجمع[2]، بمعنى أن حركة الإعراب وظائفها أخص في تركيب الجمل .

وثمة أمور تتعلق بمفهوم هذه الحركات الإعرابية، يلحظها المتأمل إذا أنعم النظر في اللغة:

أولها : أن الوظيفة التركيبية التي تدل عليها الحركة الإعرابية قد تكون لازمةً، بلزوم النوع الذي تصحبه من التركيب، فيؤدي ذلك إلى لزوم الحركة الإعرابية، وليس ذلك لأجل البناء، ولكنه للزوم ذلك النوع من التركيب، كعلامة النصب في : (سبحانَ الله) و (رويدَك) وعلامة الرفع في قولهم :(**لا نَوْلُك أن تفعل**) و (لعمرُك) وعلامة الجر في المضاف إليه من نحو (أبي بكرٍ) و (ذي النونِ)[3].

ثانيها : يبنى على المسألة الأولى تقسيم الكلمات المتحركة الآخر . في اللغة العربية . إلى قسمين :

القسم الأول : ما يتغير نوع الحركة في آخره، ويشمل :

أ . ما تدل حركته على إعرابه، بحسب نوع الوظيفة التركيبية، وهو كل ما تتغير حركة آخره من المعرب .

ب . ما تتغير حركته لأسباب صوتية، لا لوظائف تركيبية،كحركة نون (من) في : منَ العلم . منِ ابنك، واللام في : لَه . لِمَن، أو تتغير لإفادة معان صرفية ، كحركة تاء الفاعل : كتبتَ . كتبتُ . كتبتِ .

القسم الثاني : ما لا يتغير نوع الحركة في آخره، ويشمل :

أ . المعرب الذي يلزم وظيفة واحدة فحركته لا تتغير، كـ(كسبحانَ الله) و (رُوَيْدَ) كما تقدم .

---

(1) دلت نون (نحنُ) الثانية على هذا المعنى وهي خارج التركيب .

2) انظر : مشكل إعراب القرآن لمكي ١/ ٧٩، و الهمع ١/ ٢٠٨ . ٢٠٩ .

3) انظر : شرح التسهيل ١/ ٣٣، والأشباه والنظائر للسيوطي ١/ ١٧٥ .

ب. ما حركته حركة بناء أصلية، لا يحرك بغيرها، وهو أكثر المتحرك من المبنيات، كالأعداد المركبة، و: أينَ، وحيثُ، وهؤلاءِ ....

ج. ما حركته عارضة لأسباب صوتية، كحركة المضاف لياء المتكلم، نحو هذا كتابي. قرأت كتابي. انظر إلى كتابي، وحركة الماضي المسند لضمير جماعة الذكور، نحو: ذهبوا. كتبوا .....

د. المعتل الآخر بحركة طويلة لا تتغير إلا إذا أبدلت بحرف صامت، نحو: الفتى. العصا. وجاء القاضي. ومررت بالقاضي[1].

ثالثها: قد تحذف حركة الإعراب، أو تختلس؛ لأسباب صوتية، كتقليل الجهد والعمل على أعضاء النطق، وإرادة السرعة في الكلام. فإن حُذِفَتْ اكتُفِيَ حينئذ بالقرائن الإعرابية الأخرى في إفادة الوظائف النحوية، وورد ذلك في بعض اللهجات العربية، بطريقة استثنائية غير مطردة، ولا خاضعة للتقنين والتقعيد[2].

وجاءت على ذلك بعض القراءات القرآنية على خلاف بين التسكين والاختلاس، إيثاراً للتخفيف وتسهيل النطق، كقراءة أبي عمرو. رحمه الله. في قول الله تعالى: ﴿فتوبوا إلى بارئكم﴾[3] بإسكان الهمزة. و﴿يأمركم﴾[4] بإسكان الراء. و﴿يأمرهم﴾[5] بإسكان الراء. و﴿ وما يُشعِركم﴾[6] بإسكان الراء. و﴿ينْصُركم﴾[7] ومواضع غير هذه مما توالت فيه الحركات، أسكن فيها حرف الإعراب. أو اختلس حركته. لضرب من التخفيف في النطق، والإسراع في القراءة[8]، وعلق عليها أبو علي الفارسي

---

1) انظر: الهمع ١/٦٠، ودراسات في الإعراب للفضلي ١٢١.
2) انظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية للراجحي ١٥٧، والخصائص ١/٧٣.٧٤.
3) البقرة، (٥٤).
4) البقرة، (٦٧) وهي ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾.
5) الأعراف، (١٥٧) ﴿.....يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر﴾.
6) الأنعام (١٠٩) ﴿...قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾.
7) آل عمران (١٦٠) ﴿.... وإن يخذُلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده ...﴾.
8) انظر: الحجة لأبي علي ٢/٧٧ـ ٧٨، والخصائص ١/ ٧٣ـ ٧٤.

فقال : " والدليل على إيثاره التخفيف أنه كان يدغم من الحروف ما لا يكاد يدغمه غيره، ويليّن الساكن من الهمز، ولا يهمز همزتين، وغير ذلك "[1].

وحُملت على هذه اللهجة شواهد شعرية تجدها في المراجع المحال إليها، ويستوي في هذا الحذف حركات الإعراب والبناء، لأن العلة واحدة، وهي علة صوتية متعلقة بالنطق، كما أنها تحذف عند الوقف طردا للعلة نفسها.[2]

رابعها : تذرع بهذا الحذف المذكور بعض المحدثين ، فأنكروا أيَّ دلالة لحركات الإعراب، فَدعَوْا إلى إلغاء الإعراب، متأثرين بالرأي المشهور عن قطرب، الذي أُثر عنه القول بأن وظيفة هذه الحركات وظيفة صوتية خالصة[3]، ومن أشهر هؤلاء :

١. إبراهيم أنيس، في كتابه "من أسرار اللغة" بعنوان (ليس للحركة الإعرابية مدلول)[4].
٢. عبد الصبور شاهين، في كتابه "أثر القراءات القرآنية في الأصوات العربية" حين ناقش هذه المسألة في الفصل الثالث منه[5]، ثم انتهى مؤكدًا أن الحركة الإعرابية لم يعد لها الخطر الذي سيطر على الأذهان قرونا طويلة ....وأن ما سنه النحاة من قواعد شكلية إنما يخضع في جوهره للنظام المقطعي، الذي يجري عليه الكلام العربي .[6]
٣. إبراهيم مصطفى، في كتابه "إحياء النحو"[7] أنكر دلالة الحركة الدالة على النصب، ورأى أنه يؤتى بها إيثارًا للخفة، ولا معنى لها في دلالة الكلام، مع أنه أدرك أهمية الإعراب، وأقر بدلالة علامتي الرفع والجر، وأحسن الرد في الطاعنين في وظائفهما [8].

---

١) الحجة : الموضع السابق .
٢) السابق ٨٢-٨٣، وسيبويه ٤ / ٢٠٣-٢٠٤.
٣) انظر : الإيضاح للزجاجي : ٧٠
٤) من أسرار اللغة لإبراهيم أنيس: ص٢٠٢.
٥) انظر : ص٣٢٤وما بعدها فيه .
٦) السابق ٣٨٩.
٧) انظر فيه ص٢٣-٤٢.
٨) انظر : إحياء النحو ٤٥-٤٦.

وتأثر بهم آخرون نهجوا نهجم في إنكار دلالة الحركة الإعرابية، أو دلالة بعضها كمهدي المخزومي[1]، وأمين الخولي، وفؤاد ترزي، وداود عبده، وأنيس فريحة .....[2]

وهذا الذي ذكروه ليس أمرًا جديدًا، وإن تنوعت محاولاتهم لفهم وجود الحركة الإعرابية في الكلام العربي، وهي محاولات تدور في جملتها على ثلاثة أمور: **الأول**: رأي قطرب الذي سبقت الإشارة إليه، وهو محمد بن المستنير المتوفى سنة ٢٠٦هـ، وقد تولى علماء النحو الرد عليه وفندوا رأيه المذكور منذ ظهوره.[3] **الثاني**: لا يبعد أن يكونوا تأثروا بشبهات أثارها بعض المستشرقين في بعض آرائهم عن اللغة العربية، حين شككوا فيما تتميز به من إعراب ونحوه، غير أن آخرين منهم اعترضوهم ففندوا ما أتَوْا به من شبهات، كما فندها علماء العربية.[4] **الثالث**: محاولة حمل اللغة العربية على بعض لغات العجم، كاللغة الإنجليزية، وإخضاع قواعد العربية لتلك اللغات، إعجابا بنظام الجملة الإنجليزية[5]ومقاطعها الصوتية، أو محاولةً لحمل العربية على ما سواها من اللغات السامية [6].

ولقد نوقشت هذه المقولة وتلك الشبه، مناقشة عميقة، ورُدّ عليها ردّا مقنعًا، من قبل جمع من علماء العربية وطلابها، ولذلك أكتفي بالإحالة عليهم[7]وعدم تكرار ما قالوه .

---

١) كما في كتابه: قضايا نحوية ٧٩-٨١،٩٥-٩٨، ط المجمع الثقافي، ١٤٢٤هـ أبو ظبي، الإمارات العربية.

٢) انظر: العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث ٢٧٠-٢٧٥، و: في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي ٧٩، ٨٢، و: إحياء النحو وتجديده بين إبراهيم مصطفى وأمين الخولي ١١٣وما بعدها .

٣) انظر: الإيضاح للزجاجي ٧٠-٧١.

٤) انظر: دراسات في فقه اللغة لصبحي الصالح ١٢٢-١٢٤، وعلم اللغة بين القديم والحديث ٢٥٤-٢٥٥، ٢٨٤.

٥) انظر: دراسات في الإعراب للفضلي ٨٥.

٦) انظر: إحياء النحو لإبراهيم مصطفى ٤١.

٧) انظر مثلا: الحجة لأبي علي: ٢/ ٧٨-٨٤، دراسات في الإعراب للفضلي ٨٥، و العامل النحوي بين مؤيديه ومعارضيه لخليل عمايره ٩٢، و علم اللغة بين القديم والحديث ٢٥٤-٢٦٢، و دراسات في فقه اللغة لصبحي ١٣١- ١٤٠، و: في التحليل اللغوي، منهج وصفي تحليلي ٨١-٨٢.

وأما الرد التطبيقي على هذه الآراء فهو ما يحمله الفصل الآتي بعد هذا من هذا الباب، بعنوان: " وظائف الحركات والسكون بوصفها قرائن صوتية".

غير أنه مما يستحسن في هذا الصدد سياق كلمة للعلامة عبد القاهر الجرجاني في تقرير أهمية الإعراب ووظائف الحركات الإعرابية، إذ يقول: " قد عُلم أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يُعرض عليه، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يُرجع إليه، لا ينكر ذلك إلا مَن ينكر حسَّه، و إلا مَنْ غالط في الحقائق نفسَه ".[1]

والحق أن الحركات الإعرابية واقع مشاهد، لا يمكن إنكاره، وتحوّل البنية السطحية بها في الجمل التوليدية، إلى بنية عميقة في الجمل التحويلية، أظهر من أن يستدل عليه، لأن ذلك لا يكون إلا وفق المعاني التي في الأذهان، واللغة لا يفرض قواعدَها الدارسون، ولكن توصف كما ينطق بها أهلها، فتقنن بناءً على ظواهرها في الواقع الاستعمالي لدى المتكلمين بها[2]، لا بما يفرضه من يلحن فيها، أو من يجهلها، أو من يقيسها على غير شاكلتها من اللغات، أو نحوهم.

ومما يتصل بهذه المسألة أن الدكتور كمال بشر تحدث عن الحركات القصار، ونوّه إلى مكانتها ودورها الحاسم في ضبط الإعراب الذي يعد أهم خاصة من خواص العربية، لأنه دليل صحة الكلام وخطئه، ثم أشاد بحركاته الدالة عليه، على أنها العنصر الفاعل لهذا الضبط بوصفها أصواتًا لا (علامات) - كما رأى - اختصت بهذه الوظيفة البالغة الأهمية دون الأصوات الصامتة [3].

---

١) دلائل الإعجاز ٢٨.

٢) انظر: العلامة الإعرابية في الجملة ٢٧٢.

٣) علم الأصوات لكمال بشر ٤٢٩.

وكلامه في هذا المجال يضاف إلى جملة الردود على الداعين إلى إلغاء الإعراب، والمنكرين ما لحركاته من دلالة. غير أنه اعترض على تسميتها (علامات)، وهي التسمية التي درج عليها علماء العربية قديما وحديثا، وارتضى هو الاقتصار على تسميتها بـ(أصوات).

وهذا الاعتراض لا يخلو من نظر، لأن اللغة المتكلم بها كلها أصوات، فينبغي تعريف كل صوت أو مجموعة من الأصوات بما يميزها من خصائصها، والعلامات اللفظية المصاحبة للأصوات الصامتة لن تكون إلا أصواتًا، إلا إذا كانت معنوية، ولا ريب أن كل دارس للغة العربية يدرك أن حركات الإعراب ليست قرائن معنوية، بل أصواتٌ مادية مسموعة، والعلامة تكون لفظية صوتية ومعنوية، ومن جملة العلامات اللفظية الصوتية هذه الحركات التي تسمى بعلامات الإعراب، أو حركات الإعراب[1]، ولا تَعارُض بين كونها أصواتًا ووصفها بـ(علامات).

وأما قوله: " إن هذه الحركات اختصت بهذه الوظيفة - وهي ضبط الإعراب والدلالة عليه - دون الأصوات الصامتة "، فقد يفهم منه أن الصوت الصامت لا يكون علامة للإعراب، وذلك غير صحيح، فمن الأصوات الصامتة ما يكون علامة للإعراب، وذلك: النون في رفع الأفعال الخمسة، والواو والياء الساكنتان المفتوح ما قبلهما في إعراب المقصور من جمع المذكر السالم، نحو: قول الله تعالى: ﴿وأنتم الأعْلَوْنَ﴾[2] وقوله تعالى ﴿لَمِنَ المصْطَفَيْنَ الأخيار﴾[3] والياء كذلك في إعراب المثنى نصبا وجرا، نحو: قرأت الكتابَيْنِ، ونظرت إلى الرَّجُلَيْنِ، ونحو ذلك.

ومعلوم أن النون والواو والياء في هذه المواضع حروف صوامت لا صوائت، وهو أمر ذكره الدكتور كمال نفسه في موضع آخر[4].

---

١) انظر: العلامة في النحو العربي ١٠، ١٥.
٢) سورة آل عمران (١٣٩).
٣) سورة ص (٤٧).
٤) انظر: علم الأصوات لكمال بشر ٣٧١، ٣٧٢.

نقد الإعراب التقديري صوتيا

تقدم أن هذه الحركات قرائن صوتية، وأنها من العلامات التي يستدل بها على نوع الإعراب، وسبب ذلك أن كل حركة توجد مصاحبة لنوع من أنواع الإعراب يناسبها، فتكون وظيفتها الدلالة على ذلك النوع من الإعراب، وتحديد العلاقات النحوية الأساسية بين عناصر الجمل، كعلاقة الإسناد بين ركني الجملة، وعلاقة التبعية بين الاسم والتوابع، وعلاقة المفعولية بين الفعل والمفاعيل، وعلاقة الظرفية بين الفعل والأركان الظرفية في الجملة[1]، وكذلك العلاقة بين الأداة ووظائفها في الأسماء والأفعال ، كالنفي والنهي، والتأكيد، والشرط، والنداء، وغير ذلك من الوظائف التي تؤديها الأدوات، وتدل عليها حركات الإعراب .

ولا تستقل حركات الإعراب من بين القرائن الصوتية وغيرها في الدلالة على هذه الوظائف النحوية التركيبية، بل هناك قرائن أخرى تؤدي تلك الوظائف متضافرة مع حركات الإعراب، أو بمعزل عنها أحيانا، حين تغيب الحركة الإعرابية لسبب من الأسباب، ومن ثم تعدد من الكلمات ما لا يتعين إعرابه بحركات الإعراب، كالإعراب بالحذف، وما عُرف بالإعراب المقدر، والإعراب المَحَلّي في المبنيات[2]، ونحو ذلك .

وذهب علماء النحو إلى تقدير حركات الإعراب على ما لا تظهر فيه، لأجل توحيد قاعدة الإعراب، فتطرد في جميع الأمثلة، ورأوا أن الأصل ظهورها في المعربات، فإن لم تظهر قُدّرت، من باب رد الفرع إلى أصله ليأخذ حكمه[3].

وانتقد كثير من المحدثين هذا الإجراء، ورأوا أن الداعي إليه محض الصناعة النحوية المبنية على قوانين منطقية، وهي قوانين عامة لا تخص اللغة وإن كانت صحيحة في نفسها، ورأوا أنه ينبغي أن تفسر اللغة بما

---

١) انظر : المدخل إلى علم اللغة لكارل ١٨٥.

٢) انظر اللغة العربية معناها ومبناها ٢٣١.

٣) انظر : نظرية الأصل والفرع في النحو العربي لحسن الملخ ١١٦، ودراسات في الإعراب ١٣٨.

يلائم قوانينها الاجتماعية التي يتفاهم عليها الناطقون بها[١]، وأن توصف وصفا موافقا لطبيعة أصواتها الدالة على معانيها، من غير أن تحمل على قوانين علمية لم تبْنَ عليها في نفس الناطق بها في الأصل، كقانون (القضية المنطقية)[٢] الذي حُمِل عليه قانون تعليل الإعراب في النحو العربي حسب ما ذهب إليه بعض المحدثين[٣].

و في إطار مناقشة هذا القول مع واقع تاريخ النحو العربي : يقود النظر - بعد التأمل - إلى أن أصل النظام النحوي في تعليل ظاهرة إعرابه، وقوانينه التركيبية ، مستنبط من سمت كلام العرب، ومستقرأ من طبيعته المجردة، فلم يُعرف عن أحد من علماء النحو الذين أسسوا قواعده وضبطوا قوانينه أنه نقل عن كتاب من كتب المنطق اليوناني أو الفلسفة، ولا أنه أخذ عن عالم من علماء تلك الأمم، وكانوا ثقاةً عدولا، يُسندون كل ما يقولونه ويروونه إلى من رُوِي عنه من العرب، ولم يُعرف عنهم الاختلاط بغير العرب، ولا ذُكرت عنهم معرفة بعلوم غير علوم العربية[٤].

وهذا الخليل بن أحمد الفراهيدي مؤسس هذا العلم : سئل عن العلل التي يعتل بها في النحو، فقيل له : عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك؟ فقال : "إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها، وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله، وإن لم يُنقل ذلك عنها، واعتللت أنا بما عندي أنه علة لما عللته منه، فإن أكن أصبت العلة فهو الذي التمست، وإن تكن هناك علة له فمثلي في ذلك مثل رجل حكيم دخل دارًا محكمة البناء، عجيبة النظم والأقسام، وقد صحت عنده حكمة بانيها، بالخبر الصادق أو بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة، فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها قال : إنما فعل هذا هكذا لعلة كذا وكذا، ولسبب كذا وكذا، سنحت له وخطرت بباله محتملة لذلك، فجائز أن يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار، وجائز أن يكون

---

١) انظر اللغة العربية معناها ومبناها ٢٨.

٢) انظر ضوابط المعرفة ٦٨، ٨٢-٨٣.

٣) انظر : علم اللغة بين القديم والحديث ٣٣٤، واللغة العربية معناها ومبناها ٢٣١.

٤) انظر : علم اللغة بين القديم والحديث ٣٢٩-٣٣٠.

فعله لغير تلك العلة، إلا أن ذلك مما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علة لذلك، فإن سنح لغيري علة لما عللته من النحو هي أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها"[١].

وهذا الكلام قاطع الدلالة على براءة هؤلاء العلماء من التأثر بعلماء المنطق، أو غيرهم، وإن وافق ما استنبطوه أو قاسوه بعضا من القواعد المعمول بها عند اليونان، كالقضية المنطقية، ونحوها، فهذه الموافقة غير مستبعدة عقلا، لأن القوانين المنطقية ليست وحيا معجزًا، بل هي أمور دل إليها الفكر البشري، والحس والقياس العقلي المجرد، والنظر في المعاني والأغراض، وهذه الأمور هي نفسها التي أوْصلَتْ علماء العربية إلى تحديد قوانين الإعراب وضبط قواعده، ومعلوم أن العقل والحس والتفكير مواهب يشترك فيها الناس، و"طريق الحسّ موضع تتلاقى عليه طباع البشر ويتحاكم إليه الأسود والأحمر"[٢].

ومن كلام أبي سعيد السيرافي : " المعاني معقولة ولها اتصال شديد وبساطة تامة، وليس في قوة اللفظ من أيّ لغة كان أن يَملك مبسوط العقل ويحيطَ به ويَنصِبَ عليه سورًا، ولا يَدَعُ شيئا من داخله أن يخرج ولا شيئا من خارجه أن يدخل"[٣].

وإنما توصل علماء العربية لهذه القوانين الإعرابية لما خشوا فساد الملكة ، فاستنبطوا من مجاري كلام العرب قوانين لتلك الملكة مطردة، شبه الكليات والقواعد، يقيسون عليها سائر الكلام، ويلحقون الأشباه بالأشباه، مثل أن الفاعل مرفوع، والمفعول منصوب، والمبتدأ مرفوع، ثم رأوا تغيّر الدلالة بتغيّر حركات هذه الكلمات فاصطلحوا على تسميته إعرابا.[٤]

هذا هو منهج علماء العربية في وضع قواعد الإعراب، منهج قائم على توحيد القاعدة ورد كل شيء إليها مهما كلف ذلك من التقدير والحذف

---

١) الإيضاح للزجاجي ٦٦.
٢) الخصائص ١/ ٩٠.
٣) الإمتاع والمؤانسة ١/ ١٢٦.
٤) مقدمة ابن خلدون ٥٤٦.

والإضمار والتأويل، لغرض بناء قاعدة عامة يقاس عليها،وتندرج تحتها كل الجزئيات .

والمحدثون ظاهر منهجهم مبني على تفسير المعالم اللغوية على حسب قرائنها المعنوية واللفظية والحالية التي تقتضيها وظائفها فقط، وترك كل ما تدعو إليه الصناعة و لا يحتاجه المعنى، فالذي يبدو أن اختلاف الرأيين سببه اختلاف المنهجين، ولكل وجهة لها نصيب من الصحة والاعتبار، ولا شك في أن دارس اللغة يحتاج إلى قواعد يقيس عليها، ويضبط بها ما يرد من أمثلة، ولكن تحتاج اللغة المدروسة ـ مع ذلك ـ إلى أن تحمل على قوانينها الطبيعية الملائمة لوظائفها، ليكون الوصف مطابقا للموصوف، فما العمل إذن حين لا يتفق هذا وذاك؟

الذي يبدو بعد النظر إلى معطيات القولين، في ضوء الحاجة المتجددة لفهم اللغة على سننها كما تكلمت بها العرب الفصحاء، حفاظا عليها من التأثر بما لاصلة له بواقعها الحقيقي المنطوق، أنه لا بد من اعتماد قواعد منضبطة وفق النظام اللغوي، ليقاس عليها، ليست خاضعة لصناعة لا تتلاءم مع ظاهر اللغة وطبيعة أصواتها، يُرد إلى هذه القواعد كل ما خرج بسبب الصناعة أو الاستعمال غير الفصيح، ردًا موافقًا للظواهر اللغوية نفسها، بعيدًا عن القوانين غير اللغوية .

فإن اللغة أصوات مسموعة، و"السمع أبو الملكات اللسانية "[1]، وهذه الأصوات تنتظم مع المعاني المرادة منها بحسب ما تعارف عليه أهل اللسان، لأن الأصل في اللغة مطابقة المعنى للفظ [2]، والتقدير والحذف خلاف الأصل[3]، وأمور اللغة ينبغي أن يرجع فيها إلى ألفاظها ومعانيها على ميزان الطبع والحس والتأمل، لا إلى سابق ملة والتبعية والشرع[4]، لأن اللغة ظاهرة اجتماعية، لا تخضع للتعليل المنطقي والفلسفة [5]، ومن ثم لحظ علماء

---

١) مقدمة ابن خلدون ٥٤٦.
٢) الأشباه والنظائر للسيوطي ١٥٢/١.
٣) السابق ٣٤١،١٧٠/١.
٤) الخصائص ٢ /٣٢٦.
٥) اللغة بين القديم والحديث ٣٣٤.

النحو بالتأمل مناسبة أصوات الحركات الثلاث لمعانيها، حين غلبت الضمة على العُمَد لثقلها في النطق وقلة العمد، والفتحة على الفضلات لخفتها في النطق وكثرة الفضلات، والخفة مناسبة للكثرة، وخصت الكسرة بالمتوسط بين القوة والخفة، وهو الجر، لأن صوت الكسرة كذلك[1].

إذن هذه أصوات يؤتى بها حيث تدل على معانٍ، وهذه المعاني ضبطت بقوانين المرفوعات والمنصوبات والمجرورات في كتب النحو، ولا بد من هذا لرد كل حكم إعرابي إلى لفقه وجنسه، والمراد من الإعراب تفسير الكلام وإيضاحه بما يتفق مع ظاهر ألفاظه وأصواته المستعملة، **وليس المراد تتبع الظواهر وجدت أم لم توجد**، لأنها إن وُجدت أفادت المعنى المقترن بها، وكَمُلت بها أجزاء التركيب اللغوي، وإذا لم توجد فغيرها يغني عنها. فإذا كانت ليست جزءا من المادة اللغوية المراد إيضاحها وإعرابها، فعلام يبحث عنها إذن؟ وقد سُلِبت وظيفة الدلالة على الموقع الإعرابي، ولا يشعر المخاطب بشيء يحتاجه وينتظره من المتكلم بها، و"الغرض من الكلام إفادة المخاطب "[2].

وهذا أوان الشروع في بيان ذلك بتحليل أصوات الكلمات التي تقدر عليها حركات الإعراب، مع التنبيه على أن الرمز بالسين يعني الحرف الساكن - وهو الصامت - ويعني ما سوى الحركات قصارا وطوالاً، والرمز بالحاء يعني الحركة - وهي الصائت - فإن كانت مداً كتبت مضاعفةً هكذا :(ح ح) كما هو شائع في الدراسات الصوتية، ويُكَوِّن ما بين كل خطين مائلين - / / - مقطعًا صوتيا[3]:

١- *يَكْتُبُ : س ح س / س ح / س ح /

*يدعو : س ح س / س ح ح /

الاختلاف بين الفعلين صوتيا حصل في المقطع الأخير، ففي الأول : س ح (مقطع قصير) وفي الثاني : س ح ح (مقطع طويل) والفعلان مكتملا البناء

---

١) انظر : شرح التسهيل لابن مالك ٢٩٧/١،و شرح الكافية للرضي ٦٢/١،والهمع ٦٤/١.

٢) شرح الرضي على الكافية ٢٣١/١عن ابن الدهان .

٣) انظر التشكيل الصوتي للعاني ١٣٣.

كلاهما، ومرفوعان في هذه الحال، والعلامة الصوتية في نهاية الأول: الحركة القصيرة، وكونها ضمة قرينة الرفع، فمن القواعد المنضبطة إعراب المرفوع الصحيح الآخر بالضمة، والعلامة الصوتية في نهاية الثاني: هي الحركة الطويلة، وهي قرينة الرفع مطلقا في الفعل، ما لم تكن ألفا فتدل عليه وعلى النصب بقرينة سياقية مخصصة.

يستنتج هنا أن علامة الرفع في الفعلين واحدة من جهة الصوت، وإن اختلفت من جهة الكمية الصوتية.

٢. *لم يكْتُبْ: س ح س /س ح س / حذف آخر الفعل للجزم.

*لم يَدْعُ: س ح س / س ح / حذف آخر الفعل للجزم.

علامة الجزم في الفعلين حذف الآخر، والمحذوف صوتيا واحد في الفعلين معًا، وهو حركة كما هو واضح في تحليل المقاطع الصوتية لهما، وترتب على هذا الحذف في الفعل الأول (لم يكتب) حذف جزء من المقطع الأخير (س ح) الذي اختتم به الفعل قبل الجزم، فانضم الباقي منه إلى المقطع الذي قبله فصار مقطعا مغلقا، أي منتهيا بساكن، لأن الحرف الساكن لا يستقل بمقطع، فصارت الكلمة مكونة من مقطعين مغلقين، والفعل مجزوم لوروده في موقع شأن المضارع فيه الجزم[١]، وعلامة جزمه سكون آخره بقطع الحركة عنه.

وفي الفعل الثاني (لم يدع) حذف جزء من المقطع الطويل (س ح ح) في نهاية الفعل، فصار الفعل مختوما بمقطع قصير، وعلامة الجزم واحدة في الفعلين من جهة الصوت، مع اختلافهما من جهة البنية الصرفية والمعنى، من قِبَل أن العلامة المقطوعة من الصحيح حركة زائدة عن بنية الكلمة، والمقطوعة من المعتل لام الكلمة، وكون علامة الإعراب أحد أصول الكلمة أمر تفرضه الطبيعة الصوتية والاستعمال، ولو كانت علامة الإعراب في (يدعو) و(يرمي) ضمة مقدرة لوجب أن تكون علامة جزمه حذف تلك الضمة المقدرة، كما كان حذف الضمة الظاهرة علامة الجزم في نحو (لم يضربْ) و(لم يذهبْ) فإذا قلت: (لن يدعوَ) و(لن يرميَ) كانت العلامة الفتحة،

---

١) انظر حاشية ابن حمدون على شرح الأزهري للأجرومية ٢٥.

لأن الحركة الطويلة هنا انقلبت حرفا صحيحا، يمكن تحريكه بالعلامة المطلوبة ، وهي ـ أي العلامة المطلوبة ـ لا تجانس الآخر، لأن الفتح لا يُجانس الواو ولا الياء .

فإذا قلت : (لن ينسى ولن يسعى) فالعلامة المطلوبة هي الموجودة في آخر الكلمة ابتداءً، ولا يمكن اجتلابها لآخر هذه الكلمة مرة أخرى، ولو قلبت الحركة الطويلة هنا إلى أصلها وهو الياء ، لوجب قلب هذه الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها. فتدور المسألة، ومن ثمَّ تكون علامة النصب ملابسةَ الكلمة لما يقتضي نصبها من قرائن السياق أو اللفظ أو الصوت، فإن ثبوت الفتحة الطويلة في نحو (يرضى) و(لن يرضى) مثل حذف النون في نحو : (لن يرضُوْا) و (لم يرضُوا)، ألا ترى أن الحذف هنا ليس هو العلامة الفارقة بين النصب والجزم ؟ وإن كان يستدل به عليهما معا، فكذلك ثبوت آخر الفعل على الفتح الطويل يستدل به على الرفع والنصب، وإن لم يكن فارقا بينهما صوتيا، والقرائن الدالة على الإعراب لا ينبغي أن تقصر على هذه الحركات فقط، ففي كثير من المواضع لا تكون الحركة دالة على إعراب بعينه في الكلمات المعربة .

٣ـ ﴿لن يكْتُبَ : س ح س / س ح /س ح /ــــــــــ◄علامة الإعراب .

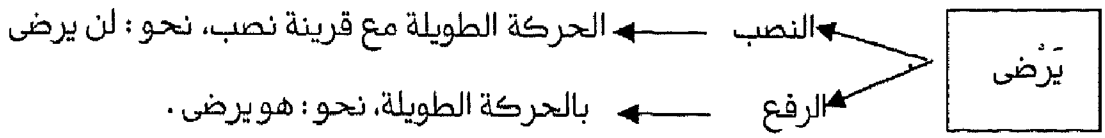
﴿لن يدعوَ : س ح س / س ح / س ح /ــــــــــ◄علامة الإعراب .

الفعلان منصوبان وعلامة النصب واحدة، هي الفتحة، والفعل الأخير (لن يدعو) لما كان مختوما بحركة طويلة ـ وهي لا تقبل التحريك لضعفها[١]، ولا تناسب علامة النصب فيكتفى بها عن علامة النصب ـ قلب الجزء الأخير منها واواً لمناسبة الواو للضم لاتحادهما في المخرج، فصار حرفا ساكنا فأمكن تحريكه بحركة الإعراب، وهي الفتحة فحرك بها، فصار مساويًا للصحيح صوتيا، متفقا معه في علامة الإعراب، وعدد المقاطع الصوتية .

وإذا كان الفعل المضارع معتلا بألف فالألف من مخرج الفتحة، ولا يوجد حرف هو من مخرج الفتحة من غير اختلاف ما سواها فتقلبَ إليه، ولذلك تبقى الألف هنا مشتركة بين الرفع والنصب، وتتجرد للنصب بقرائن أخرى لفظية وموقعية، كما يبين الرسم الآتي:

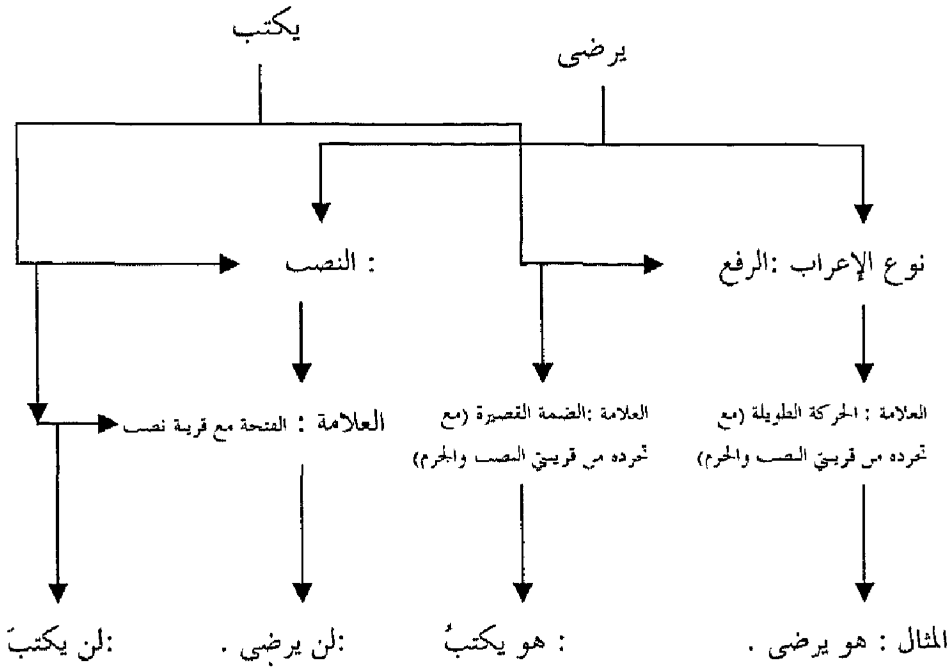
---

١) الخصائص ٢ /٢٩٤.



ولو تأمل الإنسان لوجد أن الفرق قليل جدًا بين علامتي الإعراب هنا، وهو لا يتجاوز البنية السطحية، وليس ثمة ما يستدعي تقدير شيء، ولعل الأمر يكون أجلى بإجراء مقارنة بين هذا الفعل المعتل بالألف، والفعل الصحيح الآخر، من جهة العلامات الإعرابية.

والرسم الآتي يبين عناصر الاتفاق والاختلاف بينهما، كما يبين العلاقة الصوتية بين الفعل المعتل الآخر والصحيح الآخر إذا كانا معربين:

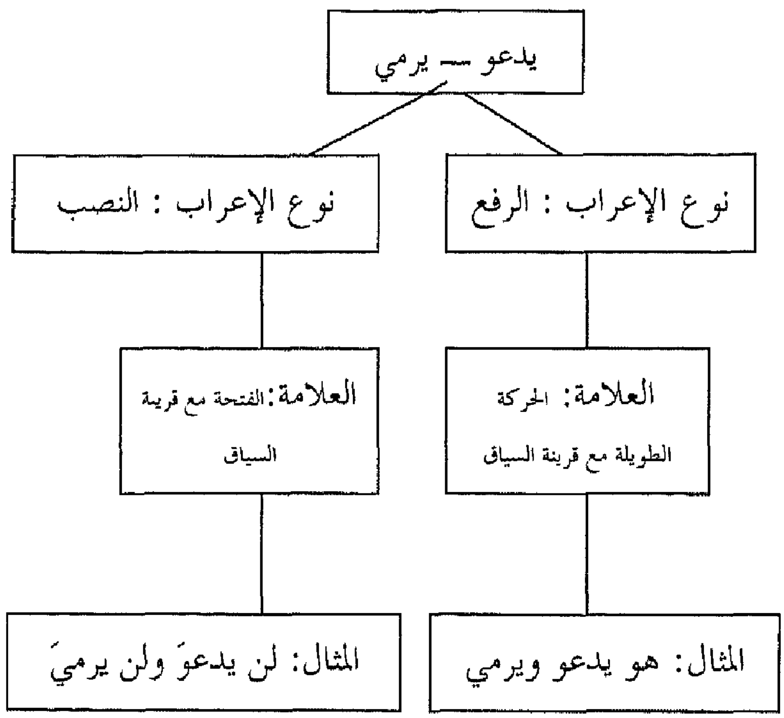


يُلحظ هنا أن الإعراب تام في الفعلين كليهما، ولم ينقصه شيء، وأنه لا يوجد فارق بينهما في حالتي الرفع والنصب من جهة العلامة الإعرابية إلا في كمية الحركة، فهي طويلة في المعتل قصيرة في الصحيح، وكلتا العلامتين ظاهرة، ومرتبطة بالموقع الإعرابي، الذي يحدده السياق والقرائن الأخرى، وهذا ما سبق بيانه في (التمهيد) من أن القرائن الصوتية لا تؤدي

وظائفها النحوية إلا إذا حلت مواقعها الصحيحة في التركيب اللغوي، لأنها فونيمات استبدالية .

وهذه المقارنة ـ مع التحليل السابق للمقاطع الصوتية للفعلين ـ تبين استيفاء أجزاء الإعراب من غير حاجة إلى تقدير شيء، وهي نتيجة حتمية لهذا الإجراء .

وفي مقارنة حالتي النصب والرفع في المعتل الآخر بغير الألف تظهر النتيجة نفسها، كما يبدو في الرسم التالي :



يستنتج هنا أن نوع الإعراب تدل عليه القرينة الصوتية، وهي هنا الحركة قصيرة أو طويلة، كما يدل عليه السياق، وقد تدل عليه القرينة الصوتية وحدها دون السياق، نحو قول الله تعالى ﴿لولا أخّرْتني إلى أجَلٍ قريبٍ فَأَصَّدَّقَ وأكُنْ من الصالحين﴾[1] فإن السكون في ﴿أكنْ﴾ يدل على الجزم، وبه قرأه

١) المنافقون (١٠)

جمهور القراء،[1] وظاهر السياق يرشح نصبه عطفا على ما قبله، وبه قرأه أبو عمرو البصري[2]، ومن ذلك رواية نصب الفعل (تسمع) من القول المشهور" تسمعَ بالمعيدي خير من أن تراه"[3]، لا يدل على النصب هنا سوى القرينة الصوتية، والسياق يوافق رواية الرفع .

ومن دلالة القرينة الصوتية وحدها على نوع الإعراب قول الشاعر :

ألم يأتيك والأنبـــاء تنمي   بما لاقتْ لَبُونُ بني زيادِ[4]

طول الحركة في (يأتيك) قرينة الرفع، والسياق هنا للجزم، ومثله قول زهير :

وإنْ أتاه خليل يوم مسألةٍ   يقولُ لا غائب مالي ولا حَرِمُ[5]

دلت الضمة في (يقولُ) على الرفع، والوجه على ظاهر السياق الجزم.[6]

والسبب في هذا أن القرينة اللفظية أو الصوتية هنا لا أثر لها في المعنى الذي يحمله السياق اللغوي، ومن ثَمّ لم تتحتم موافقتها له، فتخلفت عنه مؤدية وظائف أخرى صوتية ولهجية وتصريفية، أو غيرها، كما يحصل عند الوقف والتقاء الساكنين والنقل والإدغام .

وقد يعكس الأمر فيكون السياق وحده دليل الإعراب دون الحركة الإعرابية، عندما تحذف الحركة لأجل الوقف أو عارض صوتي آخر، أو تكون الكلمة محركة بحركة أخرى غير التي يتطلبها الإعراب، ونحو ذلك .

---

1) انظر السبعة ص ٦٣٧.
2) السابق ، و الدر المصون ١٠/٣٤٤، والتبيان في إعراب القرآن ١٢٢٥/٢.
3) سيبويه ٤٤/٤، وتعليق الفرائد على تسهيل الفوائد للدماميني ، تحقيق الدكتور محمد المفدى ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ، ٢٨٩/١
4) من الوافر ، لقيس بن زهير ، انظر : سيبويه ٣١٦/٣، والخصائص ٣٣٣/١ وسر الصناعة ٧٨/١
5) ديوان زهير ص ١١٥، شرح علي فاعور الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ دار الكتب العليمة . بيروت.
6) انظر سيبويه ٦٦/٣

وتبين من هذا العرض أن دلالة الحركة الطويلة على الإعراب كدلالة القصيرة عليه، وأن حاجة الحركة الطويلة إلى قرينة السياق أو عدمها كحاجة القصيرة إليه، ولا فرق بينهما، وهذا كله يغني عن التقدير، وتتجمع به قرائن كل نوع إعرابي تحت قاعدة واحدة مطردة، وهي كون الحركة الإعرابية حركة ظاهرة دائما طويلة أو قصيرة، مع قرينة السياق أحيانا، وبدونها حينا آخر، كما في الأمثلة المتقدمة .

ومما تقدر عليه الحركات : المقصور والمنقوص :

٤. ﴿جاء القاضي :س ح ح / س ح ح /

﴿جاء الفتى : س ح / س ح ح /

أوجه الشَّبه الصوتية بين الكلمتين :

١- كل واحدة مكونة من مقطعين .

٢ - كل واحدة منتهية بحركة طويلة .

نوع الإعراب : الرفع، وعلامة الرفع هنا معنوية فقط، وهي دلالة السياق، أما القول بأن سبب عدم تحريك آخر المعتل هو الثقل على الياء والواو، والتعذر على الألف، فلا يتفق مع التحليل الصوتي، **لأن حرف العلة إذا كان مدا فهو في حكم الحركة**[1]**، والحركة لا تتحمل حركة**[2]، فهو مانع صوتي تستوي فيه حروف المد الثلاثة، فكلهن متعذر تحريكه، وأما إبدال الكسرة ياء والضمة واوًا فحال أخرى، غير حال المد، والصامت غير الصائت، ومع ذلك فإن هذا الإبدال ممكن في الألف كما أمكن في أختيها، فلو قيل إن الأصل : قاضيٌ وقاضيٍ، ويدعوُ ويرميُ، فإنه يقال أيضا في الألف إن الأصل : فَتَيٌ وفَتَيٍ، ويرضَيُ وعَصَوٌ وعَصَوٍ، فاستثقلت الضمة والكسرة ها هنا كما استثقلتا هناك، ولا فرق، أو يقال لم تحرك الألف لوجود موجب الإبدال[3]، لا للتعذر، إذ المقصود أصلها وهو الواو أو الياء لا الألف بعينها، كما هو المقصود في أختيها.

١) انظر الرعاية ص٢٦٠، و مفاتيح العلوم للخوارزمي ٦٧.

٢) انظر الخصائص ٢/٢٩٤.

٣) لأنها متحركة مفتوح ما قبلها .

فثبت أن المانع من تحريك هذه الحروف مانع صوتي واحد، **وعلامة الإعراب إذا كانت حركة فلا تلي إلا حرف إعراب صامتا لا صائتا**، وهذه قاعدة يفرضها الواقع اللغوي وحقائقه الصوتية، وتغني المعربين عن تقدير علامات الإعراب، إذ الغرض من التقدير : رد الفرع إلى أصله ليأخذ حكمه[1]، وإعطاء المعدوم حكم الموجود[2]، وقد عُلِمَ أن هذه الحروف أصول بطبيعتها الصوتية مستقلة بأحكامها،وليس ثمة معدوم يُحتاج إليه بعد فهم معنى الكلام ووجه إعرابه، والموقع الإعرابي يعد دليلا كافيا على الإعراب في هذه الكلمات وأمثالها، وإذا قام الدليل على الإعراب فلا وجه لتقديره، لأن ما قام الدليل عليه لا يُقدَّر[3]، ومن ثَمَّ لم يقدروا حركات الإعراب على المثنى وجمع المذكر السالم، لدلالة الحركات الطويلة - أو الواو والياء - عليه، مع عدم وجود العلامة الأصلية، ومن المعلوم أن هذه الحروف تأتي دالة على نوع الإعراب مع كونها لامات لكلماتها، كما هو شأن الأسماء الستة[4].

وتقدر الحركة على المنوّن أيضا من المنقوص والمقصور :

٥ - ﴿جاء قاضٍ: س ح ح / س ح س / ——→ التنوين .

﴿جاء فتىً: س ح / س ح س / ——→ التنوين .

قصرت الحركة في نهاية المقطع الطويل الأخير، ليحل التنوين محل الجزء الذي قطع من الحركة، لأن التنوين حرف ساكن لا يقع إلا بعد حركة قصيرة، وإذا وقع بعد حركة طويلة صار نونا محركة، نحو : قاضين - مسلمون - مسلمان، وكذلك إذا وقع بعد صامت، نحو : قاضِيَيْنِ - رجُلَيْنْ - مصطفَوْن ......

ونوع الإعراب في هاتين الكلمتين : الرفع، بقرينة السياق الموقعية، وهي هنا الفاعلية، ولا علامة لفظية تدل هنا على نوع الإعراب، لأن آخر الكلمة تنوين يلي حركة قصيرة، وتلك الحركة لا تدل على إعراب، مثل

---

١) انظر نظرية الأصل والفرع في النحو العربي ١١٦.

٢) التبيين للعكبري ١٧١.

٣) التبيين للعكبري ٢١٠.

٤) السابق ١٧١.

حركة الفعل في : لم يدعُ ولم يرمِ، حيث قصرت الحركة الطويلة ـ وهي حركة إعراب ـ فبقي ما يدل على نوعها، وهو جزؤها الأول، وكذلك في (فتًى وقاضٍ) لما حذفت لام الكلمة ـ وهو المدة ـ لأجل التنوين بقيت الحركة التي قبل التنوين دليلا على الجزء المحذوف منها .

والإعراب هنا كسابقه في الأفعال المعتلة من جهة كون المعرب لا يُحتاج فيه إلى تقدير شيء لإتمامه وإيضاحه، كما لا يحتاج إلى تقدير نون الرفع المحذوفة لالتقاء الساكنين في نحو: لَتَرَيِنَّ ولتَسْعَيِنَّ ولَتَسْمَعُنَّ، فهذه الأفعال معربة حذفت علامات إعرابها لأغراض صوتية، للحوق نون التوكيد ـ غير المباشرة ـ بكل فعل، كما لحق التنوين بنحو(فَتًى وقاضٍ)، وهذا ما دعا بعضَ النحويين إلى تسمية المقصور والمنقوص في حالي الرفع والجر مبنيا في اللفظ دون المعنى[1]، لأن المنطوق فيه ليس سوى حركة واحدة قصيرة أوطويلة، فإذا قصرت ـ أو اختصرت على ما اختاره بعض الباحثين في الصوتيات[2]ـ كان ذلك إذهابا للام الكلمة، ولا خلاف في أن ما قبل اللام ليس إعرابًا .

ويرى بعض الباحثين التفريق بين المنقوص والمقصور في حال التنوين، فذهب إلى أن الكسرة الطويلة في المنقوص صامت متوسط وليست حركة، واستدل بظهورها في حال النصب نحو : رأيت قاضيًا[3]، وهذا التفريق لا مبرر له، ولا يؤيده التحليل الصوتي الذي مر قبل قليل، فإنه لا فرق ـ صوتيا ـ بين الألف في (فتى) والكسرة الطويلة في (قاضي) من قبل أنَّ كُلًّا منهما امتداد حركة وإشباعها، وأما الاستدلال بانقلابها ياء في النصب نحو (رأيت قاضيًا) فإنه لا دليل فيه ؛ لأن المقتضي له من الجهة التصريفية هو نفسه الموجود في نحو (رأيت القاضيَ) من غير تنوين، ولأن وصفها بـ(حركة طويلة) سببه الواقع الصوتي المنطوق، فإذا تغير ذلك الصوت لم تلزمه تلك التسمية، ومثلها في هذه العلة الألف ـ أيضًا ـ حين تنقلب إلى أصلها ؛ فتصير ياء

---

١) انظر التهذيب الوسيط في النحو لابن يعيش الصنعاني بتحقيق فخر قداره ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ بيروت ، ص٨٤.

٢) انظر : دراسة في قواعد النحو العربي في ضوء علم اللغة الحديث ١٤٣– ١٤٥.

٣) السابق ١٤٩.

فـي التثنيـة والجمـع، نحـو (فتيـان) و (فتيـات)، وتـصير واوًا فـي نحـو (قنـوات) و(عـصوان) فـي : (قنًـا) و (عـصًا) . والـذي يبـدو أن القائـل بهـذا التفريـق - بـين المنـون وغيـر المنـون مـن المنقـوص والمقـصور - حمله علـى ذلـك أنـه لا يقـول بالحذف إذا قصرت الحركة الطويلة، بل يسميه - كما مرّ - " اختصارًا كميا"[١]، لأنـه يـرى أن الحركـة لـو حـذفت لـسكن مـا قبلهـا[٢]، والجـواب عـن هـذا أن المحـذوف هنـا إنمـا هـو جـزء مـن الحركـة لا الحركـة برمتهـا، لأن إذهـاب الحركة الطويلة هو نفسه عدم مدها، فمتى لم تمد الحركة فهي قصيرة، وإذا كانت ممدودة ثم كُفّ مدها واقتصر فيها على حركة واحدة، سمي ذلك قصرًا لها واختصارًا وحذفًا لامتدادها، وكل ذلك يرجع إلى معنًى واحد في الواقع النطقي، ومن ثم صرح النحويون بأن " التنوين يذهب الألف من اللفظ"[٣]، مع أن الألف جزء من فتحة تبقى بعد حذفه، وأما سكون الحرف بعد حذف الحركة فخاص بالحركات القصار، لأنهن لا يقبلن التجزئة، وهذا مشاهد ولا يحتاج إلى استدلال .

و"الـصامت المتوسـط" المـشار إليـه يـراد بـه الـواو واليـاء الـصامتتان، وهمـا المتحركتان، والساكنتان المفتوح ما قبلهما، نحو : ولد - بيْت - قوْم - عليْه - يوْم[٤].....وهمـا فـي هـذه الحـال كـسائر الحـروف الهجائيـة الـصامتة حكمـا ونطقـا، لأنهمـا يحركـان ويُسكّنان ويدغمان، ومن جهة النطق لهمـا حيز محدد يخرجان منه مع ما يجانسهما، فالياء تجانسها الجيم والشين، والـواو تجانسها حروف الشفتين، ومن المعلوم أن حروف المد غير متحيزة ولا محـددة المخـرج كحـال الـصوامت[٥]، **وهـؤلاء القـائلون بهـذا التوسـط حملهم عليه أمران:**

الأول: مجانسة هذين الحرفين للضمة والكسرة في المخرج.

---

١) السابق ١٤٤- ١٤٥.

٢) السابق ٩٣.

٣) المنصف ٧١/٢، وانظر التبيين للعكبري ١٨٦ - ١٨٧.

٤) انظر : علم الأصوات لكمال بشر ٣٦٨-٣٧٤، و الأصوات العربية بين اللغويين والقراء لمحمود زين العابدين ٦١،٦٩.

٥) انظر : المنح الفكرية ٢٢- ٢٣، ومدخل إلى التصوير الطيفي للكلام ٢٠٥- ٢٠٦.

الثاني : أن علماء العربية يسمون هذه الياء متوسطة،لخروجها من وسط اللسان مع الشين والجيم[1]، ولا علاقة لهذا التوسط بالمتوسط بين الصوامت والصوائت، وأما مجانستهما للضمة والكسرة فلا يسلبهما صفاتهما ولا مَخرجَيْهما حال كونهما صامتين[2]، لتحملهما جميع ما تتحمله الحروف الصوامت من الحركات والسكون والإدغام . كما سبق . ولو صحت تسميتهما بالصامتين المتوسطين لهذا السبب المذكور، لصح ذلك مع الهمزة أيضا ؛ لمجانستها للألف[3]، حتى إن الناطق إذا مد الألف فلا ينقطع صوته إلا على همزة، وتتعاقب معها في بعض المواضع[4]، وحتى إن العرب الفصحاء أداهم الذوق إلى كتابتها ألفا في بداية الكلمة مفتوحة ومضمومة ومكسورة، نحو: أخذ . أُحُد . إبراهيم[1]، بل إن الهمزة أحق بهذه الوسطية بين الصوامت والصوائت ؛ لما ثبت في علم اللغة الحديث من نتائج التصوير الطيفي للأصوات أن الهمزة تشترك مع الحركات الثلاث، إذ تبدأ بها معالم كل حركة حين خروجها[5]، والمقصود أن الحرف قد يشارك غيره في المخرج أو في الصفات، أو فيهما معًا، مع اختلاف يسير. كشأن الثاء والذال والظاء مثلا . ولا يستدعي ذلك إخراجه من طبيعته الصوتية وحقيقته المستعملة في اللغة .

ومع التسليم بتوسط الياء في نحو : (بيت ويوم) فإن ذلك لا يسوّغ حمل الكسرة الطويلة عليها ؛ من جهة الصوت والأحكام التي تخص الصوامت .

والخلاصة أن الاسم المقصور أو المنقوص إذا نوّن مجرورًا أو مرفوعًا حذف آخره، وكان موقعه في السياق هو الدال على إعرابه، وليس له علامة لفظية تدل عليه، ومثله في هذا الاسم المضاف لياء المتكلم حينما تكون

---

1) انظر مع ما سبق : سر الصناعة ١/١٩– ٢٣.

2) انظر : سيبويه ٤/٣٨٤.

3) انظر : سر الصناعة ١/٤١– ٤٣.

4) انظر : الخصائص ٢/٣١٨.

5) انظر : التشكيل الصوتي للعاني ٩٦ ٩٧، و البنية الصوتية للكلمة العربية لعبد القادر جديدي ٥٠.

إشباعا للكسرة، فإن الحرف الذي قبل هذه الكسرة لا يتحمل حركة أخرى غيرها، لأن الحرف الواحد لا يتحمل حركتين لا متفقتين ولا مختلفتين[1]، فلما كان الأمر كذلك كان الدليل على نوع إعرابه قرائن أخرى، والإعراب قد تدل عليه الحركة وحدها، نحو: (أكرم خالدًا سعيدٌ)، كقوله تعالى ﴿ولقد جاء آلَ فرعون النذُرُ﴾[2] لا دليل على الموقع الإعرابي هنا إلا الحركة،وقد تدل الحركة على نوع الإعراب دون الموقع، ومنه قول الشاعر:

سأترك منزلي لبني تميم ... وألحق بالحجاز فأستريحا[3]

فنصب (أستريحَ) والموقع للرفع، وقول زهير:

بدا لي أني لستُ مدركَ ما مضى ... ولا سابقٍ شيئًا إذا كان جائيا[4]

فجر (سابق) والموضع موضع نصب، ونظّر له الخليل بقوله تعالى ﴿فأصّدّقَ وأكُنْ من الصالحين﴾[5] حيث جزم في موضع ظاهره النصب[6]، وكقول الراجز: [7]

قد سالم الحياتُ منه القدَما ... الأفعُوانَ والشجاعَ الشجعما

فنصب (الأفعوان والشجاع) وموضعهما رفع، ونقل ابن الأثير عن المبرد القول بجواز التكلم بهذا في غير الشعر [8].

وسبب تخلف الحركة الإعرابية هنا عن الموضع الإعرابي إما لعدم تأثر المعنى، وهذا ظاهر . وقد عُرف عن العرب في مواضع من كلامها قلة

---

١) سر الصناعة ٢٧/١، وانظر: الإيضاح للزجاجي ٧٦، واللباب للعكبري ٥٩/١.
٢) سورة القمر (٤١).
٣) بيت من الوافر للمغيرة بن حبناء ، انظر: سيبويه ٣٩/٣، والمقتضب ٢٢/٢ وخزانة الأدب ٥٢٢/٨.
٤) البيت من الطويل، ورد في ديوانه ١٤٠، وسيبويه ١/ ١٦٥ و ١٠٠/٣.
٥) المنافقون (١٠)
٦) سيبويه ٣/ ١٠٠-١٠١ .وانظر الخصائص ٤٢٤/٢.
٧) هذا الرجز ينسب للعجاج، وورد في ملحق ديوان العجاج ص٤١٧، تحقيق الدكتور سعدي ضناوي ،ط١، ١٩٩٧، دار صادر، بيروت .
٨) البديع في علم العربية لابن الأثير بتحقيق صالح العايد ٨٣١/٢- ٨٣٣ (مخطوط).

الاكتراث باللفظ إذا صح المعنى[1]. وإما لاعتبار وظائف صوتية كالتخلص من الثقل في النطق، ومراعاة الوزن في الشعر، ونحو ذلك .

وقد يكون الدال على نوع الإعراب الحركة مع السياق، نحو: "محمدٌ أمينٌ" وهذا أحسن وأقوى لتضافر القرائن عليه، ولذلك كان هو الغالب الشائع في كلام العرب، وقد لا يدل عليه إلا السياق نحو : (عيسى نبيٌ)، فإن الدال على الرفع في (عيسى) هو الموقع الإعرابي في السياق فقط.وهكذا يقال في المنوّن نحو: (هدًى) و(والٍ)ونحو ذلك.[2] والتحليل الصوتي لمقاطع هذه الكلمات يوافق مبانيها الصرفية، ولا يخل بمعانيها المعجمية، ولا بوظائفها في التركيب،وإذا وضحت هذه الأمور فليس وراء ها للإعراب مطلب، ولم يكن ثمة ضرورة لتقدير شيء .

و مما تقدر عليه الحركات : المضاف لياء المتكلم :

٦. *جاء أخي: س ح / س ح ح /

موقع كلمة(أخي) الرفع، لأنه فاعل، فالمعنى (الوظيفة) هو الذي دل على الإعراب، ولا يحتاج المعنى إلى شيء آخر، وآخر الكلمة كسرة طويلة، وتقدم أن الحركة طويلة كانت أو قصيرة لا تتحمل حركة[3]، فإذا أبدلت حرفا صامتًا اختلف المنطوق فاختلف الحكم، نحو: (كتابِيَهْ) . (سلطانِيَهْ) . (مالِيَهْ) صار الصوت الطويل في : (كتابي . مالي . سلطاني) حرفا صامتا مبنيا على الفتح، وصار ما قبله حركة قصيرة، لأن الضمير الذي هو الإشباع من جهة الصوت أبدل حرفًا صامتًا من جنسه، وبقي ما قبل الياء على كسره لمناسبة الياء، ولا أثر لذلك في الموقع الإعرابي، لأنه هنا غير مرتبط صوتيا بحركة الآخر.

ولكون المضاف لياء المتكلم في انكسار ما قبله يلزم حركة واحدة في جميع المواقع الإعرابية، ذهب بعض النحويين إلى أنه مبني[4]، لإضافته إلى

---

١) الخصائص ٢/ ٤٢٣،٤٢٠.

٢) انظر : العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث ١٥٧.

٣) الخصائص ٢/ ٢٩٤.

٤) أمالي ابن الشجري ١/ ٤.

مبني، أو مبني في اللفظ دون المعنى، وبعضهم يرى أنه واسطة لا مبني ولا معرب[١]، على خلاف بينهم في صحة هذه التسمية.[٢] وليس من شأن هذا البحث مناقشة مثل هذه المسألة، ولكن المراد بيان الحقيقة الصوتية لهذه الكلمات،لمعرفة الإعراب الموافق لهذه الحقيقة الصوتية .

والخلاصة:

١. أن اللغة التي نَصِفها ونفسرها ـ أو نعربها ـ قرائنها الحركية أصوات منطوقة، والصوت المقدر غير منطوق، فهو في حكم المعدوم لا الموجود، لأنه لا حقيقة له من جهة الاستعمال، ولا يتضمنه معنى التركيب، و"المقصود من الكلام ما يحصل من الفائدة عن التخاطب، والتخاطب لا يكون إلا بالمركب"[٣]، والمركب غير الظاهر لا يكون علامة دالة .

٢. أن العلامة الحركية صوت يُستدل به على شيء، والمقدَّر لا يصلح دليلا لأنه غير محسوس، ولا فائدة من تقدير الحركة، لأن تقديرها لا يساعد على إعراب، ولا يدل على وظائف الكلمات في السياق[٤]، وهو مع ذلك نوع من الإضمار، والإضمار خلاف الأصل[٥]، ولا توجد كلمة في اللغة يُستدل على إعرابها بحركة مقدرة، ولو كان ذلك حاصلا لما وجب اعتبار الرتبة في نحو: (أكرم عيسى موسى).

٣. أن أصل التقدير هو حمل ما لا تظهر عليه العلامة على ما تظهر عليه، والأولى أن يحمل الشيء على نظيره، لا على ما يغايره، والكلمة التي يلزم آخرها حالة واحدة إن لم تكن مبنية فنظيرها من جهة اللفظ المبني لا المعرب، والعلامة الحركية لفظ لا معنى .

---

١) الخصائص ٢/ ٣٥٦. والتهذيب الوسيط ٨٤، و التذييل والتكميل ١/ ١٩٨، والهمع ١/ ٥٨، والأشباه والنظائر ٢/ ٣٩.

٢) انظر: اللباب للعكبري ١/ ٦٧. ومن الطريف أنه ذكر أن بعضهم يسميه (الخَصِي) ثم رأى هو أن الأولى أن يسمى (الخنثى المشكل)!

٣) التبيين للعكبري ١٧٠.

٤) انظر العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث ١٥٨.

٥) الأشباه والنظائر ١/ ١٧١.

٤. أن تقدير الحركة أحيانا يكون على حرف متحرك نحو: (أخي) ولا يجوز جمع علامتين على حرف واحد، وإن اختلفتا نوعا وجنسا أو ظهورا وتقديرا، كما تقدم.

وأحيانا يكون على ما يستحيل تحريكه كالألف، وهذه الألف من جهة الصوت حركة طويلة والحركة لا تقدر عليها حركة كما لا تظهر عليها، وأحيانا يكون تقدير العلامة على حرف محذوف، نحو: هذا قاضٍ، والحرف المحذوف غير منطوق به، والإعراب ينبغي أن يكون منبئا عن المعاني الناشئة عن التركيب، وعن وظائف الكلمات في السياق، وكل ذلك مبني على الحقيقة الظاهرة للمنطوق، لأن الإعراب تفسير وإيضاح، والمحذوف مستغنى عنه.

٥. أنه لو جاز تقدير الحركة لجاز تقدير السكون، لأنه مثلها في الوظائف الإعرابية، ولقيل في نحو بيت زهير:

وإن أتاه خليل يوم مسألة يقولُ لا غائب مالي ولا حرِمُ[1]

و في بيت جرير البجلي:

يا أقرعْ بن حابس يا أقرعُ إنك إنْ يُصرَعْ أخوكَ تصرَعُ[2]

إن (يقول) و(تصرعُ) كل منهما مجزوم، وعلامة جزمه السكون المقدر منع من ظهوره اشتغال المحل بالحركة المناسبة للوزن !! وأمثلة ذلك كثيرة، وهذا لازم لمن تمسك بالإعراب التقديري، وإن لم أقف على قائل به، لأن العلامة المطلوبة غير الظاهرة، كما هو شأن المعتل والمبني.

٦. وإذا سلمنا بجواز تقدير الحركة على المعتل الساكن، فلا مانع من القول بجواز تقديرها على الصحيح الساكن، كقول الراعي:

تأبى قضاعة أنْ تَعْرِفْ لكمْ نَسَبًا وابنا نزار فأنتم بيضة البلدِ[3]

---

١) البيت من البسيط، ديوانه ص ١١٥.

٢) البيت من الرجز، انظر سيبويه ٣/ ٦٦-٦٧.

٣) من البسيط، ديوان الراعي ص٧٩ تحقيق راينهرت، دار صادر، بيروت ١٤٠١هـ.

فيقال إن (تعرفْ) منصوب وعلامة نصبه الفتحة المقدرة ! ونظيره في الكلام حذف الحركة على آخر الموقوف عليه، فلما لم تُقَدَّرْ عليه الحركة مع أن السياق يقتضيها علِم أنه لا ضرورة لهذا التقدير أيضا في نحو: لن يرضى، وأشباهه.

٧. أن الكلمة الصحيحة الآخر مبهمة ؛ لإمكان تحريكها بأي حركة موافقة لإعرابها أو غير موافقة، ولذلك احتاجت إلى علامة تزيل هذا الإبهام وتحدد موقعها الإعرابي، ويكون بها النطق صحيحا، فلو قلت : (كلم خالدْ بكرْ) لكان هذا إبهاما، إلا إذا بينت بقرائن أخرى حالية أو مقالية، ولو استعان المخاطب بقرينة الرتبة ففهم أن (خالد) هو الفاعل، لم يكن ذلك مُخَلِّصا للمتكلم من الخطإ واللحن في اللغة حتى يحرك الفاعل بحركته التي حركته بها العرب، والمفعول بعلامته المخصصة، أما الكلمة المعتلة الآخر فليس شأنها كذلك ؛ لأن آخرها غير مبهم الحركة، وطريق نطقها واحد، لأنها تلزم حالة واحدة، ولا فرق بين حروفها وحركاتها، فالخطأ عليها مأمون، ولا بد معها من قرينة مفهمة للمعنى، شأنها في ذلك شأن المبني، فتقدير الحركة عليها لا يساعد على إيضاحها.

ضوابط دلالة حركة الإعراب في التركيب

يتلخص مما سبق أنّ الضوابط التي يعتمدها هذا البحث في دلالة الحركة الإعرابية، في التراكيب اللغوية تتقيد بالأمور الآتية :

أولا : لا تعتبر حركة الإعراب دالة إلا إذا كانت ظاهرة، فإن لم تكن ظاهرة فلا دلالة لها.

ثانيًا: تدل حركة الإعراب عندما تقع مقابلة لأخرى تخالفها في الدلالة، أي : حين يتغير الإعراب أو الدلالة باسبتدالها بغيرها، وهو ما يسمى بالفونيم الاستبدالي، نحو (أكرم الرجلَ صديقُه) .

ثالثًا: إذا تماثلت الحركات الإعرابية كانت محل لبس في الغالب، فيكون الاعتماد على قرائن إعرابية أخرى غير الحركة، كما في قولهم " هذا جحرُ ضبٍّ خربٍ" وكالتباس الحال بالنعت في نحو : (سمعتُ متكلمًا جالسًا) لأن (جالسا) يصح كونه حالا من المسند إليه، ويصح كونه نعتًا لـ(متكلمًا). ونحو : (زيدٌ الجالسُ نفسُه)، فإن التوكيد هنا يصح كونه مخصصا للمسند إليه، أو للمسند . والحركة لا تعد هنا قرينة معينة للمؤكَّد.

رابعًا : تشترك حركة الإعراب مع غيرها من القرائن في الدلالة، من باب تضافر القرائن، وقد تستقل أحيانًا .

خامسًا: إذا غلبت قرائن أخرى في التركيب لفظيةً كانت أو معنوية، فإن حركة الإعراب لا تعد قرينة دالة ذات أهمية، نحو: جاء خالدٌ، وشرب العطشانُ ماءً، ولم يكتبْ زيدٌ، ومحمدٌ صادقٌ ......فإن القرائن السياقية هنا تطغى على قرينة الحركة في الدلالة.

سادسًا : لا فرق بين الحركة القصيرة والطويلة، في الدلالة على الإعراب، فيما توافق فيه الحركة الطويلة نوع حركة الإعراب، كرفع المضارع المعتل بالضمة الطويلة(الواو) . فإن لم توافق احتاج نوع الإعراب إلى قرينة أخرى تدل عليه، كما هو شأن المضارع المعتل بالألف في حال الرفع .

سابعًا : لا تدل حركات الإعراب إلا في تركيب فصيح صحيح، لأنها حينئذ تعد جزءا من التركيب النحويّ، من جهة كون هذه الحركات هي الروابط للعلاقات الكائنة بين الألفاظ.

ثامنًا : المعتمد في تحديد نوع الحركة الوظيفية هو المعنى التركيبي، وليس ما يسمى بـ(العامل النحويّ) بناءً على أن الحركة الإعرابية قرينة تدل على معاني تركيب الكلام، والتركيب الفصيح الذي يتضمنها هو الذي يفرض نوعها، لأنه هو المنبئ عن أغراض المتكلم، هذه هي القوانين العامة التي تتلخص مما سبق تفصيله، وعليها مدار دلالة الحركة الإعرابية في التركيب. وجميع هذه العناصر تقدم شرحها والاستدلال لها.

ب ـ حركة البناء

تعريفها ومعانيها العامة ومواضعها

حركة البناء من جنس حركات الإعراب نفسها : الضم والفتح والكسر[1]، ولكنها تختلف عنها بلزومها وعدم قبولها للتغيير، فهي لازمة لزوم البناء لمكانه[2]، ومن ثم سميت الكلمات معها مبنية، وينطبق عليها جميع ما سبق في حركات الإعراب من جهة الأحكام الصوتية، ومن جهة كونها صائتا مصاحبا للحرف الصامت، واقعًا بعده، وله وظيفته الخاصة، وتعد طارئة على الحرف مع لزومها له، إذ الأصل في الحرف عدم الحركة، وقد تنبه الخليل رحمه الله لذلك، فقد نقل عنه سيبويه. في معرض حديثه عن حركة البناء .أنه قال : " الفتحة والكسرة و الضمة زوائد، وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به، والبناء هو الساكن الذي لا زيادة فيه، فالفتحة من الألف والكسرة من الياء و الضمة من الواو، فكل واحدة شيء مما ذكرت لك "[3].

يريد أن هذه الحركات تزاد على الحروف الصوامت التي منها بُني الكلام، فإن الحرف المجرد من الحركة هو البناء الساكن (الصامت) فإذا حُرّك كانت تلك الحركة زيادة عليه، أعني زائدةً على المبنى المنطوق الأول، وهو

---

١) شرح المفصل ١/١٤ و التذييل والتكميل ١/١٩٨.

٢) انظر الخصائص ١/٣٧ والتهذيب الوسيط ٨٥.

٣) سيبويه ٤/٢٤١ـ٢٤٢.

الحرف الصامت، ولم تجعل الحركة أصلا - كشأن الساكن - لأنها لا تستقل عنه في الوجود، أما الساكن فيمكن وجوده بدون حركة، ومن ثم اعتبرت زائدة عليه، يُجاء بها عند إرادة التركيب.

ثم ذكر أن هذه الحركات مشتقات من الحروف المجانسة لهن في المخرج، مستدلا بذلك على زيادتهن، مع أصالة أصولهن التي هي حروف المدّ[1]، هكذا يظهر من نص كلامه، وهذا مبني على ما ذهب إليه وتبعه عليه النحويون من أن الحركة الطويلة تعدّ حرفًا ساكنًا، كسائر الحروف الصوامت، وجعل ذلك - هاهنا - دليلا على زيادة الحركة على الأصول الساكنة، وهذه مسألة فيها نظر، وستأتي مناقشتها وافية في مبحث " الحركة الطويلة "، وأما مسألة كون الحركات - من جهة الصوت - جزءا من حروف المد، فهي مما أوضحه ابن جني إيضاحًا مفصّلاً[2]، ووافقه عليه المحدثون[3]، وتقدم بيان ذلك في المبحث الذي قبل هذا.

واستدل أبو علي الفارسيّ لما ذكره الخليل وسيبويه، من زيادة الحركات على الحروف المحركة بها، قائلا : " الدليل على أن هذه الحركات ليست من أصول أنفس الكلم أنك تشتق من المصدر أبنية مختلفة، فتسقط الحركات التي كانت في المصدر، ولا تسقط الحروف التي هي غير الحركات ....فلو كانت الحركات أصولا لم تسقط كما لم تسقط أنفس الحروف ولم تتغير"[4].

وقد يبدو أن أبا علي هنا يومئ إلى ما يذكره البصريون من الاستدلال على أن أصل الاشتقاق المصدر، لا الفعل، وهي قضية غير مسلّم بها، وليس هذا محل الكلام فيها، ولكن ما ذكره هنا يصلح دليلا على زيادة الحركات عن الحروف الصوامت، من غير تفريق بين كون أصل الاشتقاق المصدر أو الفعل

---

1) انظر كلام السيرافي في هامش سيبويه ٤ /٢٤٢.

٢) انظر: سر الصناعة ١ /١٧-١٩.

٣) انظر دراسة السمع والكلام لسعد مصلوح ٢٠٩.

٤) التعليقة على كتاب سيبويه لأبي علي الفارسي ٤ /٢٥٥، تحقيق عوض بن حمد القوزي ، ط١، ١٤١٥هـ الرياض.

- كما يقول الكوفيون. أو المادة الصوتية المجردة، مثل أصوات الضاد والراء والباء، مجردة من الصيغة، في كلمة (ضرب) كما هو الظاهر.

ولا يبعد أن يكون هذا هو ما دعا النحويين إلى القول بأن القياس في كل مبنيّ أن يكون ساكناً [1]، وما حرّك منه فلأغراض صوتية كالتخلص من التقاء الساكنين، أو لطلب الإسراع، والتخلص من الثقل في النطق، أو تحاشيا للابتداء بساكن، ونحو ذلك. [2]

وعللوا ذلك بأن البناء لما كان ضد الإعراب، وجب أن يكون بالسكون الذي هو ضد الحركة، وأن الحركة زيادة مستثقلة بالنسبة إلى السكون فلا يؤتى بها إلا لضرورة تدعو إلى ذلك لتحريك المبني [3].

وهذه العلل المنطقية لا يمكن القطع بها، في تعليل اللغة، لبعدها عن طبيعتها، وأذهان الناطقين بها، ومن ثم كان الأظهر اعتبار حركات البناء أصولا كحروفها [4]، لأن الحديث هنا عن مفردات اللغة وصيغها، بعد تركيبها، ولا فرق بين أصوات الكلمة المبنية من جهة الوجود، فكلمة (أيْنَ). مثلا - لا فرق بين حروفها الصامتة وحركاتها في تكوينها من الأصل، وليس ثمة دليل منطقي على أن بعضها جيء به لعلة ما، أو أن له أسبقيةً على غيره، أو أن الناطق الأول بها راعى في بنائها شيئًا تحاشاه، كالتقاء الساكنين .....ونحو ذلك من العلل.

وهذا خلاف الحالة الأولى التي ذكرها سيبويه عن الخليل، وهي التفريق بين الحروف من جهة كونها حروفًا صامتة مستقلة، والحركات من حيث هي حركات مجردة لا استقلال لها عن الحروف، والحرف الواحد لا يبنى منه كلام، ولا دلالة له وحده من غير أن يكون مركبا مع الحركة.

ولحركات البناء من الخصائص والوظائف والسمات المميزة لها في اللغة، ما يجعلها ذات أهمية كبيرة، وفيما يلي أمثلة لذلك:

---

١) انظر: المقتضب ٢/٢، ٣/١٧٣، و شرح المفصل ٢/١٧ - ١٨.

٢) انظر: المرجعين السابقين.

٣) انظر: الموضع السابق من شرح المفصل.

٤) أعني أنهن أصول من حيث الوضع لا من حيث مصاحبتها لحروفها.

١ . تُعَدُّ حركات البناء فونيمات ضمن الصيغ المتنوعة، بمعنى أنها وحدات صوتية لها أثر في التفريق بين الصيغ الصرفية الأصلية، كصيغ الأفعال، والثلاثي والرباعي والخماسي من الأسماء، وصيغ الصفات، كالفاعل والمفعول، والصفة المشبهة وأمثلة المبالغة[1]، وهذه الحركات أصوات متعلقة بالمبنى، توصف بها الكلمات الصرفية، وتصنف على أساسها قبل تصنيفها من جهة الوظيفة التركيبية، أو الدلالة المعنوية التركيبية[2]، وأمثلة ذلك كثيرة، نحو: قَرَأَ. قُرِئَ. قُرْءٌ. قارئ. قَرَءَا. قرؤوا ـ قُرُوء. قُرّاء. قَرَّاء .... ولا فرق بين الحركة القصيرة والطويلة ـ في هذه الصيغ، وأضرابها ـ كلتاهما زائدة عن أصل الكلمة، والأصل في هذه المادة هو الأحرف الثلاثة :(ق .ر ـ أ) والحركات بعد ذلك تدخل لبناء الصيغ والصور التصريفية تبعا للمعاني المعنية للمتكلم[3].

٢. حركات البناء تشترك مع حركات الإعراب في تكوين الفونيمات الوظيفية، أو ما يسمى بالوحدات الصوتية الوظيفية، كدلالة الفتحة في نحو(لتسمعَنّ)، والكسرة في (لتسمعِنّ) والضمة في (لتسمعُنّ) مع كون الأولى علامة بُني عليها الفعل، وكونِ الأخريين دليلين على الفاعل المحذوف[4].

٣. إذا أطلقت حركة البناء في مقابل حركة الإعراب، فلا يراد بها إلا آخر حركة في الكلمة[5]، وهي حركة لام الكلمة، كقول النحويين : " الاسم معرب ومبني"

و" الحروف كلها مبنية" أو الكلمة الفلانية مبنية على كذا، ونحو ذلك من العبارات الدالة على أن المراد بالبناء ما يقابل الإعراب ، لا حركة

---

١) انظر : اللغة العربية معناها ومبناها ١٤٠– ١٤٥.

٢) انظر: الصوائت والمعنى في العربية ٤٤.

٣) انظر : الأشباه والنظائر ٧٦/٢، والصوائت والمعنى في العربية ٤٤– ٤٥.

٤) انظر الصوائت والمعنى في العربية ٢٤.

٥) انظر اللباب في علل الإعراب والبناء للعكبري ٦٦/١ و التبيين له ١٦١.

الأول ولا حركة الحشو[1]، وأشار بعض النحويين إلى اعتبار حركات غير لام الكلمة لا إعرابية ولا بنائية[2].

٤. ذهب بعض النحويين إلى أن حركات البناء لاحاجة إليها ولا تدل على معنى في المبني[3]، يريد أنها لم تجتلب لغرض، وهذا خلاف ما يبدو عند التأمل، وسيبرز ما لهذه الحركات من وظائف مهمة في الفصل الذي يلي هذا. ومن أمثلتها أن حركة آخر المبني مميزة بين المذكر والمؤنث في كاف الخطاب وتاء الفاعل نحو: إنكَ ـ إنكِ، وذهبتَ ـ ذهبتِ، ونحو: أنتَ،وأنتِ، وغير ذلك.

ولحركات أول الكلمة وحشوها وظائف مهمة على المستوى الدلالي في التركيب وغيره، بل إنها لا تقل أهمية عن حركات الآخر الإعرابية والبنائية في التفريق بين المعاني المعجمية والنحوية،نحو :(مَنْ) للاستفهام،و(مِنْ) أداة جر، و(مُنْ) فعل أمر من (مانَ يمون)، اختلفت المعاني باختلاف فونيم حركة الميم، ويتحكم كل فونيم في نوع الإعراب والجملة التي تقع بعده، فيقال مثلا : مَن هذا؟ استفهاما، و(مِن هذا قطعت) إخبارًا، و(مُنْ أهلَك) أي أنفق عليهم، من المؤونة .

وأما حركات الحشو فمثل دلالتها : حركات العين في أبنية الثلاثي : فعَل ـ فعُل ـ فعِل ـ وما يتبع ذلك من صيغ المضارع في حالتي التعدي واللزوم، وبناء صيغ الأسماء المتنوعة، ولا يخفى ما لها من دور في بناء هذه الأوزان واختلاف معانيها في الدراسة الصرفية والتركيبية، تأثرا بالأحوال الصوتية للفونيمات في كل مبنى صرفي يعبر عن معنى تقسيمي، كما في (مِنْ ـ مَنْ ـ مُنْ) أو تصريفي كالصيغ المتفرعة من جذر (فعل) عن طريق الحركات القصار والطوال[4]،أو معنى معجمي كما هو مشهور فيما يعُرف بمثلث

---

١) انظر : الإيضاح للزجاجي ٧٦، وشرح التسهيل ٥٣/١، وشرح المفصل لابن يعيش١٨/٢، وشرح الحدود للفاكهي ٣١٣، و الحدود للأبذي ٧٨، والصوائت والمعنى في العربية ٢٥.

٢) شرح الرضي على الكافية ٦٢/١، ١١٠/٢.

٣) اللباب في علل البناء والإعراب ٦٦/١.

٤) انظر اللغة العربية معناها ومبناها ٨٢–٨٥.

الكلام، نحو: سَلام .سِلام .سُلام،[1] حتى إن بعض العلماء ألفوا في هذا النوع المبني على اختلاف المعاني للكلمة الواحدة بسبب اختلاف حركاتها البنائية[2].

إن حركات البناء تعد مقابلا استبداليا[3] في كثير من الكلمات، وترتبط وظيفة الكلمة في التركيب بذلك المقابل، كما هو شأن الحركات الإعرابية[4]، وبيان هذا يظهر في استبدال حركات الكلمات المثلثة المشار إليها،وحركة الميم في (مَنْ) بضمة أو كسرة . كما تقدم . أو حركة التاء في (قرأتُ) بفتحة أو كسرة، فيتغير المعنى على المستوى التصريفي، ثم يؤثر ذلك التغيير في المستوى التركيبي، ومن ثم صح القول بأن الحركات البنائية تعد في كثير من المواطن أهم من الحركات الإعرابية من جهة الوظائف[5]، ولأجل هذا ربط بعض علماء الصوتيات كل ما يفيده التركيب من معنى بـ(المورفيم)[6] الذي تكوّن الحركات البنائية أهم عناصره، وتعد أيضا من أكثر الفونيمات ورودًا في الدراسات الفونولوجية،لما لها من وظائف في تعيين المعاني المعجمية، وتحديد الوحدات اللغوية التي بها تنضبط اللغة ويقوم كيانها[7]،والدراسات الفونولوجية في عمومها تدور على الفونيمات والمورفيمات المميزة للقرائن الصوتية . كما تقدم في التمهيد .

٥. تَرِد حركات البناء في الأسماء والأفعال والحروف، **فمن أمثلتها في الحروف** : فاء العطف وواوه، وكاف الجر ولامه، ولام القسم والتوكيد، وباء الجر ..... وإنّ، وليتَ وثمّ، ولعلَّ ..... وغير ذلك من حروف المعاني، **وفي**

---

١) انظر مثلث قطرب في كتاب (عنوان الشرف الوافي) لإسماعيل المقرئ ، تحقيق الشيخ عبد الله الأنصاري ، ص٢٠٥، ط٥ ، جدة.

٢) انظر تلك المؤلفات والتعريف بمؤلفيها في "معجم المعاجم " لأحمد الشرقاوي إقبال ٣٠٢– ٣١٣، ط الأولى ١٩٩٣، دار الغرب الإسلامي ، بيروت .

٣) أي يمكن استبداله بغيره فيتغير المعنى .

٤) انظر : التكملة لأبي علي ١٦٤.

٥) انظر الصوائت والمعنى في العربية ٢٥– ٥٥.

٦) انظر : اللغة لفندريس ١١٣– ١١٥ومبادئ اللسانيات ١٤٨– ١٤٩.

٧) انظر : دروس في الألسنية العامة لفردينان دي سوسير ص١٦١، تعريب صالح القرمادي وصاحبيه ، ط.الدار العربية للكتاب . ليبيا .

الأسماء :حيثُ، وقبلُ، وبعدُ، وحذارِ، وهؤلاءِ، وكيفَ، وأينَ، وخمسةَ عشرَ، والضمائر كأنتَ، ونحنُ، وهوَ، وهيَ، والخوالف كإيه، وهيهاتَ ......**وفي الأفعال** نحو: فهمَ، وكتبَ، ونعمَ، وبئسَ، وكان، وظنَّ، وفَهِما، وكتبا، وفهمَتْ، وكتبَتْ، وفهموا، وكتبوا.......[1]. وبناء على هذا يمكن النظر إليها على أنها أكثر شمولا في اللغة من الحركات الإعرابية، ويتبع ذلك شمول وظائفها التركيبية، وأغراضها الصوتية. نحو شمول وظيفة الإسناد لحركات تاء الفاعل، مؤنثا كان أو مذكرًا، ومتكلما كان أو مخاطبا، وإذا ذهبت الحركة فقدت التاء تلك الوظيفة، ونحو شمول وظيفة الخفة الصوتية للمبنيات على الفتح[2]، في الأسماء أو الأفعال أو الحروف .

ج - حركة التخلص من التقاء الساكنين
" مفهومها وبيان الغرض الصوتي منها "

حركة التخلص من التقاء الساكنين لا تخلو من أن تكون كسرة أو فتحة أو ضمة، وهي - بعد حصولها - تعد حركةَ بناءٍ عارضةً[3]، والأصل كونها كسرة تالية لأول الساكنين، هذا هو الغالب في اللغة العربية [4]، وسبب هذه الحركة أن الحرفين الساكنين لا يمكن الوفاء بصوتيهما إذا لم يفصل بينهما، لأن الهواء المنبعث من الرئتين يتجدد انبعاثه مع كل حرف، فإذا سكن الحرف لم يمكن الانتقال إلى حرف آخر خال من الحركة إلا بنفَس ضعيف، وهو بقية الهواء الذي به ظهر الحرف الأول[5]، فينتج من ذلك اختلاس الحرفين معًا، أو اختلاس أحدهما وعدم الوفاء به، أو يقال: عدم إيضاحه بجميع صفاته، وهذا ما يحدث في اللغات الأخرى عندما يحاول ناطقها الابتداء بالساكن[6]، أو يحاول الجمع بين ساكنين[1]، فيتوهم أهلها

---

1) انظر سيبويه ١/ ١٥-١٧

2) انظر المقتضب ٣ /١٨٢.

3) انظر : التكملة لأبي علي ١٦٤، أمالي ابن الشجري ١/ ٤، و شرح المفصل لابن يعيش ١/ ٥٧٣.

4) انظر : سيبويه ٤ /١٥٢والخصائص ٣ /١٣٠.

5) انظر : الأصوات اللغوية للخولي٥٣.

6) شرح الشافية للرضي ٢ /٢١١ والخصائص ١/ ٩٠- ٩٢.

أنهم يبدؤون بساكن، وأنهم يجمعون بين ساكنين في النطق، نحو النطق بـ(s) و(p)من كلمة (display)في اللغة الإنجليزية[٢]، ويحصل مثل ذلك في العربية عند الوقف على حرف صامت قبله سكون، نحو: دَهْرْ. بَكْرْ. عِلْمْ. شُكْرْ، لأن الوقف يقوي جرس الحرف، ويوفر الصوت عليه، فيصير ذلك بمنزلة الحركة[٣]، ولأجل هذا الاختلاس يحسب المستمع أن الساكنين التقيا، ويشاركه المتكلم أيضا في هذا الوهم. بدون شعور. ولكن إذا دقق كل منهما السمع وتفطن أدرك أن الحرف الأول لم يُنتَقَل منه إلا بكسرة خفيفة، ولولا هذه الكسرة لاستحال أن يؤتى بالساكن بعده، وإنما يحس المتكلم بذلك ويتفطنه بعد تثبيته فيما يتكلم به[٤]، ليدرك بلطف أن الساكن لا يجري فيه الصوت، فإذا حُرِّك انبعث الصوت في الحركة ثم انتهى إلى الحرف[٥].

ولا يعارَض هذا بما ذكره الفخر الرازي وعزاه إلى قوم من أنهم جوزوا الابتداء بالساكن بناءً على أن الحركة تقع بعد الحرف، وتوقف الشيء على ما يحصل بعده محال[٦].

فإن هذا القول غير ما يظهر عند سبر حال الأصوات اللغوية حين إخراجها، فمن أدرك حقيقة الحرف الصامت وحركته، علم أن أحدهما لا يستقل بنفسه من جهة النطق، بل هما كالشيء الواحد، فالنطق بالحرف المتحرك لا يتم إلا بحركته، والنطق بالحركة متوقف على النطق بالحرف، فهما جزءان لمقطع صوتي واحد لا يتجزأ، بل يتوقف أوله على آخره، و آخره على أوله، ومن ثم استحال الفصل بينهما وإفراد أحدهما عن الآخر، ولأجل هذا الارتباط الوثيق بينهما وقع الخلاف في أيهما أسبق .كما تقدم . و لا يمنع ذلك كون الحركة بعد الحرف من جهة الظهور، فإن توقف أحد

---

١) انظر: السابق مع الخصائص ٢/٣٢٨-٣٢٩ و ٣/١٣٠.
٢) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها ٢٩٧.
٣) انظر: الواضح لأبي بكر الزبيدي ٢٦٣، وشرح المفصل ٤/٢٦٥.
٤) شرح الشافية للرضي ٢/٢١٠، وانظر شرح المفصل لابن يعيش ٤/٢٨١.
٥) الخصائص ٣/١٣٠.
٦) التفسير الكبير ١/٤٨.

الشيئين[1] على الآخر وجودا وعدما لا يدل على عدم الترتيب بينهما حين الظهور[2].

ويحدث الاختلاس المذكور في العربية أيضا عند التقاء الساكنين في نحو: خُوَيْصَّة، ودُوَيبّة (تصغير: خاصة ودابة)[3]، ففي هاتين الكلمتين يختلس صوت الساكن الأول، ويُشَمّ كسرًا، ولا يكون تاما وافيا، وكذلك حكم ياء التصغير إذا جاء بعدها حرف مثقل في كل شيء [4]، والسبب هو ما تقدم من أن عضو النطق يحتاج إلى استعداد مستأنف بنَفَس جديد لنطق الحرف الثاني، وهي ظاهرة صوتية ملحوظة، يفسر بها اختلاس الحركات، وعدم الوفاء بالحروف[5] في أثناء النطق، عندما يكون الانتقال إلى الحرف الثاني قبل إتمام الأول، إما لأمر ذهني[6]، وإما لطبيعة صوتية كما في التقاء الساكنين[7].

وزعم بعض الباحثين المحدثين في الصوتيات أن المقطع العربي وحده الذي لا يبدأ بصامتين متواليين، بعكس المقطع في اللغتين الإنجليزية والفرنسية[8]، وفي هذا القول نظر، من قِبَل أن ما يظن أنه توالي مقطعين صامتين في بداية الكلام في اللغات المشار إليها، ليس على حقيقته تلك المظنونة، **بل الأدق ما تقدم عن علماء العربية كابن جني و الزبيدي وابن يعيش والرضي وابن منظور وغيرهم: من أن الحرف الثاني يتوصل إليه باختلاس الأول، و أن الساكن في الإدراج أضعف منه في الوقف**، ويوضح ذلك أن صوت السين في الوقف على نحو(النّفْسْ) أتم من صوت الفاء، وصوت

---

1) هكذا اشتهرت كتابة هذه الكلمة ، والقياس أن تكتب الهمزة على الألف ؛ لانفتاحها وسكون ما قبلها وهي متوسطة . وإن كان ما قبلها ياء . لأجل التفريق بينها وبين المتوسطة المكسورة ، ولتوحيد القاعدة الإملائية .

2) انظر سر الصناعة ١/٣١– ٣٢.

3) انظر : اللسان (دبب) و شرح الشافية ٢/٢١٠وشرح المفصل ٤/٢٦٤ . ٢٦٥.

4) اللسان (دبب)

5) شرح المفصل ٤/٢٦٥.

6) انظر : الأصوات اللغوية للخولي ٥٣، والخصائص ١/٦٠.

7) انظر : الإنصاف في مسائل الخلاف ٢/٧٣٩.

8) المنهج الصوتي للبنية العربية ٤١، وأثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة ١٠٢، ١٠٣.

الفاء عند الوقف على نحو (النَّسفْ) أتم من صوت السين[1]، وهذا مع لطفه ودقته سَهْلُ الإدراك، وبرهن ابن جني على أن ابتداء العجم بالساكن، وجمعهم بين ساكنين في الدرج راجع إلى إضعاف الحركة وإخفائها، لا إلى إعدامها، ونقل عن شيخه أبي علي الفارسي أن ذلك راجع إلى ما في لغة العجم من الزمزمة، وفسره بإخفاء الحركات وإضعافها حتى لا يدرى ما الحركة المنطوق بها، وضرب لذلك أمثلة من اللغة الفارسية[2]، وما ذكره . هو وغيره . مطابق لما نسمعه في الواقع المشاهد في اللغات الأعجمية، وهو أن الابتداء بالساكن والنطق بساكنين متواليين في درج الكلام ما هو إلا نوع من الاختلاس المذكور، وإضعاف للحركات والحروف، ولا يصل الساكن الأول في ذلك إلى التمام والكمال في الصفة والتمكن في المخرج .

ومن توالي صامتين في الإدراج ـ في العربية . بناءً على هذه القاعدة الصوتية . وهي قاعدة الاختلاس . الإدغام بعد السكون في قول الله تعالى ﴿شهْر رَّمضان﴾[3]و﴿إنا نحْن نُّحيي و نميت﴾[4]و إسكان ما قبل المشدد في قول الله تعالى:﴿فنعْمّا هي﴾[5]و﴿يهْدّي﴾[6]و﴿يَخْصّمون﴾[7]، قرئ بهذا في القراءات المتواترة[8]، وروي فيها الإسكان والاختلاس، والجمهور على أنه اختلاس[9]، ولا منافاة بينهما . فيما يظهر . فإن الاختلاس صويت أدائي تؤدى به الحركات أحيانا، والسكون أحيانا، وهو هاهنا صفة أداء للسكون، وأما الإسكان الخالص فيتعذر تحقيقه أداءً، ولذلك روي فيه عن المبرد أنه قال : " لا يقدر أحد أن ينطق به، وإنما يروم الجمع بين ساكنين فيحرّك ولا

---

١) الخصائص ٦٠/١.
٢) انظر : الخصائص ٩٠/١– ٩٢.
٣) سورة البقرة (١٨٥)
٤) سورة ق~ (٤٣)
٥) سورة البقرة (٢٧١)
٦) سورة يونس (٣٥)
٧) سورة يس~ (٤٩).
٨) انظر السبعة لابن مجاهد : ١٩٠، ٣٢٦، ٥٤١.
٩) البحر المحيط ٦٩٠/٢، وسر الصناعة ٥٧/١.

يَشْعُرُ"[١]، وهذا الذي قاله من أن الناطق لا يقدر على النطق بالساكنين المتواليين - وافيَيْن - هو الذي يؤيده التحليل الصوتي الذي مر شرحه، والحكم على العين من (نِعِمّا) والهاء من (يهدّي) والخاء من (يَخصّمون) بالسكون حكم صحيح صحة القراءة التي قرئت بها هذه الكلمات، ولا يتطرق إليها الشك، لأنها من القراءات السبعة المتواترة[٢]، ولكن الأداء الصوتي للإسكان في هذه القراءة لا بد أن يكون خاضعا لطبيعة الأصوات الإنسانية، والواقع اللغوي لا يتنافى مع تلك الطبيعة التي طبع الله عليها أعضاء النطق في الإنسان، ولذلك وردت به القراءة متواترة[٢].

فالداعي إذن إلى حركة التخلص من التقاء الساكنين هو نفسه الداعي إلى الاختلاس عندما يستحيل النطق، وهذا الاختلاس سمة صوتية ذات وظيفية أدائية، وهي تمكين المتكلم من الجمع بين الساكنين، عندما يصحب - أي الاختلاس - الساكنَ الأولَ، ليكسبه تلوينا صوتيا، ولا تكون نبرته إلا ضعيفة[٣]، ومن ثم لا يصل إلى درجة الحركة الكاملة، والذين يسمون ما ورد في هذه الآيات وأمثالها بالتقاء الساكنين نظروا إليه من جهة التكوين الصوتي المجرد فقط، لا من جهة أدائها الوظيفي، وهو نطقها المحقق، ولعل الفرق بين الأمرين يظهر بالتقطيع الصوتي لهذه الكلمات، لتبيان المقاطع الصوتية المجردة، التي يحددها التقطيع الفونيتيكي، والمقاطع الصوتية الأخرى التي تصاحبها سمات نطقية، ويحددها التقطيع الفونولوجي، فمن القواعد المقررة في علم الأصوات أن المقطع الفونولوجي يخضع لنظام اللغة المعينة، وقد لا يتطابق مع المقطع الفونيتيكي الذي لا يتجاوز الصوت المجرد[٤]:

---

١) نقلا عن الدر المصون للسمين الحلبي ٢/ ٦٠٩.

٢) انظر : السبعة ١٥٥، و : والقواعد والإشارات في أصول القراءات للحموي ٥٢- تحقيق عبد الكريم بكار، ط١، ١٤٠٦هـ، دار القلم- بيروت

٣) انظر الأصوات اللغوية للخولي ٧٧- ٧٨، ٨٠، ١٦٤.

٤) انظر دراسة الصوت اللغوي ٢٧٧ - ٢٧٨.

* (نِعْمّا) = ن، ـِ، عْ، مْ، م، ـَـا = س /ح /س /س / س /ح /ح /.

* (يَهْدّي) = ي، ـَ، هـْ، دْ، د، ـِي = س /ح /س /س /س /ح /ح /.

* (يَخْـصّمون) = ي، ـَ، خْ، صْ، ص، ـِ، م، ـُـو، ن، ـَ = س /ح /س /س /س ح /س /ح /ح /س /ح /.

هذا هو التقطيع الفونيتيكي لأصوات هذه الكلمات، ويظهر فيه حرفان صامتان غير مفصول بينهما بحركة، في أثناء وصل حروف كل كلمة، وهذا لا يتحقق نطقا، ومن ثم يلجأ إلى التقطيع الفونولوجي لتمثيل النطق المتحقق في الاستعمال ، هكذا :

- (نِعْمّا) = نِعِـمْ، مَا = س ح س س / س ح ح /.
- (يَهْدّي) = يَهِـدْ، دِي = س ح س س /س ح ح /.
- (يَخْصّمون) = يَخِـصْ، صِ، مُو، نَ = س ح س س / س ح / س ح ح / س ح /.

يظهر المقطع الأول منتهيا بصامتين، وهذا أمر معتاد في الوقف، ولذلك يعد هذا المقطع من المقاطع الصوتية في اللغة العربية، أما في الوصل. كما يوجد ها هنا. فالساكن الأول مختلس، أعني أنه مشوب بنبضة صدرية[1]، أو : "صُوَيْت يصل بين الحرفين الساكنين"[2] يُمَكِّنُ من الانتقال إلى ما بعده، ولا يصل إلى حد فصله عنه، ويعني ذلك أنه مُخفى غيرُ كامل الظهور، لأن "إخفاء الحرف يعني نقصان صوته"[3]

وقد لحظ **بعض الباحثين** في الصوتيات أنه إذا حدثت ضمائم من حروف سواكن لا يفصل بينها شيء ؛ أنها تنقسم بإدخال إحدى الحركات القصيرة الثلاث، وأغلبها الكسر[4]، وكل ضميمة من السواكن تقتضي انتقالاً وثيقا، أي أن العنصر الأول من الضميمة الذي يكون دائما نهاية مقطع ؛

---

١) دراسة الصوت اللغوي ٢٨٤– ٢٨٥

٢) الموضح للقرطبي ١٣٧.

٣) التحديد للداني ٩٦.

٤) انظر التشكيل الصوتي للعاني ١٢١.

لا ينفرج حتى ينطق العنصر الثاني منها، الذي هو بداية مقطع تالٍ [1]، كما أثبتت بعض الدراسات التجريبية لحركة الكلام عن طريق التسجيلات الفوتوغرافية، أن صدر الناطق لا يواصل ضغطا ثابتا خلال المجموعة النفَسية، وأن عضلات الصدر تُنْتِجُ نبضة منفصلة من الضغط لكل مقطع [2]، وهذا يفسر اختلاف الحقيقة الصوتية المجردة للكلام عن الكيفية التي يؤدى بها نطقا، من غير أن يؤدي ذلك إلى اختلاف في المعنى.

والأمر الذي ينبغي تأكيده هنا أن ثمة فرقا مهما - وإن كان دقيقا - بين الوحدة الصوتية (الفونيم)، والكيفية التي تؤدى بها، فإن الغالب أن تكون هذه الوحدة مصحوبة بملمح صوتي مميز، أو سمة نطقية ما، وفي ضوء هذا الفرق يقال: إن الحرفين الساكنين يتواليان في حشو الكلمة أحيانًا في العربية - كما في القراءات والأمثلة المتقدمة - وصح ذلك بصحة روايته ونقله عن الفصحاء، وليس وهمًا كما ادعاه بعض الباحثين [3]، ولكنّ أداءهما صوتيا لا يتأتى إلا بإشمام الساكن الأول جزءًا يسيرًا من الحركة يمكّن من الانتقال إلى تاليه، ويؤدي ذلك إلى إضعاف الأول واختلاسه، وهذا نوع من التخلص من التقاء الساكنين، والحركة المختلسة لا يتميز لها في الحسّ مبدأ، ولذلك قد تسمى بالحركة المجهولة [4].

والحرف الذي يقع في أول أصول البناء قبل اجتلاب همزة الوصل إذا لم يكن متحركا تعذر الابتداء به، فاحتاج إلى حركة تمكّن الناطق منه، والحركة لا تستقل نطقا، بل لابد أن تكون تابعة لصامت قبلها - وتقدمت مناقشة هذه المسألة.

فإذا اجتلبت همزة أُتبعت بحركة لسببين:

١- أن الحركة هي المقصودة أصلا.

---

١) السابق ١٢٠.

٢) علم الأصوات اللغوية لمناف ١٢٢.

٣) انظر: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة ١٠٧.

٤) التفسير الكبير ٤٧/١.

٢ – أن الصامت المجتلب (وهو الهمزة) ساكن فلا يدخل في التركيب مبدوءًا به إلا إذا حُرك، وهكذا تصبح همزة الوصل مع ما بعدها من جملة التقاء الساكنين[1]، وفي هذه الحال يلجأ الناطق إلى تحريك الحرف الأول بحركة كاملة، أو بحركة مختلسة - كما تقدم - أو اختلاس الحرف نفسه بإظهار جزء منه يكون بمنزلة الحركة للوصول إلى تاليه.

ولكون الحرف الساكن خفيفا خاليا من الحركة كان أقرب الحركات إليه أضعفها صوتًا وأخفاها حسا، وذلك الكسر[2]؛ لأنه لا يحتاج إلى انفتاح التجويف الفموي، ولا إلى الشفتين - كشأن الفتح والضم - ولأن الكسر يضيق معه مجرى الهواء جدًا - كما تقدم بيانه - ومن ثم ضعفت جهارته عن الفتح والضم، وصار بخفائه أقرب إلى السكون من غيره صوتيا، وإن المتكلم إذا خلى نفسه وسجيتها وجد منها أنها لا تلتجئ في النطق بالساكن الثاني - المستحيل مجيئه بعد الساكن الأول - من بين الحركات إلا للكسرة، وإن كان التخلص يحصل بالفتحة والضمة أيضا، ولكن الطبع هنا يسوق إلى الكسرة ويميل إليها دون غيرها في الغالب.

وهذا قد أكده الرضي الاستراباذي حين تعرض لسكون همز الوصل مع الساكن بعده، ومَثَّلَ لذلك بقولهم في الفارسية : (شْتاب) و(سْطام) فذكر أن الإنسان يجد في هذه الحال أنه يتوصل إلى النطق بالساكن بهمزة مكسورة في غاية الخفاء حتى كأنها من جملة حديث النفس، فلا يدركها السامع، ثم يجهر بالحرف الساكن في أول الكلمة، فيتحقق للناطق أن إزالة كلفة النطق بالساكن بالكسرة - سواء كان ذلك الساكن في أول

---

١) انظر : شرح المفصل ٤/٢٨٨، والإنصاف في مسائل الخلاف ٢/٧٣٧وقد ناقش الأنباري هذه المسألة مؤيدا من قال إن الأصل في همزة الوصل الحركة لا السكون، متأثرا بالتحليل المنطقي، لا بالواقع الاستعمالي والتحليل الصوتي، وعزا ذلك القول للبصريين.

٢) انظر إثبات ذلك عن طريق نتائج التصوير الطيفي للأصوات في : دراسة السمع والكلام ٢٠٥–٢٠٧، ومدخل إلى التصوير الطيفي للكلام لـ(إرنست بولجرام) ١١٦.

الكلمة أو في آخرها أو في وسطها. من طبيعة النفس وسجيتها إذا خُلّيت وشأنها[١].

وهذه **حقيقة أثبتها العلم الحديث**، كما أدركها علماء اللغة منذ قديم، وهي كون الحركة المناسبة للتخلص من التقاء الساكنين هي الكسرة من الجهة الصوتية الخالصة[٢]، وأن ما يتوهم من الابتداء بالساكن حقيقته بداية النطق بهمزة في غاية الخفاء، وأن هذا من طبيعة النفس وسجيتها إذا أخليت من قيود أُخرى، وأن اختلاس الحرف كاختلاس الحركة في التوصل إلى النطق بالساكنين، ولأجل ذلك سوّى ابن جني رومَ الحركة بالحركة، وذكر أن روم الحركة يكاد الحرف به يكون متحركًا[٣].

وإذا كان الأمر كذلك عُلم أنه ليس شيئا خاصا باللغة العربية كما زعم بعض الباحثين في الصوتيات[٤]، بل كل اللغات يستحيل فيها الابتداء بالساكن وافيا من غير أن تسبقه تلك الإشارة الخفية المشار إليها، أو ذلك الصويت المقارب للحركة، ومن ثم ذكر ابن يعيش أن الحرف الذي يبتدأ به لا يكون إلا متحركا، لضرورة النطق به، إذ الساكن لا يمكن الابتداء به، وذكر أن ذلك ليس بلغة ولا أن القياس اقتضاه، وإنما هو من قبيل الضرورة وعدم الإمكان، قال: "فقد ظن بعضهم أن ذلك من لغة العرب لا غير، وأن ذلك ممكن وهو في لغة قوم آخرين، ولا ينبغي أن نتشاغل بالجواب عن ذلك لأن سبيل معتقده سبيل من أنكر العيان وكابر المحسوس"[٥].

ولأجل هذه المناسبة الصوتية بين الكسر والسكون كان وصل حرف الروي في القوافي المجرورة، إذا كان ساكنا أو مجزوما بالكسر دون غيره، كقول زهير في معلقته:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تُعلَمِ

---

١) شرح الشافية للرضي ٢/ ٢١٠– ٢١١.

٢) انظر: سيبويه ٤/ ١٥٢– ١٥٤.

٣) الخصائص ٢/ ٣٢٨، وانظر: التحديد للداني ٩٥–٩٦.

٤) انظر: ظواهر لغوية جديدة في اللغة العربية لحازم كمال الدين ص٩٣، ٩٨، نشر مكتبة الآداب في القاهرة.

٥) شرح المفصل ٤/ ٢٨١ وانظر ٢٨٧.

وقول امرئ القيس في معلقته أيضًا:

وقوفا بها صحبي عليّ مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتَجَمّلِ

وكذلك وصل الموقوف عليه الساكن بالكسر عند التذكر، نحو: قدِيـ ....و:إنِيـ .....و: قُلِيـ.........و: هذا رَجُلُنِيـ.......ممن أراد أن يقول: قد كان ذلك،

و: إنْ كان ذلك، و: قلْ ذلك، و: هذا رجلٌ عالم، فتذكر ثم أكمل كلامه[1]. فتخلص من السكون في أثناء التذكر بالكسر الطويل لأنه الأقرب إلى السكون على ما تدعو إليه السجية الإنسانية، كما تقدم، **وسيأتي التمثيل للوظائف النحوية المترتبة على هذا النوع من التخلص من التقاء الساكنين.**

وبهذا يظهر سرّ كون الكسر أصل التخلص من التقاء الساكنين، وصار هو الفونيم الفونولوجي المقابل للسكون عند التقاء الساكنين، من جهة الوظائف التركيبية، نحو: **من يذهبِ اليوم فهو محمود**، لا يفرق بين الجزم والرفع إلا كسر الباء من (يذهب) باعتباره الفونيم المقابل للسكون الدال على الجزم، وبذلك يفرق بين نوعي (مَنْ) هنا، ونوعي الأسلوب، شرطي، أم غير شرطي. ونحو: **أجلسِ اليوم**، لا يفرق بين المضارع والأمر إلا حركة التقاء الساكنين، وكذلك نوع الفاعل، أهو المتكلم، أم مخاطب؟

وهذا التعليل الصوتي لكسر الأول من الساكنين إذا التقيا، قد لا يتنافى مع ما يذكره النحويون من علل ترجع إلى طبيعة الكلمات العربية، أو إلى التمييز بين المعربات، وأنواع الإعراب، كقولهم بتحريك الأفعال به إشارة إلى أنه حركة عارضة، لأن الكسر لا يدخل في الأفعال، وتحريك الاسم به بدلا من الفتح خوف الالتباس بالمنصوب، وبدلا من الضم لئلا يلتبس بالمرفوع، والتفريق بينه وبين الجر بعدم التنوين الذي يلحق المجرورات[2]، ومع ذلك ليس لهذه العلل التي يذكرونها حقيقة يعلم بالضرورة اعتماد الناطق عليها حين تكلم باللغة، ومن ثم لا ترقى إلى درجة الإقناع علميا، لأنها لا تعدو كونها وصفا لأحوال الظاهرة اللغوية بعد حصولها وانتظامها، ولا يلزم من

---

1) انظر سيبويه ٤ / ٢١٦.

2) انظر المقتضب ٣ / ١٧٤، وشرح المفصل ٤ / ٢٧٤.

ذلك أن يجعلها علة لتكوين أصل الظاهرة المبنية على القدر المتاح للناطق، للتكلم بما يلائم أغراضه من الأصوات، وحركة التقاء الساكنين ينبغي أن تعلل صوتيا لأنها ناتجة عن تأثر الصوت بالصوت، ولا علاقة لذلك بطبيعة الأفعال والأسماء والحروف، ولا بقوانين الإعراب والبناء .

وأما ورودها قرينة على نوع من الإعراب، فإنه أمر ملحوظ بعد حصولها بالنظر إلى ما يمكن أنْ تقابَلَ به في ذلك الموضع من الفونيمات الأخرى، وليس ذلك علة لحصولها، وإنما هي مجتلبة لغرض صوتي، ولكن نوعيتها تخضع للطبيعة الصوتية للساكن المحرك بها، أو المتحرك المجاور لها، أو تَناسب الأصوات، أو التخلص من ثقل صوتي ما، كثقل الكسر بعد الكسر في (مِنْ) لو حركت النون بالكسر[1]، ولأجل هذه العلة الصوتية كان الغالب تحريك الأول لا الثاني، من قبل أن سكون الأول هو الذي منع من الوصول إلى الثاني، فحرك الأول لإزالة المانع الصوتي[2].

وتأتي حركة التقاء الساكنين في المبنيات، كما تأتي في المعربات، لأجل تحقيق الغرض الصوتي المتقدم، وقد تكون فتحةً أو ضمة أحيانًا، لأسباب صوتية تصحب مواضعها .

فمما حُرِّك بالفتح لالتقاء الساكنين : نون (مِنْ) نحو "منَ الله نستمد العون" و"مِنَ الذين" ولم تكسر فرارًا من ثقل توالي كسرتين[3]، ومن ثم تُخُلِّص بالكسر عندما لم تكن كسرتان ثمة، نحو: "مَنِ الذي"، وكذلك فتحت ميم ﴿المر~الله ﴾[4] إتباعا لحركة اللام في لفظ الجلالة[5]، وفرارًا من ثقل توالي ثلاث كسرات : الكسرة الطويلة وكسرة التخلص[6]، أو لأنها فتحة همزة لفظ الجلالة (الله) نقلت إلى ما قبلها ولم تحذف حفاظًا على تفخيم لفظ الجلالة، لأن القراءة وردت به مفخما في هذا الموضع، ولو

---

١) انظر : سيبويه ١٥٣/٤– ١٥٤. وشرح الشافية ٢٣٥/٢.
٢) انظر : شرح المفصل ٢٧٢/٤. وشرح الشافية ٢٣١/٢– ٢٣٢.
٣) سيبويه ١٥٣/٤ ٥وشرح المفصل ٢٨٠/٤.
٤) الآية الأولى من سورة آل عمران .
٥) التكملة ١٧٩.
٦) انظر ما سبق في (٢) وشرح الشافية ٢٣٦/٢.

كسرت الميم في الوصل لذهب تفخيمه، كما نقلت حركة الهمزة إلى الساكن قبلها في نحو قولهم : (لامَ الِف) و(ثلاثةَ ارْبعَة)[1] وكذلك كلُّ مبدوءٍ بهمزة قطع مُحَلّى بـ(الْ) نحو: (الَرْض)و(الَحْمَر) في نطق: الأرض، و: الأحمر[2]، وما شابههما، **كل ذلك لوظيفة صوتية (فونولوجية) هي تخفيف النطق، والتخلص من الثقل، وتحقيق الإسراع.**

والجامع الصوتي بين (ميم) في (الم~) و(مِنْ) هو أن كليهما مبدوء بميم مكسورة، ومختومة بغنة من الخيشوم، ولم يتحقق مثل هذا فيما توالت فيه كسرتان للتخلص من الساكنين، نحو: (إنِ الله) و (صِلِ الرحم) و(عِدِ الرجل) ولا في نحو: (مَنِ ارْتضى) و(لَمَنِ انتصر) لانفتاح الميم، فهذه علل صوتية خاضعة للقوانين الصوتية النطقية التي تأتي منقادة لطبيعة الناطق وسجيته، ولا صلة لها بالعلل العقلية، أو المفترضة بالنظر إلى منطق الظاهرة، و قد لا تتعارض معها، ولكن لا تلزم موافقتها لها، كمثل ما علل به سيبويه الفتح في (الم~الله) من أنه للتفريق بينه وبين ما ليس بهجاء، وفي (مِنَ) بأنه لكثرة الاستعمال وخفة الفتح، وتبعه على ذلك أكثر النحويين[3]، فلا يخلو بعض هذه العلل من ملاحظة الناحية الصوتية.

وتُحرك همزة الوصل بالضم إذا كان ثالث الكلمة التي هي فيها مضمومًا ضمًا لازمًا، نحو: (اتْلُ) ـ (اكْتُبْ) ـ (اغْزُ)، للإتباع، لأجل التناسب الصوتي، لأن الكسر والضم في غاية التنافر، و التقاؤهما في غاية الثقل على عضو النطق[4].

ومما قد يحرّك بالضم لالتقاء الساكنين ـ لتحقيق وظيفة التناسب الصوتي ـ الواو، نحو قول الله تعالى: ﴿اشتروُا الضلالة﴾[5] وقوله تعالى: ﴿ولا تنسوُا الفضل بينكم﴾[6]، **وكذلك ميم الجمع**، نحو: أنتمُ القوم ـ همُ اليوم،

---

1) شرح الشافية، الموضع السابق.

2) الحجة لأبي علي ١٢٧/١، ١٢٩، و التذييل والتكميل ١٩٧/١.

3) سيبويه ١٥٣/٤ – ١٥٤، وانظر: التكملة لأبي علي ١٧٨، وما سبق من المراجع.

4) انظر: المقتضب ٢١٩/١.و التكملة لأبي علي ١٨٨– ١٨٩.

5) سورة البقرة (١٦).

6) سورة البقرة (٢٣٧)

ومنه قول الله تعالى : ﴿وأنتمُ الأعلَوْن﴾[1] وقوله تعالى ﴿وقهمُ السيئاتِ﴾[2]، وكل هذا على سبيل الجواز لا اللزوم، إذ لا مانع من التخلص بالكسر كما هو الأصل، ومن ثَم رُوِيَ فيها الكسر، كما رُوِيَ الضم[3]. فذهب كثير من النحويين إلى أن تحريك الواو بالضم في مثل هذا للتفريق بينها وبين الواو التي هي من الحرف نفسه، نحو واو (لَوْ) و (أوْ)[4]، كما عللوا ضم ميم الجمع بأن الأصل فيها الضم، فلما لزم تحريكها كان تحريكها بحركتها الأصلية أولى من اجتلاب حركة أخرى أجنبية لها[5].

والأظهر أن التناسب الصوتي هنا أولى بالاعتبار في تعليل تحريك الميم والواو بالضم، لأجل ما بين الضم والواو من التماثل، وما بينه وبين الميم من التجانس في المخرج، لأن الثلاثة من الشفتين، ففي تحريك الواو والميم بالضم تقليل الجهد على عضلات النطق، وفي ذلك خفة ليست في كسرهما، وكل ما كانت الأصوات متقاربة جذب بعضها بعضا، وتآلفت، فيسهل النطق، ويدخل هذا فيما يعرف بالمحاذاة الصوتية، في علم الأصوات[6]، وجميع هذه الكلمات وغيرها ـ مما حرك بالضم أو الفتح ـ روي فيها الكسر عن العرب[7]، على ما هو الأصل في التقاء الساكنين، كما تقدم.

ومما حُرّك بالحركات الثلاث : الأمر من المضعّف الثلاثي والخماسي، نحو: رُدّ ـ عَضّ ـ فِرّ ـ شمّ ـ عِزّ ـ واطمئِنّ ـ اقشعِرّ ـ استعِدّ ـ اجترّ ـ احمَرّ ـ ضارّ، يحرك الآخر بحركة الأول ـ للتخلص من التقاء الساكنين ـ إتباعا، أو لغةً خاصة، أو يفتح طلبا للخفة، أو إتباعا للأول إن كان مفتوحا، أو لغة كذلك،

---

١) سورة آل عمران(١٣٩) وسورة محمد (٣٥).

٢) سورة غافر (٩).

٣) انظر: سيبويه ٣/٥٣٤، و الأصول لابن السراج ٢/٣٦٣، و ارتشاف الضرب ١/٣٤٣- ٣٤٦ ، وما يأتي في الحاشية التالية.

٤) سيبويه ٤/١٥٥، والتكملة ١٨٠، والخصائص ٣/١٣٢، وشرح المفصل ٤/٢٧١.

٥) الحجة لأبي علي ١/١٠٩، ١١٨، والخصائص ١/٦٩، و٣/١٣٢- ١٣٣، وشرح المفصل ١/٥٧٤، وشرح الشافية ٢/٢٤١.

٦) انظر : موسيقى اللغة لرجب عبد الجواد ص١٢- ٢٣، نشر مكتبة زهراء الشرق بالقاهرة ، ط: الأولى ٢٠٠٣. والأصوات اللغوية للخولي ٤٥،٢٢٥.

٧) انظر : سيبويه ٣/٥٣٤، والأصول لابن السراج ٢/٣٦٣، وارتشاف الضرب ١/٣٤٣- ٣٤٦، مع ما سبق في (٣).

ويكسر كله على ما هو الأصل في التخلص من التقاء الساكنين، أو إتباعا أو لغة[1]، ويستوي في هذا كون الساكن سكن سكون بناء، كما في الأمر، أو سكون إعراب كما في المضارع المجزوم، نحو قول الله تعالى ﴿لا تضارَّ والدة بولدها﴾[2] و ﴿ ولا يضارَّ كاتبٌ ولا شهيدٌ﴾[3] وقوله تعالى:﴿ومن يشاقِّ الله﴾[4]، وغير ذلك [5].

ومما يحمل على أنه من التقاء الساكنين الجاري في اللغة العربية مجيء صامت ساكن بعد صائت طويل، نحو: دابّة- الحاقّة - خاصّة - تمودّ - تحاجّوني - احمارّ - ميمْ - سينْ - المؤمنونْ - العالمينْ ....كل هذا يخرّج على أنه من التقاء الساكنين، باعتبار الحركة الطويلة التي هي حرف المد حرفا ساكنا [6]، وفي الحكم على حروف المد بالسكون تفصيل ونظر،وفيه أيضا نقض لقولهم إن هذه الحروف ممطولات، والصوت يجري فيهن، مع قولهم : إن الصوت لا يجري في الساكن، وإنما يجري في المتحرك[7]، ولكن النحويين رأوا أن التقاء الساكنين هنا يتخلص منه بما في حرف المد من اللين وامتداد الصوت، حتى كأنه حركة[8]، وهذا هو الذي سوغ مجيء الساكن بعده .

والتحليل الصوتي لمقاطع هذه الكلمات وأمثالها يدل على أن الحركة الطويلة ليست من قبيل الحروف الساكنة، وإن نشأ عنها ثقل ما، بسبب امتداد الصوت ونفاذه، لكن الصوت يظل صوت حركة مستمرًا حتى ينفد وينقطع، من غير أن ينقطع على مخرج معين[9]، وتلك صفة الحركة ؛ لأنها

---

١) سيبويه ٣/٥٣٢– ٥٣٤، والتكملة ١٦٨، والمقتضب ١/٣٢٠– ٣٢١، وشرح المفصل ١/٩٨و٤/٢٧٦، وشرح الشافية للرضي ٢/٢٤٣.
٢) البقرة (٢٣٣).
٣) البقرة (٢٨٢)
٤) الحشر (٤).
٥) انظر ما سبق .
٦) انظر : الخصائص ٣/١٢٤– ١٢٥و شرح المفصل ٤/٢٦٧.
٧) الخصائص ٣/١٣٠.
٨) سيبويه ٤/١٧٤، ٤٣٨، والخصائص ٣/١٢٦، وشرح الشافية للرضي ٢/٢١٢.
٩) انظر المنح الفكرية ٢٢.

تجري مع النفَس، ولا اعتماد لها في الفم[1]، وأما الحروف الصحاح فالصوت معهن ينقطع على مخارجها المعينة، ولأجل هذا الجهد الذي ينشأ من امتداد الصوت بالحركات يثقل الانتقال منها إلى حرف ساكن غير موقوف عليه[2]، ومن ثم تقصر فيذهب مدها وتبقى الحركة قصيرة ليكون الصوت وافرًا، لأن الحركة القصيرة لا تستنفد الصوت، ويكون هذا فيما تطرف فيه حرف المد، ثم وقع بعده ساكن من كلمة تالية لها، فيقال :

(رمى الرجل). (في الدار). (ساكنو الدار). (قفا الرجل) .....قصرت الحركة الطويلة بحذف جزئها الأخير تخفيفًا[3]لا تعذرًا، وليس نطقها طويلة مع الساكن الذي بعدها بمستحيل، بل إنه في غاية الإمكان، كما في "قافْ والقرآن" و" يا سينْ والقرآن"، وعدم تحريكها هنا هو أدل دليل على أنها حركة وليست حرفا ساكنًا، إذ الحركة هي التي لا يمكن تحريكها[4]، وقد قرأ نافع ـ من القراء السبعة ـ بإسكان ياء ﴿مَحْيايْ﴾ الثانية مع وقوعها بعد الألف، في قوله تعالى ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ﴾[5] على أن وجود الألف قبل الياء الساكنة كوجود الفتحة قبلها، ومن ثم أجاز الكوفيون إلحاق نون التوكيد الخفيفة في فعل اثنين، نحو : لتفعلانْ، وفي فعل جمع المؤنث نحو : افعلنانْ، وعليه قول العرب : "التقت **حلقتا البطان**"[6] و: "**لفلان ثلثا المال**" وفي كل هذا جاء الحرف الساكن بعد الألف في حشو الكلام، لكون الألف فتحة وليس سكونا، ولا يجوز هذا في الحرف الساكن[7]، وكل هذه الأدلة تعزز أن هذا ليس من قبيل التقاء الساكنين، بناءً على أن الحركة الطويلة ليست حرفا ساكنا، وسيأتي بحث هذه المسألة مفصلا في مبحث الحركة الطويلة إن شاء الله .

---

١) اللباب للعكبري ٨٥/١.

٢) شرح الشافية ٢١١/٢.

٣) انظر : التكملة ١٨٠، وشرح المفصل ٢٦٧/٤-٢٦٨ .

٤) الخصائص ٣١٩/٢.

٥) الأنعام (١٦٢) وانظر كتاب السبعة لا بن مجاهد ٢٧٤.

٦) مجمع الأمثال للميداني ٢ / ١٨٦تحقيق محمد محيي الدين ، ط : دار الفكر .

٧) انظر : البيان للأنباري ٣٥٢/١.

د ـ حركة الإتباع وحركة الإطلاق

١ـ حركة الإتْباع

حركة الإتباع الصوتي، أو المناسبة الصوتية[١]، أو التوافق الحركي[٢]، أو المحاذاة الصوتية[٣]، أو المشاكلة الحركية، كل ذلك بمعنى، والمراد الحركة التي تأتي مماثلة لحركة قبلها أو بعدها على سبيل التبعية للانسجام الصوتي، وهو ضرب من التخفيف والإسراع، وتقليص الجهد على عضلات النطق، ولأجل هذا الغرض الصوتي المهم في اللغة العربية كثر الإتيان بهذا النوع من الحركات فيها[٤].

ويشمل هذا النوع من التحريك حركات الآخر الإعرابية والبنائية، لتحقيق غرض الانسجام الصوتي، أو الموازاة الصوتية[٥] .

والإتباع الصوتي من مظاهر النظام التركيبي في اللغة العربية، وعلى أساسه تؤلف الكلمات وتركب الجمل، تحاشيا للتنافر والثقل النطقي، فكلما تنافرت الحركات ولم تتناسب بحسب ما يقتضيه التركيب النحوي أو المبنى الصرفيّ غُيّرت الحركة بما يناسب ما جاورها من الأصوات، إيثاراً للانسجام الصوتي[٦] .

والإتباع في اللغة العربية باب واسع، بُني عليه كثير من قواعد الإعراب، وكثير من التطورات التي تحدث في اللغة بسبب التأثر والتأثير، كقواعد الإعلال، والإبدال والمماثلة، وهي تطورات تمثل نزعة اللغة إلى توفير المجهود الذي يبذل في النطق[٧].

---

١) انظر : العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث ٣٣٩.

٢) الصواتث والمعنى في العربية ٣٩.

٣) موسيقى اللغة ١٢.

٤) انظر : الأشباه والنظائر للسيوطي ٢٧/١.

٥) انظر : موسيقى اللغة ٤٨وما بعدها، والتنغيم اللغوي ٩٣، واللهجات العربية في القراءات القرآنية للراجحي ١٤٣.

٦) انظر : اللغة العربية معناها ومبناها ٢٧٣.

٧) انظر : دراسة الصوت اللغوي ٣٧٤، والأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس ٢٣٥، ٢٣٦.

وحركة الإتباع على اللفظ يأتي تعليلها في ضوء المناسبة الصوتية الموسيقية بين صوتين، وبخاصة فيما تتضافر فيه القرائن على المحل الإعرابي، وعندئذ لا يحتاج إلى حركة التابع بين القرائن الدالة على المحل[1]، مثال ذلك حركة المجاورة الصوتية في القول المشهور: "**هذا جحرُ ضبٍّ خربٍ**" فإن الحركة في (خربٍ) تابعة لحركة (ضبٍ) الإعرابية[2]، وتحقيق الانسجام الصوتي بين الكلمتين المتجاورتين هنا أهم من الحركة الإعرابية التي هي (الضمة) على كلمة (خرب) لأن قرينة السياق (أو الموقع) وقرينة المعنى المعجمي يكفيان[3] في الدلالة على أن (خرب) نعت لمرفوع فمن شأنه أن يكون مرفوعا، ولكن لو رفع لحصل تنافر بين الكسر في (ضب) والضم في (خرب) وهو أمر تتحاشاه اللغة، وينفر منه الذوق العربي[4]، ومن ثم كسرت الباء في (خربٍ) تحقيقًا للغرض الصوتي، لأن الغرض الإعرابي محقق بقرائن أخرى، و إتباع الجر الجرّ هنا كإتباع الكسر الكسرَ في نحو: (بهِم) و(بِدارِهِم)[5].

ونحوذلك ما ورد في بعض القراءات الشاذة لقول الله تعالى ﴿ **الحمدُ لُله رب العالمين** ﴾ بإتباع ضم لام (لله) الأولى لضم الدال في (الحمد)[6]، فأتبعوا أحد الصوتين الآخر، تحقيقا للانسجام الصوتي، مع كونهما من كلمتين منفصلتين، الأولى مبتدأ والثانية خبر[7]، وواضح هنا أن هذا الإتباع الصوتي لم يؤثر في وظيفة حرف الجر: اللام، ولم يؤثر في الاسم المجرور، وهو لفظ الجلالة (الله)، لأن القرائن الأخرى كافية في فهم هذه الوظائف، وهذا ما جعل القارئ هنا يُؤْثِر الانسجام الصوتي على ثقل الكسر بعد الضم.

---

١) اللغة العربية معناها ومبناها ٢٧٤.

٢) سيبويه ١/٤٣٦، و فقه اللغة وأسرار العربية للثعالبي ٣٥٩.

٣) انظر: القرائن المعنوية في النحو العربي للدكتور عبد الجبار توامي ٣٤٤، ٤٢١ (مخطوط)، وأصول النحو العربي ٢٢٦.

٤) انظر: سيبويه ٤/١٤٦.

٥) انظر سيبويه ١/٤٣٦– ٤٣٧، والحجة لأبي على ١/١١١.

٦) المحتسب ١/٣٧.

٧) سيبويه ٤/١٤٦، والحجة لأبي علي ١/١١٦.

ووردت أمثلة وشواهد من كلام العرب شعرا ونثرا تؤكد أن العرب كثيرا ما يؤثرون توافق الأصوات المتقاربة على مراعاة ما يجب من حركة بناء أو إعراب، فمن ذلك قولهم: امرُؤٌ، و ابْنُمٌ، وفُوك، وأنا أنبُؤُك وأجُوؤُك[1]...... وساق له سيبويه شواهد عدة[2].

ومن أمثلته ما روي عن بعض بني بكر بن وائل أنهم يتبعون حركة الهاء والكاف -إذا كانتا ضميرين- لما قبلهما، فيقولون: أخذت هذا مِنهِ يا فتى، ومنهِما، ومِنْهِمي، ويقولون: لم أعْرِفْهِ ولم أضْرِبْهِ، ولم أضربِهِما(بكسر الباء مع الهاء)[3]، ويقولون: من أحلامِكِم، وبِكِم، فأتبعوا الكسرة الكسرة، إحساسا من طبائعهم أن ذلك أخف عليهم من النطق بالضم بعد الكسر[4]، حتى إن بعض العرب أخل بالإعراب إيثارا لانسجام الصوت، فقال:

وقال اضرب الساقين إمِّك هابل[5]

فأتبع حركة الميم لكسر الهمزة، مع أن حركة الميم إعرابية، وحركة الهمزة بنائية، وعكسه قولهم: **﴿الحمدِ لِله﴾** و**﴿ الحمدُ لُله﴾**[6].

ويرى بعض النحويين أن الإتباع الذي يراعى فيه الجانب الصوتي دون الإعرابي، ضعيف، كما في الأمثلة المتقدمة، وكما ورد في بعض القراءات الشاذة لقوله تعالى﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا﴾[7]حيث قرئ بضم تاء (الملائكة) إتباعا لضم الجيم في (اسجدوا)، بحجة أن استهلاك الإعراب لحركة الإتباع لا يكون إلا على لغة ضعيفة، ذهب إلى ذلك ابن جني[8]، وتبعه

---

١) الموضع السابق.
٢) الموضع السابق.
٣) النوادر في اللغة لأبي زيد ٤٧١ – ٤٧٢، وانظر :أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة ٢٤٢.
٤) سيبويه ٤/١٩٧.
٥) شطر بيت من الطويل، ورد غير منسوب في سيبويه ٤/١٤٦، والمحتسب ١/٣٨، والخصائص ٢/١٤٥.
٦) الخصائص ٢/١٤٥.
٧) البقرة (٣٤)
٨) انظر المحتسب ١/٧١.

الزمخشري[1]، والقول بالضعف هنا إنما هو بالنظر إلى القياس النحوي فقط، أما بالنظر إلى السماع عن العرب والاستعمال، والعلة الصوتية التي هي التخلص من ثقل تنافر الحركات، والتخفيف على الناطق، فالإتباع قوي من هذين الوجهين، وإن استهلك الإعراب، لأن ما روي عن العرب في ذلك لا فرق فيه بين كون الحركتين متفقتين إعرابا وبناءً، أو مختلفتين، كما لم يفرقوا بين كون الإتباع تقدميا أو رجعيا[2]، وذلك أن الداعي لهذا الإتباع صوتي عام يتعلق بالنطق نفسه،وهو أن يكون عمل عضو النطق من جهة واحدة، كما فعلوا ذلك عند الإدغام، إذا أراد المتكلم أن يرفع لسانه من موضع واحد، تقليلا للجهد والتكلفة[3].

ومن إتباع حركة البناء لحركة بناء قول العرب : مِغِيرة، ومِنْتِن، وظُلُمات، وطُنُب، وعُنُق، ومُنْحَدُرٌ من الجبل، وقولهم : شِعير، وبِعِير، ورِغِيف، زِئير [4].

ولما كان الإدغام نوعًا من تقريب الأصوات بعضها ببعض، وتخفيف نطقها على اللسان، جعل بعض النحويين إتباع الحركة لحركة أخرى جاريا مجرى الإدغام، لاتحاد الغرض وهو التقريب الصوتي في النوعين معًا [5].

ومن صنوف حركة الإتباع ما يعرف في النحو العربي بحركة الحكاية، نحو : مَن زيدٍ؟ جوابا لمن أخبر فقال : مررت بزيد، فقد دلت حركة (زيد) في السؤال على حركة المخبر عنه في (مررت بزيد) لأنها تابعة لها صوتيا، كذلك إذا قال : من زيدًا؟ ومَن زيدٌ؟ جوابا لمن قال : رأيت زيدًا، وهذا زيدٌ، أو نحو ذلك، فـ(مَن) مبتدأ، و(زيد) مجرور أو مرفوع أو منصوب على الحكاية

---

١) انظر الكشاف ٦٢/١.

٢) انظر الحجة لأبي علي ١١٣/١، ١٢٩.

٣) انظر : سيبويه ٤ /١٤٦.

٤) انظر سيبويه ٤ /١٩٦، ١٩٧، و الخصائص ٢ /١٤٥. وذكر أمثلة متنوعة يرويها عن العرب.

٥) الحجة لأبي علي ١١٣/١، ١٢٩.

والإتباع، وهو يسد مسدّ الخبر، ويغنى عنه[1]، وهذا الإعراب يبدو أقرب وأظهر - لمطابقته للظاهر - من قول بعضهم : (زيد) في محل رفع على أنه مبتدأ مؤخر، و(مَن) خبر مقدم[2].

يلحظ المرء هنا أن الحركة قد حافظت على الوظيفة الإعرابية للاسم المتقدم، وحققت الانسجام الصوتي معه، وأغنت عن الحركة الإعرابية في الاسم التابع، ولم يؤثر ذلك في التركيب، فانظر إلى قوة القرينة الصوتية هنا! واعجب ممن يلغي أثر الحركات في التركيب! وانظر بعد لما روي عن بعض العرب من قولهم : "**دعنا من تمرتان**" على الحكاية لقول من قال : ما عنده تمرتان، وقول آخر "**ليس بقرشيًا**" مجيبا من قال له : أليس قرشيا؟ فحكى قوله[3]، ويروى مثل هذا عن أهل الحجاز وهم أفصح العرب، كما يروى عن غيرهم[4].

ويشترط في هذا الإجراء - عند جمهور العرب - ثلاثة شروط :

١. أن يكون المحكي علما أو كنية،
٢. أن يكون في الاستفهام
٣. أن لا يدخل على (من) واو ولا فاء، فإن دخلت الواو أو الفاء صار ما بعدهما مستأنفا، فلم يجز إلا الرفع[5].

وتحرك لفظة (مَنْ) بحركة الحكاية طويلة، إذا كان المستفهم عنه نكرة، فيقال : مَنُو، ومَنا، ومَني، لمن قال : جاء رجلٌ، ورأيت رجلاً، ومررت برجلٍ، والمراد من هذا إعلام السامع أنه تقدم كلام هذا إعرابه، خوفا من أن يكون عرض له بعض ما يلبس عليه ما تقدم، أو تشاغل عن الاستماع،

---

١) انظر : سيبويه ٢/٤١٣، ٤/١٤٦، ١٩٦، ١٩٧، والخصائص ٢/١٤٥، والواضح للزبيدي ١٣٧، وشرح المفصل ٢/١٥٩.
٢) انظر : شرح الحدود للفاكهي ٤١٠.
٣) سيبويه ٢/٤١٣.
٤) سيبويه ٢/٤١٣، ٤/١٤٦، ١٩٦، ١٩٧، والخصائص ٢/١٤٥، والواضح للزبيدي ١٣٧، وشرح المفصل ٢/١٥٩.
٥) المراجع السابقة في (٤).

ونحو ذلك [1]، فاستغنى بتحريك النون بحركة إعراب النكرة المتقدمة حكاية لما تكلم به المسؤول.

وأمثلة ظاهرة الإتباع كثيرة ومتنوعة في التراث العربي، ويخرج عليها كثير من حركات التخلص من التقاء الساكنين، والتذكّر، والوجوه الإعرابية، وحركات الضمائر، والحكاية، وحروف المعاني. كليتَ ومُنذُ وأنَّ .... وحركات التنغيم وإطالة الصوت في النداء والندبة والاستغاثة، وغير ذلك من الدلالات على الوظائف النحوية العامة[2].

٢. حركة الإطلاق

ومما يحمل على أنه من الإتباع الصوتي حركة الإطلاق - ولها وظائف نحوية، ستأتي فيما بعدُ. والمراد بها الحركة التي يوصل بها حرف الروي في القوافي المطلقة، أي المتحركة الآخر، فإن الحركة القصيرة في هذه القوافي تشبع لقصد الترنم والغناء، فتصير حركة طويلة، وهذا نوع من الإتباع، لأنه إتباع صوت بصوت من جنسه حتى يكون طويلا، فيحقق ذلك ثلاثة أغراض:

الأول: الترنم بزيادة الصوت وإشباعه.

الثاني: المحافظة على حركة الروي - إعرابا كانت أو بناءً - لأنها معرضة للزوال بالوقف، لأن القافية محل وقف.

الثالث: الدلالة على نوع الإعراب أو البناء، في الكلمة بظهور الحركة الموصولة، ضمة كانت أو كسرة، أو فتحة، وهذا لا يتحقق في القوافي

---

١) شرح المفصل ١٥٣/٢، وانظر المسائل المنثورة ١٣٩.

٢) انظر: الحجة لأبي علي ١٢٧/١،و الخصائص ٣٣٣/٢ـ ٣٣٦، والتذييل والتكميل ١٧٢/١وارتشاف الضرب ٤٠٠/١، والأشباه والنظائر ١٧/١ـ ٢٨، واللغة العربية معناها ومبناها ٢٧٣.

المقيدة[1]، وهي التي يكون فيها حرف الروي ساكنا[2]، ولذلك قد توقع في اللبس، إلا إذا اعتبرت القرائن الأخرى، كقول الأعشى :

ومن شانئٍ كاسفٍ وجْهُهُ   إذا ما انتميت له أنْكَرَنْ[3]

فلما حذف الصائت القصير الذي هو حركة نون الوقاية في (أنكرني) لزم منه انحذاف المدة التي هي إشباع للكسرة، والإشباع يؤدي وظيفة الضمير، وسبَّبَ ذلك لَبسًا في النون، أهي نون وقاية ؟ أم نون نسوة نقلت حركتها إلى ما قبلها؟، أم تنوين ترنم ؟ أو غير ذلك.

ومثله قول الشاعر الآخر :

لا يُبْعدِ اللهُ أصحابًا تركتهمُ   لم أدر بعد غداة البَين ما صَنَعْ[4]

أي : ما صنعوا[4]، فهذا مبهم، ولو أطلق القافية لزال الإبهام بالحركة الطويلة، لأنها تدل على الإعراب وعلى نوع الفاعل وعدده .

وهذا يدل على أن الحركة الطويلة من جهة الصوت لا تختلف، وإن اختلفت دلالتها أو تسميتها، فهؤلاء فصحاء العربية يصلون بها المتحرك في القافية مطلقا، لا يفرقون بين ما كانت الحركة الطويلة فيه ضميرًا، أو بدلا من تنوين، أو لامًا للكلمة، أو إشباعا لحركة قصيرة من أجل الترنم، لأن الغرض محقق في كلٍّ، وهو الأهم في الشعر، ألا وهو الوزن ومراعاة الإيقاع الصوتي[5]، ومن ثم يمكن تعليل هذه الحركة بأمرين :

---

1) انظر : سيبويه ٤/ ٢٠٤ ـ ٢١٥، و الوافي بمعرفة القوافي ٢٢٨– ٢٣٣، وارتشاف الضرب ٤٠٨– ٤١٠، وشرح الحدود للفاكهي ٤٠٢– ٤٠٤.

2) انظر : الوافي بمعرفة القوافي ٢٢٥، و الكافي في علمي العروض والقوافي ١٦٠.

3) بيت من المتقارب ، ديوان الأعشى ٤٢٢، والتكملة لأبي علي ٢٠٤.

4) بيت من البسيط ، لتميم بن مقبل ، انظر : سيبويه ٤ /٢١١، وشرح أبيات سيبويه للسيرافي ٢ /٣٨٣.

5) انظر سيبويه ٤ /٢١٤– ٢١٥.

أولهما: أن الشعر موسيقى، والموسيقى تكون بالحركة والمد، ولا تكون بالسكون في الغالب .

ثانيهما : أن الحركات هي التي تؤدي غرض الشاعر من الترنم في الشعر، فيشبع الحركة الأخيرة ليمد بها صوته، ويقف بالمد للغرض نفسه(1).

ويُلحِقُ الشعراءُ حروفَ المدِّ الثلاثةَ ما ينوّن ومالا ينوّن، إذا أرادوا الترنم، لأن الترنم لا يحققه إلا مد الصوت(2).

فمن أمثلة إطلاق الحركة في الجر بدلا من التنوين: قول امرئ القيس في مطلع معلقته المشهورة:

قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِي بسقط اللوى بين الدَّخول فحَوملِي

و في النصب قول أبي النجم العجلي :

أوْصَيْتُ مِن بَرَّةَ قَلْبًا حُرًّا بالكلبِ خَيْرًا والحَماةِ شَرًّا (3)

وفي الرفع قول الأعشى :

هريرةَ ودِّعْها وإن لامَ لائمو غداةَ غَدٍ أمْ أنتَ للبين واجمو(4)

وكذلك يفعلون فيما لا يُنَوّن، كقول الشماخ بن ضرار :

أتعرف رسما دارسا قد تغيَّرا بِذِرْوَةَ أقْوى بعد ليلى وأقْفَرا(5)

والأصل : تغيَّرَ، وأقفرَ، كلاهما فعل ماض مبني على الفتح، فأشبع الشاعر الفتح حتى صار ألفا، بالترنم والغناء، لأن الشعر وضع لذلك .(6)

---

1) اللغة العربية معناها ومبناها ٢٧١.

2) انظر سيبويه ٤/ ٢٠٤، ٢٠٥.

3) من الرجز، ديوان أبي النجم العجلي ١٠١، تحقيق سجيع الجبيلي ، ط: الأولى ١٩٩٨، دار صادر ، بيروت.

4) ديوانه ٣٦٩. والبيت من الطويل .

5) البيت من الطويل ، ديوان الشماخ بن ضرار ٤٧ ، ط: الأولى ١٤١٤هـ، دار الكتاب العربي ، بيروت.

6) انظر : سيبويه ٤/ ٢٠٦، وشرح المفصل ٢/ ١٥٤، وارتشاف الضرب ١/ ٤٠٧.

هـ : الحركة الطويلة
مفهومها وأنواعها

الحركة في اللغة العربية إما قصيرة تامة، أو ناقصة، والناقصة هي المختلسة، . وقد مضى الكلام على هذا النوع . وإما طويلة، وهي الناشئة عن الزيادة في الحركة القصيرة وإشباعها، وهي حروف المد الثلاثة : الألف والياء والواو، وتسمى حروف المد واللين، لأنها تخرج بامتداد ولين من غير كلفة على أعضاء النطق، لأن مخرجها متسع، واتساع المخرج يؤدي إلى انتشار الصوت الخارج منه، والصوت إذا انتشر امتد ولان[1]، وتسمى بالحروف المصوتة[2]، وسميت حركة طويلة لأن الصوت يستمر، وهذا الاستمرار يسمى إطالة للصوت[3]ومبالغة فيه، وكل صوت بالغ فيه الإنسان زاد حتى يكتسب صفة متميزة عما كان عليه قبل الزيادة والامتداد، لأن عضو النطق ينتقل تدريجيا كلما زاد الامتداد من علو إلى سفل، ومن أمام إلى خلف، أو العكس، حتى يصل إلى منتهاه، ويظهر هذا في الفتح خاصة أكثر من غيره لأن التجويف الفموي ينفتح معه كلَّه، وكلما ازداد الصوت ازداد الانفتاح وهبوط اللسان[4].

والحركات الطويلة هي نفسها القصيرة التي سبق وصفها، ولا فرق بين النوعين من جهة الجنس، والصوت لا يتغير بإشباع هذه الحركات ومطّها، ولذا يسمى قبل الإشباع صوتاً قصيراً وبعد مطّه صوتاً طويلاً، لأن المسموع واحد في كلتا الحالتين .

مثال ذلك في أوصاف الحروف : اللام في : والله – وبالله، فإنها في كلتا الكلمتين لام واحدة، وإن تغير حجم الصوت بسبب التفخيم والترقيق، ومثل ذلك أيضًا الراء المفخمة والمرققة نحو: رجل ورجال ورسْل ورِسل، فصوت الراء واحد لم يتغير وإن اختلف حجمه، كذلك يقال هنا في نحو:

---

١) انظر : الرعاية لمكي بن أبي طالب القيسي ١٢٦، تحقيق أحمد حسن فرحات ، ط٢، ١٤٠٤هـ دار عمان . الأردن . والمنح الفكرية ٢٣.

٢) الخصائص ٣ /١٢٤ – ١٢٥ .

٣) انظر : السابق مع : الأصوات اللغوية للخولي ٢٠٧ – ٢٠٨.

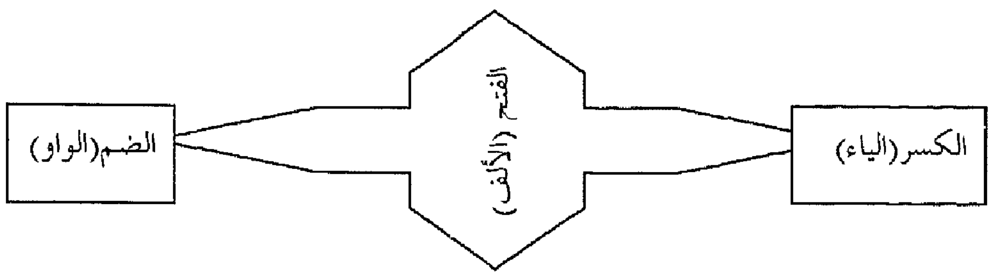
٤) انظر : التحديد للداني ١٠٧، و التشكيل الصوتي في اللغة العربية للعاني ٤٢.

يضربُ ويدعو، ويعي ولم يَعِ، وذهبَ وذهبا، الحركة واحدة وإن اختلفت طولاً وقصراً.

وتسمية الزيادة في الحركة بـ(مدّ الصوت) معروفة عند العرب منذ قديم، فقد روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سُئِل عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم، فقال :

"**كان يمد صوته مدّاً** "[١] . قال مكي القيسي بعد إيراده : " وذِكْر الصوت يدل على نفس المد، وتأكيده بالمصدر يدل على إشباع المدّ"[٢].

وهذه الحروف لما كانت تخرج من جوف الإنسان عبر الهواء الذي يخرج من الفم، من غير اعتماد على جزء من أجزاء الفم، كان شبهها بالصوت المجرد المبهم أظهرَ من شبهها بالحروف المحققة المخارج، ولكن تتميز عن الصوت المبهم بتصعد الألف وتسفل الياء واعتراض الواو داخل التجويف الفموي[٣]، كما يعبر الشكل الآتي :



فأكسبها هذا التوزيع المخرجي العام، تمايزًا عن الأصوات المبهمة التي لا تتميز بصفة ولا مخرج محدد، كأصوات البهائم[٤]، ونحوها.

وتتميز هذه المصوتات الطويلة عن الحركات القصار بشيئين :

---

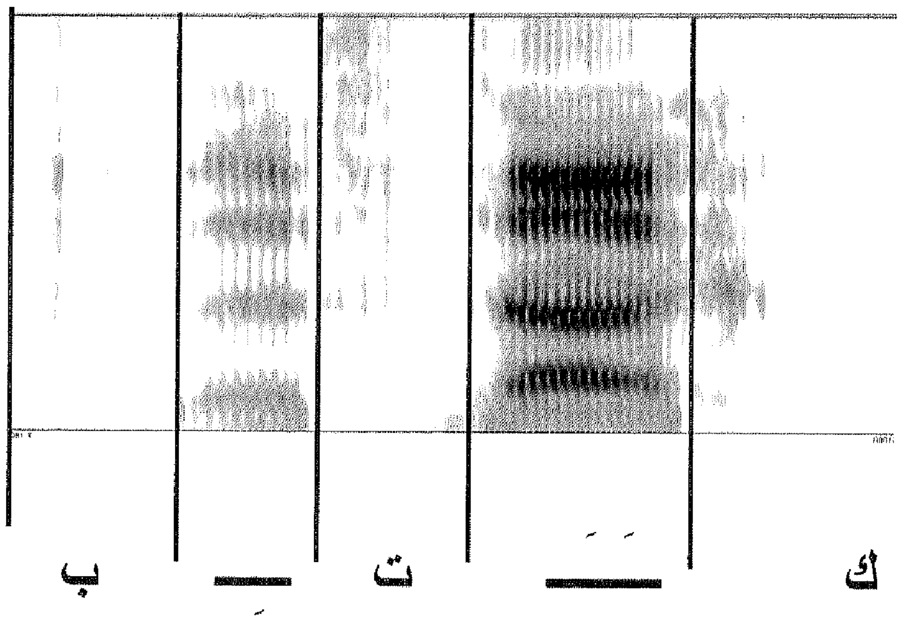
١) الكشف عن وجوه القراءات لمكي ١/٥٧.

٢) السابق نفسه .

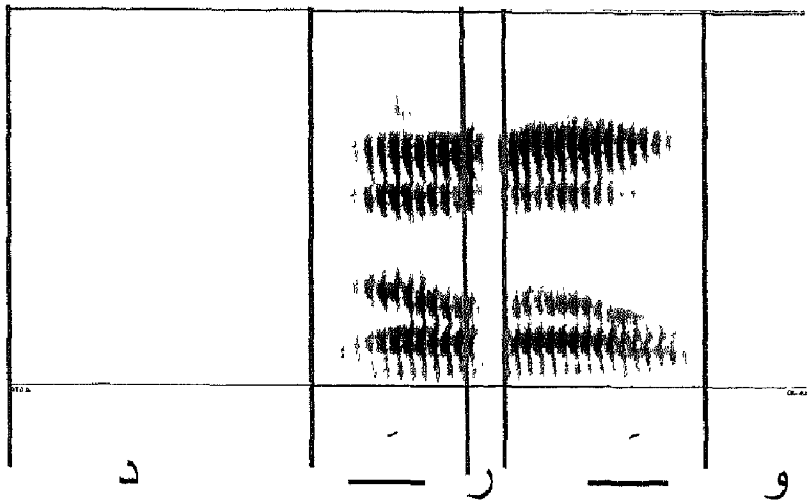
٣) انظر : سيبويه ٤/٤٣٥-٤٣٦ ، والمنح الفكرية ٢٢، ومدخل إلى التصوير الطيفي للكلام ١١٥ – ١١٧، واللسانيات ، المجال والوظيفة والمنهج ٤٠، ط ١، ١٤٢٥، الأردن.

٤) انظر الرعاية ١٤٣.

الأول : زيادة الزمن الذي يستغرقه نطق المَدّ لزيادة كمية الصوت، يتضح ذلك بمقارنة كمية صوت الفتحة الطويلة بعد الكاف في الرسم الطيفي الآتي لكلمة (كاتب) مع كمية الفتحة في الرسم الذي بعده لكلمة (ورَد)[1]:



١) التقطت هذه الصور الطيفية بجهاز (الراسم الطيفي) من صوت الناطق مباشرة، في معمل الأصوات، في مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، بمدينة الرياض.



ومما يُلحظ هنا فخامة الفتحة في هذه الصورة بالقياس إلى الكسرة في الصورة الأولى.

الثاني : أن أعضاء النطق والتجويف الفموي عند إشباع الحركة تحصل لها هيآت تؤثر في نوع الصوت وتكيفه بما يميزه عن الصوت القصير، وبيان هذا : أن الفم والحلق تختلف أشكالهما في الأحوال الثلاث، **فالألف** يكون الحلق والفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر، **والكسرة الطويلة (الياء)** تكون الأضراس معها مكتنفة وضاغطة جنبتي اللسان سُفْلاً وعلْوًا، ويتباعد ظهر اللسان الأمامي عن الحنك الأعلى فيجري الصوت هناك متصعِّدًا مستطيلاً، وأما **الضمة الطويلة (الواو)** فينضم لإخراجها معظم الشفتين، وتبقى فرجة بينهما لإخراج الهواء المنبعث من الداخل، مع ارتفاع مؤخِرة اللسان إلى الأعلى مع بقاء فتحة بينها وبين الحنك يخرج منها النَّفَس، فلما اختلفت أشكال الحلق والفم والشفتين واللسان مع هذه المدات الثلاث، اختلف لذلك الصدى المنبعث من الصدر فتمايزت[1].

---

١) انظر : سر الصناعة ٨/١ ، وأسباب حدوث الحروف لابن سينا ص١٦. وانظر أيضًا : سيبويه ٤٣٥/٤–٤٣٦، والمنح الفكرية ٢٢، ومدخل إلى التصوير الطيفي للكلام ١١٥ – ١١٧، واللسانيات ، المجال والوظيفة والمنهج ٤٠.

ولما كانت الكسرة إذا أشبعت اقتربت جدًا إلى الياء؛ اصطلح على كتابتها ياءً، وكذلك كتبت الضمة الطويلة في الرسم واوًا لمجانستها للواو في المخرج، إذ كلما بالغ الإنسان في ضم الشفتين مع مد الصوت اقترب من الواو[١]، ومعنى هذا أن الضمة الطويلة والكسرة الطويلة ليس لهما رمز مستقل في الكتابة[٢].

وتشترك هذه الحروف الثلاثة في خصائص تميزها وتحدد مفهومها، منها:

١. من جهة المخرج: تخرج من جوف الإنسان مع النفس، ولا معتمد لها في شيء من أجزاء الفم، ثم تهوي في الفم مجهورة حتى تنقطع عند مخرج الهمز في الحلق[٣]. ومن ثَمّ كانت الهمزة أقرب الحروف الصامتة إلى الصوائت في المخرج[٤]، فإن النطق بهذه الأصوات يأتي عن طريق النغمة الحنجرية الناتجة من اهتزاز الوترين الصوتيين، والهمزة تأتي بانطباقهما ثم انفراجهما، وتلك النغمة الحنجرية سببها تذبذب الوترين، فحصل بذلك الاشتراك بين النوعين: الهمزة، وحروف المد[٥].

٢. تنقلب الياء المدية والواو المدية إلى ياءٍ وواوٍ صامتتين عندما يحدث ارتفاع لعضلة اللسان الخلفية، فيضيق ما بينها وبين الحنك، فيحدث بذلك حفيف للريح، ينتج منه الواو اللينة والياء اللينة، نحو: يَوْم، قَوْم، بَيْت، لَيْل[٦].

٣. لما كانت الكسرة الطويلة والضمة الطويلة مشتركتين مع الياء والواو الصامتتين في الرسم، استدعى ذلك وضع علامة تميزهما عن الصامتتين، وهي وضع كسرة قصيرة قبل الياء دلالة على أن الياء غير صامتة، بل هي

---

١) انظر: سر الصناعة ٢٧/١.

٢) انظر: كتاب الكُتّاب لابن درستويه ١٣١، ١١٤.

٣) انظر: سيبويه ٤/ ١٧٦، والخصائص ٢/ ٣١٨، وسر الصناعة ١/ ٧، والتحديد لأبي عمرو ١٣١، ١٦٧.

٤) انظر: العين ١/ ٥٧، و ٧/ ٤٥٦، وتهذيب اللغة ١/ ٥١.

٥) انظر: المدخل إلى أصوات العربية لغانم قدوري ١٦١، وأسباب حدوث الحروف لابن سينا ص١١.

٦) انظر: سيبويه ٤/ ٤٣٥ والأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس ٣٨، ٤٣.

امتداد للكسرة وزيادة فيها، ووضع ضمة قصيرة قبل الواو إيذانًا بأن المدة لهذه الحركة وجزء منها وليست شيئا آخر[1]، فإذا قيل (يدْعُون) ـ بضم العين ـ عُلم أن الواو جزء من الضمة ومدة لها، وإذا قيل (يدعَون) ـ بفتح العين ـ عُلم أن الواو حرف صامت ساكن مستقل، وليس مدة، وهكذا في نحو: (عِين) و(عَين) و(دِين) و(دَين) و(رُوم) و(رَوم) .....[2]، أما الألف فلا تحتاج إلى ذلك لأن ما قبلها لا يختلف .

٤. من خصائص هذه الحروف أيضا امتداد الصوت بهن كيفما شاء الناطق، وقبول الزيادة والنقصان في مقدار المد، بسبب اتساع المخرج[3]، ولا بد فيهن من المد وإن قلّ، لأنهن مدات في خلقهنّ[4]، والأصل في المد ألاّ يتجاوز مقدار حركتين، لأن الحركة القصيرة نصف حرف المد، ولكن يجوز مد الصوت زيادة عن حركتين لسبب يستدعي الزيادة، وإذا زال السبب رجع المد إلى أصله وهو حركتان[5].

٥. يتكون المقطع الصوتي من صامت مع حركة قصيرة، أو مع مصوّت طويل، نحو همزة الاستفهام، وباء الجر، ولامه، وكافه، ونحو: (ما) و(لا) و (في) و (قوا) و (عوا) فِعلا أمر من (الوقاية) و(الوعي) اتصلا بواو الجماعة .

٦. من جهة الوظيفة : تؤدي هذه المصوّتات وظائف الحركات القصيرة في الدلالة على نوع الإعراب، مع الدلالة على المعاني التصريفية، نحو : المسلمون ـ المسلمين ـ المسلمان، دلت الحركة الطويلة على نوع الإعراب، ومعاني الجمع والتثنية والتذكير، ونحو: قُومي ـ أخي ....دلت

---

١) انظر : المدخل إلى علم أصوات العربية لغانم ١٦٥، والمقتضب ٢١٣/١.

٢) المقتضب ٣١٢/١، و فصول في فقه العربية لرمضان ٤٠٧.

٣) انظر : ما سبق في (٢) و سيبويه ٤/ ٤٣٥-٤٣٦، و النشر ١/ ١٩٩، والمنح الفكرية ٢٢ - ٢٣.

٤) الكشف لمكي ٦٢/١-٦٣.

٥) انظر : المسائل البغداديات لأبي علي ٤٨٨، والمنح الفكرية ٢٣، ولطائف الإشارات للقسطلاني ١٧٨/١، والتشكيل الصوتي للعاني ٣٨، والمدخل إلى علم أصوات العربية لغانم قدوري ١٥٥.

الحركة الطويلة على الضمير (المضاف إليه) ونوعه[1]، وتشترك أيضا مع الحركات القصيرة في بناء الصيغ التصريفية، نحو: فاعل ـ مفعول ـ فعّال ـ فعيل ـ فعول ..... ومعنى هذا أن حروف المد تعد وحدات صوتية ذات وظائف على المستوى التركيبي الخاص، وعلى المستوى النحوي العام، من جملة ما يعرف في الفونولوجيا بالمورفيمات المقيدة [2]، ولهذا السبب ـ مع الخصوصية المخرجية السابقة ـ جاءت تسميتها بالحروف وبالحركات الطويلة[3].

٧. لحروف المد قيمة صوتية مهمة جدًا، لا تكون إلا بها، وهي وظيفتها البلاغية، فإنها تعتبر أساسا عند إرادة التصويت والإسماع [4]، وسيأتي الحديث عن هذه الوظيفة في الفصل المخصص للوظائف.

يتبين من الأوصاف السابقة لحروف المد من الجهة الصوتية الوظيفية، أو الصوتية المجردة، أنها حركات، لها كل الخصائص الصوتية التي للحركات، وأهم ذلك أنها ليست كالحروف الصامتة من جهة قبول الحركة والسكون، فالحركات لا تحلها حركات ولا توصف بالسكون، لأنها أصوات جارية غير متحيزة المخارج، وقد أدرك علماء العربية القدماء هذا الأمر، وأكدته الدراسات الحديثة، غير أن كثيرًا من المحدثين جاءت دراساتهم في الوصف الصوتي لهذه الحركات الطوال أكثر وضوحا، وأدق منهجية في المجال التطبيقي، من جهة موافقتها للطبيعة النطقية لهذه الأصوات.

---

١) انظر: الخصائص ٣ / ١٣٥.

٢) انظر: دراسات لغوية لسميح أبو مغلي ٧٠، ط١، ١٤٢٥، الأردن، و اللسانيات لـ(استيتية) ١١٨-١٢٠.

٣) انظر: المسائل البغداديات لأبي علي ٤٨٨، والمنح الفكرية ٢٣، ولطائف الإشارات للقسطلاني ١٧٨/١، والتشكيل الصوتي للعاني ٣٨، والمدخل إلى علم أصوات العربية لغانم قدوري ١٥٥.

٤) اللغة العربية معناها ومبناها ٧١، و انظر: سيبويه ٤ /١٦٥- ١٦٦، ١٧٦، و "في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المد العربية" للدكتور غالب فاضل المطلبي ص٤٥، العراق ١٩٨٤.

ومن الحقائق المؤكدة أن ثمة فرقا بين الحرف الساكن والحرف المتحرك، بأن الساكن لا يجري فيه الصوت ولا تَعْقِبُه الحركة، لأن العضو الناطق يتوقف عليه ولا يستطيع تجاوزه إلا إذا تركه، ومن ثم سمي صوتا انحباسيا. والمتحرك خلاف ذلك، يجري فيه الصوت وتعقبه الحركة، ولا ينغلق عليه النَّفَس، وعضو النطق يتجاوزه إلى حركته[1]. فإذا تأمل الإنسان وجد أن المعايير الصوتية المعتبرة في الحركة تنطبق على حروف المد، وأن المعايير الصوتية المعتبرة في وصف الحرف بالسكون لا تنطبق عليها، وتضافر على ذلك أكثر الدراسات الصوتية الحديثة،كما سيأتي.

أما القدماء فمع أن كثيرا منهم تنبهوا إلى الحقيقة الصوتية لحرف المد، إلا أن المتأمل يجد أن المدَوَّن في كتبهم من ذلك لا يخلو من بعض التعارض، فقد وصفوه بما يفيد أنه حركة مشبعة وليس سكونًا، ومع ذلك أجروا عليه في كثير من الأحيان أحكام الحرف الساكن، ووصفوه بالسكون، حتى لا يكادون يختلفون في وصفه به .

ولأجل الاستدلال على موقفهم المذكور، سأورد بعضًا من كلامهم وأحكامهم التطبيقية، في هذه المسألة، بإيجاز :

فسيبويه يرى أنه ساكن ويحكم عليه بالسكون في جميع كتابه، فيقول : " هذا باب ما يحذف من السواكن إذا وقع بعدها ساكن، وذلك ثلاثة: الألف، والياء التي قبلها حرف مكسور، والواو التي قبلها حرف مضموم. فأما حذف الألف فقولك : رمى الرجل، وأنت تريد (رمى)، ولم يَخَفْ ......"[2] ومضى على هذا في جميع كتابه، ومع ذلك أقر في كثير من المواقع بأن حرف المد كالحركة، لأنه وجد كثيرًا من الأحكام الصوتية للحركات لا فرق فيها بين الحركات القصار والطوال .

---

1) انظر : التفسير الكبير للرازي ١/ ٤٧، وسر الصناعة ١/ ٢٧، ٣٢، والأشباه والنظائر ٢/ ٧٢، واللسانيات المجال والوظيفة والمنهج ٤٠، ٥٤، و مجلة التواصل اللساني ٤٤.

٢) سيبويه ٤/ ١٥٦.

ومن هذا قوله: " ومما يدلك على أن حرف المد بمنزلة متحرك، أنهم إذا حذفوا في بعض القوافي لم يجز أن يكون ما قبل المحذوف[1] إذا حُذِف الآخر، إلا حرف مد ولين، كأنه يعوّض ذلك، لأنه حرف ممطول"[2] وأوضح ذلك في مكان آخر فقال: " وذلك أن كل شِعْرٍ حذفتَ من أتمِّ بنائه حرفًا متحركًا[3]، أو زنة حرف متحرك، فلا بد فيه من حرف لين للرِّدف، نحو:

وما كل ذي لُبٍّ بمؤتيكَ نصحَهُ   وما كل مؤتٍ نصحَه بِلَبِيبِ[4]

فالياء التي بين الباءين ردف"[5].

فهو يستدل على كون حرف المد كالحركة بأنهم إذا أرادوا أن يحذفوا آخر التفعيلة، لم يحذفوه إلا إذا كان ما قبل الحرف المراد حذفه حرف مد، لأن المد الذي فيه يعوّض الحرفَ المحذوف المحرَّكَ وشرحه أبو علي الفارسي بأنه بمنزلة المتحرك لأنه يفصل الساكن غير الممدود بالمد الذي فيه، فيصير الزائد فيه عوضا من الحركة، لأنه زيادة في الصوت، كما أن الحركة في الحرف المتحرك زيادة في الصوت[6].

وتوضيح ما قاله سيبويه بنحو قافية (مفاعيلن) إذا حذف منه (لن) بقي على (مفاعي) فصار إلى (فعولن) وتلزمه هذه المدة في جميع قوافي القصيدة، لأنها حركة طويلة تقوم مقام (لن) المحذوف من جهة الكمية الصوتية، وهذه المدة هي التي تسمى في العروض: حرف الرِّدْفِ، وهذا الإجراء كثير جدًا في الشعر العربي[7].

---

1) المراد بالمحذوف القافية المحذوف آخرها.

2) سيبويه ٤ /٤٣٨، وانظر: النكت في تفسير كتاب سيبويه للأعلم الشنتمري ٢ /١٢٥١، ط: الأولى ١٤٠٧، الكويت.

3) مثل (لُنْ) من (مفاعيلن).

4) البيت من الطويل، لأبي الأسود الدؤلي، الأغاني ١٢ /٣٥٥، وشرح أبيات سيبويه للسيرافي ٢ /٤٣٨.

5) سيبويه ٤ /٤٤١.

6) التعليقة على كتاب سيبويه لأبي علي الفارسي ٥ /١٦٣، تحقيق عوض القوزي، ط: الأولى ١٤١٦هـ.

7) انظر تفصيل ذلك في: الوافي بمعرفة القوافي ٨١–٩٠.

وابن دريد يذكر أن حروف المد واللين احتملت المد، لأنهن سواكن اتسعت مخارجها حتى جرى فيها الصوت [1].

ويؤخذ على هذا القول أمران : **الأول** : أن السكون لا يمكن أن يكون علة المد، لأن السكون ضد الحركة التي هي منشأ المد . **الثاني** : أن الساكن لا يجري فيه الصوت، إلا إذا حرك فيجري الصوت بالحركة، وهذه الحروف يجري فيهن الصوت كما يجري في الحركات القصار، وتلك طبيعتها في الأصل، لا من علة طرأت عليها[2]. ويستدل ابن دريد على سكون الألف بأنها لا يبتدأ بها، لأن اللسان ممتنع أن يبتدئ بساكن[3].

والأظهر أنه لا يبتدأ بالألف - كما لا يبتدأ بأختيها - لأنه لا يبتدأ بحركة مجردة، و بالأحرى ألاّ يبتدأ بإشباعها، فهذه الحروف لا ينشأن إلا عن حركات سابقات لهن، فاستحال أن يقعن في مبتدإ الكلام لذلك، ويدل على ذلك أيضا أنها تسمى حروف مدّ، والمد إنما يكون لشيء قابل للزيادة فينشأ عنه الامتداد، فإذا لم يسبق شيء امتنع الإتيان بحرف المد في الابتداء.

والمبرد يعتبر المدة في نحو : (دابّة وشابّة) خلفا من الحركة، وعوضا عنها[4]، وهذا يدل على أنها ليست سكونا أو حرفا ساكنا . **وأبو علي الفارسي** يدلل على أنه لا فرق بين الحركات القصار والطوال، وأن ما يسميه أهل العربية حركة حقيقة حرف، فالفتحة كالألف والضمة كالواو والكسرة كالياء، في أنهن حروف، كما أنهن حروف إلا أن الصوت بهن أقل من الصوت بالألف وأختيها، وقلة الصوت بهن ليس يخرجهن عن أن يكن حروفًا، لأن من الحروف ما هو أكثر صوتًا من حروف، كـ(الصاد) و(النون) الساكنة، فالنون حرف كالصاد، وإن كان أقل صوتًا من الصاد ....ثم يقرر في النهاية أن المسمى حركة والحرف الذي معه هما في الحقيقة حركتان

---

١) الجمهرة ٤٦/١.

٢) انظر : الخصائص ٣ /١٣٠.

٣) الجمهرة ٤٥/١.

٤) المقتضب ٢٩٨/١، ٣١٩.

للناطق، وكل واحد منهما حرف، ثم استدل لذلك بأن كل واحد منهما يقوم مقام الآخر[1].

وابن جني يؤكد أن حروف المد توابع للحركات القصار، وناشئة عنها، وأن الحركات القصار أوائل لها، وأجزاء منها، وأن الألف فتحة مشبعة، والياء كسرة مشبعة، والواو ضمة مشبعة، وأن متقدمي النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة[2]، كما يقرر أن الألف لا تحرك لأن الحركة لا يمكن تحريكها[3]، ومع ذلك يذكر في مواطن كثيرة من كتبه أن هذه الحروف سواكن![4]

ومكي بن أبي طالب القيسي يقرر أن حرف المد واللين لا تنقل عليه الحركة كما تنقل على الحرفين اللذين ليسا بحرفي مد ولين، لأن الحركة لا تنقل على الحركة[5]، وأن هذه الحروف يتولدن من إشباع الحركات التي قبلهن، والياء والواو في ذلك كالألف، وإنهن في أنفسهن مدات، ثم يذكر - مع هذا - أنهما ساكنتان كالألف[6]! فقد أقر بأن هذه الحروف من إشباع الحركات، وهذا يعنى أنهن حركات، لأن إشباع الحركة لا يكون إلا حركة، وإشباع أي صوت لا يكون شيئا غير الصوت المشبع نفسه، ولولا ذلك لما سمي إشباعا، وقوله "إنهن في أنفسهن مدات" تأكيد لهذا الاستنتاج، ومن المؤكد استحالة مد الساكن، وبعد هذا كله ينتهي إلي القول بسكونهن! ويعلل في موضع آخر جواز الوقف على الساكن الذي قبله حرف مد، بأن حرف المد كالحركة، إذ لا يكون حرف مد ولين حتى يكون حركة ما قبله من جنسه لا يتغيّر[7].

---

1) البغداديات ٤٨٧– ٤٨٨.
2) انظر: سر الصناعة ١/ ١٥–١٦، ٢٣، والخصائص ٢/٣١٥– ٣١٩.
3) الخصائص ٢/٣١٩.
4) انظر (مثلا) الخصائص ٣/١٢٦.
5) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي ١/٥٠، تحقيق محيي الدين رمضان، ط ٢، ١٤٠١هـ مؤسسة الرسالة - بيروت.
6) الرعاية ١٢٥.
7) الرعاية ١٦٠.

وقد يفهم منه أنه يرى أن القول بسكون حرف المد مبني على أنه نوع من السكون غير المعهود في الحروف الصحيحة، ومع ذلك لا يخلو هذا الكلام من خفاء الاتفاق مع ما قبله، ومن بعض الغموض في المراد به من جهة الوصف الصوتي.

ويحتج ابن يعيش لتسمية هذه الحركات حروفا بأن الحركات أصوات والحروف أصوات، وإنما رأى النحويون صوتا أعظم من صوت فسموا العظيم حرفًا، والضعيف حركةً، وإن كانا في الحقيقة شيئا واحدا، ولذلك دخلت الإمالة على الحركة، كما دخلت الألف، إذ الغرض هو تجانس الأصوات وتقريب بعضها من بعض[1]، **وذكر أبو حيان** نحوا من ذلك[2]، **وعلل الرضي** لجواز وقوع الساكن الصحيح بعد حروف المد بأن هذه الحروف هي الروابط بين حروف الكلمة بعضها ببعض، وذلك أن الإنسان يأخذ أبعاضها -أي الحركات القصار- فينتظم بها بين الحروف، ولولاها لم تتسق، ثم يذكر مع ذلك أنها ساكنة! وأن الإنسان إذا أراد نطق الساكن بعدها مد بها صوته حتى تصير أجزاء، فيتوصل بجزئها الأخير إلى ربطها بالساكن الذي بعدها[3].

فقد صرح بأن الحركات القصار أبعاض الطوال، وأنه يُتوصّل إلى النطق بالساكن بجزء المَدَّة كما يتوصل إلى نطقه بالحركة القصيرة، كما في نحو: دابّة وشاقّ ...ونحو ذلك.

وحاول أبو البقاء العكبري - رحمه الله - أن يرد القول بأن حروف المد حركات، معللا رأيه بأمرين: **أولهما**: أن الحرف أصله السكون، ويستحيل اجتماع ساكن من حركات. **وثانيهما**: أن الحرف له مخرج مخصوص، والحركة لا تختص بمخرج[4].

أورد هاتين الحجتين لإثبات صحة تسمية هذه الصوائت بحروف لا بحركات، وكأنه أخذ من هذه التسمية دفع كونهن حركات.

---

1) شرح المفصل ٤/ ١٨٣، وانظر الأشباه والنظائر ٢/ ٧٧.
2) انظر: التذييل والتكميل ١/ ١٤٤.
3) شرح الشافية ٢/ ٢١١.
4) اللباب ١/ ٦٣.

وقد تقدم من كلام أبي علي الفارسي، وابن يعيش الرد على هذه الشبهة، بما فيه الكفاية، ثم إن هذا الكلام يدل على خلاف ما سيق له، فقد ذكر أن الحرف أصله السكون، وهذا صحيح، وتقدم الاستدلال عليه، وأن الحركات لا يمكن أن يكن حروفا سواكن؛ لأن الساكن لا يتكون من حركات، وهذا يدل على أنهن حركات . وهو خلاف ما يريده . لا حروف سواكن.

ثم ذكر في حجته الثانية ما يثبت أن هذه المدات . من الجهة الصوتية . حركات ، لأن ما وصفت به الحركات كله ينطبق على هذه المدات، ولكنه لا يسمي هذه المدات حركات، بل يسميها حروفا، ولا يعني بالحركات إلا القصار فقط، ويرى أن حرف المد حرف مستقل عن الحركة قبله[1].

وهذا يخالف الحقيقة الصوتية لهذه المصوتات وهي الحقيقة التي أدركها كثير من القدماء ممن تقدم ذكر أقوالهم ، وغيرهم، ووافقهم عليها أكثر المحدَثين، من أنها امتداد لحركات ما يسبقها من الحروف . كما تقدم . فالحركة وامتدادها شيء واحد، لا فرق بين أوله وآخره، وتسميتها حروفا أو حركاتٍ مسألة اصطلاحية لا تغير من الحقيقة الصوتية شيئًا[2].

يتبين بعد عرض هذه الآراء : أن النحويين أدركوا أن ثمة فرقا بين الحركة الطويلة (حرف المد) والساكن الصحيح، ولكن كلامهم متفق على وصف حرف المد بالسكون في جميع التطبيقات اللغوية، فكأن الذي دعاهم إلى ذلك . فيما يبدو . ما رأوه من الشبه بينه وبين الصحيح الساكن في بعض الظواهر الصوتية والوظيفية،كالوقوف عليه كما يوقف على الصحيح الساكن، وثقل وصله بساكن بعده في الحشو، ومجيئه ضميرا، ووقوعه فاءً أو لامًا للكلمة، كما هو شأن الحروف الصامتة .

وعند التدقيق والتمحيص يجد المرء أن هذه الأمور لا تقتضي المماثلة الصوتية، وإن اقتضت بعض الشبه من جهة البنية العميقة للكلام، أو من جهة التطبيق الصرفي، ويدل على ذلك أن أوجه الاختلاف أكثر وأقوى بين

---

١) انظر اللباب ١/ ٦٤.

٢) انظر البغداديات ٤٨٨، وشرح المفصل ٤/ ١٨٣.

هذه الصوائت والحروف الصامتة، كما أن مطابقتها الصوتية للحركات الثلاث محل اتفاق[1]، فإن حرف المد لا ينطق وحده، كما أن الحركة كذلك، والحرف الذي يسكن يجوز انفراده واستقلاله بنفسه، فإذا أريد نطقه ساكنا أُتي بهمزة وصل قبله، نحو: ابْ ـ اتْ ـ اجْ....[2] **وحروف المد لا يمكن فيها شيء من ذلك، كما لا يمكن في الحركات القصار، فثبت أنها من جنس الحركات لا من جنس الصوامت**[3]، والصوت يجري في حرف المد، ولا يجري في الساكن، كما ثبت أن حرف المد يجوز اجتماعه مع الساكن الصحيح دون فاصل بينهما في حشو الكلام، ولا يجتمع ساكنان إلا في الوقف للعلة التي تقدمت، أو في بعض الأمثلة العارضة والصيغ القليلة، وحذفه إذا وقع بعده ساكن سببه التخلص من الثقل لا التعذر، نحو: قُلْ ـ لم يكُنْ ـ الذي ارْتضى ـ أدعو الله...... **وهذه الأوصاف كلها مأخوذة من الطبيعة الصوتية لهذا الصائت الطويل، وهي تدل على أنه من قبيل الحركات من جهة الأداء الصوتي .**

فيفهم من هذا أن إطلاقهم على هذه الحركات الطوال أنها حروف ساكنة فيه نوع تجوّز، لما سبق، ولأن تعريف الحرف الساكن لا ينطبق عليها، فالساكن هو: " ما أمكن تحميله الحركات الثلاث، نحو كاف (بكْر) وميم (عمْرو)"[4] وهذه الحركات الطوال لا يمكن تحميلها أي حركة من الحركات الثلاث[5]، فليست إذن حروفا ساكنة، وليست أيضا حروفا متحركة، لأن المتحرك : " هو الذي لا يمكن تحميله أكثر من حركتين"[1]، أي أنه لا يمكن أن يتحمل إلا نوعا واحدا من النوعين الآخرين بعد حذف حركته، وهذه الحركات لا تتحمل حركة ولا حركتين، فلم تدخل في

---

١) لقد تقدم من خلال النقول عن علماء العربية ما يدل على هذا الاتفاق ، ولا خلاف له فيما وقفت عليه من المراجع، وإنما وقع الخلاف فيما عدا المطابقة الصوتية .

٢) سيبويه ٣٢١/٣ ، والمقتضب ١٧٠/١.

٣) انظر تهذيب اللغة ٥٢/١.

٤) سر الصناعة ٢٧/١، و الكشف عن وجوه القراءات لمكي ٥٠/١، واللباب للعكبري ٥٩/١.

٥) الموضح للقرطبي ٧٣-٧٤ .

تعريف الحروف السواكن ولا المتحركة، فبقي أنها حركات زيد في إشباعها وتمكينها[1].

والمراد بهذا كله: الواو التي يرمز بها لإشباع الضم، والياء التي يرمز بها لإشباع الكسر، والألف التي يرمز بها لإشباع الفتح، فخرج بذلك - في الكتابة - الواو التي قبلها فتحة، والياء التي قبلها فتحة كذلك، والألف التي هي صورة الهمز، فهذه حروف تسكن وتحرك، وليست كتلك صوتيا وإن جانستها في المخرج، ولا فرق بين الألف وأختيها في هذه الحال، فإن العلة المانعة من تحريك الواو والياء المديّتين هي نفسها المانعة من تحريك الألف، خلافا لابن جني فيما ذهب إليه - في بعض كلامه - من أن الألف وحدها هي التي تعد حرفا ساكناً لا يمكن تحريكه[2]، مع أنه أثبت في أكثر من موضع أن الألف لا فرق بينها وبين الفتحة، وأنها خصت دون الواو والياء المديتين بمساواة الحركة، حتى إنها تقع قبل تاء التأنيث في الواحد، نحو: حصاة، وقطاة، وصلاة،وهذه التاء لا يقع قبلها إلا الفتح، نحو: حمزَة، وتمرَة، وطلحَة .....[3] وهذا من جملة ما تقدم إيراده من بعض التناقض الذي لا يخلو منه موقف أكثر النحويين من حروف المد.

والمعوّل عليه في معرفة حقيقة أي حرف هو مخرجه، وطريقة نطقه[4]، وهذا ما يدل على أن هذه الحروف من الحركات صوتيا، كما تقدم، والواو والياء الساكنتان المفتوح ما قبلهما ليستا من حروف المد من جهة المخرج، وإنما يُمدّان ويجرى الصوت فيهما لأن سكونهما عقيب الفتح يجعلهما بمنزلة الألف لامتزاجهما بصوت الفتح الذي هو ألف صغيرة.[5]فالواو من الشفتين والياء من وسط اللسان، فهما حرفان صامتان، لكل واحد منهما حيز يحدده[6]، وهذا يؤدي - عقلا - إلى أن كل واو وياء ساكنتين يجب

---

1) انظر مفاتيح العلوم للخوارزمي ٦٧.
2) انظر: الخصائص ٢/٣٣٧.
3) انظر: الخصائص ٢/٣١٨، ٣١٩.
4) انظر العين: ٤١/١، وسر الصناعة ٦/١.
5) انظر الخصائص ٣/١٢٧- ١٢٨.
6) انظر: الموضح للقرطبي ١٢١، والمدخل إلى علم أصوات العربية لغانم ١٥٧.

أن تكونا صامتتين غير مصوتتين، ولو سلّم بأن المديتين ساكنتان لانتقض هذا، لأن المديتين حرفان جوفيان. كالألف. لا يتحيزان بمخرج[1].

ولو كان حرف المد ساكنا لما حذف منه شيء عند الجزم، لأنه حينئذ يكون موافقا للعلامة المطلوبة للإعراب وهي السكون، **فمن الملحوظ أن العلامة التي يتطلبها الإعراب أو البناء، إذا كانت في آخر الكلمة قبل التركيب لا تتغير بالتركيب، ومن أمثلته :**

١. المضارع المرفوع : يقرأ . يدعو . يسعى . يهدي، إذا دخل في التركيب فقيل : محمد يقرأُ كتابه، ويدعو ربه، ويسعى للخير، ويهدي للتي هي أقوم، لم يتغير الأصل، لأن العلامة التي يتطلبها الموقع الإعرابي توافق الموجودة ابتداء.

٢. المضارع المعتل بالألف في حال النصب : نحو : يرضى ويسعى، إذا قيل : لن يرضى ولن يسعى، لم يتغير شيء ؛ لأن العلامة المطلوبة للنصب موجودة من قبل.

٣. اسم (كان)، وخبر (إنّ) : نحو : إن محمدًا صادق، وكان عمرُ خليفةً، لم تتغير علامة إعراب (صادق) ولا إعراب (عمر)، لأن العلامة المطلوبة هي الموجودة في الأصل، قبل دخول (كان) على الجملة الاسمية.

٤. الاسم المنقوص إذا كان مجرورًا، نحو : أُعجبتُ بالداعي، واقتديت بهادٍ، الأصل في (الداعي) و(هادي) الكسر قبل تركيبهما، فلم يتغيرا في الإعراب الذي علامته الكسر؛ لأن الحرف الأخير الذي هو محل علامة الإعراب اتصل بالكسر قبله فصارا صوتا واحدًا ممدودًا، وهو صوت الكسر، فقد صادفت الحركة المُسَبَّبَة عن التركيب المحل صوتا مجانسا فلم تغير فيه شيئا، ولوكان المحل صوتا غير مجانس لتغير، نحو: لن يرمي، لما صادفت حركة الإعراب المُسَبَّبَة عن التركيب محلها حركة طويلة مغايرة لها غيرته بقلبه إلى المجانس لما قبله لتحل بعده.

٥. ومن هذا بناء الأمر الصحيح الآخرِ على السكون على أن أصله الجزم، فلم تتغير العلامة الأصلية، أو جزمه بالسكون بناء على أن أصله البناء

---

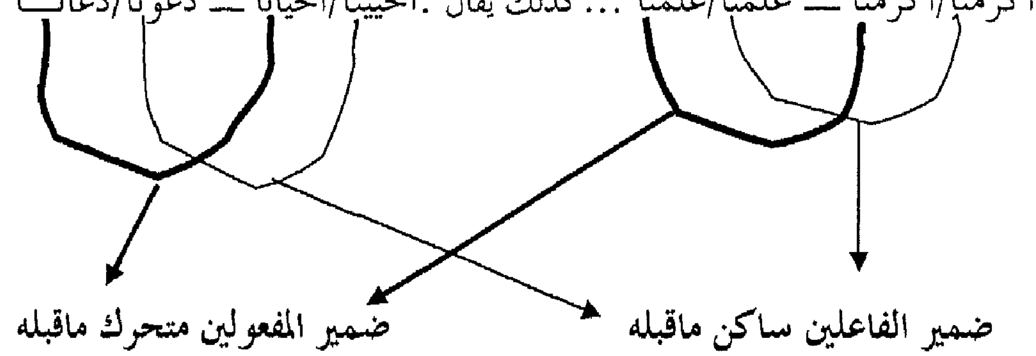
١) انظر المنح الفكرية ٢٢– ٢٣.

على السكون، فصح هذا على المذهبين المشهورين[1]، لأن العلامة المطلوبة توافق ما أصله أهل كل مذهب، فالأصل في البناء السكون، والأصل في الجزم السكون أيضا.

وقد عقد ابن جني لهذه المسألة بابا بعنوان: "باب في الامتناع من نقض الغرض"[2] فرأى أن إلحاق علامة بما فيه تلك العلامة من قبل، نوع من نقض الغرض الذي من أجله جيء بالعلامة، قال: "فلو ذهبت تلحق العلامة العلامة لنقضت الغرض"[3]

ومما يرد القول بسكون حرف المد مجيئه قبل ضمير المفعولين، وهو ضمير لا يقع قبله إلا حركة للتفريق بينه وبين ضمير الفاعلين الذي يجب سكون ما قبله، للتفريق بين طرفي الجملة، لأن السكون فاصل (يقطع) بين المسند والمسند إليه، نحو:

أكرَمْنا/أكرمَنا ــ علّمْنا/علّمَنا ... كذلك يقال: أحييْنا/أحيانا ــ دعوْنا/دعانا



وقد تأثر **بعض المحدثين** بوصف القدماء الحركةَ الطويلةَ بالسكون، فحاولوا إثبات هذا الرأي والدفاع عنه، ومن أمثلة من وقفت له على هذا الاتجاه بوضوح: اثنان، **الأول**: الدكتور مبارك حنون، من خلال دراسة له للمد والسكون نشرها في مجلة (التواصل اللساني) المغربية. **والثاني**: الدكتور تمام حسان، في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) ورأيهما صادر من مشكاة واحدة.

---

1) انظر تفصيل المسألة في اللباب للعكبري ٢/١٧، والإنصاف للأنباري ١/٥٢٤.

٢) الخصائص ٣/٢٣١.

٣) الخصائص ٣/٢٣٥.

فأما الدكتور مبارك حنون فعلل رأيه بما يلي :

أولا : أن هذه الحروف تُقابَل في ميزان العروض بالحرف الساكن، وأن ابن جني قال : " فكما أن سواكن هذه الأحرف إنما تكال في ميزان العروض الذي هو عيار الحس وحاكم القسمة والوضع، بما تكال به الحروف السواكن غيرها، فكذلك هي أيضا سواكن "[1] انتهى كلامه .

وما ذكره هنا وهم لأن ابن جني لا يتحدث عن حروف المد، وإنما يتحدث عن حروف الهمس، و يبين أنهن إذا سكن تبعهن صويت شبيه بالحركة، فأراد أن يبرهن أن ذلك الصويت لا يؤثر في السكون، وأن ما يتبع الحرفَ من همس عند الوقف متمم للحرف وموفّ له وليس حركة، نحو : اسْ . اصْ . احْ، ثم استدل على ذلك بأن هذه الحروف المهموسة يُقابَلْن في العروض بالساكن، كما تقابَل به الحروف المجهورة[2] . ولا علاقة لهذا بحروف المد .

وكما يذكر ابن جني هنا أن الحرف الساكن استمرار صوته لا يجعله متحركا ولا يخرجه من سكونه، لأن ذلك تتميم وتوفية له، فكذلك الحركة، استمرارها وامتدادها لا يخرجها عن كونها حركة، لأن اللاحق منها كالمتقدم، ولا فرق، وكل حركة في اللغة العربية تتلو حرفا صامتا، ثم يعقبها حرف آخر فتنقطع به، سواء أكان الحرف التالي لها ساكنا نحو(كَمْ) و(عَنْ) أم متحركا نحو : (فَعَلَ) فإن حركة الفاء انقطعت بالعين، وحركة العين انقطعت باللام، وحركة اللام إذا لم يلها حرف صامت تحذف عند الوقف فيسكن حرفها، أو تمد حتى ينقطع بها الصوت، نحو (فَعَلا) و (ما) و(لا) ....

فيكون هذا الانقطاع بمنزلة السكون في إنهاء الصوت، لا لكونه حرفا ساكنا، ولكن لأجل انقطاعه عن الاستمرار، فأشبه الحرف الساكن من هذا الوجه، وهذا هو سبب مقابلته بالساكن في ميزان العروض، لأن ميزان

---

١) مجلة التواصل اللساني صـ٤٨ ـ ٤٩، المجلد السادس، العددان : الأول والثاني ١٤١٥هـ . وانظر الخصائص ٢/٣٢٩.

٢) انظر : الخصائص ٢/٣٢٨، ٣٢٩.

العروض مبني على الإيقاعات الموسيقية، التي تتكون من وقع حركة ووقع انقطاعها، ويستوي في انقطاعها كونه على صامت، وكونه على الحركة نفسها، ومن ثم لا يفرق في الميزان الشعري بين أحوال الحركات، ولا يعتد إلا بما يُلفظ به [1]، ولا فرق فيه بين الظاهر و المدغم و المخفى من الحروف، ولا بين المفخم والمرقق، ولا بين الساكن الصحيح وحرف العلة، مع أن هذه الأشياء بينها فروق واضحة جدا من جهة الصوت .

واستنادا إلى هذه المعطيات لا يصح الاستدلال بالعروض في تحديد الحقائق الصوتية للحروف والحركات، والمثال على ذلك: عَروض وضرْب البيت الأول من معلقة امرئ القيس :

قفا نَبْكِ من ذِكرى حبيبٍ ومَنْزِلِ   بسِقْط اللِّوى بين الدَّخول فحوْمَلِ

فإن كلمتي [ومَنْزِلِ- فَحَوْمَلِ] توزن كل واحدة بـ(مفاعلن)، فقوبلت النون الساكنة والواو الساكنة - وهما حرفان صامتان - بألف، مع أن الصوت في الألف ممتد وطويل قابل للزيادة، وفي النون والواو خلاف ذلك، فبان الفرق.

ثانيا : أراد الكاتب أن يعزز رأيه بتفريع المقطع الطويل إلى صائت فنواة متفرعة إلى مصوّت فصائت، هكذا :

---

1) انظر : القسطاس في علم العروض للزمخشري صـ٥٣، تحقيق فخر الدين قباوة ، ط٢، ١٤١٠هـ بيروت.

(في) = ص + مص + ص[١]

صدر المقطع نواة المقطع صامت.

مص مص

وأن هذا يساوي : (كمْ) = ص+مص + ص .

الكاف وحركتها الميم.

فقد فرع الحركة الطويلة في : (في) إلى نواة المقطع، وهي الحركة، وإلى صامت، ويعني به حرف المد، وجعله مساويا للميم في (كم) ولم يلتفت إلى الحقيقة الصوتية عند نطق (في) وهي عدم وجود أي صامت غير الفاء، مستندا إلى ما يذكره علماء الموسيقى في وصف السبب الخفيف . وهو المكون من حركة فسكون . من أنه يقوم مقام نقرة تامة تعقبها وقفة، وكذلك كل مقطع طويل يتكون من نقرة تامة تعقبها وقفة [٢]، وأنه " نقرة وإمساك"[٣].

ولعله فاته أن يتنبه إلى أن هذا مبني على ما تقدم من أن المعيار الإيقاعي يعتمد على الحركة وانقطاعها، مع صرف النظر عن اعتبار نوع الحركة، وعن المدى الزمني المستغرق فيها، **فالنقرة** هي الحركة، **والوقفة أو الإمساكة** هي منقطع الحركة، سواء أكانت هذه الإمساكة حرفا صامتا أم نهاية حركة، ولا أثر لهذا في بناء المقطع الصوتي الذي يخضع لكمية الصوت، وتقسيم تيار الكلام إلى أجزاء بحسب عدد الخفقات الصدرية في

---

١) [ص = صامت] و [مص = مصوّت] ومن المعلوم أن الصامت هو الحرف الساكن ، والمصوت هو الحركة ، وهذه الحقيقة تظهر خطأ هذا التفريع ، لأن الكاتب جعل كلمة (في) متكونة من ساكنين !! وجعل الحركة منقسمة إلى قسمين أحدهما ساكن والآخر متحرك ، وهذا نوع من المحال .

٢) انظر : كتاب الموسيقى الكبير للفارابي ١٠٧٩. نقلا عن المقال المذكور في مجلة التواصل اللساني ص٤٩.

٣) مؤلفات الكندي الموسيقية ٨١. نقلا عن الموضع السابق من المجلة .

أثناء إنتاج الكلام[1]، وبناءً على هذا تكون النواة إما قصيرة، وإما طويلة، ويكون الصامت ما عداها، وتكون الإمساكة (أو الوقفة) هي نهاية الصوت بدون اعتبار لنوعه.

وحاول أن يثبت ما ذهب إليه مرة أخرى عن طريق التشجير العروضي، كما يلي:



أراد بهذا أن يدلل على أن (مص) في المقطع الأول مثل (ص) في المقطع الثاني، لأن كلا منهما قفلت به النواة، فتساوى ثقلهما الصوتي !!

هكذا حاول تحليل الحركة الطويلة عن طريق التشجير العروضي، ليبرهن أن (في) تساوي (كم) أي أن الميم الساكنة في (كم) تساوي الكسرة الطويلة في (في) والمقطعان لهما الثقل العروضي نفسه!

وهذه المساواة غير متحققة حتما، لا على مستوى البنية العميقة التي يعنيها هنا، ولا على مستوى البنية السطحية التي حاول الانتقال منها عن طريق التشجير المذكور، لأن الحركة الطويلة في (في) لم تكن قبل الطول صائتًا مع صامت، كما يوهم هذا التشجير، إذ جعل أصلها (نواة) قابلة للتقسيم! بل الأصل أنها حركة واحدة غير مركبة، أي (نواة) غير قابلة للتقسيم، وبعد مد الصوت بها طالت حتى انقطع الصوت، ولم يخرجها ذلك عن كونها حركة، ولا عن طبيعتها الصوتية المنطوقة، فهي نفسها النواة، وليست قفلا للنواة، كما هو شأن الميم في (كمْ) فإنها غير النواة، لأنها صامت غير ممتد، ومن ثم قفلت بها النواة التي قبلها.

---

1) دراسة السمع والكلام ٢٢٩.

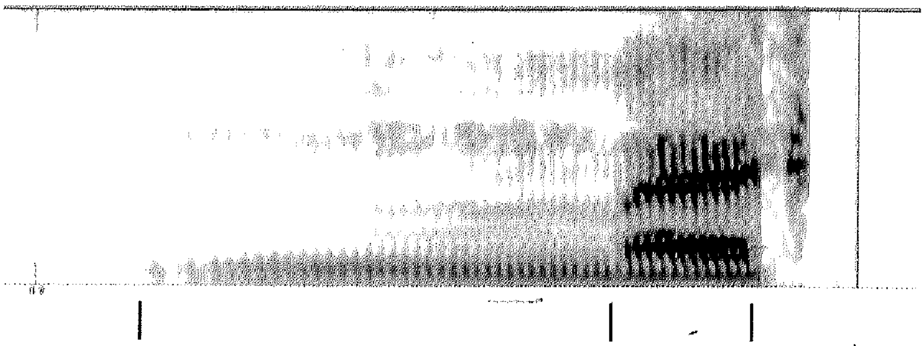
والقول الفصل في هذا أن منقطع الصوت على الميم من (كم) محقق المخرج ومحدد الكمية. كما هو شأن كل صامت. أما منقطع الصوت على الحركة الطويلة في (في) فغير محقق ولا محدد، بل يجوز قطعه في أي موضع بفترة زمنية قصيرة أو طويلة، دون تحديد أو تعيين لذلك الموضع، كما هو شأن كل صائت، ومن ثم سمي مخرجه بالمخرج المقدر[1]. فأين المساواة إذن؟ وعلى فرض التسليم بهذه المساواة، فالكمية الصوتية تختلف عن السكون والحركة ؟ فإن السكون والحركة وصفان توصف بهما الحروف الصوامت، فهما معنيان، والكمية الصوتية هي القَدْر الصوتي الذي تَحَصَّلت منه مادة الحرف، أو "هي المدة التي تبقى فيها أعضاء النطق في الموضع اللازم لنطق صوت ما"[2] ساكنًا كان ذلك الصوت، أو متحركًا. فهي مكَوِّن مادي وليست معنى، وثقل المقطع وخفته غير مرتبطين بالحركة والسكون، ليستنتج أن حرف المد يعتبر ساكنًا، كما قال الكاتب[3]! فإن كان ساكنًا، فلِمَ يجري فيه الصوت ولا يجري في الساكن الصحيح ؟ وقد ساوى الكاتب بينهما ! ولعل هذا يتبين أكثر بتأمل الصورة الطيفية الآتية للكلمتين :

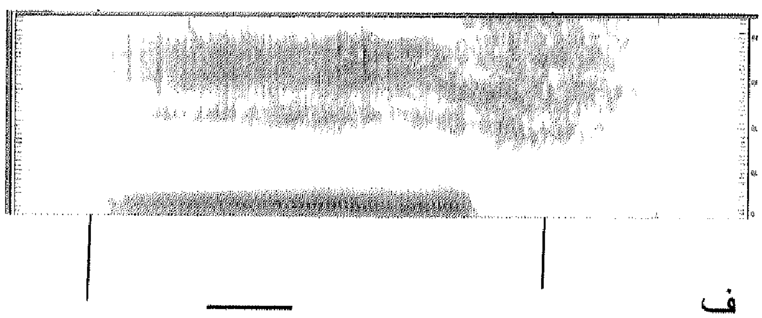
---

1) انظر جهد المقل ١٢٣ – ١٢٥.

2) معجم علم الأصوات للخولي ص١٤١.

3) مجلة التواصل اللساني ٥٢.





فمن الواضح جدًا أن الكمية الصوتية في الصائت الطويل (في) أكبر منها في الميم من (كم) كما أن مدها أطول، مع أني في أثناء التسجيل نطقت الحركة الطويلة هنا بمقدار حركتين فقط، وأطلت في غنة الميم قليلا، ومع ذلك تفاوت المقطعان في الكمية والزمن المستغرق، فقد استغرق زمن الحركة الطويلة : ٥١٥م/ث ـ أي مليمتر في الثانية ـ بينما استغرق نطق الميم : ٣٩٤م/ث، كما ظهر في الجهاز الراسم، ولو كان الحرف غير (الميم) لاستغرق أقل، وإنما طالت الميم بغنتها، ولا أثر لذلك في السكون، كما أني لو شئت لأطلت الحركة الطويلة في (في) أضعاف ما كان، ولا أثر لذلك في وصفها بالحركة.

والحقيقة أن منشأ الثقل المشار إليه هو مغايرة المقطع الصوتي المغلق (كمْ) للمقطع الصوتي المفتوح (في)؛ بسبب اختلاف الطبيعة الصوتية للحركة والساكن، ومن المسلّم به ضرورةً أن السكون لا توصف به حركة،

لا يقال فتحة ساكنة ولا ضمة ساكنة، ولا كسرة ساكنة، لأن الحركة ضد السكون.

وأما الدكتور **تمام حسان** فتحدث عن الواو والياء، وقسمهما قسمين:

١. حرفا لين . ٢. حرفا مدّ .

وقسم اللين إلى متحرك مصحح، نحو: (أقوال وبيان) ومتحرك معتل، نحو: (قال وبان) ثم إلى ساكن مصَحّح كـ(قَول وبيْع) و ساكن معتل كـ (صورة وحيلة)[١]!

فجعل الألف في(قال وبان) متحركا معتلا، بناء على أن أصلهما واو وياء متحركتان : (قَوَل و(بَيَن)، فكأنه يصف هاتين الكلمتين اللتين يُقَدَّر أنهما أصل الألف في (قال وبان)! وترك الحقيقة الصوتية المصيرَ إليها، وهي الألف، مع أن أوصاف الواو والياء هنا لا تنطبق على الألف، فهذا منهج في الوصف غير دقيق، لأن اللغة ينبغي أن توصف كما هي في الواقع الاستعمالي، وصفا مطابقا لما ينطق به أهلها، لا كما يُقَدَّر أنه أصلها [٢]، والقول بأن الألف حرف متحرك فيه خروج عن الظاهر، وهو كقوله بسكون الواو والياء في نحو (صورة وحيلة) والحامل على هذا أن الأصل المقدر لهاتين الصيغتين هو:(فُعْلَة وفِعْلَة) أما المنطوق المستعمل فهو ضمة طويلة وكسرة طويلة، ووصف الصيغة المقدرة قد لا يطابق حقيقة الظاهرة المستعملة، ومن ثم ينبغي للواصف أن يصف المنطوق كما هو، وهذه الحروف فارقت الحروف الصوامت من جهة النطق، بما يقتضي عدم قياسها على الحرف الصامت الذي يجوز تسكينه وتحريكه، لأن الحكم دائر على ما استقرت عليه الكلمة في الأخير، كما تقدم .

ولا يسوّغ هذا الوصف لحروف المد ما عقّب به المؤلف من أن "المقصود بالسكون عند القدماء أن حرف المد يساوي من جهة الكمية الإيقاعية حركة متلوة بسكون"[٣]، وهذه الشبهة هي نفسها التي وقعت للدكتور مبارك حنون، وتقدمت مناقشتها، وتبين ثَمَّ عدمُ دقة هذه المقولة.

---

١) اللغة العربية معناها ومبناها ٧٠.

٢) انظر: دراسة البنية الصرفية في ضوء اللسانيات الوظيفية ٤٠، وتاريخ علم اللغة الحديث لجرهارد ١٣١– ١٣٤.

٣) اللغة العربية معناها ومبناها ص٧١.

السكون

تعريفه وبيان علاقته بالحروف صوتيا ووظيفيا

المراد بالسكون سكون الحرف، وهو خلوه من الحركة، أو هو عبارة عن خلوّ العضو من الحركة عند النطق بالحرف، وذلك يكون بألا يحدث صوت حركة من الحركات الثلاث عقيب الحرف، فينقطع الصوت، فيسمى ذلك سكونًا ووقفًا، وجزما، وقطعا، وكل ذلك بمعنى.[1]

قال المالقي: "فأما السكون فهو عبارة عن تفريغ الحرف من الحركات الثلاث، وسمي جزما، لأن الجزم هو القطع. والحرف المجزوم مقطوع عن الحركة"[2].

فالسكون وصف للحرف الذي لا يوجد مصوت بعده، ولا ينطق الساكن وحده، بل لا بد أن تسبقه حركة، نحو: قُلْ. مَنْ. عِدْ. فإذا حذفت الحركات من الحروف الصوامت استحال نطقها، ولم تصلح لبناء الكلمات اللغوية، لأنها ساكنة.[3]

والحرف الساكن هو ما أمكن أن تعتقب عليه الحركات الثلاث، نحو الباء في (قبْل) والعين في (بعْد) يقال: قبَل. قبُل. قبِل، وبعَد. بعُد. بعِد، فعلم بهذا أنه قبل هذه الحركات الثلاث كان ساكنا خاليا من الحركة، ولو كان متحركا لما صح تحميله إلا حركتين تعتقبان عليه بعد حذف حركته[4]، وسكون الحرف إما أن يكون سكون بناء، وإما أن يكون سكون إعراب، ويرى النحويون أن البناء على السكون هو الأصل، استنادًا إلى أن الحركات زوائد على أصول البناء، ثم تحرك الكلمات بعد ذلك بموجب الإعراب، أو

---

1) انظر الأشباه والنظائر ٧٤/٢.

2) الدر النثير والعذب التمير لعبد الواحد بن محمد المالقي المتوفى ٧٠٥هـ ص٥٧٧، تحقيق: عادل أحمد وعلي محمد، ط١، ١٤٢٤هـ دار الكتب العلمية. بيروت.

3) انظر: الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ١٦٥، ط١، ١٤٢١هـ دار الكتب العلمية، وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي ٩٦٢/١ـ ٩٦٣، و التعريفات للجرجاني ١٢٠.

4) انظر: سر الصناعة ٢٧/١، والموضح للقرطبي ٧٣ـ ٧٤.

القوانين الصوتية اللفظية الأخرى، كالتخلص من التقاء الساكنين والإتباع، ونحو ذلك.[1]

والسكون ظاهرة صوتية مصاحبة لكثير من الحروف في الاستعمال اللغوي، وله أنواع وأغراض متعددة، لأنه يتعاقب مع الحركات وجودًا وعدمًا، البنائية والإعرابية، والأصلية والعارضة، من جهة كون الحرف موصوفًا بالسكون كلما حذفت حركته، **فمنه سكون البناء**، نحو كمْ. قلْ. لنْ، ومنه سكون الإدغام، و هو إسكان الحرف المتحرك لإدغامه في مجاوره، نحو: ذهبْ بِّه. يكتبْ بِّالقلم. آلْ لّوط .....و الأصل : ذهبَ. ويكتبُ. وآلَ أو آلِ، **ومن أنواعه سكون الفصل**، وهو السكون الذي يؤتى به للفصل بين عمدتين : الفعل والفاعل، نحو: كتبْتُ، والأصل : كَتَبَتُ، أو للفصل بين الحركات الكثيرة أو المتنافرة، فتُحذف إحداها تخفيفا للنطق، وتخلصا من الثقل، نحو غُرْفات وكِسْرات، والأصل : غُرُفات وكِسِرات، بإتباع العين للفاء[2]، ونحو: رُسْل وكَتْف وكَبْد .وعَجْز .وعَضْد .وعَصْر، ونحو ذلك، والأصل : رُسُل وكَتِف وكَبِد. وعَجُز. وعَضُد. وعُصِرَ ...[3].

ومن أنواع السكون **سكون الإعراب** الذي يكون علامة للجزم في آخر الفعل المضارع الصحيح الآخر، نحو لم يكتبْ، **والسكون لأجل الوقف**، لأن الحركة لا يوقف عليها إلا إذا أُشبعت أو اختلست، ومن ثم يوقف على كل متحرك بالسكون إلا أن تكون حركته مشبعة، فيقوم الإشباع مقام السكون في قطع الصوت[4]، كما تقدم، أو يكون منوّنا بتنوين نصب، فيوقف عليه بالألف[3]، وهو من جملة الإشباع للحركة، وإذا قصرت الحركة الطويلة بحذف آخرها واختصارها صارت قصيرة فيوقف على حرفها بالسكون، ولا فرق في ذلك بين ما قبل آخره ساكن نحو: ارمْ. اغزْ. اخشْ،

---

١) انظر : سيبويه ٤/ ٢٤١، و المقتصد للجرجاني ١/ ١٢٦ـ ١٢٧، واللباب للعكبري ١/ ٦٣، ٦٦، وشرح الحدود للفاكهي ٣١٦.

٢) انظر الخصائص ١/ ٥٩.

٣) الخصائص ١/ ٧٥.

٤) انظر : سيبويه ٤/ ١٦٨–١٧٢، والتكملة لأبي علي ١٨٧–١٨٩، وارتشاف الضرب ١/ ٣٩٢.

وما قبل آخره متحرك نحو: إن تع أعْ. لم يكْ. بِمْ. لِمْ. إنّهْ. ليتَهْ. لهْ... حذف آخر كل كلمة ووقف عليها بالسكون، وكل هذا مسموع عن العرب[1].

وقد يختلف صوت السكون، لأنه يأتي موافقا لطبيعة الحرف الموصوف به، والحروف الهجائية في ذلك على ثلاثة أضرب:

الأول: حروف القلقلة، وإسكانها يكون بالضغط عليها من مواضعها فيخرج معها صوَيتٌ [2]، لتمييز الحرف عن المجانس له في المخرج، وهي: ق. ج. د. ط. ب، فالقاف إذا لم تقلقل اشتبهت بالكاف، والجيم قد تشتبه بالياء والشين، والطاء تشتبه بالتاء والدال، والباء بالميم، نحو: قدْ. قطْ. ربْ. رجْ.

الثاني: حروف الهمس، إذا سكنت لم ينقطع صوتها مرة واحدة، بل يستمر معها صويت شبيه بالنفخ لخفة الضغط الكائن بين عضوي النطق، نحو: اشْ. اخْ. اضْ. ازْ. اص.

الثالث: ما عدا ذلك من الحروف، كالهمزة والراء والعين واللام والميم والنون والغين، فإن سكونهن لا يتبعه نفخ ظاهر، وإن أمكن استمرار النفس مع بعضها.[3]

وكل حرف يتبعه صويت ونفخ إذا سكن لا يكون كذلك إذا حرك، لأن الحركة تسلبه ما يتبعه من ذلك الصويت، وإذا أُدرج مع السكون أضعفه الإدراج، فصار كأنه مختلساً، لأن تأهب الناطق للذي بعده يستهلك جزءا من الساكن، فإذا وقف عليه تم صوت السكون واجتمع[4]، فهاتان حالان للسكون من جهة القوة والضعف:

أ. **سكون تام قوي عند الوقف**، نحو: كمْ. لقدْ. لم يرتعْ ......

ب. **سكون ضعيف مختلس في حال الإدراج**، نحو: واصْطبر. نفْس. الفكْرة...[5].

---

1) انظر سيبويه ٤/ ١٥٩، ١٦٠، وسيأتي تفصيل هذه الصور المتعلقة بالوقف في بابه إن شاء الله.

2) انظر التحديد للداني ١٠٩.

3) انظر: سيبويه ٤/١٧٤– ١٧٥، والخصائص ١/٥٧، وجهد المقل ١٤٤–١٥٠.

4) انظر سيبويه ٤/١٧٥، والخصائص ١/٥٨–٥٩، وجهد المقل ١٤٤.

5) انظر التحديد للداني ١٠٩.

ويندرج في هذا القسم تقسيمان آخران مبنيان على صفتي القوة والضعف، ذكرهما بعض العلماء، وهما:

١. **السكون الحي**: وهو ما ليس فيه ميل للحركة، لأنه نقيضها، وأظهر ما يتصف به من الحروف حروف الحلق لبعدها عن اللسان، وكذلك كل موقوف عليه.

٢. **السكون الميت**، وهو المشوب بالحركة، وبه وصفت حروف المد عند من ذهب إلى سكونها[١]. وقد تقدم الاستدلال على عدم دقة هذا الوصف لحروف المد. والأولى أن يوصف بالسكون الميت ما تقدم - في مبحث حركة التقاء الساكنين - من السكون المختلس المروي في قراء أبي عمرو، لأنه سكون غير تام.

والسكون كما يتبادل المواقع مع الحركات، كذلك يتبادل معهن الوظائف، لما له من أثر ظاهر، في بناء الصيغ المتنوعة، والدلالة على الإعراب والبناء، فهو من هذه الجهة لا يقل أهمية عن الحركة [٢]، وإن سكون البناء كحركته، وسكون الإعراب كحركته من جهة الدلالة[٣]، وسينجلي هذا في الفصل التالي إن شاء الله.

---

١) انظر: القواعد والإشارات في أصول القراءات للحموي ٥٤-٥٥.

٢) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها ٢٩٥-٢٩٦، وعلم الأصوات لكمال بشر ٤٥٦-٤٥٧، ودراسات في علم اللغة له أيضا ٢٠٢- ٢٠٣.

٣) انظر: الحجة لأبي علي ٦٥/١.

الفصل الثاني
وظائف الحركات والسكون النحوية
بوصفها قرائن صوتية

تعد الحركات والسكون من أهم القرائن الصوتية في النحو العربي، ومن أكثرها دلالة على الوظائف التركيبية، على جميع مستويات الدرس اللغوي، ويكفي دليلا على هذا أن ثمة حقائقَ متفقا عليها في الدراسات النحوية، تتعلق بوظائف هذه الأصوات في المعربات، كمثل مجيء الضم دالاّ على الإسناد في الغالب، والفتح دالا على التخصيص في الغالب، والكسر دالاّ على الإضافة غالبًا ـ قصارًا كن أو طوالا . وكمثل مجيء الفتحة الطويلة دالة على التثنية، والضمة الطويلة على الجمع، والكسرة الطويلة على المفردة المخاطبة في فعل الأمر والمضارع، ونحو ذلك .

بل إن بعض علماء اللغة ربطوا الطبيعة الصوتية لهذه القرائن بالمعاني النحوية، فربطوا بين الضمة والعمد ؛ لثقل العُمد وثقل الضم، وبين الفتحة والفضلات ؛ لخفة الفتح وكثرة الفضلات، ومن ثمّ شاعت وكثر استعمالها، وبين الكسر وما هو متوسط بين الثقل والخفة ؛ وهو الإضافة ؛ لتوسط المجرورات بين قلة المرفوعات وكثرة المنصوبات[1]، وبين قوة الضم وخفة الفتح[2].

ويكفي للتدليل على هذا أن الحروف السواكن التي هي أصول الكلمات العربية، لا تتركب منها الكلمات إلا بإتباعها بالحركات، فينتج من ذلك سبع صور : فتحة قصيرة وطويلة، وضمة قصيرة وطويلة، وكسرة قصيرة وطويلة، هذه ست، والسابعة السكون، أي عدم الحركة، وكل واحدة من هذه الصور السبع تأتي على الوظائف النحوية[3].

---

١) انظر : شرح الكافية للرضي ٥١،٦١/١، والأشباه والنظائر ٢ /٤٤ – ٤٦.

٢) انظر : البيان للأنباري ٣٥٩/١.

٣) انظر : اللغة لفندريس ١١٣.

ولقد أدرك النحويون ما للحركات الإعرابية من وظائف نحوية . كما تقدم . ولكن جمهور المتقدمين ومن تبعهم من المتأخرين ربطوا هذه الحركات بما سموه "العوامل اللفظية والمعنوية" فرأوا أن الحركة أثر ناتج عن تلك العوامل، وجعلوا العلامة مناط الاختلاف الوظيفي بين الكلمات في التركيب، وهذا من أهم المآخذ التي ينتقدها بعض المحدثين على المنهج النحوي القديم[١]. غير أن فريقًا آخرَ من المحدثين نهجوا هذا المنهج فذهبوا إلى أن الحركة الإعرابية مجتلبة لعامل[٢]، وليست سوى ظاهرة صوتية لا أثر لها في الوظائف التركيبية !

ومن أشهر من تبنى هذه النظرية حديثًا فريق من أصحاب نظرية النحو التوليدي، وعلى رأسهم اللغوي الأمريكي تشومسكي والمتأثرون به[٣]، ومنهم عبد القادر الفهري الذي تبنى نظرية تشومسكي في النظام النحوي، من النوع التوليدي التحويلي، واعتبرها النموذج النحوي العام، وانتهى فيها إلى مفهوم عام للعلامات الإعرابية على أنها تأتي تَبَعًا للعامل النحوي، ولم يسند لها وظائف في التركيب، وجعل الإعراب محكومًا بوجود ذلك العامل[٤]، وهذا هو رأي تشومسكي في تعليل الحركة الإعرابية[٥]، ويسمي

---

١) انظر : اللغة العربية معناها ومبناها ٢٠٧، وتقويم المقرر التدريسي في النحو العربي ص٨.

٢) انظر على سبيل المثال : التفكير العلمي في النحو العربي للملخ ١٢٢-١٢٣.

٣) انظر : المعرفة اللغوية طبيعتها وأصولها واستخدامها، لتشومسكي ، ترجمة محمد فتيح: ٣٤٣، ٣٤٦، دار الفكر العربي ١٩٩٣، القاهرة ، و مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي ، لـ(بريجيته) ٢٧٨-٢٨٤، ترجمة سعيد حسن بحيري ، ط١، ١٤٢٥هـ مؤسسة المختار ، القاهرة. و رسالة : اتجاهات البحث في قضية الإعراب عند اللغويين العرب المحدثين لحمزة بن قبلان المزيني ص٢٤٤، جامعة الملك سعود . (مخطوط).

٤) انظر : (ملاحظات حول البحث في التركيب العربي) للفهري ، ضمن كتاب : تقدم اللسانيات في الأقطار العربية ، وقائع ندوة جهوية ، الرباط ، ١٩٨٧، ص٢٧١-٢٨٠، ٢٨١.

٥) انظر : المعرفة اللغوية طبيعتها وأصولها واستخدامها، لتشومسكي ص ١٥٥-١٥٦ ، ٣٤٣، ٣٤٧..

الفهري الإعراب الذي يرى أنه لا يحتاج إلى عامل " إعراب تجرد" كإعراب المبتدإ والفعل المضارع المرفوع[1].

ولئن كان جمهور النحويين قديما وحديثًا يرون أن الإعراب دخل الكلام لإفادة المعاني المختلفة، وأن الحركاتِ الإعرابيةَ معبرةٌ عن تلك المعاني[2]، فإن ربطهم لهذه الحركات بالعامل النحوي ليكاد يلتقي بذلك الرأي الذي ذهب إليه من يجردها من أي مدلول، لما أفضت إليه هذه الفكرة - من الناحية التطبيقية - من تفسيرات شكلية توهم الدارس أن تغيّر الحركات في أواخر الأسماء والأفعال ناتج عن أسباب لفظية صِرْفة، كما أفضت إلى الخروج بـ(العمل) المقصود عن صيغته اللغوية المتمثلة في علاقته بالمعاني النحوية إلى صيغة منطقية، هي إلى المنطق الشكلي أقرب منها إلى منطق اللغة الداخلي[3] المتمثل في منطوقها ودلالاته.

ومن هنا كانت هذه المسألة من الناحية المنهجية هي أهمَّ ما ينتقده جمهورُ المحدَثين على القول بنظرية العامل، ذاهبين إلى أن الداعي إليه محض الصناعة المبنية على قوانينَ منطقية، وهي قوانين لا يمكن الجزم بعلاقتها باللغة[4]، كقانون (القضية المنطقية)[5].

وأما من الناحية النظرية (التطبيقية) فمن أهم النقد لهذه النظرية وجود أعاريب لا عوامل لها، كإعراب الفعل المضارع المرفوع، و المبتدإ، فإن الرفع فيهما لغير عامل، ومن ثم اضطُرّ إلى تقديره معنويًا، طردًا لقانون العمل.

وإن النظرة الفاحصة إلى وظائفِ هذه العلامات الإعرابية - كما سيأتي - ليستبين منها بوضوح أن هذه العلاماتِ جزءٌ من أجزاء التركيب النحوي،

---

١) انظر الحاشية (٤) من الصفحة السابقة.

٢) انظر: الإيضاح للزجاجي ٦٧، ودلائل الإعجاز ٥٥، ٨١، وعلم اللغة بين القديم والحديث ٢٦١-٢٦٢، ونظرات في التراث اللغوي العربي لعبد القادر المهيري ص٥٧ وما بعدها، ط١، ١٩٩٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

٣) نظرات في التراث اللغوي العربي لعبد القادر المهيري ص٦٨، وانظر دراسات في الإعراب للفضلي ١٣٣-١٣٨.

٤) انظر اللغة العربية معناها ومبناها ٢٨، ٢٣١. وعلم اللغة بين القديم والحديث ٣٣٤.

٥) انظر ضوابط المعرفة ٦٨، ٨٢، ٨٣.

ومن هنا كانت قرائنَ على وظائف تركيبية في النظام اللغوي، وليست من تأثير عامل لفظي أو معنوي يصاحبها في التركيب، وإنما هي من تأثير القيم الخلافية بين وظائف الكلمات في الجمل، فإن اختلاف وظائف الكلمات في السياق تعبّر عنه هذه العلامات، كما يُعبَّرُ عنه بغيرها من القرائن، كالتقديم والتأخير، ونحو ذلك[1]، وهو اختلاف لفظي يترجم عن اختلاف المعاني وتنوّعها وعن الفروق بينها[2].

ولو كانت هذه الأصوات التمييزية ناتجة من تأثير عامل آخر . أو تستمد قيمتها من عوامل غير عموم سياقها . لما كان لاختلافها مع وجود تلك العوامل قيمة تذكر، فالنصب والرفع . مثلا . في نحو : (أكرم الرجلَ صديقُه) جيء بهما لبيان القيمة الخلافية بين الفاعل والمفعول، وكما أن الفعل (أكرم) جزء من هذا التركيب، فكذلك القرينتان المميزتان للمسند إليه من المفعول(المخَصِّص) وهما الفتح والضم، هما جزء من هذا التركيب يختل المعنى بالإخلال به، وما علاقة الفعل (أكرم) بهما إلا كعلاقته بجميع أجزاء التركيب، من جهة كونه المعبر عن الحدث الذي نشأت منه العلاقة بين الفاعل والمفعول، فجيء بهاتين الحركتين مميزتين بينهما لفظيًا .

وإن الجزم في نحو (لم يذهبْ زيدٌ) . في نفي الماضي . مدلول عليه بالموقع الذي احتله الفعل من التركيب، وبه يخالف النصب الذي يحتمه التركيب في نحو (لن يذهبَ زيدٌ) . في نفي المستقبل . وهما هنا حكمان لفظيان صوتيان يُدَل عليهما بقرينتي السكون والفتح، في الفعل (يذهب) وأشباهه، ولا علاقة لذلك بمعنى النفي المستفاد من (لم) و(لن) ولا رابط يربطه بلفظيهما أيضًا، وإنما جيء بالأداتين للتعبير عن المعنى المفهوم منهما، وهما مع ذلك من قرائن ما تصحبانه من ألفاظ في التركيب، ولا يلزم من ذلك أن تكونا مؤثرتين موجدتين لتلك الألفاظ، فجاء الجزم قرينة دالة على انقطاع الحدث، والنصب قرينة دالة على عدم انقطاعه .

---

١) انظر : أصول النحو العربي لمحمد عيد ٢٢٥، و نظرات في التراث اللغوي العربي للمهيري ٦٦، و قضايا نحوية للمخزومي ٩٦، واللغة العربية معناها ومبناها ١٨٩، ١٩٨-٢٠٤.

٢) نظرات في التراث اللغوي العربي للمهيري ٦٦-٦٧.

وبهذا يُعلم أن كل علامة إعرابية تُعد قرينة على الوظيفة التي تصحبها من موقعها التركيبي، كما أن بعض الأدوات النحوية لا تتحدد معانيها إلا بالنظر إلى ما تصحبه في السياق اللغوي، نحو: لا. وأنْ. وإنْ. ولمّا. ولَوْ. وما. ومَنْ. ومتى ......إلخ، فإن هذه الأدوات تعد قرائن لفظية ذات وظائف تركيبية، ولكن لا تتحدد وظائفها إلا بما تنتظم به في السياق، نحو (لا يذهبْ أحدٌ) و(لايذهبُ أحدٌ) فالسكون قرينة على معنى الإنشاء، والضم قرينة على معنى الإخبار، كما أنهما قرينتان على الْحُكْمَيْنِ الصوتيَّيْن: الجزم والرفع، والأداة (لا) أفادت المعنيين بما صاحبها من التركيب لا بذاتها، ومن هنا لم يكن ما يصحبها من ظواهر صوتية في التركيب أثرًا ناتجًا عنها، فإن القول بذلك يستلزم أن تكون (لا) هذه أيضا أثرًا ناتجًا عن الظاهرة المصاحبة لها، وذلك دور.

لأن المعاني الدائرة في ذهن المتكلم. أو المستكنة في ضميره. هي الداعية لجميع الألفاظ التي يُركَّب منها الكلام، وكون بعض الألفاظ (كالحركات الإعرابية) قرائن على تلك المعاني يبطل أن تكون هذه القرائن آثارًا لألفاظ أخرى (كالعوامل النحوية) ويضعف قيمتها في الدلالة على المعاني، لأنها تصبح حينئذٍ مجرد أثرٍ مرتبط بالعامل[1]، مع أنها في الأصل جيء بها لتدل على المعاني التركيبية للكلمات، ومن ثم قيل في تعريف الإعراب:

" **هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ**"[2] وهذه العلامات من أظهر الألفاظ المُبِينَة عن معاني الكلام.

---

1) المراد أنها تصبح خاضعة لما يسمى بـ(العوامل النحوية).

2) الخصائص ٣٥/١، وانظر الإيضاح للزجاجي ٦٧.

وفيما يلي أمثلة تطبيقية لأبرز وظائف الحركات والسكون :

أولاً : وظائف تركيبية :

أ. الدلالة على نوع الجملة وحدودها :

١- قال الله تعالى ﴿قالوا سلامًا قال سلامٌ﴾[١]: فونيم الفتح في (سلاماً) يدل على الجملة الفعلية، فهو مفعول مطلق، والمعنى نسلم سلاماً، أو مفعول به للفعل (قالوا) كما يقال : قلت خيرا وقلت شعرا[٢]، ودل فونيم الضم في (سلام) الثاني على الجملة الاسمية، على أن المعنى : عليكم سلام، فهو مسند إليه لمسند محذوف، أو مسند لمسند إليه محذوف، والمعنى : أمري سلام[٣]، أو : هو سلام .

٢ – يجزم الفعل المضارع في جواب الشرط، فيكون جزمه قرينة رابطة للجواب بالشرط، نحو: إن تستغفرْ تربحْ – ومن يزرعْ يحصدْ.

وقال الله تعالى : ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا﴾[٤]، العلامة الإعرابية التي هي القرينة الصوتية ربطت الجواب بالشرط، فإذا فقدت هذه القرينة، وجب الإتيان برابط يقوم مقامها، وهو الفاء السببية الرابطة لجواب الشرط، أو (إذا) الفجائية، بالطريقة المعهودة في هذا النوع من التركيب[٥].

*وإذا اجتمع شرط وقسم جاءت العلامة الإعرابية مميزة بينهما، فيكون القسم مؤكدًا للمعنى المراد من الشرط، سواء ورد معترضا بين جملتي الشرط، أو داخلا عليهما، نحو: " إن تقمْ والله أقمْ " و: لئن قمتَ لا أقومُ " لأن معناه : "والله لا أقوم إن قمت " فجملة الشرط قائمة بقرينتها الدالة على جزأيها، وليس القسم سوى مؤكِّد لها، والقاعدة المعمول بها عند النحويين أن الجواب يكون للمتقدم منهما [٦]، وليس ثمة قرينة تدل على هذا ضرورة إلا العلامة الإعرابية، التي تميز بين المجزوم وغيره.

---

١) سورة هود (٦٩) .
٢) البيان للأنباري ٢ /٢١.
٣) السابق ، و معاني القرآن للفراء ٢ /٢١.
٤) سورة الطلاق (٢) .
٥) انظر :سيبويه ٣ /٦٣، والأصول لابن السراج ٢ /١٧٩ و التصريح ٤ /٣٨٣ .
٦) انظر سيبويه ٣ /٨٤.

٣ – قال الله تعالى : ﴿وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسولُه﴾[١]. قد يتبادر إلى الذهن من ظاهر هذه الآية أن قوله : (ورسولُه) عطف على ما قبله. ومع عدم صحة ذلك معنىً فإن الذي أزال اللبس واحتمالَ العطف هو فونيم الضم في (رسولُه) فقد أفاد أن التركيب من باب عطف الجمل لا المفردات. والمعنى : ورسولُه كذلك، أو : ورسولُه بريء[٢].

٤ – قال الشاعر :

من يفعلِ الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله مثلان[٣]

عد النحويون هذا الموضع من الضرورات لورود الجملة الاسمية في جواب الشرط غيرَ مصدرة بالفاء الرابطة ولا بـ (إذا) الفجائية، وهي قوله: " اللّه يشكرها"[٤] وليس ثمّ ما يدل على الشرط إلا كسر اللام من (يفعل) على أنه كسر لالتقاء الساكنين. فدل هذا الفونيم (الكسر) على السكون الذي هو قرينة الجزم. كما دل على أن (مَنْ) شرطية. ولو ضمت اللام، من (يفعل) على أن (مَنْ) موصولة. لكان ذلك خروجاً من الشذوذ المذكور أو الضرورة.

ومثل ذلك مما يضطر إليه الشعراء قول الآخر :

بني ثُعَلٍ لا تَنْكَعُوا العنزَ شِربها بني ثُعَلٍ من يَنْكَعِ العنزَ ظالمُ[٥]

دل فونيم الكسر في قوله (ينكع) على أن الفعل مجزوم وكسر لالتقاء الساكنين و (مَنْ) شرطية، وخلو الجواب من الفاء الرابطة

---

١) سورة التوبة (٣).

٢) انظر : البيان ١/ ٣٩٤ ، والتبيان للعكبري ٢/ ٦٣٤ .

٣) البيت منسوب لحسان بن ثابت الأنصاري وهو في ديوانه ٥١٦/١، ط : دار صادر، تحقيق الدكتور وليد عرفات ، ونُسب لابنه عبد الرحمن : انظر : نوادر أبي زيد ٢٠٧ ، وسيبويه ٦٥/٣.

٤) انظر : سيبويه ٣/ ٦٤ – ٦٥ ، والارتشاف ٢/ ٥٥٤ ، و الأشموني ٤/ ٢٠–٢١، ط : دار إحياء الكتب العربية.

٥) البيت من الطويل ، منسوب لرجل من بني أسد انظر : الحاشية السابقة مع المحتسب ١٢٢/١ ، وبنو ثُعَل : قبيلة، ولا تنكعوا : لا تمنعوا ، والشِّرْب : النوبة من الشراب .

للشرط، ومن (إذا) الفجائية للضرورة، ولو ضمت اللام - وهي العين في (ينكع) - لم يكن في ذلك شذوذ، لأن الكسر هنا فونيم استبدالي .

٥ - : قد تحتمل الجملة الواحدة أن تقسم إلى جملتين مختلفتين، أو إلى ثلاث جمل، باستبدال الفونيمات الصائتة، فيكون كل صائت قرينة على نوع معين من الجمل، مثال ذلك : جملة "هؤلاء ضاربو زيد" فهذه الجملة فيها احتمالان بالنظر إلى حركة (زيد) فإن حرك بالكسر فالجملة خبرية، و (هؤلاء) مسند إليه و (ضاربو) مسند، وهو مضاف، و(زيد) مضاف إليه، وإن حُرّك (زيد) بالفتح فالجملة ندائية، و (هؤلاء) منادى، على حذف حرف النداء، وقد أجاز بعض العلماء حذف حرف النداء مع اسم الإشارة وإن كان مبهمًا، قياسا على قوله تعالى :

﴿ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم ﴾[1] على أن المعنى : يا هؤلاء[2]، ويكون (ضاربوا) فعل أمر، و(زيدًا) مفعولا به، والجملة إنشائية .

والوحدة الصوتية المميزة لحدود هذه الجمل والفاصلة بينها هي حركة الإعراب في كلمة (زيد) .

ومثل هذا الجملةُ "ما أحسن زيد" بضم النون وفتحها، مع اختلاف حركات الدال تبعًا لذلك، فكل فونيم قرينة على جملة مختلفة، فيقال: "ما أحسنُ زيدٍ" استفهاما، بقرينة جر (زيد) و"ما أحسنَ زيدٌ" إخبارًا، بدلالة رفع (زيد)، و" ما أحسنَ زيدًا" تعجبا، بقرينة نصب (زيد)[3] .

٦. قد يؤتى بمخصّص من المخصصات في الجملة بعد حذف المسند والمسند إليه معا، اكتفاءً بحركة المخصّص الدالة على التركيب كله، لقوة دلالة فونيم الحركة على ركني الجملة، فتكون الحركة كأنها نواة الجملة التي تحددها وتبنى عليها، نحو قول العرب :

---

١) سورة البقرة (٨٥) .

٢) انظر : البيان للأنباري ٤٠٣/١، والتبيان للعكبري ٨٦/١، والبحر المحيط ٤٦٧/١.

٣) انظر : الصاحبي ٦٦.

" **اللهم ضبعًا وذئبًا** "[1] في الدعاء على الغنم، وورد أن بعضًا ممن قال ذلك سئل عما يريد به، فقال: أردت: اللهم اجمع فيها ضبعا وذئبًا[2]، فحذف الفعل والفاعل اكتفاءً بدلالة القرينة الصوتية.

ونحوه قول الشاعر:

أخاك أخاك إن من لا أخا له كساع إلى الهيجا بدون سلاح[3]

قامت الحركة الطويلة في (أخاك) مقام الفعل وفاعله، فأغنت عنهما، إذ المعنى: الزم أخاك[4].

و نحوه قولهم: " **الكلابَ على البقر** "[5] أو: " **الظباء على البقر** " أي: خل الظباء على البقر، كما قال سيبويه[6]، أو: اخترت الظباءَ على البقر، كما قال الميداني[7]، ونحو هذا كثير مما تدل فيه الحركة على المعنى من غير ذكر لركني الجملة (المسند والمسند إليه).

7. قد يكتفى بالحركة الإعرابية دليلا على المعنى الذي سيقت له الجملة، لاشتراك الحركة في أكثر من باب نحوي، فلا يتعين باب من تلك الأبواب، ولكن تأتي الحركة دالة عليها كلها، جامعة للوظائف التركيبية التي هي الغرض من الكلام، ومن هذا الوجه وجدت ثلاث حركات فقط في اللغة العربية، مع تعدد الأبواب النحوية العامة، كالمرفوعات والمنصوبات والمجرورات.

---

1) انظر سيبويه ١/٢٥٥، والخصائص ١/٢٥٠.
2) السابق نفسه.
3) البيت من الطويل، لمسكين الدارمي كما في سيبويه ١/٢٥٦، والخزانة ٣/٦٥.
4) سيبويه ١/٢٥٦، والخزانة ٣/٦٥.
5) جمهرة الأمثال للعسكري ٢/١٦٩، قال: " يُضرب مثلا للأمرين، أو للرجلين، لا يبالى أهلكا أو سلما، ويقال: الكلابُ، و: الكلابَ على البقر، بالرفع والنصب ".
6) سيبويه ١/٢٥٦.
7) مجمع الأمثال ١/٤٤٤، قال وهو مثل يضرب عند انقطاع ما بين الرجلين من القرابة والصداقة.

ومن أوضح ما تمثل فيه الحركة الإعرابية هذه الوظيفة التركيبية نصب كلمة (خيرًا) في قول الله تعالى ﴿فآمنوا خيرًا لكم﴾[1] وقوله تعالى ﴿انتهوا خيرًا لكم﴾[1] فنصب (خيرًا) على أنه مفعول به، والمعنى : وائتوا خيرا لكم، أو نعت لمصدر مقدر، على أن المعنى : إيمانًا خيرا لكم، وانتهاءً خيرا لكم، أو على أنه حال، أو على أنه مسند بعد (كان) مضمرة . عند من يرى جواز إضمارها في مثل هذا الموضع . وهو مناسب للمعنى أيضا[2]، فكل واحد من هذه الوجوه يعد بابا من أبواب النحو، ولكنها كلها تلتقي في هذه الكلمة دون إخلال بالمعنى، في تفسير الجملة بأي منها، فقد كوّنت الحركة الإعرابية هنا العلاقة المحورية التي ربطت بين هذه الأبواب في تركيب واحد.

وذكر سيبويه عن الخليل في توجيه تركيب الاسم المنصوب في الآية السابقة ﴿انتهوا خيرا لكم﴾ أن المعنى " انته وادخل فيما هو خير لك، فنصبته لأنك تعرف أنك إذا قلت له " انته" أنك تحمله على أمر آخر، فلذلك انتصب، وحذفوا الفعل لكثرة استعمالهم إياه في الكلام، ولعلم المخاطب أنه محمول على أمر حين قال له : انته، فصار بدلا من قوله : ائت خيرا لك، وادخل فيما هو خير لك "وساق له سيبويه شواهد وأمثلة كثيرة تدل على تعيين الحركة لنوع التركيب وحدود الجمل .[3]

ولكن هذا التفسير لا يبدو ذا قوة تجمع أنواع وجوه النصب المتقدمة، التي يستدل عليها بفونيم الفتح في هذه الكلمة، لأن الكلام في هذا الرأي يجعل التركيب جملتين : جملة (انتهوا) .(آمنوا) و الجملة المقدرة بـ(ائتوا) أو (افعلوا) وهذا يقصر الإعراب على وجه واحد فقط من التخصيص، والأظهر أن قرينة الفتح هنا أفادت وجوها متعددة من التخصيص في التركيب، لأن هذه القرينة تدل على استلزام الفعل المأمور به للخير، لأن الخير نتيجة

---

١) سورة النساء (١٧٠، ١٧١).

٢) انظر : البيان للأنباري ١/ ٢٧٨–٢٧٩، ومعاني القرآن للفراء ١/ ٢٩٥، والتبيان للعكبري ٤١١/١، وتفسير الطبري ٩/ ٤١٣–٤١٥، تحقيق محمود محمد شاكر، ط: دار المعارف . مصر.

٣) سيبويه ١/ ٢٨٤، وما بعدها .

حتمية لذلك الفعل، فكلمة (خيرًا) تفسير للإيمان، وللانتهاء عن الشرك، المأمور بهما، لأن الإيمان خير، والانتهاء عن الشرك خير، فانتصب لأنه شيء مفعول، ونعت لمفعول، وخبر عن كون مفعول، ومن انتهى عن الشرك فقد فعل خيرا، واتصف فعله ذلك بالخير، وصح الإخبار عنه بالخير، فجاء هذا على أنه فعل واحد في تركيب واحد. وهذا لا يؤديه إلا نصب كلمة (خيرا) فقط، ولا يؤديه أي تركيب آخر يمكن أن يفسر به، ولو رفعت كلمة (خيرا) لنقص هذا المعنى، إذ يصبح الكلام جملتين منفصلتين تحتاجان لرابط مقدر، ويكون المعنى : (فهو خير)، مع فقدان هذه الجملة لما يفيده تركيب الجملة الفعلية من التجدد، كلما تجدد هذا الفعل .

ب ـ وظائف تركيبية إسنادية

من جملة الوظائف التركيبية لفونيم الحركة : الدلالة على المسند والمسند إليه في أي صورة كانا، ومن ذلك :

١. تعيين المسند والمسند إليه في تركيب النواسخ، نحو : إن خالدًا عندك، وإن عندك خالدا، وكان القائمُ سعدا، أو كان القائمَ سعدٌ، كقول الله تعالى ﴿ وكان حقا علينا نصرُ المؤمنين﴾[1] فقد حافظت قرينة الحركة الإعرابية على الوظيفة التركيبية مع تغير موقع الكلمة المعربة في ترتيب كلمات الجملة[2] .

وتقول : " من كان أخوك"؟ و: " من كان أخاك " ؟ فتكون الحركة الطويلة في (أخاك) و(أخوك) دليلا على وظيفتهما التركيبية، ودليلا على وظيفة (مَنْ) ويكون الإعراب في رفع (أخوك) هكذا : مَن : مسند بعد (كان) في موضع نصب، قدم لأنه استفهام، لأن الاستفهام له الصدارة في الكلام، و(أخوك) : مسند إليه بعد (كان) . وفي حال النصب (أخاك): مَن : مسند إليه مبني في محل رفع، و(أخاك) مسند بعد

---

١) سورة الروم (٤٧).
٢) انظر : المقتضب ٤٠٦/١.

(كان)[1]، وجاء تحديد هذه الوظائف بقرينة الحركة الطويلة في (أخاك) و(أخوك).

٢. ومنها التفريق بين الفعل والفاعل في بعض الصور التي ليس فيها قرينة سوى فونيم الحركة، كقولك "أرى أن لا يزيدُ يزيدُ علمًا" على معنى: أرى أنه لا يزيدُ، لمجيء (أنْ) رابطة بعد فعل قلبي (أرى) والفعل المضارع بعدها مرفوع، كقوله تعالى: ﴿أفلا يرون أن لا يرجعُ إليهم قولا﴾[2] قرأها عامة القراء بالرفع، على هذا المعنى[3]، و(يزيد) الثانية هل هي الأولى نفسها؟ أو غيرها؟ يزول هذا الإشكال بنصب الفعل (يزيدَ) بالفتح على أن الرؤية بصَرية لا علمية، فتخلص (يزيدُ) الثانية لكونها فاعلا مسندا إليه الفعل (يزيدَ) كما قرئ بذلك في الآية السابقة[4]، فكانت الفتحة قرينة مفرقة بين الفعل والفاعل المشتبهين في التركيب.

٣. وقد يأتي أحد ركني الإسناد في الجملة الفعلية مشتبها بالمفعول، فلا يفرق بينهما إلا قرينة الحركة، نحو قول الله تعالى ﴿ولقد جاءَ آلَ فرعونَ النذرُ﴾[5] وقوله تعالى ﴿ليُجزَى قوما بما كانوا يكسبون﴾[6] ببناء (يُجْزَى) للمفعول، في قراءة أبي جعفر المدني[7]، فأما آية القمر فظاهرة الدلالة على أن (آل) مفعول، و(النذر) فاعل، والحركة الإعرابية حافظت على وظيفة تعيين كل منهما مع تخلف قرينة الرتبة في التركيب.

وأما آية الجاثية فاستشكلها بعض النحويين[8]، بسبب ورود كلمة (قوما) منصوبة مع بناء الفعل للمفعول، والشائع في اللغة أن المفعول

---

1) انظر: المقتصد ٤١٨/١.
2) سورة طه (٨٩)
3) انظر الدر المصون ٩٠/٨.
4) السابق نفسه.
5) سورة القمر (٤١)
6) سورة الجاثية (١٤)
7) انظر: الدر المصون ٦٤٥/٩، وإعراب القراءات الشواذ للعكبري ٤٦٧/٢ والتصريح ٣٢٥/٢.
8) انظر: إعراب القرآن للنحاس ١٤٤/٤ مع الحاشية السابقة.

به إذا وجد ملفوظا به في الجملة فلا ينوب غيره عن الفاعل[1]، ومن ثم أشكل انتصابه هنا، لأن الفتح يدل على النصب، مع أن السياق يدل على الرفع، فلم يكن للنحويين بد من أن يفسروه على أن الجار والمجرور (بما كانوا) هو النائب عن الفاعل، وبقي المفعول به على انتصابه، وإلى هذا ذهب جمهور الكوفيين [2].

٤ . ومنها الدلالة على المحذوف من ركني الإسناد، كقوله تعالى :

﴿ ولا تقولوا ثلاثةٌ ﴾[3] وقوله تعالى ﴿ سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم.. ﴾ الآية[4].

على أن المعنى : هم ثلاثة، أو العِدّة ثلاثة، قال الفراء : "فكل ما رأيته مرفوعا ولا رافع معه ففيه إضمار اسمٍ رافعٍ لذلك الاسم"[5]، فقرينة الحركة الإعرابية في الاسم المرفوع بعد القول كافيةٌ في الدلالة على الركن المحذوف من التركيب .

ومن هذا النوع قول الله تعالى ﴿وإن تخالطوهم فإخوانكم﴾(٦) رفع (إخوانكم) على معنى فهم إخوانكم، وأجيز النصب على معنى فتخالطون إخوانكم، كما أجيز ذلك في قوله تعالى ﴿ فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم ﴾[7] أي فهم إخوانكم، والنصب على معنى : فاجعلوهم إخوانكم، أو نحو ذلك[8].

---

١) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٤٤ و البسيط لابن أبي الربيع ٩٧٥، والهمع ٢/ ٢٦٧ – ٢٦٨.

٢) انظر : الارتشاف ٢/ ١٩٤، و الدر المصون ٩/ ٦٤٥ والتصريح ٢/ ٣٢٥، ولكن الفراء لحّنها، كما في معانيه ٣/ ٤٦.

٣) سورة النساء (١٧١)

٤) سورة الكهف (٢٢)

٥) معاني القرآن للفراء ١/ ٢٩٦.

٦) سورة البقرة (٢٢٠).

٧) سورة الأحزاب (٥).

٨) انظر : معاني القرآن للفراء ١/ ١٤١، ١٤٢.

ومن أبرز ما تحتفظ فيه الحركة الإعرابية على وظيفة الإسناد من نحو هذا النوع : ما ورد في الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال **[فرب كاسيةٍ في الدنيا عاريةٌ في الآخرة]**[1]رفع (عارية) على أنه خبر لمبتدإ مفهوم من السياق، والمعنى: هي عارية[2]، والقرينة الدالة على هذا هي رفع كلمة (عارية) المدلول عليه بالضم، ولولا ذلك لكان صفة لـ(كاسية) لأن المجرور بعد (ربّ) لا بد من أن يكون منعوتًا، فلما رفع دل على أن النعت هنا جملة وليس مفردا، ومثله قول الشاعر :

إنْ يقتلوك فإن قتلك لم يكن عارًا عليك ورُبَّ قتلٍ عارُ[3]

أي : هو عارٌ ، على رواية من رواه بـ(رُبَّ)[4].

٥ – عندما يؤكد الفعل المضارع المسند لواو الجماعة أو ياء المخاطبة، يحذف ذلك الضمير (المسند إليه) في التركيب، وتبقى الحركة القصيرة دالة على المحذوف لأنه من جنسها صوتياً، ومن ثم سمّى بعض الباحثين في الصوتيات هذا الإجراء اختصاراً كمياً للحركة [5]، وقد تقدمت مناقشة هذه والمسألة في بحث (الحركة الطويلة)، مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ولا يَصُدُّنَّك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك﴾[6]فحذف الضمير الدال على الفاعلين وبقيت الضمة القصيرة دالة على المحذوف، وقال تعالى : ﴿فإما ترينَّ من البشر أحدا﴾[7]حذفت ياء المخاطبة الدالة على الفاعل، وبقيت الكسرة القصيرة دالة على المحذوف، وأمثلته كثيرة .

---

١) صحيح البخاري ٣٧/١، كتاب العلم ، باب العلم والعظة ، ط٢، دار سحنون . تونس.
٢) انظر أمالي السهيلي٧١ –٧٢ ، تحقيق محمد البنا ، ط: ٢٠٠٢، المكتبة الأزهرية للتراث.
٣) البيت من الكامل لثابت بن قُطْنَة ، يرثي يزيد بن المهلب (الخزانة ٥٧٧/٩) .
٤) انظر: المقتضب ٦٦/٣، والموضع السابق في أمالي السهيلي .
٥) مثل الدكتور حازم علي كمال الدين ، كما في كتابه : دراسة في قواعد النحو العربي في ضوء علم اللغة الحديث ص٥٠–٥٧.
٦) سورة القصص (٨٧) .
٧) سورة مريم (٢٦) .

ج. وظائف تركيبية تخصيصية

يأتي فونيم الحركة دالا على إحدى المخصصات في التركيب النحوي، سواء أكان التخصيص بالمرفوعات أو المنصوبات أو المجرورات، كما في الأمثلة الآتية :

١- التفريق بين المفعول به والمضاف إليه، نحو: (أهذان ساعِدا محمداً) و(أهذان ساعدا محمدٍ) دلت قرينة الحركة الإعرابية في (محمداً) - بالنصب - على أنه مفعول به، وأن (ساعدا) فعل أمر مسند لضمير الاثنين، وأن الهمزة للنداء، ودلت في (محمدٍ) - بالجر - على أنه مضاف إليه، وأن (ساعدا) اسم مرفوع، وهو مثنى (ساعد اليد) وعلامة رفعه ألف الاثنين، والهمزة للاستفهام، ولولا تحريك آخر كلمة (محمد) لكان هذا التركيب مبهماً.

ومثله : (أهؤلاء قاتلوا زيداً – قاتلو زيدٍ)، و (كاتبي هنداً – كاتبي هندٍ) ميزت حركة الإعراب بين نوعي المخصِّص "المفعول والمضاف إليه"، كما ميزت بين الفعل والصفة.

٢- قال الله تعالى : ﴿فلما جاء سليمانَ قال أتمدونن بمال﴾[1]: سياق الآية قد يوهم أن (سليمان) فاعل لـ(جاء) لوروده بعده، ولكن فونيم الفتح التالي لنون كلمة (سليمان) دل على أنه مفعول به، فكان مفسراً للمعنى الذي سيقت له الآية، مرتبطاً بما قبلها وما بعدها، وفهم من الفتح أن المعنى : (فلما جاء الرسولُ سليمان)[2].

٣. يأتي النعت (المخصِّص) السببي غيرَ مطابق للمنعوت من جهة التذكير والتأنيث، والجمع والإفراد والتثنية، فتكون الحركة الإعرابية هي القرينة التي تحدد المنعوت، نحو : "هذا رجل كريمةٌ أخلاقه" و"رأيت شجرة يانعا ثمرها" و"مررت بقرية متهدمٍ بنيانها" تفردت العلامة الإعرابية في النعوت :(كريمةٌ. يانعًا. متهدمٍ) بالدلالة على المخصَّص

---

١) سورة النمل (٣٦).

٢) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٢٩٣.

بالنعت، ولولاها لما ظهر كون هذه الكلمات نعوتا مفردة لما قبلها، بل يكون ذلك غامضا ؛ لعدم مطابقة النعت للمنعوت في الجنس[1].

٤ـ قال الله تعالى ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه آزرَ﴾[2]قرئت كلمة (آزر) بالنصب المدلول عليه بفتح الراء، عند جمهور القراء، وقرئت بالرفع المدلول عليه بضم الراء، فالنصب على أنه بدل من (أبيه) وفتح لأنه علم أعجمي، والفتح قرينة الجر في الممنوع من الصرف، والرفع على أنه منادى علم مفرد[3]، ومثله في البدلية : في الأفعال : قول الراجز :

إن عليَّ اللهَ أن تبايعا   تؤخذَ كرهًا أو تجيءَ طائعا[4]

دل فونيم الفتح في (تؤخذَ) على أنه بدل من (تبايع) المنصوب قبله[5]، وعززه عطف (تجيء) منصوبا عليه، والدليل على كون الفتح هنا فونيما نحويا أنه لو استبدل به الضم أو السكون لتغير الإعراب، ولم يلتئم معنًى مع ما قبله، إلا بتأويل وإضمار .

٥ـ قد يتعذر التفريق بين الفاعل والمفعول فيما لا يحرك آخره بعلامة مميزة، فيأتي المخصص ذو العلامة المميزة لتعيين المتبوع، نحو " أكرم يحيى نفسَه بشرى " فقد دلت قرينة الفتح المخصصة في (نفسَه) على المفعول الذي هو (يحيى) وعلى أن (بشرى) فاعل[6].

٦ـ قال الله تعالى ﴿ذو العرشِ المجيد﴾[7]قرئ " المجيدُ" بالضم، و"المجيدِ" بالكسر، فالضم على أنه نعت لـ(ذو) والكسر على أنه نعت لـ(العرش)[8].

---

١) انظر : شرح المفصل لابن يعيش ٦١٤/١ – ٦١٥.

٢) سورة الأنعام (٧٤).

٣) انظر : معاني القرآن للأخفش ٣٠٤/١، ومعاني القرآن للفراء ٣٤٠/١، والمحتسب ٢٢٣/١.

٤) رجز مجهول القائل : سيبويه ١٥٦/١، والمقتضب ٦٣/٢ والخزانة ٢٠٣/٥.

٥) انظر مع ما سبق : معاني القرآن للأخفش ٣٠٤/١.

٦) انظر : الخصائص ٣٥/١.

٧) سورة البروج(١٥).

٨) انظر : حجة القراءات لابن زنجلة ٧٥٧، تحقيق سعيد الأفغاني ، ط٤، ١٤٠٤هـ مؤسسة الرسالة ـ سوريا. و معاني القرآن للأخفش ٥٧٥/٢.

فقد عَيَّنْتَ قرينةُ التخصيصِ الموصوفَ من بين المضاف والمضاف إليه، ولم يكن ليتعين لولا هذا الفونيم، لأن المضاف والمضاف إليه كليهما صالحان للنعت الموجود .

وهذا يبين أن علاقة الصوتيات الوظيفية بالنحو تظهر في تحديد الأوجه الإعرابية، والمعاني التركيبية، وتعليلها عن طريق معرفة الاختيارات المتاحة خلال السياق[1]، بناء على الوظائف التي تحددها القرائن الصوتية المصاحبة، فإذا كانت الكلمة تؤدي أكثر من وظيفة فإن العربي الفصيح حين ينطقها لا يريد بها أكثر من معنى، ومن الوسائل المتاحة لمعرفة ذلك المعنى الذي وظفت له الكلمة قرينة: الحركة الصوتية .[2]

ومثل الآية السابقة :قول الله تعالى﴿والذِينَ سَعَوْا في آياتِنا مُعاجِزِين أولئك لهمْ عذابٌ مِنْ رِجْزٍ أليمٌ﴾[3] قرئت كلمة (أليم) في القراءات السبعة المتواترة بالرفع والجر [4].

والوظيفة التي استعملت لها هذه الكلمة هي نعت ما قبلها زيادة في معناه، وبياناً لفظاعته وبلوغه منتهى المكروه، وذلك أدعى للزجر والتنفير، ولكن ما قبلها كلمتان،كلتاهما تطلبها نعتا لها، وهما (عذاب) و(رجز) والقرينة الصوتية – وهي هنا الحركة الإعرابية – هي التي تحدد المنعوت وتجرد الصفة لموصوفها، فمن قرأ بالرفع أراد وصف العذاب، ومن قرأ بالجر أراد وصف الرِّجْز .[5]

إن الرفع والجر لهذه الكلمة اختياران يقوم أحدهما مقام الآخر وظيفياً، ومميزان مدركان يوفرهما النظام النحوي للمتكلم عند أدائه لهذه الجملة

---

١) انظر لتصور شامل لهذا : مدارس اللسانيات التسابق والتطور ٢٤٢، ٢٤٣.

٢) انظر (علم الصوتيات وأهميته) مقال لعبد العزيز أحمد في مجلة كلية الشريعة واللغة العربية بالقصيم العدد ١ ص٣٩٤ .

٣) الآية (٥) من سورة سبأ .

٤) انظر : السبعة لابن مجاهد ٥٢٦، والنشر لابن الجزري ٢/ ٣٤٩.

٥) انظر : إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ٢/ ٢٠٩.

بحسب الدلالة التي سيقت لها[1]، وهذه العلاقة الوثيقة بين البنية العميقة التي تحمل أساس المعنى الوظيفي، وما يمكن أن تتحول إليه من بنى سطحية[2] عن طريق الوحدات الصوتية[3] تُعدُّ من ضمن ما تتحدد به الجمل النحوية السليمة في البنية اللغوية[4].

وأساس هذه العلاقة بين الصوتيات الوظيفية والنحو مبني على ما تقدم ـ في الفصل الأول ـ من أن دور الصوتيات الوظيفية هو الكشف والوصف والتصنيف للقواعد الصوتية الخاصة بلغة معينة، والنحو كذلك وظيفته استغلال الصوتيات الوظيفية بخصائصها تلك لبيان قواعد لغة معينة، مستخدما تلك القواعد الصوتية.[5]

د ـ وظائف إسنادية تخصيصية

قد تكون الوظيفة التركيبية لفونيمات الحركات والسكون : التفريق بين أحد ركني الإسناد وأحد المخصصات في الجملة، أوفي تركيب مماثل، ومن أمثلة ذلك :

١. قال تعالى﴿ يطوف عليهم ولدانٌ مخلدون بأكوابٍ وأباريقَ وكأسٍ من معينٍ لا يُصدَّعون عنها ولا يُنْزِفون وفاكهةٍ مما يتخيرون ولحمِ طير مما يشتهون وحورٌ عينٌ﴾[6]. قرئ: (حور) بالرفع والجر. فدل الرفع المدلول عليه بالضم على الإتباع النعتي لـ(ولدان)، أو على إضمار مسند

---

١) انظر هذا المفهوم للفونيمات المميزة : (الطبيعة الداخلية للغة) في : الموسوعة اللغوية ١/٣٣-٣٤ .

٢) أي : الألفاظ التي تستخدم للتعبير عن المعاني الذهنية .

٣) كالضم والكسر الدالّين على الرفع والجر في الآية السابقة .

٤) انظر حول هذا المفهوم للصوتيات الوظيفية : مدارس اللسانيات التسابق والتطور ٢٤٥ .

٥) انظر : دراسة الصوت اللغوي ٦٨، علم الأصوات لكمال بشر ٦١٢، و (الطبيعة الداخلية للغة) في الموسوعة اللغوية ١/٢٩.

٦) سورة الواقعة (١٧، ٢٢)

والمعنى : (وعندهم حور عين) أو نحو ذلك، ودل الجر المدلول عليه بالكسر على الإتباع للخمر والفاكهة واللحم من باب المشاكلة.[1]

٢. التفريق بين الحال والخبر، نحو قولك :"هذا غلاماً أحسنَ منه رجلاً" فالوصف هنا وظيفته بيان حال الموصوف، والمراد شخص واحد، وإذا قيل: (هذا غلامٌ أحسنُ منه رجلٌ) بالرفع فكل واحد من المرفوعين خبر عن مبتدإ، والمراد شخصان.[2] والقرينة الصوتية المؤدية لهذه الوظيفة هي الفونيمان المتبادلان الموقع : الفتح والضم.

٣. التفريق بين ضمير الفاعلين وضمير المفعولين بقرينة سكون ما قبل الأول، وفتح ما قبل الثاني: نحو: أكرمْنا–أكرمَنا–حملْنا–حملَنا–وصلْنا–وصلَنا ......

٤. قال تعالى :﴿ قُلْ بَلى وربي لتأتينّكم عالمُ الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة﴾[3] قرئ: بالجر و الرفع في (عالم) على أنه يمكن أن يؤدي وظيفتين: إسنادية وتخصيصية، فالرفع على أنه أحد ركني الجملة الاسمية، والآخر مفهوم، والجر على أنه نعت لـ(ربي) أو لـ(للّٰه) في الآية السابقة[4]، والقرينة على الوظيفتين : الضمّ والكسر، كلاهما فونيم تتغير الوظيفة باستبداله، أو بإحلال أحدهما محل الآخر .

٥– وقد يأتي المسند أو المسند إليه مع المخصص في جملة من غير ترتيب فلا يتعين أحدهما إلا بحركته الدالة عليه، كقول الله تعالى ﴿وكذلك زَيَّنَ لكثيرٍ من المشركين قتلَ أولادِهم شركاؤُهم ﴾[5] في قراءة الجمهور، وفي قراءة ابن عامر الشامي ﴿زُين لكثير من المشركين قتلُ أولادَهم شركائهم﴾[6] ففي التركيب الأول (قتلَ) مفعول به،

---

١) انظر معاني القرآن للفراء١/١٤
٢) انظر : الصاحبي ١٩١.
٣) سورة سبأ (٣) .
٤) انظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي ٢/٢٠١ ، تحقيق محيي الدين رمضان رسالة . بيروت .
٥) سورة الأنعام (١٧٣)
٦) انظر : السبعة لابن مجاهد ٢٧٠.

و(أولادهم) مضاف إليه، و(شركاؤهم) فاعل، جاء كل فونيم في هذه الكلمات محافظا على وظيفته التركيبية، مع تخلف قرينة الرتبة في السياق، وفي قراءة ابن عامر فصل بين النائب عن الفاعل (قتلُ) والمضاف إليه (شركائهم) بالمفعول به (أولادَهم) فلولا فونيمات الحركات لالتبس كل ذلك، ولكن قوة دلالة الحركة على وظيفتها التركيبية سوّغ هذا التوسع في التقديم والتأخير، والفصل بين المتضايفين بما لا يفصل به عادة[1].

٦. كثيراً ما ترد المنصوبات المخصّصة في اللغة العربية في تركيب خال من ركني الإسناد، فتكون قرينة الحركة هي العمدة في الدلالة على الإسناد مع دلالتها على تخصيصه في الكلمة المقرونة بها، ويستوي في ذلك ما يجوز تفسيره بذكر فعل مناسب معه، وما لا يظهر الفعل معه، نحو: سقياً ورعياً، وسحقا وبعداً، وتعساً وتبّا، وجدعًا وعقراً، وخيبةً وتُربا، وجندلاً، وفاهًا لفيك، وهنيئًا مريئا، و ويحَك وويلَك، وحمدًا وشكرًا لا كفراً، وعَجَبًا، وحبًا وثناءً، وسبحانَ الله، وعياذًا بالله، ومعاذَ الله، و إيهًا، وسكوتًا، وضربًا عمرًا، وقياما، وحجًا مبرورًا، وسعيا مشكورًا، وأهلا وسهلا .... ونحو: أخذته بدرهم فصاعدًا، ومنها ما يأتي في التحذير، كإياك والأسد، أو: الأسدَ الأسدَ[2]، ومن ثم قال الفراء: " وجميع الأسماء والمصادر وغيرها إذا نويت الأمر نصبت، نحو: اللهَ اللهَ يا قوم، و﴿غفرانَك ربّنا﴾[3]...."[4]

ومنها ما يأتي بعد واو المعية، نحو: **ما صنعتَ وأباك ؟** و: **لو تركت الناقة و فصيلَها**، ومنها ما يكون بعد استفهام، نحو: **كيف أنت وزيدًا ؟ وما شأنك وسعيدًا ؟ وما لك وخالدًا ؟ و أقائمًا وقد قعد الناس؟ و أتميميا مرة وقيسيا أخرى ؟** وأمثال هذا النصب كثيرة جدا في لسان العرب[5]، وأكثره في باب

---

١) انظر: معاني القرآن للفراء ١/٣٥٧، والحجة لأبي علي ٣/٤٠٩-٤١٣.

٢) انظر: سيبويه ١/٢٩٠-٣٤٣، والمقتضب ٣/٢١٢-٢٣٦، والمقتصد ١/٥٩٠، ٦٥٩، وشرح المفصل لابن يعيش ١/٢٢٠-٢٢٩، والارتشاف ٢/٢٢١ وما بعدها.

٣) سورة البقرة (٢٨٥).

٤) معاني القرآن ١/١٨٨.

٥) انظر: سيبويه ١/٢٩٠-٣٤٣، والمقتضب ٣/٢١٢-٢٣٦، والمقتصد ١/٥٩٠، ٦٥٩، وشرح المفصل لابن يعيش ١/٢٢٠-٢٢٩، والارتشاف ٢/٢٢١ وما بعدها.

المفعول المطلق، ولكنه يأتي في جميع أبواب المنصوبات، وللعلامة ابن هشام الأنصاري رسالة خصصها في توجيه بعض المنصوبات نحو: **فضلاً ولغةً وأيضًا و خلافًا وهلمّ جرًّا** [1].

كل كلمة قد أدّت وظيفتين: إسنادية، وتخصيصية، عن طريق القرينة الصوتية التي هي فونيم الفتح، لدلالته على المعنى الوظيفي المباشر للفظة؛ كالمفعولية والحالية والوصفية، وهذه المعاني منبئة عن الإسناد الذي جاءت مخصِّصة له، واستغني بها عنه.

ومن شواهده في المفعول به قول الله تعالى ﴿والخيلَ والبغالَ والحميرَ لتركبوها وزينةً﴾[2] فقد أغنى فونيم الفتح - الدال على التخصيص - عن ذكر المسند والمسند إليه، والمعنى: (وخلق) أو: (وجعل) أو: (وسخر)[3]، فصارت وظيفته الدلالة على التخصيص والإسناد معًا،وهذا المعنى لم يكن ليفهم من هذه الآية لو بدل الفتح بغيره.

وقد أنشدت عليه العرب ما لا يحصى كثرة من الشعر[4]، لما في هذا النوع من التركيب من اختصار الكلام، والاستغناء باللفظ الواحد عن كثير من الألفاظ، مع خفة صوت الفتح من جهة قلة الجهد العضلي الذي يحتاجه عند النطق، فجمع إلى هذه الوظائف التركيبية المتعددة وظائف صوتية فونولوجية.

والاقتصاد في استعمال فونيمات اللغة بالاكتفاء بعدد محدود من الوحدات الصوتية، مما يؤكد علماء الصوتيات أهميته[5]، ومع هذا كله يأتي بعض المعاصرين فيزعم أن الفتح ليس علامة إعراب ولا دلالة له على شيء!!![6] وتقدمت مناقشته في الفصل الأول.

---

1) رسالة في توجيه النصب، تحقيق حسن موسى الشاعر، ط1، 1404هـ الأردن.
2) سورة النحل (8).
3) انظر: معاني الفراء 2/97.
4) انظر - مع ما سبق في (1) -: الخصائص 2/425-427 ومابعدها.
5) انظر: القضايا الأساسية في علم اللغة، لـ(كلاوس هيشن) تعريب الدكتور سعيد حسن بحيري ص 68 - 69، ط1، 1424هـ، مؤسسة المختار - القاهرة. (انظر كلام المعرّب في الحاشية)، و: وظيفة الألسن وديناميتها لـ(مارتينيه) 211 وما بعدها.
6) انظر: إحياء النحو لإبراهيم مصطفى ص 50.

ثانيا : وظائف أسلوبية

تأتي الحركات والسكون في الأساليب الخبرية والإنشائية قرائن على أنواع الجمل، محدِّدَةً لأنواع أدوات المعاني كالنهي والنفي والعطف والاستفهام والنداء، ونحو ذلك، ومن أمثلته:

أ. الدلالة على النداء بحركة المنادى إذا كان حرف النداء محذوفا، نحو : (عبادَ الله أنتم مسؤولون أمام الله) اشتركت العلامة الإعرابية في (عبادَ) مع السياق في الدلالة على النداء، مع عدم وجود أداة النداء، ونحو ذلك قول العرب : " **افتدِ مخنوقُ** "[1] و " **أصبحْ ليلُ**"[1]، المعنى : يا مخنوق، ويا ليل، ولو وضع الفتح مكان الضم لم يكن نداء، ولكان الأول حالا، والثاني ظرفًا، لأن الضم هنا يعد مقابلا صوتيا للفتح[2]، وهذا معنى (الفونيم الاستبدالي) وهو الذي يتغير المعنى باستبداله بغيره، وذلك يدل على أنه وظيفي، ومن ثم اعتبر كثير من علماء الصوتيات منهج الاستبدال في (الفونولوجيا) هو المنهج الذي تتحدد من خلاله حقيقة الفونيمات[3]، ومن هذا التبادل التوزيعي المنتج للوظائف الفارقة التي هي الوظائف المحورية للأصوات:

قول الله تعالى﴿قل اللهم فاطرَ السموات والأرض عالمَ الغيب والشهادة﴾[4] فنصب (فاطر) و(عالم) على النداء[5]، بدلالة الفتح مع قرينة السياق . وقول أمية ابن أبي الصلت:

رضيتُ بك اللهم ربًا فلن أرى　　　أدِينُ إلها غيرَك اللهُ راضيا[6]

---

1) انظر : التصريح ٤ / ١٥،١٤، ومجمع الأمثال للميداني ٢ /٧٨.

٢) تقدم في التمهيد شرح المقابلة الصوتية ، وانظر : القضايا الأساسية في علم اللغة ، ص٥٦.

٣) انظر حول هذا المفهوم : القضايا الأساسية في علم اللغة ٥٩ ، ٦٦. و : وظيفة الألسن وديناميتها لـ(مارتينيه)٢٠٩–٢١٠.

٤) سورة الزمر (٤٦).

٥) انظر المحلى في وجوه النصب ٨٤.

٦) من الطويل ، ديوان أمية بن أبي الصلت ٩١، بتعليق سيف الدين الكاتب وأحمد عصام ، نشر دار مكتبة الحياة ، بيروت .

أي : يا اللهُ، ولو نصب لفظ الجلالة أو جره لما كان نداء [1]. وتقول : " ربَّنا مولانا" و" ربُّنا مولانا" فتعرب كلمة (ربّ) الأولى منادًى، والثانية مبتدأً، وتكون الجملة الأولى إنشائية، والثانية خبرية، كل ذلك بالتبادل الموقعي بين الفتح والضم .

ب. قال الله تعالى ﴿ ويكلم الناس في المهد وكهلا﴾[2] نُصبت كلمة (كهلا) على إضمار جملة بعد الواو العاطفة، أي : ويكلم الناس في حال كهولته[3]، ولو رفع لكانت الواو عاطفة لمفرد، وكلا الأسلوبين خبريّ .

ج. انتصاب ما بعد الواو على أن معناها المعية، نحو: استوى الماءُ والخشبةَ، أي مع الخشبة، ومنه قول الشاعر :

لا تنه عن خلق وتأتِيَ مثله   عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ [4]

دل فونيم الفتح في (تأتي) على أن الواو بمعنى المعية، وأن المستقبح هو الجمع بين النهي والإتيان بما يُنهى عنه، لا عن النهي وحده، فالنصب بعد الواو قرينة وظيفتها الدلالة على التغاير بين الأسلوبين : الإنشائي (لا تنهَ) والخبريّ(وتأتيَ)، ولذلك سماه الكوفيون الصَّرْف[5]، كأن آخر الكلام صُرِف عن أوله، فاختلفت جهتاهما، ولو جزم الفعل عطفًا على الذي قبله لفسد هذا المعنى[6] لأن الفتح هنا فونيم استبدالي، يتغير المعنى بتغييره .

د. دلالة الكسرة على الواو المعروفة بواو (رُبَّ) : كقوله :

---

1) انظر : التصريح ٤ /١٣.
2) سورة آل عمران (٤٦).
3) انظر : معاني الفراء ٢١٣/١، وذكر أيضا أنه معطوف على (وجيه) قبله.. واستبعده أبو حيان في البحر٣ /١٥٦. ولا منافاة لأن (وجيها) حال . وانظر : الإمتاع والمؤانسة ١١٨/١، (في كلام للسيرافي) والتبيان للعكبري ٢٦١/١.
4) بيت من الكامل ، منسوب لأكثر من شاعر : انظر سيبويه ٣ /٤١، والمقتضب ٢ /٢٥.
5) انظر معاني القرآن للفراء ١٣٤، و مصطلحات النحو الكوفي للدكتور عبد الله الخثران صـ١٠٥–١٠٩، ط١، ١٤١١هـ، هجر، مصر.
6) انظر : معاني الفراء ٣٤/١، والمقتضب ٢ /٢٥.

وبلدةٍ ليس بها أنيسُ　　　إلا اليعافيرُ و إلا العيسُ[1]

فجر(بلدةٍ) يدل على أن الواو هي المفسرة لرُبَّ، والمعنى : ورُبّ بلدة[2]، ومثله قول امرئ القيس :

وليلٍ كموج البحر أرخى سدوله　　　علي بأنواع الهموم ليبتلي[3]

والمعنى : ورب ليل، دل على ذلك الكسر في (ليل)، ولو استبدل به الضم لتغير المعنى .

هـ: يأتي المسند في الجملة الاسمية منصوبا بعد (إنْ) مع بقاء المسند إليه على ارتفاعه، أو يُرفع الأول وينصب الثاني، وأحيانًا يردان كلاهما مرفوعين، فمن الأول : قوله تعالى ﴿وإنْ كُلاًّ لمَا ليوفينّهم ربك أعمالهم﴾[4] بتخفيف النون من (إنْ) والميم من (لما) في قراءة نافع وابن كثير[5]، فاستُدِل بهذا على أنَّ الأسلوب خبريّ مثْبَت، تشبيهًا له بالنصب بعد التوكيد بـ(إنّ) المثقلة[6]، وحُمِل عليه ما رواه سيبويه عن العرب من قولهم: " إنْ عَمرًا لمنطلق"[7] .

ومن رَفْع الأول بعدها قول الله تعالى ﴿وإنْ كُلٌّ لما جميعٌ لدينا محضرون﴾[8] فأُجيز فيه وجهٌ آخر، وهو أن تكون (إنْ) بمعنى (ما)

---

1) الرجز منسوب لجران العود، وهو في ديوانه (٥٢) ط٣، ٢٠٠٠م دار الكتب المصرية ، ولكن برواية ليس فيها الشاهد .

2) انظر سيبويه ٢٦٣/٢.

3) بيت من الطويل ، ديوان امرئ القيس ١٥١، شرح حسن السندوبي ، ط٧، ١٤٠٢هـ المكتبة الثقافية - بيروت .

4) سورة هود(١١٢).

5) السبعة لابن مجاهد ٣٣٩.

6) انظر : الحجة لأبي على الفارسي ٣٨٦/٤-٣٨٧ ،والكشاف ٢/ ٢٣٦،والدر المصون ٣٩٨،٤٠٧/٦، ٤٠٨.

7) انظر : سيبويه ١٤٠/٢، والمغني لابن هشام ٢٠/١، تحقيق مازن المبارك وزميله، ط١، ١٣٩٩هـ باكستان.

8) سورة يس (٣٢).

النافية، و(لما) بمعنى (إلا) [1]، وإن ارتفع الاسم بعدها وانتصب الخبر فهي نافية، نحو قولهم " **إنْ ذلك نافعَك ولا ضارّك** " و " **إنْ أحدٌ خيرًا من أحدٍ إلا بالعافية** "[2] فقد دلت القرائن الصوتية الحركية على المعاني المختلفة لهذه الأدوات، وكل أداة تحمل أسلوبًا خبريا مغايرًا للأخرى .

و. يفرق بين (لا) النافية والناهية برفع ما بعد النافية وجزم ما بعد الناهية، نحـو : لا تعمـلُ، ولا تعمـلْ، والمميـز بـين الأسـلوبين هـو فـونيم الـضم وفونيم السكون .

وقال الله تعالى :﴿لا يتخذِ المؤمنون الكافرين أولياء﴾[3] دلت حركة التقاء الساكنين على أن وظيفة (لا) النهي، كما دل السكون على ذلك في نحو قول الله تعالى ﴿فلا تذهبْ نفسُك عليهم حسراتٍ﴾[4] .

ومثل دلالة فونيمات الحركات والسكون على أسلوب النهي وأسلوب النفـي . بالتقابل وتبادل المواقع . دلالتها على ذلك في أسلوب (مَنْ) الشرطية، و(مَنْ) الموصولة، و(مَنْ) الاستفهامية، فهذه ألفاظ متشابهة، لا يفرق بينها إلا التركيب، ولا يفسر التركيب إلا قرائنه التي من أهمها الحركات والسكون، نحو : "**من يعمل صالحا يحمد**" إذا جزم الفعلان بالسكون فهو أسلوب شرط، وإن رفعا بالضم فهو إخبار، وإذا انتصب الثاني بعد الفاء (فيحمدَ) فهو أسلوب استفهام .

ز. يفرق بين (ما) النافية والاستفهامية والشرطية والتعجبية بفونيمات الإعراب التي تظهر على ما يدخلن عليه، من الصفات والأفعال، نحو : "ما تعملْ تجدْه" أسلوب شرط، و" ما تعملُ تجدُه" أسلوب خبري، و"ما أحسنَ الزرعَ" أسلوب تعجبيّ إنشائي غير طلبي، و" ما أحسنُ الزرعِ" أسلوب استفهاميّ إنشائي طلبي، و" ما أحسنَ زيدٌ" نفي[5] .

---

1) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٧٧، والدر المصون ٩-٢٦٥.
2) الجنى الداني للمرادي صـ٢٠٩، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم، ط١، ١٤١٣هـ بيروت، والمغني ١/١٨.
3) سورة آل عمران (٢٨).
4) سورة فاطر (٨).
5) انظر : الجنى الداني ٣٢٢، وما بعدها .

ح- من كلام العرب : " لا آتيك أو يؤوبَ القارظ العنزيّ "[1] الفتح في (يؤوبَ) قرينة صوتية دالة على أن (أو) بمعنى (إلى) وأن المعنى : إلى إياب العنزي[2]، ومنه قول الشاعر:

لأستسهلَنّ الصعبَ أوْ أُدركَ المُنَى   فما انقادت الآمالُ إلا لصابرِ[2]

يستدل بنصب الفعل (أُدركَ) على أن (أوْ) بمعنى (حتى) على أن المعنى : لأستسهلنّ الصعب حتى أدرك المنى [3]، ولو استبدل الضم بالفتح لتغير المعنى تبعًا للإعراب .

ط. من الألفاظ التي يكنى بها عن العدد : لفظة (كَمْ) وضعت للعدد المبهم جنساً ومقداراً، ولما كانت الأعداد إما منصوبة أو مجرورة، و(كم) مبنية على السكون، جيء بتمييزها منصوباً للدلالة على الاستفهام عن العدد تشبيها لها بالعدد المنصوب على التمييز، وجيء به مجروراً عند الإخبار عن الكثرة، تنبيهاً على المعنى المراد بها[4]، نحو: (كم كوكباً في السماء)، و(كم كوكبٍ في السماء)، فحصل التفريق بين الأسلوبين : الإنشاء الطلبي بـ(كمْ الاستفهامية) والإنشاء غير الطلبي بـ(كمْ الخبرية) بقرينة فونيم الفتح و فونيم الكسر. وإذا كان الاسم الذي بعد (كم) مقصورا أو مبنيا استدل على نوع (كم) بفونيم التنغيم. كما سيأتي في باب التنغيم. نحو: " كم مستشفى بنيت ؟

ي. من وظائف السكون الدلالة على الجزم وإن لم يظهر مقتضاه في السياق، نحو قول العرب : " **اتقَى اللهَ امرؤٌ فعَلَ خيرًا يُثَبْ عليه** " جزم الفعل (يُثبْ) بالسكون، وليس في السياق قرينة تدل على جزمه، سوى القرينة الصوتية التي هي السكون، وقد لمح النحويون هنا أن السبب هو

---

1) انظر الصحاح (قرظ) ومجمع الأمثال ٢/ ٢١٢، والتصريح ٢/ ٥٠٥.

٢) البيت من الطويل، ولم أعثر له على قائل. انظر: المغني ١/ ٧٠، و الدرر اللوامع للشنقيطي ٤/ ٧٧، تحقيق عبدالعال سالم مكرم، ط١، ١٤٠٤هـ مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣) شرح ابن عقيل ٤/ ٩.

٤) انظر: شرح ملحة الإعراب لمصنفها الحريري ١٤٢، ٢٠١، تحقيق أحمد محمد قاسم، ط٢، ١٤١٢هـ، دار التراث.

كون السكون في مثل هذا يحمل دلالة كاملة على أسلوب الشرط، والمعنى " إن اتقى الله امرؤ ويفعل خيرا ...ونحوه، كما لمحوا فيه صرف دلالة الخبر المثبت إلى الدلالة على الطلب، أو صَرْف الماضي إلى الاستقبال بالطلب[1]، والمعنى : ليتق الله امرؤ وليفعل خيرًا يُثبْ عليه[2]، وكل هذا التنوع الأسلوبي مستفاد من فونيم السكون .

ثالثا : وظائف بنيوية

من وظائف الحركات والسكون التمييز بين المعرب والمبني، وتعيين نوع المبني، والتفريق بين الأدوات وحروف المعاني بحركاتها البنيوية، لا بحركات إعراب ما تدخل عليه - كما تقدم في الوظائف الأسلوبية - وتحديد صيغ الأسماء والأفعال، والتفريق بين الصيغ والأوزان المتشابهة الأصول، ونحو ذلك من الوظائف البنيوية في اللغة، والأمثلة الآتية توضح ذلك:

أ. قال الله تعالى﴿عليها تسعةَ عشرَ﴾[3] ورد العدد المركب خاليا من علامة الرفع مع كونه في محل رفع، فدل ذلك على أن حركته بنائية، لا إعرابية[4].

ومثله قول الله تعالى﴿ومن حيثُ خرجتَ فولِ وجهكَ شطرَ المسجدِ الحرامِ﴾[5]ورود كلمة (حيثُ) مضمومة في موضع يقتضي فيه السياق أن تكون مجرورة عَلَمٌ على أنها مبنية غير معربة .

ب. يَرِدُ آخِرُ الفعل المضارع ساكنا إذا لحقت به نون النسوة، مهما كان موقعه في السياق، نحو : " والله لتدرُسْنَ ولا تذهَبْنَ، ولْتكتُبْنَ ...." ويرد مفتوحا إذا لحقت به نون التوكيد مباشرةً له، نحو " والله لتدرُسَنّ، ولاتذهبَنّ، ولْتكتُبَنّ ..." وفيما عدا ذلك يأتي منصوبا أو مرفوعا

---

١) انظر تعليق الفرائد ١/١١٤، ٧/ ٢١٥.

٢) انظر : سيبويه ٣/ ١٠٠.

٣) سورة الإنسان (٣٠).

٤) انظر : معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٠٣، والمحلى في وجوه النصب ٢٨.

٥) سورة البقرة (١٤٩).

أو مجزومًا، فانضمت قرينتا السكون والفتح إلى قرينة السياق الموقعية في الدلالة على البناء، والتفريق بينه وبين أحوال الإعراب .

ج. قال الله تعالى ﴿إنه لحقٌّ مثل ما أنكم تنطقون﴾[1]– وقال سبحانه : ﴿لقد تقطّع بينكم﴾[2] قرئت كلمة: (مثلَ) بالضم والفتح، وكذلك (بينَكم)، فدل الضمّ على أنّ (مثل) صفة لـ(حقّ) وعلى أنّ (بين) فاعل لـ(تقطّعَ).ودل الفتح في (مثل)على أنه مبني، أو ظرف على رأي الكوفيين، وفي (بين) كذلك.[3]

* قال تعالى: ﴿لله الأمر من قبلُ ومن بعدُ﴾[4] دل الضم على البناء ؛ لأنه يعرب بالفتح والكسر دون الضم، كما دل على حذف المضاف إليه، وعدم نية لفظ معين لذلك المضاف إليه، وقرئ بالكسر، فدل على الإعراب وأن لفظ المضاف إليه منويّ[5].

* **التفريق بين المعرب والمبني في باب (فَعالِ) علما لمؤنث، أو صفة لغيره، أو اسم فعل**، وظيفة فارقة من وظائف حركة الآخر، لأن بناءه على الكسر، نحو: قطامِ وحذامِ، وجاءت الخيل بَدادِ، أي متفرقة، ونَزالِ وتراكِ ....[6] فإن فونيم الكسر في هذه الكلمات وأمثالها قرينة على البناء، وإذا وردت بغيره عُرف بذلك أنها غير مبنية، ومثل ذلك : (أمسِ) في لغة أهل الحجاز، كما سيرد في الوظائف اللهجية .

د. ترد الكلمة المعربة أحيانا مبنية بدلالة الحركة البنائية المخالفة للعلامة التي يقتضيها الموقع الإعرابي، كقول النابغة الذبياني :

---

١) سورة الذاريات(٢٣).
٢) سورة الأنعام (٩٤).
٣) انظر الدر المصون ٥/٤٨–٥٠
٤) سورة الروم (٤)
٥) انظر : شرح الكافية الشافية لابن مالك ٢/٩٦٤، والتصريح ٣/١٩٢–١٩٧.
٦) انظر المحلى في وجوه النصب ١٥٣–١٥٦.

على حينَ عاتبت المشيبَ على الصبا فقلت ألما تصح والشيب وازعُ[١]

رويت كلمة (حينَ) بالفتح على أنها مبنية، ورجحه كثير من النحويين ؛ لإضافتها إلى مبني، وهو الفعل الماضي (عاتبت) فيكون بذلك التناسب بين الزمنين في المعنى، وقيل : إنها تروى أيضا بالكسر على أنها معربة، لأن الأصل في الأسماء الإعراب[٢]، وساق ابن مالك شواهد عدة على بنائها[٣]، والقرينة الدالة على البناء هي الفتح، لأنها لو كانت معربة لجُرَّت في هذه الشواهد وغيرها، كما جرت في أماكن أخرى .

هـ : قد يلزم السكون أو الحركة لسبب عارض، فتبنى عليه الكلمة كلما عرض ذلك السبب، ومن ذلك : بناء المضارع على الفتح مع نون التوكيد، نحو : اذهبَنْ . ارجعَنْ، قال النابغة الذبياني :

لا أعرِفَنْ رَبْرَبًا حورًا مدامعُها كأنهن نعاجٌ حول دُوّارِ[٤]

والأصل : (لا أعرفْ + نْ) فالتقى ساكنان، فحرك الأول لأنه حرف إعراب، والأصل فيه الحركة، ولم يكسر لأن الكسر لا يدخل في الأفعال بناءً لازما، ويأتي مثل ذلك مع النون الشديدة، نحو : لا تذهبَنَّ، أصله : (لا تذهبْ + نْنَ) فالتقى ساكنان فكان كما حصل مع الأول، فبنيا على الفتح العارض، وقد سبق في دراسة حركة التقاء الساكنين التنبيه على كونها حركة بناء لا حركة إعرابٍ .

وإذا لم يكن المضارع مجزوما بني على هذه الحركة أيضا . وهي الفتح . للمخالفة وهي حركة عارضة أيضا، نحو: لتذهبَنَّ، والأصل : (لتذهبُ +نْنَ

---

١) بيت من الطويل ، ديوان النابغة الذبياني ص٤٤.

٢) انظر : شرح التسهيل ٣/٢٥٥، والتصريح ٣/١٦٢ . ١٦٣.

٣) انظر شرح التسهيل ٣/٢٥٣-٢٥٦ .

٤) بيت من البسيط ، ديوانه ٨١. والربرب : قطيع من بقر الوحش ، والنعاج إناثها . دوّار : صنم ، أو رمل مستدير . وانظر : سيبويه ٢/١٥٠، والتصريح ٤٣٥٧.

يا أخي) فحرك الفعل بالفتح مخالَفَةً للضم الواجب في (لتذهبُنّ يا إخوتي) الذي أصله: لتذهبونَ +نْنَ) فحذفت النون الأولى لتخفيف اللفظ، وقصرت الحركة الطويلة بعد الباء تخفيفا أيضا. وقد تقدم في مناقشة الحركة الطويلة أنها تقصر (تختصر) إذا لقيها ساكن لأجل تخفيف النطق والتخلص من الثقل لاَ لالْتقاء الساكنين كما هو شائع. فلما قصرت الحركة الطويلة وهي دليل الجمع بقيت قصيرة لازمة، دالاّ قصرها على ما يدل عليه طولها، ومن ثَمَّ لم يجز حذفها ولا تغييرها، فصار الفعل مع التوكيد (لتذهبُنّ يا إخوتي) وغيرت حركة المسند للمفرد إلى الفتح: (لَتَذْهَبَنَّ يا أخي)، لئلا يلتبس المفرد بالجمع[1]، وبقيت حركة المسند لاثنين نحو: لتذهبانِّ، على طولها خوف التباسه بالمفرد، وكسرت النون لأنها بعد ألف الاثنين لا تكون إلا مكسورة[2]، ولا فرق في هذا بين الأفعال والأسماء.

وإذا لحقت نون النسوة بالمضارع فالسكون فيه قرينة على البناء، لعدم وجود ما يقتضي تسكينه إعرابًا، والتعليل الصوتي لهذا تخفيف النطق على الأعضاء، والتخلص من دواعي الثقل فيه، وذلك أن الحركات إذا تتابعن حصل معهن بعض الثقل في بعض الكلمات، فأسكن آخر الفعل تخفيفا، وحركت نون النسوة بالفتح، لأن الفتح هو علامة النون التي تكون للجمع[3]، ومن ثم حرك بها جمع المذكر السالم، وحُركت بها نون الأفعال الخمسة.

---

١) انظر: شرح الرضي على الكافية ٤/ ١٤٤٨.

٢) شرح الرضي على الكافية ٤/ ١٤٤٠.

٣) انظر سيبويه ١/ ٢٠.

رابعا : وظائف إعرابية تركيبية

تأتي الحركات والسكون قرائن إعرابية، فيختلف الإعراب باختلافها وتكون محددة لنوع الإعراب في الكلمات المعربة، أو لسببه، ومميزة بين المواقع الإعرابية للكلمات، ومنبئة عن الأوجه المحتملَة في إعراب كلمة ما ....ولا فرق في ذلك بين الحركات الإعرابية والبنائية، والأصلية والعارضة، والطويلة والقصيرة، وفونيم السكون، والحذف (أو الاختصار الكمي للحركة) وجميع ما سبق في أمثلة الوظائف التركيبية والأسلوبية يتضمن وظائف إعرابية للحركات والسكون، لأن فيه تحديدا للإعراب المتعين في الكلمة، بدلالة الحركة عليه أو السكون، مع الدلالة على الوظائف الأخرى المتعلقة بالتركيب والأسلوب، كالتفريق بين المنصوب والمرفوع بعد الحروف والأفعال الناسخة، وبين الفاعل والمفعول، ونحو ذلك، ولإبراز هذه الوظائف بما هو أجلى لها ـ غير ما تقدم ـ نقرأ الأمثلة التالية :

أ. قال تعالى:﴿قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عملٌ غيرُ صالح﴾[1].

وقرئ:﴿إنه عَمِلَ غيرَ صالح﴾[2] فاختلف الإعراب في "عمل غير" في القراءتين، والقرينة الضم في القراءة الأولى، والفتح في الثانية، واشتركت حركتا البناء والإعراب في الوظيفتين، في تقابل تركيبي.

ب. قال الله تبارك وتعالى:﴿ قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا ﴾[3] قرئ بالرفع والنصب والجر في كلمة(النار). فالرفع على أنها مبتدأ لـ(وعدها)، أو خبر لمبتدإ محذوف، والمعنى (هي النار)، والنصب على المفعولية، والجرّ على البدل من (شرّ)، والقرينة الدالة على هذه الأعاريب هي الحركات الثلاث المتبادلة الموقع على كلمة (النار).[4]

---

١) سورة هود (٤٦).

٢) انظر : حجة القراءات لابن زنجلة ٣٤١، والتبيان للعكبري ٧٠١/٢.

٣) سورة الحج (٧٢).

٤) انظر : التبيان للعكبري ٩٤٨/٢

* قال تعالى: ﴿قل إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾[1]. قرئ: (فيغفرْ) بالسكون ؛ فدل على أنه معطوف على (يحاسبكم). وقرئ بالرفع لإفادة أن ما بعد الفاء مستأنَف. وقرئ بالنصب فأفاد أن الفاء للعطف على المعنى، والحركات الثلاث دلائل صوتية على هذه المعاني للفاء و الأعاريب المتنوعة لما بعدها[2]. ومثله قوله تعالى:" ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾[3] قرئ: بالحركات الثلاث في (ويعلم) : الضم والفتح والكسر. فالضم قرينة دالة على أن الواو للاستئناف، فالفعل مرفوع، والمعنى : وهو يعلمُ. والفتح قرينة دالة على أن الواو للمصاحبة بمعنى (مع). والكسر قرينة دالة على أن الواو عاطفة والفعل مجزوم وكسر لالتقاء الساكنين[4]، و الضم والفتح حركتان إعرابيتان هنا، والكسر حركة التخلص من التقاء الساكنين، فهو قرينة الجزمِ،

ولا مانع . صوتيا . من كون الضم والفتح في هذه الآية للتخلص من الثقل أيضًا، لا للرفع والنصب ؛ وإنما لخفة الفتح، ولموافقته لفتح اللام قبله[5]، ولمجانسة الضم للميم، ونظائر ذلك كثيرة . تقدمت في مبحث حركة التقاء الساكنين . و يتجرد الفعل (ويعلم) حينئذٍ للجزم عطفًا على (ولما يعلم)، ويُعزز هذا ورود القراءة بالحركات الثلاث، وقوة المعنى به، واتحاد الإعراب، كما أن هذا التعليل الصوتي لا مانع منه في الفعل الأول :(لما يعلم) لو وردت القراءة فيه بالحركات الثلاث، أو كان في غير القرآن .

---

١) سورة البقرة (٢٨٤).

٢) انظر : البيان للأنباري ١/١٨٦، والحجة لابن زنجلة ١٥٢، والتبيان للعكبري ١/٢٣٣، والمحتسب ١/١٤٩–١٥٠.

٣) سورة آل عمران (١٤٢).

٤) انظر : معاني القرآن للفراء ١/٢٣٥، والبحر المحيط ٣/٣٦٠.

٥) انظر : الدر المصون ٣/٤١٠، والبيان ١/٢٢٣ ، والتبيان للعكبري ١/٢٩٥.

* إذا قيل : "جاء زيد وتبسمَ ضاحكا من حالنا" فإن نصب (ضاحكا) يدل على أنه حال من زيد، ولو رُفع فقيل : (ضاحكٌ) لكان فاعلا، والقرينة التي ميزت بين الوظيفتين الفارقتين هي الفتح والضم، من جهة كونهما مقابلين استبداليين.

ج. قد تكون الكلمة محركة بحركة عارضة لأجل التجانس الصوتي، فتتبع بمخصص يجوز تحريكه بوجهين : الأول : الحركة الملفوظ بها، وهي العارضة للمجانسة . والثاني : الحركة الأصلية للمتبوع، قبل تحريكه بحركة الإتباع.

مثال هذا : قول الله تعالى ﴿هل من خالقٍ غيرُ اللهِ﴾[1] قرئ في السبعة برفع (غير) لأنه صفة لمرفوع في الأصل، وقرئ بجره إتباعًا للحركة الملفوظ بها، وهي حركة التجانس الصوتي [2]، وقد سبقت دراسة حركة الإتباع هذه في الفصل الأول .

د. ومن اختلاف الإعراب بسبب دلالة فونيم الحركة الإعرابية : قول الله تعالى ﴿لنبينَ لكم ونُقِرُّ في الأرحام ما نشاء﴾[3] (نُقرُّ) : بالرفع على الاستئناف، والمعنى : ونحن نقر، وليس معطوفا على (النبين لكم) ـ كما قد يسبق إلى الذهن من السياق . لأن المعنى الوظيفي لا يساعد على ذلك، وقرئ بالنصب عطفًا على (لنبيّنَ) كما هو ظاهر السياق[4].

هـ: ذكر ابن مالك أن الفعل المضارع قد يصح رفعه ونصبه وجزمه في آن واحد، بحسب المعنى المراد، ويغني عن ذلك وضع الاسم مكانه، نحو : "**لا تَعنَ بالجفاء وتمدحَ عمرًا** " يجوز نصب (تمدح) ورفعه وجزمه، فيكون بجزمهما : (تَعنَ . تمدحْ)، نهيا عن الفعلين معًا، ونصبه دليل على النهي عن الجمع بينهما، ورفعه دليل النهي عن الجفاء وحده، ويغني عن ذلك أن تقول : لا تَعنَ بالجفاء ومدحِ عمرٍو ـ ولا تعن بالجفاء مادحا عمرا . ولا تعن بالجفاء ولك مدحُ عمرٍو[5].

---

1) سورة فاطر(٣) .
2) انظر : الدر المصون ٩/٢١٢، والتبيان للعكبري ٢/١٠٧٢–١٠٧٣.
3) سورة الحج (٥).
4) انظر : البيان للأنباري ٢/١٦٩، والدر المصون ٨/٢٣١.
5) شرح التسهيل ١/٣٤.

ومثل هذا في اختلاف الإعراب باختلاف القرائن الصوتية الدالة على الوظائف : ما يكون في إعراب مميز المقادير، نحو : **(عندي رطلٌ زيتا) و(رطلُ زيتٍ) و(رطلٌ زيتٌ)** فالنصب على التمييز، والجر على الإضافة، والرفع على الإتباع[1]. والمحدد لهذه الأوجه هو الحركات الثلاث المتعاقبة على التمييز، وقد علق ابن السراج على هذا بقوله : " وكل ذلك جائز في المقادير. فإن قلت : (شاةُ لحمٍ وجُبَّةُ خزٍّ) فالإضافة، لأنك لم ترد : مقدار شاةٍ لحما، ومقدار جبة خزًا، فإن أردت هذا المعنى جاز النصب.."[2].

و. ومن تعيين الحركة لنوع الإعراب مع عدم وجود قرينة أخرى : أن تكون سببا في اختلاف الإعراب والمعنى النحوي، كما في قول الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسَكم لا يضُرُّكم من ضل إذا اهتديتم ﴾[3] فانتصاب (أنفسكم) دلت عليه الفتحة، والنصب قرينة على أن معنى (عليكم) الأمر[4]، انتقل معناه النحوي الذي هو التخصيص بـ"الجار والمجرور" إلى معنى الأمر، بقرينة النصب، والرفع المدلول عليه بالضم في (لا يضُرُّكم) يُخَرَّج على أن (لا) نافية، ويكون ذلك إخبارًا من الله بأن الضالين لا يضرون من استقام ووطّن نفسه على الحق، وقد يخرج على أن (لا) ناهية، والضم للإتباع، لمجانسة الضم الذي قبله، لأجل الانسجام الصوتي [5].

ز. تقول العرب : **"مررت بزيدٍ الرجلَ الصالحَ . ومررت بزيدٍ الرجلِ الصالحِ (بالجر) . ومررت بزيدٍ الرجلُ الصالحُ (بالرفع)**."[6] فالنصب على المدح، والجر على الإتباع بدلا من (زيد) والرفع على القطع، أي : هو الرجلُ

---

1) الأصول لابن السراج ٣٢١/١.

2) السابق نفسه .

3) سورة المائدة (١٠٥).

4) انظر : معاني القرآن للفراء ٣٢٢/١–٣٢٣، والمحلى في وجوه النصب ٢٦.

5) انظر : البيان للأنباري ٣٠٧/١.

6) انظر : المحلى في وجوه النصب ٣٤.

الصالحُ[٤]، اختلف الإعراب بسبب اختلاف فونيم الحركة الإعرابية، لتعدد الوظائف التي سيق لها الفونيم.

* قال الله تعالى: ﴿هذا يومُ لا يَنْطِقونَ﴾[١] (هذا) مسند إليه، و(يومُ) مسند، وقرئ في بعض القراءات الشاذة بنصب (يوم)، على أنه منصوب على الظرفية، و يكون التقدير: "هذا العذاب كائنٌ يومَ لا ينطقون" أو على أن الفتحة فتحة بناءٍ، لإضافته إلى حرف[٢]، فدلت كل حركة على نوع مغاير من الإعراب، بحسب المعنى الذي أريد بها.

ح. تأتي الحركة الإعرابية محافظة على وظيفتها دالة على الموقع الإعرابي للكلمة، مهما تقدمت أو تأخرت الكلمة في السياق، نحو: إن في الدار بكرًا، وأكرم سعدًا يوم الجمعة فتاه، ونحو: ومن لي إلا أباك صديقٌ، قال الشاعر:

وما لي إلا آلَ أحمدَ شيعةٌ وما لي إلا مذهبَ الحق مذهبُ[٣]

أصل الكلام: ومالي شيعةٌ إلا آلَ أحمدَ...ومالي مذهبٌ إلا مذهب الحق، فحافظت الحركة الإعرابية على وظيفتها مع تغير رتبة الكلمة في الجملة[٤]، ونحو هذا قول العرب: **"ما عندي إلا خمسون دراهمُ، و إلا خمسون دراهمَ، و إلا خمسين دراهمُ، و إلا خمسين دراهمَ"**[٥]، فـ(خمسون) مرفوع على الابتداء، بقرينة الضمة الطويلة مع النون، و(دراهمُ) معها مرفوع على الإتباع بدلا من المستثنى، على حد قولهم: **"مالي إلا أبوك أحدٌ"**[٦]، ونصبه على التمييز. و(خمسين) منصوب على الاستثناء بقرينة الكسرة الطويلة مع النون، و(دراهم) معها منصوب على التمييز، ومرفوع على الابتداء، أو القطع على أن المعنى: هي دراهم[٧].

---

١) سورة المرسلات(٣٥).

٢) انظر: معاني القرآن للفراء ٢/٢٢٦والدر المصون ١٠/٦٤٣، وإعراب القراءات الشواذ للعكبري ٢/٦٦٧.

٣) البيت من الطويل، للكميت، كما في الخزانة ٤/٣١٤.

٤) انظر: المقتضب: ٤/٣٩٨ و المحلى ٢٧٧. ٢٧٨.

٥) مجالس ثعلب: ١/٤٩، تحقيق محمد عبد السلام هارون، ط٥، دار المعارف.

٦) سيبويه ١/٣٧٢، وشرح الكافية للرضي ٢/٧٢٦.

(٧) انظر مجالس ثعلب ١/٤٩.

والأولى أن يحمل هذا كله على تقديم المستثنى، كما في بيت الكميت، لأنه إذا قُدِّم جاز نصبه على الاستثناء، وإعرابه على ما يوجبه السياق، و(خمسون) تابع على ما يجوز من الوجهين في كل مرة، وسبب ترجيح هذا الوجه أن الأصل في تمييز ألفاظ العقود كونه مفردًا، و(دراهم) جمع لا يصلح إلا أن يكون بدلا (أو عطف بيان) على (خمسين) كما في قول الله تعالى ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاثمائةٍ سنينَ وازدادوا تسعًا﴾[1] فإن (سنين) بدل من (ثلاث) أو عطف بيان عليه[2].

وقد يتغير الموقع الإعرابي للكلمة فتفقد إعرابها الأصلي، ويتجدد لها إعراب آخر تدل عليه قرينة الحركة الإعرابية المعيّنة للوظيفة الجديدة، نحو قول الشاعر:

لِمَيّةَ موحشًا طَلَلُ ... يلوحُ كأنه خِلَلُ [3]

أصل الكلام: "لمية طللٌ موحشٌ" فلما تغير الترتيب تغيّر الإعراب، فتغير المعنى إذْ أصبحت الصفة حالا، فكانت قرينة الحركة الإعرابية محددة للوظيفة المرادة من تقديم الصفة على موصوفها[4]، وقال الآخر:

وتحت العوالي في القنا مستظلَّةً ... ظباءٌ أعارتْها العيونَ الجآذرُ[5]

أصل ترتيب الكلمات في هذا التركيب: "ظباءٌ مستظلةٌ" و: "أعارتها الجآذرُ العيونَ"، فحافظت الحركة الإعرابية على وظيفتها في الجملة الأخيرة، . وهي التمييز بين الفاعل والمفعول. مع تغير ترتيب الكلمات في التركيب، وتغيرت وظيفة الكلمة في الجملة الأولى، فتغيرت حركتها، فأعربت بحركة مناسبة لوظيفتها الجديدة، وهي الحالية[6]، لأن القرائن الصوتية تأتي تابعة للوظائف في التركيب.

---

١) سورة الكهف (٢٥).

٢) انظر: البيان للأنباري ٢/١٠٦، والتبيان للعكبري ٢/٨٤٤.

٣) البيت من مجزوء الوافر، ينسب لكثير عزة، ولذي الرمة، انظر: سيبويه ٢/١٢٣، والمحلى ٤٩، والخزانة ٣/٢٠٩-٢١١، والخِلَلُ: جمع خِلّة، هي بطائن تُغَطّى بها أجفان السيوف.

٤) انظر معاني القرآن للفراء ١/١٦٨.

٥) من الطويل، لذي الرمة، وهو في ديوانه ٢/١٠٢٤، تحقيق عبد القدوس، ط٢، ١٤٠٢هـ مؤسسة الإيمان، بيروت.

٦) انظر: المحلى في وجوه النصب ٤٩، ومعاني الفراء ١/٦٨.

خامسا : وظائف تقسيمية

يرد فونيم الحركة أو السكون دالا على معانٍ تقسيمية، كنوع الكلمة اسما وفعلا وحرفا، وللتفريق بين هذه الأنواع، والتمييز بين أجناسها، أو للتمييز بين المفرد والجملة، وأمثلة ذلك كثيرة جدا في اللغة، نجتزئ منها بما يلي :

أ. تقول : "لِ الشغلَ في المكتب" و "للشغلِ في المكتب" صفة اللفظ باللامين واحدة، ولكن الفتح في آخر (الشغل) الأولى دل على أن اللام التي في أوله فعل، والكسر في (الشغل) الثانية فونيم وظيفي دال على أن اللام الداخلة عليه حرف .

ب. "رأيتك كريمًا، ورأيتك كريمٍ" فونيم الإعراب في كلمة (كريم) الأولى يدل على أن الكاف حرف من مكونات الاسم، وفي (كريم) الثانية دلت الكسرة في آخره على أن الكاف حرف جر(نسبة)، أو اسم بمعنى (مثل) و (ريم) اسم مستقل مجرور .

ج. ومن أمثلة الوظائف التقسيمية للحركات البنائية والإعرابية : ما ورد في الحديث:

"ونهى عن ثلاثٍ : قيلٍ وقالٍ ..."[1]، وروي: **"عن قيلَ وقالَ"**[2].

ويشهد للرواية الأولى قول الشاعر :

أصبح الدهرُ وقد ألْوى بهمْ   غيرَ تَقْوالِكَ من قِيلٍ وقالٍ[3]

---

1) الحديث : (إن الله حرم ثلاثا ونهى عن ثلاث : حرم عقوق الوالد ....ونهى عن ثلاث: قيلٍ وقالٍ ....) صحيح مسلم ١٣٤١/٢، كتاب الأقضية ، الباب (٥) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط٢، دار سحنون ، تونس.

٢) الحديث : (وكره . يكره . لكم قيلَ وقالَ ...) صحيح البخاري ٧ / ٧٠، كتاب الأدب الباب (٦).

٣) بيت من الرمل ، رُوي لتميم بن مقبل ، انظر : سيبويه ٣ /٢٦٩، والنكت في تفسير كتاب سيبويه ، للأعلم الشنتمري ٨٤٨/٢ ، تحقيق زهير عبد المحسن ، ط١، ١٤٠٧هـ ، الكويت ، واللسان (قول). ألوى بهم : ذهب بهم .

فعلى الرواية الأولى يكون (قيلٍ وقالٍ) اسمين مصدرين مثل القول[1]. وعلى الثانية هما فعلان مبنيان[1]، والقرينة الدالة على هذه الوظيفة التقسيمية في الأولى الكسر، وفي الثانية الفتح، من جهة كونهما فونيمين متبادلَي المواقع.

د. قال تعالى:﴿وما أدراك ما العقبةُ فكُّ رقبةٍ أوْ إطعامٌ في يومٍ ذي مسغبة يتيماً﴾[2]. قرأها أبو عمرو وابن كثيرٍ و الكسائي : (فكَّ رقبةً أو أطعمَ) بالفتح، وقرأ الباقون من القراء (فكُّ رقبةٍ أو إطعامٌ) بالرفع[3]. فـ(فكُّ) الأول: خبر لمبتدإ محذوف، فهو اسم، وكذلك (إطعامٌ) . و(رقبةٍ) مضاف إليه، من إضافة المفعول إلى المصدر، والقرينة على هذا الإعراب الضم والكسر في الكلمتين. و(فكَّ) الثاني فعل ماض مبني على الفتح، ومثله(أطعمَ)، و(رقبةً) مفعول به منصوب[4]، والقرينة فونيم الفتح في الكلمتين، واشتركت علامتا البناء والإعراب في الدلالة على المعنى التقسيمي والوظيفة الإعرابية.

هـ - وتكون الحركة مميزة بين الفعل الماضي والأمر، في الناقص إذا أسند إلى ضمير الجماعة، نحو: أعطُوا(أمر) . أعطَوْا (ماضي)، و: نسُوا(ماضي) . انسَوْا(أمر)، و: أثنُوا(أمر) . أثنَوا (ماضي)، قال الشاعر . في فعل الأمر . :

فأثنُوا علينا لا أبا لأبيكمُ   بإحساننا إن الثناء هو الخُلْدُ[5]

---

1) انظر : سيبويه ٣/٢٦٨-٢٦٩، والنكت ٢/٨٤٨ وغريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام ١/٢٣٦، ط١، ١٤٠٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ومعاني القرآن للفراء ١/٤٦٩، ٢/١٦٧.

2) سورة البلد (١٢،١٣،١٤).

3) السبعة لابن مجاهد ٦٨٦.

4) انظر : حجة ابن زنجلة ٧٦٤، و إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه ٩٥، تحقيق أحمد السيد أحمد . ط: المكتبة التوفيقية. مصر.

5) البيت من الطويل لجران العود في ديوانه ٧٣، تحقيق ناصر الدين الأسد، ط٣، دار صادر . والإنصاف للبطليوسي صـ١٢٤، تحقيق محمد رضوان الداية، ط٣، ١٤٠٧هـ دار الفكر . دمشق .

فضمّ النونَ للدلالة على الأمر ليوافق ذلك دلالة السياق، وفي التعبير بالماضي قال الشاعر :

فعاجوا فأثنَوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائبُ[1]

فتح النون . فانقلبت المدة واوًا للتجانس الصوتي بين حروف المدّ . في (أثنَوْا) لأنه فعل ماض، فصار بين الضم والفتح في هذا النوع من الأفعال تقابل وظيفي .

و- يفرق بين قرينة الحرف وقرينة الاسم إذا كانتا تاءً في آخر الفعل الماضي، بسكون التاء التي هي حرف، وحركة التاء الاسمية، مع فتح ما قبل الأولى، وسكون ما قبل الثانية، نحو : كتبَتْ /كتبْتِ . واستغفرَتْ / استغفرْتِ .... ونحو ذلك .

ز- تقول : ما أحسنَه . ما أفضلَه . ما أجملَه ...فيكون (أفعل) هنا فِعْلا. ثم تقول : ما أفضلُه . ما أحسنُه . ما أجملُه ...فيكون (أفعَل) اسما، فكان الفونيمُ التركيبي المميزُ بين الاسم والفعل داخل الصيغة الصرفية هو الفتح في الوزن الأول، والضم في الوزن الثاني . ومن شواهده ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال [**ثم إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم**] قال راويه : لا أدري "أهلكَهم" بالنصب أو أهلكُهم بالرفع[2] . فلم يستطع الراوي أن يفرق بين الفعل والاسم في الحديث لأنه لم يضبط عن المرويّ عنه الحركة التي تميز بينهما، فهو بالفتح فعل، وبالضم اسم .

ومثل هذا الحديث قول الشاعر :

فإن يكن النكاح <u>أحلّ شيئًا</u> فإن نكاحها <u>مطرٍ</u> حرامُ[3]

---

1) البيت من الطويل لنصيب ، كما في الشعر والشعراء لابن قتيبة صـ٢٦١، تحقيق مفيد قميحة ، ط٢، ١٤٠٥هـ دار الكتب العلمية . بيوت .

2) صحيح مسلم ٣ / ٢٠٢٤، كتاب البر والصلة والآداب ، الحديث رقم (٢٦٢٣).

3) من الوافر ، للأحوص الأنصاري . ديوانه ٢٣٨، تحقيق عادل سليمان جمال ، ط٢، ١٤١١هـ مطبعة المدني.

لم يضبط الرواة عن الشاعر الحركات التي نطق بها في الكلمات المخطوط تحتها من البيت، فرووها بكل الأوجه الجائزة في السياق، فإذا جُرّ(شيء) فحركته قرينة صوتية على أن(أحل) اسم، لأن (شيء) يصبح مضافا إليه، وإذا نُصب(شيء) فحركته تدل على أن (أحلّ) فعل، فهذه معانٍ تقسيميةٌ استفيدت من تنوع حركات الإعراب والبناء. وأما (مطر) فيحتمل الحركات الثلاث، ولكن وظائفها إعرابية غير تقسيمية.

ح. تأتي كلمة (بَلْهَ) اسمًا، وتأتي فعلا أو اسم فعل، وتأتي حرفا، والمميز لذلك كله حركات ما بعدها، فإنها قرائن تدل على المعاني التقسيمية لـ(بلْهَ) وبيان ذلك أنه إذا نصب ما بعدها فهي اسم فعل أمر، نحو (بَلْهَ زيدًا) أي دعْ زيدًا[1]، كقول كعب بن ما لك الأنصاري:

تَذَرُ الجماجمَ ضاحيًا هاماتُها بَلْهَ الأكفَّ كأنها لم تُخلَق [2]

وإذا جر ما بعدها فهي مصدر منصوب، وقد روي البيت بهذا [3]،كقول الله تعالى ﴿فضَرْبَ الرقابِ﴾[4]، ويجوز اعتبارها في هذه الحال مصدرًا مبنيًا على الفتح، مثل: (رُوَيْدَ) [5]، وإذا رفع ما بعدها فهي بمعنى (كيف) وقد روي بهذا الوجه. أيضًا. بيت كعب السابق [6]، وتأتي حرف جرٍّ مثل (خلا وحاشا) نحو: أتاني القوم بلهَ زيدٍ[7].

---

١) سيبويه ٤/ ٢٣٢.

٢) من الكامل ، ديوان كعب بن مالك ٢٤٥، وإيضاح الشعر للفارسي ٣٤.

٣) انظر غريب الحديث لأبي عبيد الهروي ١/ ١١٥–١١٦.

٤) سورة محمد(٤).

٥) انظر: الروض الأنف للسهيلي ٤/ ٤٨.

٦) انظر حاشية الصبان على الأشموني ٢/ ١٢١، و شرح السنة للبغوي ١٥/ ٢٠٩.

٧) انظر: إيضاح الشعر للفارسي ٣٢–٣٣.والارتشاف ٣/ ٢٠٢.

سادسا : وظائف لهجية

من مجيء فونيم الحركة أو السكون لوظيفة نحوية في لهجة من لهجات العرب ما يلي :

أ. يأتي الخبر بعد (ما) منصوبا، ويأتي مرفوعا. فالنصب لهجة أهل الحجاز، والرفع لهجة تميم، نحو: ما زيد عالمًا – ما زيد عالمٌ، وما زيد ذاهبا وما معنٌ خارجاً.[1] فإن الدال على نوع (ما) هو حركتا الرفع والنصب، في الاسم والخبر، وهي وظيفة لهجية لا يصاحبها تغير في المعنى .

ب . ومن ذلك الترخيم في لغتي من ينتظر ومن لا ينتظر : نحو : يا حارِ – يا مال – يا منصُ – يا مروَ ......في نداء: حارث ومالك ومنصور و مروان، يبقى ما قبل المحذوف على حركته في لغة من ينتظر[2].

وفي لغة من لا ينتظر يكون الاسم على ما يقتضيه موقعه، فتدل الحركة على الإعراب لمخالفتها لحركة الحرف التي هي الأصل قبل الحذف، ولموافقتها للموقع الإعرابي، ومن ثم يبنونه على الضم فيقولون : يا حارُ ويا مَرْوُ. ويا مالُ ....[2] .

ج. يأتي جمع المؤنث منصوبا في بعض اللهجات العربية بفتحة لا بكسرة، فتكون تلك الفتحة قرينة دالة على تلك اللهجة، كقول بعض العرب : "سمعت لغاتَهم" و"رأيت بناتَك" و"استأصل الله عِرْقاتَهم" و"حفرتَ إراتَك"[3].

د . يُلزِم بعضُ العرب المثنى الألف في جميع أحواله، فيقولون : كتب الرجلان، ورأيت الرجلان، ونظرت إلى الرجلان، وأخذت الدرهمان،

---

١) انظر : سيبويه ٢٩/١ ، والبحر المحيط ٢٧٠/٦.

٢) انظر : سيبويه٢٤٩/٢وما بعدها ، و كشف المشكل في النحو، لعلي بن سليمان الحيدرة اليمني ٣٣٢–٣٣٣ ، تحقيق هادي الهلالي ، ط١، ١٤٢٣هـ دار عمار ، الأردن.

٣) جمع (إرَةٍ) وهي موقد النار. وانظر لهذه النصوص : الخصائص ٣٠٤/٣، والتصريح ٢٧٠/١–٢٧١.

واشتريت الثوبان [1]. فالألف هنا وظيفتها الدلالة على هذه اللهجة، مع الدلالة الصرفية التي هي التثنية، وخُرّج على هذه اللهجة قراءة نافع وابن عامر والأخَوَيْن لقوله تعالى ﴿إنّ هذان لساحران﴾ [2] بـ(إنّ) الثقيلة . ونسبت هذه اللهجة لكنانة [3].

هـ: إذا وقع الفعل المضارع في سياق من شأن المضارع فيه أن يكون مجزوما، حُذف آخرُه علامةً على جزمه، هذه هي لغة العرب الشائعة، غير أن منهم من لا يلتزم بذلك الحذف، وصار ذلك لهجة مميزة لمن يتكلم به، ومن الكلمات التي تروى على هذه اللهجة : لم تهجو ـ ألم يأتيك ـ لا ترضّاها .....ونحو ذلك، في أبيات شعرية مشهورة، يوردها النحويون على هذه اللهجة [4]، ويبدو أنها خاصة بالشعر، ومنها قول زهير:

وإن أتاه خليلٌ يوم مسألةٍ يقول لا غائبٌ مالي ولا حَرِمُ [5]

ويقابل هذه اللهجة في الفعل المضارع: جزمه بتقصير حركته ـ في لغة بعض العرب ـ من غير أن يكون في موضع يجزم فيه المضارع [6]، وقرئ بها في بعض القراءات القرآنية المتواترة، نحو قول الله تعالى ﴿ذلك ما كنا نبغِ﴾ [7]، وقوله تعالى﴿ والليل إذا يَسرْ﴾ [8]، وقوله تعالى ﴿يوم يأتِ لا تكلّمُ نفس إلا بإذنه﴾ [9] مع كلمات أخر في آيات غير هذه، ونسبت

---

1) انظر نوادر أبي زيد الأنصاري ٢٥٩.
2) سورة طه (٦٣). وانظر: السبعة لابن مجاهد ٤١٩.
3) انظر : السبعة لابن مجاهد ٤١٩، وحجة القراءات لابن زنجلة ٤٥٤.
4) انظر : سيبويه ٣/٧٠ وما بعدها ، وسر صناعة الإعراب ١/٧٨ ، ٢/٦٣٠–٦٣١ والهمع ١/١٧٩.
5) من البسيط ، ديوان زهير ٩١، ط دار صادر ١٣٩٩هـ بيروت ، وسيبويه ٣/٦٦.
6) انظر : سيبويه ٣/٨ ـ ٩ وما بعدهما .
7) سورة الكهف (٦٤).
8) سورة الفجر (٤).
9) سورة هود (١٠٥)

هذه اللغة لهذيل[1]، وورودها في القرآن يدل على صحتها وقوتها، وفي هاتين اللهجتين المتضادتين صوتيًا، يبرز ما تقدم . في الفصل الأول . من أن طول الحركة قد يقوم مقام تقصيرها في الدلالة على الإعراب، ويكون العكس أيضا، في مواطن لا يخل فيها ذلك بالمعنى الذي يحمله السياق، مع كونه يؤدي وظيفة صوتية، كالتنغيم بطول الحركة، وتخفيف النطق والإسراع بتقصيرها، كما سيرد بعدُ .

و. ومن لهجات بعض العرب : إسكان هاء الكناية في الوصل، أوقصر حركتها، نحو : إنهْ رجل، وكأنهْ يمشي، وعليه قول الشاعر :

لهُ زَجَلٌ كأنّهْ صوتُ حادٍ إذا طلب الوسيقة، أو زميرُ[2]

وقول الآخر :

فظلْتُ لدى البيتِ العتيق أُخِيلُه و مِطْوايَ مشتاقان لَهْ أرِقانِ[3]

فقال (لَهْ) فحذف الحركة الطويلة كلها، وأسكن الهاء، وفي الأول قال : (كأنهْ) فأسكنها أيضا. فصار هذا السكون فونيما صوتيا دالا على هذه اللهجة، ومقابلا وظيفيا لحركة الضمير، التي تعدّ جزءًا من الضمير من الجهة الصوتية والدلالية، وروي البيت الأول بقصر الحركة أيضا، وقرئ على هذه اللهجة في بعض القراءات السبعة المتواترة، نحو قول الله تعالى ﴿ ومِن أهل الكتاب مَنْ إنْ تأْمنْهُ بقِنطارٍ يُؤَدِّهْ إليك ﴾[4]

بإسكان الهاء [5]، وقوله تعالى ﴿فألْقِهْ إليهم﴾[6] بإسكان الهاء من الفعل[7]، وآيات أخر في أماكن عدة من القرآن[8]، وفي ذلك رد على من

---

1) انظر : تفسير القرطبي ٩/٩٦–٩٧، الكشاف ٢/٣٩٦.

2) البيت من الوافر للشماخ، وهو في ديوانه صـ ٥٦، برواية قصر الحركة لا حذفها، وانظر رواية الحذف في : الخصائص ١/٣٧١ و٢/١٧، والخزانة ٥/٢٧٠.

3) من الطويل ليعلى الأحول الأزدي، كما في الخزانة ٥/٢٧٥، وانظر : معاني القرآن للأخفش ١/٢٨، والخصائص ١/١٢٨، ٣٧٠، و(مطواي) : صاحباي .

4) سورة آل عمران (٧٥) .

5) السبعة ٢٠٧.

6) سورة النمل (٢٨) .

7) السبعة ٤٨١.

8) عقد لها ابن مجاهد في كتابه السبعة بابا خاصا أوردها فيه كلها : انظر ٢٠٧ـ ٢١٢.

زعم أن هذا لا يجوز في كلام العرب، وأن ما ورد عليه من الشعر ضرورة[1].

ز. في الاستثناء المنقطع ينصب الحجازيون المستثنى مطلقا، نحو: ما في الدار أحد إلا هِرًا، و بنوتميم يقولون: ما في الدار أحدٌ إلا هرٌّ، فيجعلونه بدلا من المستثنى منه، وبعضهم يوافق الحجازيين [2]، فالنصب قرينة دالة على لهجة أهل الحجاز، والإتباع على البدلية قرينة دالة على لهجة تميم، في هذا النوع من الاستثناء، وفي هذا دليل على أن الوظيفة اللهجية قد يكون معها تغير في المعنى.

ي. (لعلّ) من أخوات (إنّ) ولكن من العرب من ينصب بعدها الاسم والخبر معا، فيقولون: لعل أباك منطلقا، ومنهم من يجرّ الاسم بعدها، وهم عُقيل[3]، وعلى هذه اللهجة جاءت بعض الروايات في البيت المشهور:

فقلت ادْعُ أخرى وارفع الصوتَ جهرةً   لعل أبي المغوار منك قريبُ[4]

فالذي يميز هذه اللهجات في هذا الحرف هو جنس فونيم الحركة الإعرابية فيما يدخل عليه من الأسماء.

---

1) انظر معاني القرآن للزجاج ٤٣٢/١، والدر المصون ٢٦٢/٣.

2) انظر تفصيل مذهبهم في سيبويه ٣١٩/٢، وشرح الكافية للرضي ٧٢٨/٢-٧٣١.

3) انظر: المغني ٣١٧/١.

4) البيت من الطويل لكعب بن سعد الغنوي، كما في نوادر أبي زيد ٢١٨، والأصمعيات ٩٦، وسر الصناعة ٤٠٧/١، والخزانة ٤٣٤/١٠، وأكثر رواياته بالنصب، مع ذكر رواية الجر.

سابعًا : وظائف تصريفية

تجيء الحركات قرائن صوتية دالة على المعاني التصريفية، والصيغ والأوزان الصرفية، كالتأنيث والتذكير، والجمع والإفراد والتثنية، وأنواع الضمائر، ونحو ذلك من المباحث الصرفية، ومن يتتبع وظائف الحركات والسكون في هذا الجانب يجدها متنوعة، وفيما يلي أمثلة يستدل بها على ما سواها من ذلك :

أ. التمييز بين ضمائر التكلم والخطاب والغيبة، والتذكير والتأنيث، نحو: كتبتُ . كتبتَ . كتبتِ . كتبتْ، و: إنكَ . إنكِ، و: أنتَ . أنتِ، و: إياكَ . إياكِ، و: ذلكَ . ذلكِ..... فإن القرينة الفارقة بين هذه الضمائر والعلامات البنائية هي الحركات الثلاث والسكون، من جهة كونهن فونيمات يتبادلن المواقع، فيتغير المعنى الوظيفي .

* ومثل ذلك التفريق بين الغائب والغائبة، بالفتح مع هاء الغائبة، والضم أو الكسر(إتباعا) مع هاء الغائب، نحو: لهُ / لها . بِهِ/بِها، وكذلك التمييز بين المشار إليه والمشار إليها بالفتح مع المذكر ، والكسر مع المؤنث، نحو: هذا /هذي أو: ذا / ذي.

* ونحو ذلك تعيين نوع المخاطب وجنسه عن طريق تغيير فونيم الحركة أو حذفه، في مثل: لتكتُبَنّ. لتكتُبُنّ. لتكتُبِنّ، لتَكْتُبْنَ .

ب . وتكون الحركات قرائن للجمع والتثنية في الأسماء، نحو: المسلمون . المسلِمين. المسلمَيْنِ. المسلمان .

ج . وإذا جاء الاسم في محل رفع وهو منوّن بعد كسر، دلت حركته تلك على أنه معتل منقوص، نحو: جاء داعٍ، وهذا خالٍ، وهو حالٍ .... فليس ثمة ما يفرق بين الصحيح والمنقوص إلا الكسر حين حذف حرف العلة للتنوين .

د . تقول : " إنّ زيدًا لِهذا " و " إنّ زيدًا لَهذا" اللام الأولى لام الإضافة، التي بمعنى الملْكية، والثانية (المفتوحة) لام الابتداء، أي : إن زيدًا هو هذا [1]، والقرينة المفرقة بين المعنيين هي الكسر والفتح .

هـ : تبنى بعض الكلمات على الضم دليلا على أصلها التصريفي، كبناء ميم الجمع وهاء الضمير على الضم أحيانًا دليلا على أن الأصل فيهما وصلهما بواو المد، نحو : همُ . لهمُ . إنهمُ . إليهُ . عليهُ . فيهُ ....وقد قرئ بهذا كله في القراءات القرآنية؛ كما هو شأن قراءة ابن كثير ونافع في ميم الجمع[2]، قال الله تعالى : ﴿ومَنْ أوفى بما عاهد عليهُ الله فسيؤتيه أجرًا عظيمًا﴾[3] .

و: كما تكون الحركة القصيرة دليلا على الضمير، تكون أيضا دليلا على أصل محذوف، إذا كان ذلك الأصل حركة طويلة فلقيت ساكنا، فإنها تقصر تخلصا من الثقل . كما مر بيانه في الفصل الأول . فيبقى أصل الحركة نائبا عن المحذوف منها، مكتفًى به دليلا على الصيغة الأصلية للكلمة، سواء أكان المحذوف عينا أو لاما للكلمة، ومن أمثلته : الفعل الثلاثي الأجوف إذا لحقت به نون النسوة، ماضيا أو مضارعا أو أمرًا، نحو: كُنّ . صُمن . قُمْن . هَبْنَ . خَفْن . بِعْنَ . جِئْن ....يستوي في هذا الماضي والأمر، ويفرق بينهما بقرينة السياق، ويقال في المضارع : يكُنّ . يصُمْن . يخَفْن . يبِعْنَ ......فالصيغة الأصلية لهذه الكلمات (فعل يفعل) والعين معتلة بالألف أو الواو أو الياء، هكذا : يقْوُل . يخْوَف . يبْيِع ...تحرك ما قبل حرف العلة بمثل حركته، فصار مجانسا لها فأبدل حركة طويلة، ثم سكن آخر الفعل لتركيبه مع نون النسوة، فالتقت الحركة الطويلة بالساكن الصحيح (لام الكلمة) فقصرت للتخفيف [4].

---

١) سر صناعة الإعراب ٣٢٦/١.

٢) انظر : انظر: السبعة لابن مجاهد ١٠٨–١١١، سر صناعة الإعراب ٦٢٩/٢–٦٣١ . والدر النثير للمالقي ٥٨٤–٥٨٨.

٣) سورة الفتح (١٠)

٤) انظر : شرح الشافية للرضي ١٤٤/٣، والتصريح ٢٧٣/١.

وأما الدلالة على لام الكلمة ففي نحو: لم يرمِ. ولم يخشَ. ولم يسمُ. واتلُ. واقضِ. وارضَ، وكذلك في: تسعَوْن. يرضَوْنه. تنسَوْن ......دلت الفتحة قبل الواو على الألف المحذوفة، وتلك الألف لام الكلمة[1].

ثامنا: وظائف صوتية (فونولوجية)

للحركات والسكون وظائف صوتية لها أثر ظاهر على مستوى التركيب، كانسجام الأصوات، وتخفيف النطق بتقليل الجهد، وطلب الإسراع فيه، وكالإشمام والإمالة، وإغناء حركة قصيرة عن الإشباع، وإشباع حركة، وإتباع حركة لأخرى، ونحو ذلك، وأمثلته كثيرة متنوعة، نجتزئ منها بمايلي:

أ. يؤثر الكسر في الفتح. لقوة الكسر صوتيا. فَيُنْحى بالفتح نحو الكسر المجاور له، وهو ما يسمى بالإمالة، لأجل تقريب الصوت من الآخر لتجاورهما، فَيُلْتَمَسُ تحقيق نوع من الانسجام الصوتي بينهما، سواء أكانت الكسرة قبل الحرف الممالِ حركتُه نحو: حِمى. سوى ...أو لم تكن، نحو: رمى. اشترى. سعى. هوى ....وقد يستفاد من صوت الإمالة في هذا النوع. خاصة. معرفة أصل الألف. وأحيانا تكون الإمالة لأجل التناسب الصوتي مطلقًا، وإن لم تكن ثمة علاقة مباشرة بين الفتحة وأصل الألف، نحو: ضحى. تلا. الربا. خاف.... [2].

والإمالة ظاهرة صوتية محضة، تخضع للهجات، والنظام الصوتي لنطق الحروف والحركات، وهي خلاف الأصل، لأنها تجعل الصوت بين صوتين، والأصل هو أن يخرج كل حرف من مخرجه خالصًا، ولكن قد يُعدل عن ذلك طلبا للتناسب الصوتي، ليسهل النطق على أعضاء النطق [3].

---

1) انظر: شرح مختصر التصريف العزي ١٣٦وما بعدها.

٢) انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي القيسي ٢/ ٣٨١،٣٧٨، وشرح الشافية للرضي ٣/ ٥.

٣) انظر: الفتح والإمالة، لأبي عمرو الداني ص١٢-١٣، تحقيق عمر بن غرامة العمروي، ط١، ١٤٢٢هـ دار الفكر. بيروت.

ب ـ: ربما غيرت العرب إعراب الكلمة أو بناءها، لأجل إتباعها لما جاورها في الحركات، كما مر في مبحث حركة الإتباع، ومن أنواعه، قول الحطيئة:

فإياكم وحيةَ بطن وادٍ　　　هموزِ الناب ليس لكم بِسِيِّ[1]

يروى البيت بجر (هموز) إتباعا للكسر في (وادٍ) مع أنه من صفة (الحية) وليس صفة للوادي[2]، وليس لهذا الإجراء وظيفة سوى الانسجام الصوتي .

وخُرّج عليه الجر في كلمة (أرجلكم) من قول الله تعالى ﴿وامسحوا برؤوسكم وأرجلِكم إلى الكعبين﴾[3] في قراءة ابن كثير المكي وأبي عمرو البصري وحمزة، ورواية شعبة عن عاصم[4]، على أنه أتبع للكسرة في (رؤوسكم) مع كونه في المعنى معطوفا على (أيديكم) المنصوب، لأن الأرجل تغسل في الوضوء مثل الأيدي، والمسح للرأس فقط[5]، ولكن تحقيق التوافق الحركي لأجل انسجام الصوت يقدم في اللفظ كثيرًا، إذا كان السياق كافيا لتحقيق المعنى المراد .

* ومنه قولهم : مررت برجلٍ عجوزٍ أمُه، وبرجلٍ مرضعٍ امرأتُه، وبآخرَ شيخٍ أبوه[6]، بإتباع الثاني للأول في إعرابه تحقيقًا للانسجام الصوتي، وإن لم يكن صفة له في المعنى .

---

١) من الوافر، ديوان الحطيئة ١٧٩، تحقيق نعمان محمد أمين، ط١، ١٤٠٧هـ مطبعة المدني- مصر. يريد بـ(الحية) نفسه، و(هموز الناب) بالغ عضها بالناب، و(سِيّ) مِثْل ونِدّ .

٢) انظر : المنصف ٢/٢ والخصائص ٣/٢٢٠، ٢٢١.

٣) سورة المائدة (٦)

٤) حجة القراءات لابن زنجلة ٢٢٣.

٥) انظر : السابق مع المغني ٢/٧٦٠-٧٦١.

٦) المحلى في وجوه النصب ١٤٨.

ويشهد له قول الله تعالى ﴿وجاءوا على قميصه بدمٍ كذبٍ﴾[1] بجر (كذبٍ) على الإتباع لـ(دم) لتحقيق الانسجام الصوتي، والمعنى: جاءوا كذبًا بدم على قميصه[2].

وهذا أظهر من تأويل من تأوله بـ(مكذوب) على أن المصدر بمعنى المفعول[3]، كما يقال: ليس له معقول، أي: عقل، فلا يخفى ما فيه من تَعَمُّل.

و قال الأنباري: "الإتباع للحركة كثير في كلامهم "[4]، ومن ثم عقد له بعض العلماء بابا خاصا في الدراسات اللغوية، أوردوا فيه كثيرًا من النصوص الفصيحة التي تُخَرَّج عليه، كما تناوله بعض المعاصرين بالبحث في دراسات خاصة، فأكتفي بالإحالة إلى تلك الدراسات عن إعادة نشرها[5].

ج. إذا كانت الحركات والسكون تأتي أحيانا تابعة لما قبلها أو ما بعدها؛ لأجل التناسب، فإنها تأتي حينا آخر على عكس ذلك لتحقيق المخالفة الصوتية، ومن أمثلة ذلك:

١. المخالفة بين نون المثنى ونون الجمع بكسر الأولى وفتح الثانية، مع تحقق مخالفة حركة كل واحدة لحركة ما قبلها.

٢. المخالفة بين نون التوكيد في فعل الاثنين نحو(لتضربانِّ) وفي فعل الواحد، نحو: (لتضرِبَنَّ) بكسر الأولى وفتح الثانية، للتمييز بينهما.

٣. المخالفة بين الكسر والفتح للتدليل على التذكير والتأنيث في الضمائر، نحو: إنكَ/إنكِ، و أنتَ / أنتِ، وإياكَ / إياكِ. وبين الفتح

---

١) سورة يوسف (١٨).
٢) انظر المحلى في وجوه النصب ١٥٠.
٣) معاني الفراء ٢/ ٣٨.
٤) البيان ٢/ ٢٨٧.
٥) انظر: (الخفض على الجوار) في المحلى في وجوه النصب ١٤٨-١٥١، و(باب في الجوار) في الخصائص ٣/ ٢١٨، وكذلك: البديع في علم العربية لابن الأثير ٢/ ٧٩٩، تحقيق صالح العايد(مخطوط)، ومغني اللبيب لابن هشام ٢/ ٧٦٢(القاعدة الثالثة)، ومن الدراسات المعاصرة: كتاب (الحمل على الجوار في القرآن) لعبد الفتاح أحمد الحموز، و: (قضية المجاورة في الدراسة النحوية والتصريفية) للسيد رزق الطويل، ضمن مجلة (اقرأ) ص٧٥، جامعة أم القرى عدد سنة ١٤٠٦هـ.

والضم عند إرادة التفريق بين الغائب والغائبة، نحو: إنهُ / إنها، وإياهُ / إياها، وقوله / قولها، وبهِ /بها،وفي الإشارة: ذا /ذي.....

٤. المخالفة بين الكسر والفتح في نصب جمع المؤنث بألف وتاء، نحو: (نصحت المسلماتِ) فالأصل النصب بالفتحة، وقد رويت كلمات من هذا الجمع سُمع فيها النصب بالفتحة. كما تقدم في الوظائف الإعرابية واللهجية. ولكن خولف بين حركة التاء والألف التي قبلها في هذا الجمع، لأن الألف فتحة، فخولف بينهما لتقليل توالي الأمثال، كما فعلوا ذلك في نون (يفعلانِ) مع كونهم فتحوا نون (يفعلون وتفعلون وتفعلين) للمخالفة بينها وبين الضمة الطويلة والكسرة الطويلة، فلا تتحقق المخالفة إلا بالفتح[1].

د. مما يقرب من المخالفة: الإسكان لغرض التخفيف في النطق والتقليل من توالي الحركات، ووردت له شواهد كثيرة عن العرب، ومن أمثلته: قراءة (يَعِدْكم) بإسكان الدال، من قوله تعالى ﴿وإذ يعدُكُم الله إحدى الطائفتين﴾[2]تقليلا للحركات المتتابعة، ولأجل التخلص من ثقل الضم[3]، ونحوه: (ويَذَرْهم) في (يَذَرُهم)[4] و: (أنُلْزِمْكموها) بإسكان الميم بدلا من ضمها، و(يَحزُنْهم) بإسكان النون بدل ضمها[5] وأمثلته في القرآن كثيرة قرئ ببعضها في السبعة، وببعضها في الشواذ[6].

هـ: ومن الإشباع لتحقيق وظيفة صوتية: قول الشاعر:

ألم يأتيك والأنباء تنمي بما لاقت لَبون بني زيادِ[7]

---

١) انظر: معاني القرآن للفراء ١/ ١٠، والمحتسب ١/ ٢٧٣.

٢) سورة الأنفال (٧).

٣) انظر المحتسب ١/ ٢٧٣.

٤) المحتسب ١/ ٢٢٧.

٥) انظر: معاني الفراء ٢/ ١٢.

٦) انظر: الحمل على الجوار في القرآن لعبد الفتاح الحموز ٢٠٤وما بعده، ط١، ١٤٠٥هـ الرياض.

٧) بيت من الوافر، لقيس بن زهير، انظر: سيبويه ٣/ ٣١٦، والخصائص ١/ ٣٣٣، والخزانة ٨/ ٣٦٥،٣٦١.

فإن وظيفة الحركة الطويلة في (يأتي) هنا وظيفة صوتية محضة، وهي المحافظة على وزن البيت وموسيقاه، لأن الموقع الإعرابي يقتضي قصرها، لأجل الجزم.

ومثلها في هذه الوظيفة فيما يخص حركة البناء قول الشاعر:

فبينا نحن نَرْقُبُه أتانا معلِّقَ وَفْضَةٍ وزِنادَ راعِ[1]

الأصل: فبينَ، ولكنه أشبع النون، للوزن، فالغرض صوتي محض.

و. ومن الوظائف الصوتية للحركات، ما يحققه الشعراء بحركات الوصل والإطلاق في القوافي الشعرية، فإن إشباعها لغرض صوتي، وهو الترنم والتغني والإسماع، مع المحافظة على الحركة لئلا تزول بالوقف[2]، فيخفى ما قد تدل عليه من معان تركيبية وتصريفية، وقد مرّ شرح ذلك وبيانه مع شواهده في المبحث الخاص بحركة الإطلاق في الفصل الأول.

ز. للحركات الطويلة وظيفة صوتية مهمة، لا تكون إلا بها، وهي وظيفتها البلاغية، فإنها تعتبر أساسا عند إرادة التصويت والإسماع[3]، سواء كانت طويلة في الأصل، أو طرأ عليها الطول للإطلاق في القوافي، أو الوقف، أو طارئ آخر، فإنها تسعف كل من أراد أن يرفع صوته بمراده، ومن ثم استعملت في نداء البعيد والإشارة إليه، والاستغاثة، والندبة، والغناء، والتذكر، والإنكار، والتوجع والتأوه والتحسر، والتنبيه، والتعجب، والترحم، والزجر والردع، والتحضيض، والاستغراب، والاستبعاد، والمبالغة، والنهي.....وغير ذلك،نحو: ياربنا. وازيداه. أوّاه. آه آه. إي وربّي. ألا. هلاّ. كلاّ. لا. أنّى. ما أكرمه!. أزيدنيه؟! يا زيدُ. يا رجلُ

---

1) بيت من الوافر، ينسب لنصيب بن رياح، ونسب لرجل من قيس عيلان. انظر: سيبويه ١٧١/١ وسر صناعة الإعراب ٢٣١/١، والصاحبي ١٤٧. والوَفْضَةُ: ما يحمل فيه الراعي زاده.

2) انظر: الوافي بمعرفة القوافي ٢٢٥، والكافي في علمي العروض والقوافي ١٦٠.

3) انظر: سيبويه ٤/ ١٦٥– ١٦٦، و اللغة العربية معناها ومبناها ٧١.

..... ناهيك عما يتبع ذلك من دلالات التنغيم والنبر الذي تحمله هذه الحركات .

وهكذا يجد من يتتبع وظائف الحركات والسكون أنها تحقق للمتكلم أغراضا متنوعة على المستوى الفونولوجي، وأن كثيرًا من الظواهر الإعرابية والبنائية في اللغة العربية يمكن تعليلها بهذه القرائن الصوتية، بوضوح وسهولة .

الباب الثاني

قرينة التنوين

الفصل الأول

أنواع التنوين وأحكامه الصوتية

تعريف التنوين وما يتميز به عن النون

التنوين مصدر دال على الحدوث، ومن ثم سمي المصدر حَدَثًا، لأنه اسم لما وجد من حركة الفاعل الناتجة عن الفعل[1]، ويسمى ـ أيضا ـ نون الصرف[2] ـ وهو في الاصطلاح: "نون ساكنة زائدة على بناء الكلمة وحركاتها، تلحق بعد حركة الآخر القصيرة "[3]، وكثيرا ما يزاد في التعريف عبارة (تثبت لفظا لا خطا)[3]، والأظهر عدم الحاجة إلى زيادتها، لأنه لا علاقة لها بالتعريف، فهذا الوصف أمارة كتابية، وحقيقة الصوت المنطوق بمعزل عن الرموز الكتابية.

فالتنوين كالنون، لأنه نوع منها، ولكنه فونيم مستقل بوظائفه الخاصة، وإنما أشبه النون صوتا لمماثلته إياها صفة ومخرجا، فهو من جهة الوصف الفونيتيكي نون خالصة، ولكنه يختلف عنها من جهة الاستعمال الفونولوجي، فإن مستوى التحليل الفونيتيكي للأصوات يتناول العمل النطقي للصوت، ويرصد خطواته، ويحدد سماته النطقية، بينما يتناول التحليل الفونولوجي الأصوات في سياقها الكلامي[4]، حينما ترد مستعملةً في التركيب المعبِّر عن المعاني الذهنية، فتتفاعل فيما بينها، ويؤثر بعضها في بعض.

---

1) انظر: لسان العرب (نون) وكشاف المصطلحات للتهانوي ٥١٦/١، والحاشية الآتية.

٢) انظر: المحلى في وجوه النصب ٣٠١.

٣) انظر: شرح الحدود للفاكهي ٣٩٥-٣٩٦، وسر صناعة الإعراب ٤٨٩/٢-٤٩٠، والتعريفات للجرجاني ٦٧ وشرح المفصل ١٣١/٤، واللباب للعكبري ٧٤/١، والهمع ٤٠٥/٤.

٤) انظر: القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية ـ لسمير استيتية ٢١٨-٢١٩، ط/عالم الكتب الحديث ٢٠٠٥، الأردن.

موقع التنوين من الكلمة

موقع التنوين من الكلمة آخرها، وأواخر الكلم التي يلحق بها التنوين على ثلاثة أقسام :

القسم الأول : أن تكون الكلمة منتهية بحركة قصيرة، وهذا القسم يلحق به التنوين إذا لم يوجد ما نع من ذلك، كالعلل المانعة من التنوين، والإضافة، والألف واللام .

القسم الثاني : أن يكون آخر الكلمة مبنيا على السكون، وهذا القسم يلحق به التنوين بعد تحريكه، نحو : إذْ . صهْ . مهْ . غاقْ غاقْ ......فإذا أريد تنوينه حُرك بالكسر لكون التنوين ساكنا، فيقال: صهٍ ومهٍ وغاقٍ غاقٍ .....إلخ .

القسم الثالث : أن يكون آخر الكلمة حركة طويلة، وهي حرف العلة، ولا تكون إلا أحد حروف المد الثلاثة، وهذا القسم إذا لحق به التنوين أدى إلى ثقل في النطق، مع التباس التنوين بالنون المتحركة، نحو : (فتى . قاضي) فإذا نوّن أصبح : (فتانْ . قاضِينْ) فهذا غير متعذر نطقا، ولكن فيه من الثقل في النطق ما لا يخفى، وليست الحركة الطويلة كالحروف الصحيحة التي تقبل التحريك، فتحركَ للتخلص من هذا الثقل الناشئ من طول الصوت بالحركة، ومن ثَم لزم. إذا أريد تنوينه لمعنى من المعاني التي يأتي لها التنوين. التخفيف من الصوت، ونقصان مبناه، فيحذف الجزء الأخير من حرف المد، وهذا الحذف ليس كحذف الحروف الصحيحة والحركات القصيرة، وإنما هو نوع من الاختصار الكمي للصوت والتقصير له، ليبقى منه ما لا يثقل على الناطق، مع دلالته على جزئه المحذوف، فإذا صار كذلك لحق به التنوين، لأنه صار كالنوع الأول المختوم بحركة قصيرة ابتداءً، فيقال : فَتَنْ . قاضِنْ . داعِنْ، وتكتب إملائيا على ما يوقف به عليها، لا على الصفة النطقية هذه، لأن الخط مبني على الوقف لا على النطق[1].

---

1) انظر : سر صناعة الإعراب ٢/٤٩٢

ما يتميز به التنوين عن النون

يتميز التنوين عن النون بما يلي :

أ. التنوين لا يلي إلا حركة قصيرة، نحو : جاء محمدٌ، ورأيت محمداً، ومررت بمحمدٍ، والنون تلي حركة قصيرة وطويلة. مثال القصيرة : لدُنْ. لَنْ. مِنْ ... ومثال النون بعد حركة طويلة : غلمان. حسّان. هارون. فلسطين، ومنه نون التنوين في نحو : مسلمان . ومسلمون، ونون الإعراب في نحو : يتعلمون. يقنتانِ. أنت يا هندُ تقنتين.

ب. التنوين لا يجتمع مع الألف واللام في الكلمة، والنون تجتمع معهما، نحو : العين. الحسن. الحسين. الثمين. المكنون. المصون. الذين ......

ج. التنوين لا يكون إلا ساكنا، لأنه مبني على السكون، إلا أن يحرك لعارض صوتي، وذلك يكون في موضعين غالبا :

١. أن يلتقي بساكن فيحرك، نحو : صدق محمدٌ الرسول. ومنه قولهم عند الإنكار: أزيدَنِيه! للثقل الناشئ من اجتماع التنوين مع مدة الإنكار [١].

٢. أن تُنقل إليه حركة الهمزة ثم تحذف الهمزة، نحو : زيدُنَبوك . و: هو رجل صادقُ نِيمانُه، أي : زيد أبوك، وهو رجل صادقٌ إيمانه [٢].

وأما النون فتكون ساكنة ومتحركة، نحو : فطِنٌ. عَدَن. مَنْ. عنْ ....

د . التنوين لا يأتي إلا في آخر الكلمة، سواء اتصلت الكلمة بغيرها أو لم تتصل، فهو ذو موقع ثابت في الكلمة، والنون تكون أولا وحشوًا وآخرًا .

هـ : التنوين لا يكون إلا زائدًا بعد تمام الكلمة وحركاتها، والنون تكون أصلية وزائدة، نحو : مكان. منكسر. العَلَن. رعشن (للمرتعش) .....

و. النون تكون علامة للرفع، كما في الأفعال الخمسة، وتكون ضميرًا للإناث، وتكون في الفعل ضميرًا للمفعول، ولا يكون التنوين لشيء من هذه الوظائف .

ز. التنوين موضعه الأصلي الأسماء، والنون تكون في الأسماء والأفعال والحروف، خلافا لمن رأى من المحدثين أن التنوين يدخل في بعض

---

١) انظر : سر صناعة الإعراب ٢/ ٤٩٠.

٢) سر صناعة الإعراب ٢/ ٤٩١.

الأدوات من الحروف، كـ(إذَنْ) بناء على أن أصلها (إذْ) ثم نونت لإفادة معنًى جديد، وأن أصل (لنْ) هو (لا) فدخلها التنوين لتقييدها بمعنى خاص وهو نفي المستقبل[1]، وليس من السهل التسليم بهذا القول، لأن هذه الأدوات لا تعرف لها أصول مجردة من هذه النون، ليقال إن التنوين لحق بها لإحداث معنى ما، وليس (إذْ) كـ(إذنْ) معنى، فالأولى ظرف، والثانية حرف، ولو كانت إياها ثم حركت لالتقاء الساكنين بعد لحوق التنوين بها لكسرت، كما فعل بأمثالها، نحو: يومئذٍ - حينئذٍ - وقتئذٍ ....[2]، وليست (لنْ) كـ(لا) لفظا، لوجود الألف في (لا)، ولا يوجد تنوين بُني عليه فيمتنعَ من الحذف، لأن التنوين زائد كزيادة معناه. فإذا كان معناه لازما للكلمة فعلامٍ يؤتى به؟ وإذا كانت النون جزءًا من بناء الكلمة، أو كانت فيما لم يُعرف تنوينه عن العرب - وهو الحروف والأفعال - فلا محيص من القول بأنه حينئذٍ نون، وإن أشبه التنوين في وضعه، كما هو في: عنْ ومنْ وإذَنْ وبدَنٍ وعلَنٍ.....إلخ، عند الوقف على الأخيرتين.

ح - التنوين يسقط عند الإضافة، والنون إذا كانت أصلا لا تسقط للإضافة، نحو: ساكن الدار، وحسن العمل، وبدن الرجل، وابن زيد ..... وإنما تحذف عند الإضافة إذا كانت بمنزلة التنوين كما هو شأن نون جمع المذكر السالم، ونون التثنية، نحو:

انتصر مسلمو العراق، وانهزم منافقوه، وأعجبني كتابا شيخي في علمي النحو واللغة، فالأصل: (مسلمون) و(منافقون) و(كتابان) و(علمين)، فحذفتا عند الإضافة لأنهما بمنزلة التنوين في الاسم المفرد.

ط - يوقف على النون بلفظها، ويحذف التنوين عند الوقف، لئلا يشتبه بالنون الأصلية[3]، أو يبدل ألفا إن كان بعد فتحة[4].

---

1) هذا رأي إبراهيم السمرائي، كما في كتابه: النحو العربي نقد وبناء، ٢١١-٢١٢.

٢) انظر: سر صناعة الإعراب ٢/٥٠٤، وشرح المفصل لابن يعيش ٤/١٣٣.

٣) انظر سيبويه ٢/٢٨١، وسر الصناعة ٢/٤٩١.

٤) انظر لهذه الفروق: سر الصناعة ٢/٤٩٠، والخصائص ٣/٢٤٠، وأسرار العربية ٥٨، واللباب للعكبري ١/٧٤-٧٩، والأشباه والنظائر ٢/٢٨٩، ٣٦٠، والهمع ٤/٤٠٦-٤٠٩، وحاشية الخضري على ابن عقيل ١/٣٦-٤٢.

أنواع التنوين

النوع الأول : تنوين التمكين :

وهو الذي يلحق الأسماء المعربة التي تلحقها الحركات الثلاث، وهو التنوين الدال على بقاء الأصالة، والفارق بين ما ينصرف وما لا ينصرف، والاسم يكون به متمكنا في باب الاسمية، بأنه لم يشبه الحرف فيبنى، ولا الفعلَ فَيُمْنَعَ من الصرف، وسواء أكان ذلك الاسم معرفة كمحمد وزيد، أم نكرة كرجل وكتاب، هكذا يقول النحويون [1].

ويبدو للمتأمل في أحوال التنوين أن كلام النحويين هنا يمكن توجيهه على أن دلالة التنوين على التمكين راجعة إلى استحقاق الاسم المنوَّن لخصائص الأسماء، فالاسم إذا كان مصروفا صرفا كاملا - بمعنى أنه يقبل تغير آخره بجميع أنواع الإعراب مع التنوين[2] - ويقبل مع ذلك جميع العلامات المختصة بالأسماء - وهي الألف واللام، والإسناد إليه، والنداء، والجر - إذا كان كذلك فهو اسم متمكن أمكن، فإذا دخل عليه التنوين كان دليلا على تمكنه في خصائص الأسماء، وكمال قيمته الخلافية، حين يقابل بالحرف والفعل، وقد يلحق به هذا التنوين مع وجود شبه بالفعل كما في الصفات المحمولة على أفعالها، كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة، بل إن من وظائف التنوين أحيانا تقريبَ الاسم من الفعل، كما سيأتي .

وقد رد الدكتور سمير استيتية كون التنوين دالا على التمكين، محتجا بما يلي :

١. أن تمكن الاسم حاصل من مرجعه الدلالي، مصروفا كان أو غير مصروف، فلا فرق بين محمد وزيد وعثمان وعمر، في هذه الدلالة، يعني الدلالة على الاسمية .

---

١) انظر على سبيل المثال شرح التسهيل ١/١١، ٤١ ، و أوضح المسالك ١/ ١٣.

٢) انظر : ما لا ينصرف للزجاج ص٣، تحقيق هدى محمود ، ط٢، ١٤١٤هـ، مكتبة الخانجي - القاهرة.

٢. أن الأسماء التي يلحق بها تنوين التمكين تمتنع أحيانا من التنوين، حين يدخل عليها (ألْ) أو تضاف، أو تثنى أو تجمع، ولا يخرجها ذلك من التمكن، فلا أثر إذن للتنوين في التمكن.

٣. أن سبب التنوين هو التركيب، كما أن سبب الإعراب التركيب، ولا فرق في التركيب بين المنون وغيره، لأن عدم التنوين راجع إلى التركيب، كما أن التنوين راجع إلى التركيب[١].

وكلامه هذا ظاهر الدلالة على أنه فسر التمكن بالدلالة على المعنى المعجمي للاسمية، – لا ما سبق من أن التمكن يعنى الدلالة على خصائص الاسمية مقابل الخصائص الفعلية. وذلك غير مراد في الحقيقة، فإن الأسماء كلها ذات دلالة على الاسمية، ولكنها لا تستوي جميعا في قبول علامات الأسماء، فمحمد وزيد - مثلا- يقبلان التنوين والجر بالكسر، وعثمان وعمر وأحمد، ونحوها لا تقبل ذلك، مع استواء النوعين في المعنى المعجمي للاسمية، ومعنى هذا أن مجرد الدلالة على هذا المعنى لا يكفي فرقا بين هذه الأسماء وما سواها، ولما كانت هاتان العلامتان - وهما التنوين والجر بالكسر- من خصائص الأسماء عُلمَ أن ما يقبلهما من الأسماء مع سائر العلامات الاسمية الأخرى، له مزية خاصة في باب الاسمية على غيره من الأسماء، على مستوى البنية السطحية (الظاهرة استعمالا) وإن اشترك مع ما يفقد هذه المزية اشتراكا عاما على مستوى البنية العميقة[٢]، ومن ثم استدل على تمكنه بقبوله لهذا التنوين دون غيره مما يشركه في الدلالة العامة، أو في التمكن الدلالي، لأن التنوين هنا وحدة صوتية وظيفية[٣].

وأما فقدان هذه الأسماء للتنوين في حالات الإضافة والتحلي بالألف واللام، ونحو ذلك مما ذكره الدكتور استيتية، فهو لأسباب صوتية اقتضت عدم اجتماع التنوين بغيره مما تطول به الكلمة ويثقل به النطق، وتعاقب التنوين والإضافة والألف واللام في الاسم هو أظهر دليل على تمكن الاسم

---

١) بتصرف من مقال له بعنوان (رؤية جديدة في تفسير التنوين في العربية) في مجلة جامعة الملك سعود العدد الأول ١٤١٣هـ، ٥/ ١٢٧-١٢٨.

٢) وهي هنا مجرد الدلالة على المسمى.

٣) انظر: تاريخ علم اللغة الحديث لجرهارد ٩٨.

في باب الاسمية، وعندئذ لا يصح الاستدلال بحذف التنوين على التمكن أو عدمه، لأن المقصود قبول هذه الأسماء للتنوين، إذا أُريد تنوينها وخلت من الموانع، وليس المراد أنها مبنية على التنوين في جميع الحالات، لأن الأصل في التنوين أنه صوت زائد على أصول الكلمة وحركاتها، وليس مبنيا معها[1]، ولو كان لازما لكان نونا، كما سبق في الفروق بين التنوين والنون .

وكان ينبغي أن يلحظ ـ أيضا ـ أن بعض الأسماء الممنوعة من الصرف التي نظّر بها، لم يؤثر في دلالتها على الاسمية أنها قد لا تدخل عليها (ألْ) الحرفية ولا تضاف .

ومن المسلّم به أن الاسم الذي يُمنَع من الصرف لشبهه بالفعل إذا دخل عليه ما يختص بالأسماء من العلامات كـ(ألْ) أو أضيف، أن ذلك يبعده عن شبه الفعل ويجعله منصرفا من شبه الفعل إلى خصائص الأسماء[2]، وهذه عوارض طارئة غير لازمة، فإذا فارقها رجع إلى شبهه بالفعل، ذلك الشبه الذي كان سببا في منعه من التنوين والإعراب بالكسر[3]، والفعل أصله البناء، ولذلك يقل تمكن الاسم الذي يشبهه، فيمنع من بعض أوجه الإعراب، ويتصف ببعض أوصاف البناء[4]، ولولا أن عدم التصرف في أوجه الإعراب من خصائص الأفعال لما كان التعليل بشبه الفعل قويّا ؛ لجواز أن يكون كل واحد من الفعل والاسم متأثرًا بالآخر منطقًا[5].

وأما قول الدكتور استيتية إن سبب التنوين التركيب، وسبب عدم التنوين التركيب، فهذا معلوم بالضرورة، وليس تفسيرًا للتنوين، ولا يسلب من التنوين دلالاته الوظيفية، التي منها الدلالة على تمكن الكلمة في الإعراب، وليست هذه المقولة علة خاصة بالتنوين، لأن الكلمات كلّها ـ منونة كانت أو غير منونة ـ لا دلالة لها خارج التركيب، فلو قيل مثلا : رجل، أو : زيد، ونحو

---

١) انظر سر صناعة الإعراب ٤٩١/٢.

٢) انظر المقتضد ١/ ١١٤، وشرح الكافية للرضي ٩٧/١-٨٩ ، وشرح التسهيل ٤١/١.

٣) انظر ما ينصرف وما لا ينصرف ٩.

٤) انظر مفهوم هذه المقولة في شرح الكافية للرضي ٣١/١.

٥) شرح الكافية ١٠٠/١.

ذلك لما كان كلاما مفيدًا، ولا كانت له أي دلالة حتى يعلم قصد اللافظ به، ولن يظهر قصده إلا بالتركيب، أو دلالة الحال أو نحو ذلك .

وسبب هذا أن الكلمات عبارة عن ألفاظ يرمز بها للموجودات الخارجية، فكلمة (كتاب) - مثلا - ليست كتابا، وإنما هي لفظ مكون من الكاف والتاء والألف والباء، أما الكتاب حقيقة فهو ذلك الموجود المعهود في الخارج[1]، فلا دلالة لهذه الكلمة اللغوية إلا بالرجوع إلى ما وضعت له عُرفًا، من كونها رمزًا على نوع معين من أجناس الموجودات، وهذا محدد لمعناها كتحديد التركيب للمركبات، والتنوين في ذلك كغيره من الألفاظ .

ويبدو أن الدكتور استيتية هنا متأثر بالإمام السهيلي الأندلسي، فقد ذكر أن دخول التنوين في الأسماء ليس علامة للتمكن، ولم تكن العرب تريد أن تشعر المخاطب بتمكن الاسم، وليس التمكن معنى يحتاج إلى بيانه وإعلام المخاطب به، ومثل ببعض الأسماء المنصرفة مع ما فيها من ثقل وغرابة، وقلة الاستعمال، كقِرْطَعْبَة (القطعة أو الخرقة) وهُدَبِد (اللبن الخاثر) ودُرْداقِس (العظم الناتئ فوق القفا) مقابل أسماء أخر غير مصروفة مع ما فيها من الخفة والسلاسة وكونها كثيرة الاستعمال، نحو : حسناء وأحمر وبيضاء ......فليست هذه بأقل تمكنًا من تلك، ورأى أن الاستغناء عن التنوين في بعض الأسماء سببه انفصالها عما بعدها، من غير حاجة إلى التنوين الذي هو علامة الانفصال، ومن ثم لم ينونوا الفعل لاتصاله بالفاعل، وأنه كالجزء منه، ولا تنون الحروف ولا ما ضارعها من الأسماء لأن العامل منها متصل بمعموله، وغير العامل لا يتوهم إضافته فيحتاج إلى فصل، وكل عَلَم الأصل فيه عدم التنوين لأنه مستغن عنه، لأن المخاطب لا يتوهم كون العلم مضافا إلى ما بعده، ومن ثم لا يحتاج إلى فصله بالتنوين، وهذا خلاف النكرة التي إذا لم تنون تُوُهِّمَتْ فيها الإضافة[2]. انتهى كلامه بمعناه .

وما ذكره العلامة السهيلي تعليل لوجود التنوين فيما وجد فيه، ولعدم وجوده فيما لا يدخله، وهو موافق لما يذكره النحويون من هذه الجهة [3]،

---

1) انظر : علم الدلالة للخولي ٢٥-٢٦، ط ٢٠٠١/، الأردن.

2) أمالي السهيلي ٢٤-٢٦ (بتصرف).

3) انظر : الخصائص ٣/ ٢٤٠.

ولكن لا علاقة لهذا بتفسير معاني التنوين وتلمّس وظائفه في الأسماء، وليست دلالة الاسم على الاسمية بمختلفة في الأسماء التي مثّل بها لما ينصرف وما لا ينصرف، ولكن بعض هذه الأسماء أقل تصرفا من بعض، وبعضها يشبه الأفعال في بعض الأحكام، لا من جهة الدلالة المعنوية على المسمى، وإنما من جهة الأحكام الظاهرة في الاستعمال، ومثال ذلك : أن نحو : أحمر وأشقر وبيضاء وحمراء .... وغيرها مما مثّل به . أوصاف ضارعت الفعل بالوصفية، لأن الأصل في الفعل أنه وصف لفاعله، لأنه حركة الفاعل، وأما نحو : هُدَبِد وقِرْطَعْبة، وغيرها مما مثل به السهيلي، فهي أسماء لذوات، كأذن وعين وشجرة ورجل ....فليس فيها رائحة الوصف، فإذا وجد التنوين ملحوقا بهذا القسم الذي لا يشبه الأفعال، ثم وُجد أنه لا يلحق تلك الأسماء التي تشبه الأفعال في بعض الوجوه الاستعمالية لفظًا ومعنًى، كان ذلك عذرًا لمن جعل التنوين علامة فارقة بين النوعين، وهذا تفسير وإيضاح لما نطقت به العرب، ووصفٌ للظاهرة اللغوية، وليس المراد التعليل لسبب وجود الظاهرة الصوتية من أصلها، لأن المتكلم نطق بسجيته التي طبع عليها، من غير التفات إلى علة ما، ولكنه يتقيد في كلامه بما يوافق أغراضه، وبما تعارف عليه المخاطبون في أذهانهم من صور لفظية عند التعبير عن المعاني ؛ لأجل أن يُفهمهم، وقد ارتبط كل لفظ بطرق معينة عند استعماله، يرجع ارتباطه بها إلى أسباب صوتية أو تركيبية، ومن ثم جرى تنوين بعض الكلمات دون غيرها، ولزم أحيانًا حذف تنوين ما ينوّن لبعض الأسباب .

فإن استوى ما ينصرف وما لا ينصرف من الأسماء، في التمكن من جهة الدلالة على المسمى، نحو : زيد وعثمان ومحمد وأحمد ..... فإن ذلك لا يعني استواءهما من جهة الأحكام اللفظية الأخرى، التي تجري على كل اسم في أثناء استعماله، وأهمها ما يلحقه من التغيّرات الصوتية في آخره، ومن ثم كان ما استوفى هذه الأحكام أمكن من غيره، فيما يظهر عليه من صور لفظية تدل على التصرف والتغيّر من حال إلى أخرى، وكان تنوينه دليلا - وقرينة - على خصائص يتميز بها، وينبئ عنها هذا التصرف مقابل ما لا ينوّن .

وهذا يدل على ما تقدم من أن معنى (التمكن) يرجع إلى قبول الاسم لجميع العلامات والتغييرات التي تتعاقب على الأسماء بحسب الوظائف المتنوعة، والتحولات في وجوه الإعراب من حال لأخرى، وليس معناه شدة الدلالة على المسمى، ولا ما ذكره من خفة اللفظ وجزالته وكثرة استعماله وقلة غرابته .

النوع الثاني : تنوين التنكير

التنوين دليل التنكير [1]، ولكن هذا خاص بما يراد تنكيره، كما أن الألف واللام دليل التعريف فيما يراد تعريفه بهذه العلامة، فإذا قيل : الشجرة والرجل والكتاب ـ مثلا ـ دلت الألف واللام على التعريف، لأنها لا تلحق بهذا النوع من الكلمات إلا لإرادة التعريف، ولكنها في نحو : العباس والحارث والعراق والشام ....لا يراد بها التعريف[2]، بدليل لحوقها بما هو معرف بعلميته، وكذلك إذا لحق التنوين بنحو محمدٍ وزيدٍ وهندٍ، فلا يدل على التنكير بدليل دخوله على عَلَم، فتكون وظيفته حينئذٍ هي الوظيفة التركيبية العامة للتنوين، وهي الدلالة على التمام والاستغناء لفظا عما بعده، مع تمكنه في وجوه الإعراب وخصائص الأسماء، فإذا لحق بما ليس فيه تعريف، دل فيه على هذه المعاني مع التنكير، نحو : رجل وشجرة وكتاب، فإن اجتمع في الكلمة العلمية وعدم التمكن ـ كالأعلام المبنية ـ خلص التنوين للتنكير[3].

ولدلالة التنوين على التنكير خُصّ التنوين الذي يلحق المبنيات بوظيفة التنكير، فإن المبنيات من الأعلام وأسماء الأفعال والأصوات لا تنوّن لأنها قليلة التصرف، غير متمكنة في الظواهر الصوتية للأسماء، **ولأجل هذا إذا أريد إبهامها و تنكيرها، ألحق بها التنوين، وكأن ذلك لمناسبة معنوية بين الإبهام بعدم التعيين، والتغيير اللفظي بتصرف غير مألوف في هذه الأسماء، وهو إلحاق التنوين بأواخرها، فكلا الأمرين فيه نوع غرابة، لأن إبهام المعنى المألوف كإبهام اللفظ المألوف، كلاهما يخرج الاسم عن التعيّن والتخصص.** قال سيبويه : " وزعم الخليل أن الذين يقولون : غاقٍ غاقٍ[4]فلا ينوّنون فيها ولا في أشباهها، أنها معرفة ....وكأنه قال : قال الغراب هذا النحو، وأن الذين قالوا : غاقٍ غاقٍ، جعلوها نكرة ....وأن الذين قالوا : صَهٍ ذاك،

---

١) انظر : الخصائص ٣ / ٦٢،٦٥، ٢٤٠.

٢) انظر : التصريح ١/٣٠٢-٣٠٣

٣) انظر : شرح الرضي للكافية ٣١/١

٤) غاقٍ غاقٍ : حكاية صوت الغراب .

أراد النكرة، كأنهم قالوا : سكوتًا، وكذلك : هيهاتٍ، هو بمنزلة ما ذكرنا عنده، وهو صوت...."[1]

فيقال : جاء سيبويهِ ومعه سيبويهٍ آخرُ، ويقال في الاستزادة من الحديث مطلقًا : إيهٍ، على إرادة التعميم،كما يقال : إيهًا وواهًا وويْهٍ وويْهًا (عند التعجب والتوجع) وإذا أريد التعيين والتخصيص قيل : إيهِ (بدون تنوين) [2].

فلما كانت هذه الكلمات لا يقصد فيها معنى التنكير والتعميم إلا بالتنوين ، قيل لتنوينها تنوين تنكير وتعميم، وهكذا كل مبنيّ، ومن ثم درج النحويون على القول بأن هذا التنوين لا يأتي إلا بعد حركات البناء، ولا يكون إلا في المبنيات، فاصلا بين حال التعريف وحال التنكير لها[3].

وهذا الكلام قد أشكل على بعض المحدثين، ففسره بعضهم على أن الأسماء المبنية مبهمة تفتقر إلى ما يوضحها، فنونت تعبيرًا عن تنكيرها. لأن التنوين فرع الإعراب في الأسماء المتمكنة[4].

وهذا التفسير غير متفق مع مفهوم كلام النحويين في تنوين التنكير، لأن الإبهام الذي في الأسماء المبنية جاءها من قبل اللفظ، للزوم آخرها حركة واحدة أو سكونًا، لا من قِبَل المعنى، فلا فرق في المعنى بين سيبويه وخالد، ولا بين (صهٍ) و (سكوتًا)[5] والتنوين لهذه الأسماء يكون لأجل وظيفة معينة، لا ارتباط لها بالإعراب .

ومن المحدثين من رأى في كلام النحويين في تنوين التنكير قصرًا له على نوع خاص من الأسماء، وهو في الحقيقة شامل لجميع الأسماء المنكرة،

---

1) سيبويه ٣/٣٠٢ (بتصرف يسير) .

٢) انظر : سيبويه ٣ / ٣٠٢وا لفوائد والقواعد للثمانيني ص١٢، تحقيق عبد الوهاب الكحلة ط١، ١٤٢٢هـ مؤسسة الرسالة ببيروت. والمقتصد ١/٧٣-٧٤، و الكناش في فني النحو والصرف لعماد الدين الأيوبي ٢/١٢٤،٣-٧٤، تحقيق رياض الخوام ، ط١، ١٤٢٠هـ المكتبة العصرية - بيروت.

٣) انظر : سر صناعة الإعراب ٢/٤٩٤-٤٩٥، وشرح المفصل٤/١٣٢، والمقتصد١/٧٣-٧٤، والكافي لابن أبي الربيع ، السفر الثاني ١/٨٣ ، وشرح الحدود للفاكهي ٣٩٩-٤٠٠.

٤) مقال للدكتور عبد الوهاب حسن حمد ، بعنوان : " معاني التنوين" ص٤، منشور في موقع المنشاوي للدراسات والبحوث على الشبكة الالكترونية للمعلومات.

٥) انظر سيبويه ٣/٣٠٢.

فالتنوين في : سيبويهٍ وإيهٍ مثله في : رجلٍ وشجرٍ وكتابٍ ودارٍ .....إلخ، ورأى أن التنوين دال على التنكير مطلقاً[1]، وهو رأي مردود محجوج بما تقدم بيانه، ومن ثم تتابع على رده جمع من المهتمين بالدراسات النحوية، فأكتفي بالإحالة عليهم[2].

والخلاصة التي ينبغي أن يُنتهى إليها في علاقة التنوين بالتنكير هي :

أن الاسم المنوّن قسمان : **ما الأصل فيه التنوين، وما الأصل فيه عدم التنوين .**

فالقسم الأول ـ وهو ما الأصل فيه التنوين ـ يقبل التنوين ما لم يمنع من ذلك مانع، كالإضافة ودخول الألف واللام عليه، ولا فرق في ذلك بين الأعلام وغيرها، وهذا هو الاسم المتمكن في الاسمية الخالصة، فإن لم يكن فيه ما يضاد معنى التنكير،كان تنوينه دالا على تنكيره مقابل تعريفه، نحو : رجل وإنسان وحياء ....وإن كان فيه ما يضاد التنكير ـ كالتعريف ـ دل تنوينه على تمكنه في باب الاسمية دون تنكيره، كمحمد وزيد ونوح وهود.........والفرق بينهما أن نحو (رجل ودارٍ) تنوينه دال على تمكنه وتنكيره وانفصاله عما بعده، ونحو (محمد وزيد) تنوينه دال على تمكنه وانفصاله عما بعده فحسب[3].

وورد في كلام ابن الحاجب أن تنوين نحو (رجل) ليس بتنكير، لأنه لو سمي به فالتنوين يبقى على حاله، وجعله نظير(صَهٍ) المنوّن إذا سمي به، على أنه يحكى منوناً، ثم نقض كلامه فأقر بأن تنوينه تنوين تنكير[4]، فكأن الناقل لكلامه لم يضبطه عنه، فإنه لا فرق بين (رجلٍ) و(صهٍ) من جهة الحكاية، والتنكير والتعميم في مقابل التخصيص .

---

1) هذا رأي إبراهيم مصطفى في كتابه : إحياء النحو ص١٧٤وما بعدها ، وتبعه عليه آخرون ، كإبراهيم أنيس في كتابه : من أسرار اللغة ، ص٢١٨، وإبراهيم السمرائي ، في كتابه : النحو العربي نقد وبناء ص٢٠٠.

2) انظر : النحو والنحاة لمحمد أحمد عرفة ٢١٢، و تيسير النحو التعليمي لشوقي ضيف ٣١، و إحياء النحو وتجديده لعبد الله أحمد خليل ص٦٠، ومقال (رؤية جديدة في تفسير التنوين) لسمير استيتية في مجلة جامعة الملك سعود ٥ /١٣١.

3) انظر : شرح الكافية للرضي ١/ ٣٠-٣١ ، والكناش ٢ /١٢٤.

4) انظر : أمالي ابن الحاجب ٢ /٨٧٦، تحقيق فخر قداره ، ط ١٤٠٩/هـ دار عمار ـ الأردن.

وأما القسم الثاني. وهو ما الأصل فيه عدم التنوين. فلا ينوّن إلا لغرض التنكير والإبهام، فهذا لا يدل تنوينه إلا على هذه الوظيفة، وهو الخاص بالمبنيات وبعض أنواع الممنوع من الصرف إذا أريد تنكيره وعدم تعيينه [١]، فيقال: إيهٍ من الحديث، وأفٍّ لما يقول الظالمون، وجاء نفطويهِ **ونفطويهٍ** آخر، وأحمدُ **وأحمدٌ** آخر، وجاءت سعادُ **وسعادٌ** أخرى. فالاسم الثاني بمعنى النكرة [٢]، وتنوينه هو المفرق بين تعريفه وتنكيره [٣].

وذكر ابن هشام أنه يقع في باب اسم الفعل بالسماع، كصهٍ ومهٍ وإيهٍ، وفي العلم المختوم بـ(وَيْه) بقياس، نحو: جاءني سيبويه وسيبويهٍ آخر" [٤]، والمراد أنه مقيس على أسماء الأصوات، من جهة كونه مركبا مزجيا مختومًا بصوتٍ، فأشبه آخرُه نحو غاقٍ [٥].

وقال ابن جني: " ألا ترى أنك إذا قلت: لقيت أحمداً، فإنما كلفت المخاطب أن يرمي بفكره إلى واحد ممن اسمه أحمد، ولم تكلفه علم شخص معين، وإذا قلت: لقيت أحمدَ، فإنما تريد أن تعرفه أنك لقيت الرجل الذي اسمه أحمد، وبينك وبينه عهد متقدم، فالتنوين هو الذي فرّق بين هذين المعنيين " [٦]

فقد اختصت وظيفة التنكير بهذا النوع الذي هو المبنيات وما يُصرف نكرةً من الممنوع من الصرف، واختص التمكين في خصائص الاسمية بالأعلام غير الممنوعة من الصرف، واجتمع التمكين والتنكير فيما عدا ذلك، وهو كل اسم معرب غير ممنوع من الصرف وليس علمًا، كرجلٍ

---

١) انظر: سيبويه ٣/ ٢٧٩، ٢٩٧، والمقتضب ٣/ ٣١٩وما بعدها. و المذكر والمؤنث للمبرد ص١١٥، تحقيق رمضان عبد التواب، وصلاح الدين الهادي، ط٢، ١٤١٧هـ مطبعة المدني، مصر. وسر صناعة الإعراب ٢/ ٤٩٣-٤٩٤.

٢) انظر: سر صناعة الإعراب ٢/ ٤٩٤-٤٩٨،٤٩٥. وانظر: المقتضب ٣/ ٣١٩، ٣٢٠. والمذكر والمؤنث للمبرد ص١١٥.

٣) انظر: الكناش ٢/ ١٢٤.

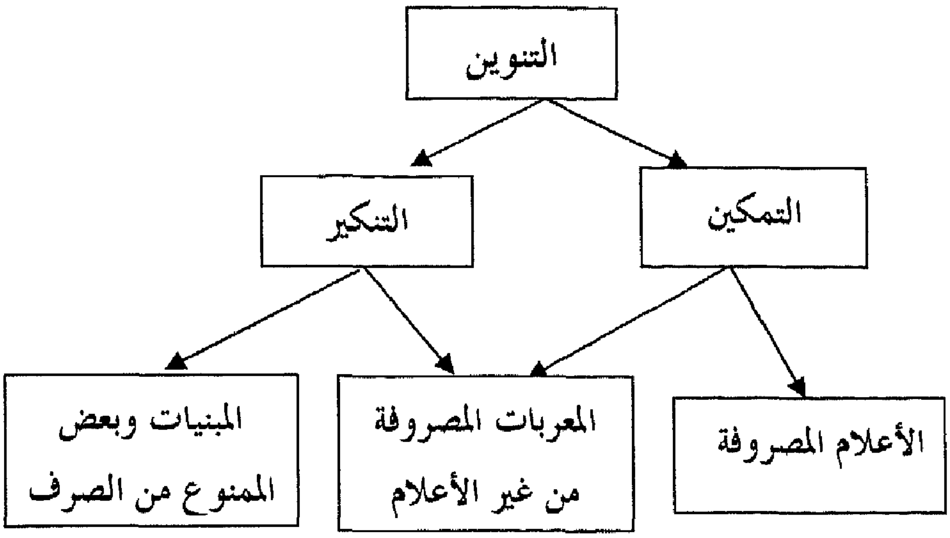
٤) المغني ٣٧٦/١. وانظر سر الصناعة ٢/ ٤٩٥.

٥) انظر سيبويه ٣/ ٣٠١، ٣٠٤.

٦.) سر الصناعة ٢/ ٤٩٣-٤٩٤.

وشجرٍ وعملٍ .... [1] لأن العلم غير الممنوع من الصرف تنوينه يدل على تمكنه فقط .

والرسم البياني الآتي يوضح هذا التقسيم :



1) انظر شرح الكافية للرضي ١/٣٠-٣١ ، والكناش ٢/١٢٤. و حاشية الدسوقي على مغني اللبيب ٢/٢٩٨.

النوع الثالث : تنوين المقابلة

يرى النحويون أن التنوين في الجمع بألف وتاء مزيدتين هو تنوين مقابلة، جيء به ليقابل النون في جمع المذكر السالم، ومعناه أنه معادل له، ومناظَر به، وعبارة بعضهم أن التنوين في جمع المؤنث عوض من النون في جمع المذكر[1]، واستدلوا بثبوته في هذا الجمع بعد التسمية به على أنه ليس تنوين صرف، كما أن نون جمع المذكر كذلك، تثبت بعد التسمية به، نحو: عرفاتٍ وأذرعاتٍ، قال الله تعالى: ﴿فإذا أفضتم من عرفاتٍ﴾[2]

فلما نوّنه مع كونه علَمًا مؤنثًا عُرف بذلك أن تنوينه ليس تنوين صرف، وليس أيضا ـ تنوين تنكير لأنه معرفة، فلم يبق إلا أن يكون نظير النون في (مسلمين) ونحوه إذا سمي به، نحو (علِّيِّين) و (زيدون)، فإن نونه لا تزول بالتسمية[3].

ويلحظ في تناول النحويين للتنوين أن مواقفهم حيال هذا النوع ـ الذي يسمى تنوين المقابلة ـ متباينة جدًا، ومجملها ما يلي:

1. منهم من لم يدرجه في أقسام التنوين، بل أهمله، كالزمخشري في المفصل، وصدر الأفاضل في التخمير عليه[4]، والجرجاني في المقتصد[5]، والإسفراييني في لباب الإعراب[6].

2. ومنهم من قصره على المسمى به فقط، كعرفات وأذرعات، على أنه محكي على ما كان عليه قبل التسمية، كما فعل ابن جني في سر

---

1) انظر: المقتضب ٣/ ٣٣١.
2) سورة البقرة (١٩٨)
3) انظر: المقتضب ٤/ ٣٦، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٤٩٦، وشرح المفصل لابن يعيش ٤/ ١٣٦.
4) التخمير ١/ ١٧٨.
5) المقتصد ١/ ٧٤.
6) لباب الإعراب ص١٢٨، تحقيق بهاء الدين عبد الوهاب، ط١، ١٤٠٥هـ دار الرفاعي - الرياض.

الصناعة[1]، والثمانيني في الفوائد والقواعد[2]، وابن يعيش في شرح المفصل[3]، وابن مالك في عمدة الحافظ[4]وفي شرح الكافية الشافية له[5]لم يصرح، وكذا في شرح التسهيل[6]بل اكتفى بقوله. عقب ذكر تنوين المقابلة: كمسلماتٍ، فيحتمل أن يكون أراد "مسلمات" مسمًى به، كما صرح بذلك في العمدة.

٣. ومنهم من أطلق مشابهة التنوين في جمع المؤنث للنون في جمع المذكر، تنظيراً مطلقا، كما فعل سيبويه[7] وابن السراج في الأصول[8]، من غير تصريح بالتفريق ووجه الشبه.

٤. وجمهرة من المتقدمين والمتأخرين صرحوا بمقابلة التنوين للنون في هذين الجمعين[9].

وأنكر بعض المحدثين أن يكون لهذه المقابلة وجه، وسبب ذلك أنهم رأوا أن التنوين في جمع المؤنث ليس للصرف فيحمل على تنوين الصرف، بدليل ثبوته في المؤنث المسمى به، كعرفات وأذرعات، والمشهور أن التأنيث مع العلمية مانعان للصرف، وليس للتنكير أيضا لوجوده في الأعلام، وليس عوضا عن محذوف، وليس للترنم ونحوه، فقد خرج من جميع أنواع التنوين، ولم يصح عندهم حمله على شيء منها، وهذه هي الأسباب التي

---

١) سرّ الصناعة ٤٩٦/٢.
٢) الفوائد والقواعد ص١٣.
٣) شرح المفصل ١٣٦/٤.
٤) عمدة الحافظ ٩٧/١.
٥) شرح الكافية الشافية ١٦١/١.
٦) شرح التسهيل ١١/١.
٧) سيبويه ١٨/١و٢٣٣/٣.
٨) الأصول في النحو٤٧/١.
٩) انظر. على سبيل المثال.:شرح الرضي للكافية ٣١/١، وارتشاف الضرب ٣١٢/١، وشرح الحدود للفاكهي ٤٠٠، و الكافي لابن أبي الربيع ٨٣/١، والهمع ٤٠٦/٤، وشرح الأشموني مع حاشية الصبان٣٦/١.

جعلت النحويين يقابلونه بنون جمع المذكر[1]، أما المعترضون على هذا من المحدثين فرأوا أن كلا من التنوين والنون في الجمعين كليهما وحدة مستقلة لا علاقة لإحداهما بالأخرى، لعدم وجود رابط دلالي بينهما في زعمهم[2].

ويظهر أن الإشكال عند هؤلاء جاء من قِبَل فهم المراد بكلمة (المقابلة) وتدقيق النظر في وجه هذه المقابلة يرشد إلى سدادها وصحتها، وأن القائلين بها على صواب في استنباطهم وقياسهم، خلافا لمن أشكل عليه وجهها، وفيما يلي تتبع موجز لخطوات هذه المقابلة وتحليل لعناصرها، إيضاحا للأمر :

إذا قيل (قائمٌ) نُوِّنَ ، وتقدم أن التنوين في مثل هذا دال على التمكن . لعدم وجود مانع يمنع من ذلك، كما أنه يدل على التنكير، لعدم وجود ما يمنع من التنكير، وهو التعريف، والقول في (قائمةٍ) المؤنث كالقول في (قائم) المذكر، وإذا جمع هذا الاسم جمعًا سالما، فإن جمعه مذكرًا يكون بالواو والنون رفعا، وبالياء والنون نصبا وجرا، فتقابَلت الضمة القصيرة في رفع المفرد بالضمة الطويلة في رفع الجمع، ولا فرق بينهما إلا في الكمية الصوتية فقط، للدلالة على المعنى الصرفي الجديد، وهو الجمع، أما المعنى التركيبي الذي هو الموجِبُ للرفع فدلالتهما عليه سواء، لأن جنس العلامة واحد، لا جديد فيه .

فصار: (قائمُ + تنوين) ←(قائمُو + نْ) ولما كان التنوين لا يلي إلا حركة قصيرة، و(قائمو) طالت حركته القصيرة التي قبل التنوين، تعذر تنوينه كتنوين المفرد منه، ومن القواعد المقررة في اللغة العربية : أن النون إذا جاءت بعد حركة طويلة فليست تنوينا، بل هي حينئذ النون الأصلية حكما، بسبب لزوم تحريكها للثقل الناشئ من اجتماع المد والسكون، وتقدم هذا في الفروق بين النونين .

---

1) انظر : شرح الكافية للرضي ٣١/١، والأشموني مع حاشية الصبان ٣٦/١، وحاشية العليمي على التصريح ٣٣/١.

2) انظر : ظاهرة التنوين في اللغة العربية ٩٥-٩٦، ومقال (رؤية جديدة في تفسير التنوين) في مجلة جامعة الملك سعود ٥/ ١٣٥.

فصارت الكلمة لهذا السبب (قائمونْ)، أي أن : قائم + و+ تنوين = قائمونْ، بسكون النون لأنها في الحقيقة تنوين، فـ(قائم) الأولى تقابل (قائم) الثانية، و(الضمة القصيرة) تقابل (الضمة الطويلة) ـ جنساً وصوتًا لا وظيفة ـ و(التنوين) يقابل (النون) ولم يتغير شيء من جهة التنكير والتمكين، فإن الكلمة ما زالت مصروفة[1]، ولم تزل نكرة، غير أنها بعد صيرورة تنوينها نونا طرأ عليها قابلية منعها من الصرف مع وجود هذه النون فيها، وذلك إذا سمي بها، نحو: (عليون) وقابلية زوال التنكير مع وجود هذه النون أيضا، وذلك حين دخول الألف واللام عليها، نحو: القائمون، لأن التنوين الذي يمنع من هذا قد غُيِّر فصُيِّر نونًا.

وبعد هذا الإجراء حرّكت هذه النون للثقل الناشئ من سكونها بعد حركة طويلة ـ وقد تقدمت مناقشة هذا الثقل وبيان وجهه في مبحث الحركة الطويلة ـ وحرّكت بالفتح للمخالفة بينها وبين نون المثنى ـ وتقدم هذا في الوظائف الصوتية للحركة ـ فصارت الكلمة (قائمونَ) ولا يتغير التنوين في غير هذا الجمع من الجموع ؛ لعدم وجود هذه العلة، وهي طول الحركة التي يليها التنوين، ومن ثم بقي التنوين في سائر الجموع المصروفة كما هو في المفرد، ولم يتحول إلى نون ؛ نحو: كتابٍ وكتُبٍ، وغلامٍ وغلمانٍ، وقولٍ وأقوالٍ ودِينٍ وأديانٍ ....إلخ.

وبناء على هذا البيان تكون المراحل الصوتية لهذه النون كالتالي :

قائمٌ = (قائمُ +نْ) ⟵ (قائمُ +و = قائمو) ⟵ (قائمو +نْ) = (قائمون).

أما المؤنث :(قائمة) فجمعه بألف وتاء، والتاء حرف صحيح، وليس حركة طويلة، ولهذه العلة كان تنوين مفرده ثابتًا في جمعه، كما هو شأن سائر الجموع، فالتنوين في (قائمةٍ) هو نفسه الموجود في (قائماتٍ) ولا علاقة له بالجمع، فإن الجمع بالألف والتاء، لا بالتنوين، ومعنى هذا ـ أيضًا ـ أن التنوين في (قائمةٍ) هو نفسه الموجود في (قائم) المذكر، المتقدم أنه تنوين تمكين وتنكير، وإذا جمع هذا المؤنث على (قائماتٍ) فالحركة التي بعد التاء هي نظير الحركة الطويلة الإعرابية في (قائمين) و(قائمون) وهي نفسها

---

1) انظر: اللباب للعكبري ١/١٠٣.

الموجودة في المفرد، ولم يتغير شيء على المستوى التركيبي، وإنما التغير على المستوى الصوتي الصرفي فقط، بسبب زيادة المبنى بألف وتاء، كما زيد في المذكر بطول الحركة الإعرابية، للدلالة على المعنى الصرفي الطارئ على الكلمة[1].

فتبين بهذا التحليل أن التنوين في جمع المؤنث هو نفسه الموجود في مفرده، وأنه نظير النون في جمع المذكر، ولا فرق بينهما، وتكون معادلته الصوتية بموازاة الأولى كما يلي :

قائمٌ = (قائمُ + نْ) ← (قائم + و = قائمو) ← (قائمو +نْ) = (قائمون).

قائمةٌ = (قائم+ ةُ+نْ) ← (قائم+ا+تُ= قائماتُ) ← (قائماتُ+نْ)=(قائماتٌ).

وفي ضوء هذه المعادلة يمكن للدارس أن يقرر ما يلي :

1. أن التنوين في جمع المؤنث مقابل للنون في جمع المذكر، على وجه المناظرة والمرادفة، كما هو رأي جمهور النحويين، وهذا تقابل فونولوجي، لكونه الوحدة الصوتية الوظيفية نفسها، والتغير في السمة الصوتية لا أثر له وظيفيا، لأن نتيجته هي تنوع صوتي، وذلك لا يجعل الفونيم وحدة مستقلة [2]، والوحدة اللغوية وحدة ذهنية مبنية على

---

١) انظر : سيبويه ١/١٨، والمقتضب ١/١٤٤–١٤٥. وأورد عبد السلام محمد هارون - محقق كتاب سيبويه - تعقيبًا لأبي الحسن (الأخفش) في هذا الموضع على قول سيبويه : "لأنهم جعلوا التاء التي هي حرف الإعراب، كالواو والياء، والتنوين بمنزلة النون، لأنها في التأنيث نظيرة الواو والياء في التذكير، فأجروها مجراها" فقال أبو الحسن : "ليست التاء نظيرة الواو والياء، إنما الكسرة نظيرة الياء، والضمة نظيرة الواو، ألا ترى أنك لو سمعت (مسلمات) لم تدلك التاء على رفع ولا جر، كما تدلك الواو والياء". وهذا الاعتراض ظاهر الفساد، لأن مراد سيبويه هو أن هذه التاء في الدلالة على الجمع، نظيرة الواو والياء في الدلالة عليه، وقد سماها تاء الجمع قبل ذلك، كما أن التاء في ظهور علامات الإعراب عليها، صارت بمنزلة الواو والياء في الدلالة على الإعراب بما يقارنها، فالتاء لم تدل على رفع ولا جر ولكنها مقترنة بما يدل عليهما، وهو الضمة والكسرة، فهي موضع الإعراب الذي دلت عليه الواو والياء بصوتيهما، مع الوظيفة الصرفية .

٢) انظر : الأصوات اللغوية للخولي ٧٨.

المعاني، ولا صلة لها بالماديات[١] (أي الجانب الصوتي) ومن ثم لم يكن من الصواب اعتبار التنوين في جمع المؤنث وحدة مستقلة عن النون في جمع المذكر، كما ذكر المعترضون.

ويظهر من التحليل السابق أن كلام الدكتور استيتية في رده على النحويين وتوهيمه إياهم غير دقيق، حين قال: " وقد ظن النحويون أن التنوين الذي يلحق جمع الإناث، يقابل النون في جمع المذكر السالم، مع أنه لا وجه للمقابلة ....لأن التغيير في الدلالة ليس ناجما عن التنوين وجودًا وعدما "[٢].

فالتقابل جاء من جهة التنظير، وحمل الشيء على نظيره من الأصول المقررة عند العلماء[٣]، ولقد تبين وجه المناظرة بين الجمعين في خطوات الانتقال من المفرد إلى الجمع، وتتبع التغييرات الصوتية من الصوت البسيط إلى المركب، **وليست المقابلة من جهة الدلالة المعنوية، لأن التقابل من هذه الجهة يحدده المعنى العرفي والمعجمي، ولا علاقة للتنوين به.**

وبهذا يرد - أيضا - على الدكتور عوض المرسي الذي رأى "أن نظرية المقابلة التي ذكرها النحاة افتراض لا مبرر له" وذكر كلاما - لا أرى حاجة لنقله - انتهى فيه إلى أن التنوين في هذا الجمع لا سبب له إلا النطق العربي[٤].

ولا ريب أن هذا ليس علة، لأن جميع الظواهر اللغوية سببها الظاهر هو نطق أهلها بها، فلولا النطق بها لما كانت، وبعد النطق بها ووجودها ينظر إليها لمحاولة وصفها وتفسيرها، وربطها بمعانيها ووظائفها ونظائرها، فالكلام نظام مرتبط بقوانين محددة وجدت مع وجوده في أذهان المتكلمين والمخاطَبين به، واكتشاف تلك القوانين هو الذي تتناوله الدراسات.

---

١) انظر: دروس في الألسنية العامة لـ(ديسوسير) ص١٦١.

٢) رؤية جديدة في تفسير التنوين: مجلة جامعة الملك سعود ٥/ ١٣٥.

٣) انظر: سيبويه١/ ١٨، ٣/ ١١١، والمقتضب ١/ ١٤٥، و الإصباح في شرح الاقتراح للفجال ٢٧٠، ط١، ١٤٠٩، دار القلم - دمشق.

٤) ظاهرة التنوين في اللغة العربية ٩٦.

٢. أنه تنوين صرف وتمكين، خلافا لمن صرح بمنع ذلك[١]، ووجه كونه تنوين صرف وتمكين ما يلي :

أ. أنه قد ثبت بتحليله أنه التنوين الموجود في المفرد، بدون فرق بينهما، ومما يعزز ذلك أن نون الجمع لا تنوّن، مع أنها متحركة وتصاحب نكرة، نحو: مسلمونَ . مسلمينَ، والسبب أن التنوين لا ينّون [٢]، وكذلك ما كان بمنزلته .

ب . أنه نظير تنوين متفق على أنه للتمكين، وهو التنوين في المفرد، وانقلاب ذلك التنوين نونا متحركة في الجمع كان لعلة صوتية دعت إليه . كما تقدم . ومن ثم لم يتأثر بتجدد العلمية عليه، فكما ثبتت نون نحو: (حمزون) و(طلحون) بعد التسمية مع كون الأصل : حمزةً وطلحةً، مصروفا منوّنًا قبل نقله إلى التسمية، كذلك يثبت التنوين الذي هو نظيره في نحو: (عرفاتٍ وأذرعاتٍ) لأن الأصل : عرفةٌ وأذرعةٌ، مصروفا منونا قبل التسمية، ويكون في (مسلماتٍ) مسمى به كنظيره في (عِلِّيِّين) المسمى به، ولا يغير ذلك من معنى الصرف والتمكين شيئا، كما لم يغيره في تنوين نحو: محمدٍ وزيدٍ وبكرٍ.....إلخ، وهي أعلام مصروفة متمكنة، ولم يمنعه من الصرف كونه مؤنثا لأن الاعتبار بأصله قبل التسمية [٣].

ج . أن كونه تنوين تمكين وصرف هو رأي بعض النحويين، كالرضي، وقد قال فيه : " إن الأولى عندي أن يقال : إن التنوين للصرف والتمكين"[٤]، ونسب القول بكونه

---

١) كابن جني في سر الصناعة ٤٩٦/٢، وابن يعيش في شرح المفصل ١٣٦/٤، والمرادي في الجنى الداني ١٤٥.

٢) انظر : أمالي السهيلي ٣٩.

٣) انظر : حاشية الصبان على الأشموني ٣٦/١.

٤) شرح الكافية ٣٣/١.

للصرف للربعي[1] والزمخشري، بل إن سيبويه لم يصرح بغيره، فقد ذكر أن المرأة إذا سميت بـ(مسلمات) انصرفت، وذلك أنه جعل جرّ التاء في النصب والجر معًا كالياء في (مسلمين) جرًا ونصبا،كما أن تنوين التاء كنون (مسلمين)، واستدل بورود (عرفات) و(أذرعات) في الفصيح معرفتين مؤنثتين مصروفتين[2]. وحاول ابن جني حمل كلام سيبويه هذا على أن مراده أن هذه الكلمات قد لحق بهن التنوين، كما لحق بنحو فرسٍ ورجلٍ، ونسبه لأبي علي [3].

فلم يضف شيئا لأن قول القائل : إن (عرفاتٍ) و(أذرعاتٍ) و(مسلماتٍ) قد لحق بهن التنوين، أو منوّنات، ليس تفسيرًا للتنوين، ولا تعليلا له، لأن التنوين ظاهر لا خفاء فيه ولا نزاع، ولم يكن سيبويه يريد أن يُعلِم بذلك، بل إن قوله إنهن معارف مصروفات كما أن (مسلمين) و(سنين) مصروفان ، لا يحمل إلا على تفسير التنوين بالصرف، بدليل التصريح بذلك، مع التنظير بما هو مصروف باتفاق.

د. ويبدو أن الذين لم يتعرضوا لذكره في أقسام التنوين . ممن تقدم ايرادهم . حملهم على ذلك أنهم اعتبروه تنوين تمكين، وليس قسما آخر، كما صرح بذلك الإمام أحمد المالكي في تعقيبه على الزمخشري في الكشاف[4].

٣. لا تعارض بين كون التنوين هنا مقابلا للنون في جمع المذكر، وكونه مفيدًا للتمكين والصرف، ولا لكونه دالا على التنكير فيما ليس مسمى به، كقائمات ومسلمات، ونحوه، لأمرين :

الأول : أن المقابلة هنا بمعنى المناظرة والمساواة، لا المقابلة على جهة التضاد والتعاكس.

---

1) انظر أيضا : ارتشاف الضرب ٣١٢/١، وحاشية الخضري على شرح ابن عقيل ٣٨/١، والهمع ٤٠٦/٤ ، وشرح الأشموني مع حاشية الصبان ٣٦/١ .
2) سيبويه ٢٣٣/٣.
3) انظر سر الصناعة ٤٩٦/٢.
4) انظر الكشاف ١٢٣/١،ط/دار المعرفة . بيروت.

الثاني : أن الفروق بين أقسام التنوين فروق اعتبارية نسبية، تابعة لأحوال الكلمات حين لحوق التنوين بها، والتنوين هاهنا فونيم تقابلي. تظهر وظيفته بوجوده وتذهب بمقابله وهو حذفه. يتعين بوظيفته التقابلية، لا بطبيعته الصوتية، وهذا التقابل إنما يظهر في التركيب، ومعنى هذا أن الكلمة إذا وردت منونة نظر فيما يقابله تنوينها، فإن قابل التعريف والبناء معا فهو للتنكير، نحو: إيهٍ مقابل: إيه، وإن قابل التعريف وحده فهو للتنكير والتمكين، نحو: رجل، مقابل: الرجل، وإن قابل التمكين وحده فهو للتنكير، نحو: جاء عمرُ وعمرٌ آخرُ، وزينبُ وزينبٌ أخرى.

وما جمع بألف وتاء مزيدتين في هذا النوع من التقابل الفونيمي له حالان:

الحال الأولى : ألّا يسمى به، فهو كمفرده في تنوينه، نحو: مسلمةٍ ومسلماتٍ، فهو تنوين تنكير وتمكين كرجل وفرسٍ.

الحال الثانية : أن يسمى به، فيكون تنوينه للصرف والتمكين دون التنكير، لأنه حينئذ لا يقابل إلا حاله الأولى التي هو فيها نكرة لعدم تعريفه، ومن ثم أكد سيبويه الحكم عليه بالتعريف والصرف معًا[1].

ومن ينظر إلى أنواع التنوين خارج إطار هذا التوزيع التقابلي، فقد يخفى عليه تصنيف أقسامه، ومن ثم استشكل كثير من النحويين. كما تقدم. تنوين جمع المؤنث المسمى به، واستبعدوا كونه للصرف، لأن المؤنث إذا كان معرفة منع الصرف، وذهب بعضهم إلى أنه لا يوصف بالصرف ولا بعدمه لأجل ذلك [2]، مع أنهم لم يفعلوا ذلك في نحو: جاءت عائشةُ وعائشةٌ أخرى[3]، لأنهم نظروا إلى (عائشةٌ) المنون مقابل (عائشةُ) غير المنون، فظهر لهم تنكير الثانية، ولم يلتفتوا إلى استصحاب الأصل في التأنيث والعلمية، لأن التقابل في التركيب أذهب العلمية في (عائشةٌ) الثانية، والتنوين دليل على ذهابه. فكان ينبغي. أيضا. أن ينظروا إلى نحو: جاءت مسلماتٌ ومعها نساء مسلماتٌ، على أن التنوين في (مسلماتٍ) الأولى

---

١) سيبويه٣/٢٣٣.

٢) انظر: أمالي ابن الحاجب ١/١٤٣-١٤٥.

٣) انظر: ما ينصرف وما لا ينصرف ص٥٠.

مقابل للتنوين في الثانية، من جهة التعريف والتنكير، لا من جهة التأنيث أو الصرف، لأن الكلمتين كلتيهما مؤنثتان، ومصروفتان، غير أن صرف المعرفة جاء من جهة التقابل مع النكرة، والتنوين علامة عليه، ومن ثم لا تعدّ العلمية هنا علة مانعة للصرف، وهذا عام في كل ما سمي به من هذا الجمع وغيره[1]، في لغة جمهور العرب، لأن طروء العلمية لما قوبل بالصرف ـ أي نوظِرَ به ـ غلب الصرف بثبات علامته وهي التنوين.

النوع الرابع من أنواع التنوين : تنوين العِوَض

هو التنوين الذي يلحق كلمة حذف منها، أو كلمة قطعت عن مضاف إليها، لأن المضاف إليه كالجزء من الكلمة[2]، ومتى لحق التنوين بكلمة دل ذلك على استغنائها عما بعدها، حرفًا كان أو اسماً آخر أو جملةً.

فهذه ثلاثة أنواع للمعوّض عنه، تدخل في قسمين من أقسام هذا التنوين:

١. **التنوين المعَوّضُ به عن حركة، وهو اللاحق لكلمة حُذف منها**، ويراد به التنوين الآتي في أواخر الكلمات المعتلة الآخر، بعد حذف حرف العلة، وسبب ذلك أن حرف العلة عبارة عن حركة طويلة في مثل هذه الكلمات، والحركة الطويلة يثقل في النطق وقوع ساكن بعدها، ومن ثم يُتخلص من ذلك الثقل بقَصْر الحركة، فيكون ذلك حذفا لجزء من العلة، فيقال في : قاضي وجواري وعصا وهدى : قاضٍ(قاضِنْ) وجوارٍ(جوارِنْ) و عصًا(عصَنْ) وهدًى(هُدَنْ) فقد اختصر حرف العلة لهذا السبب الصوتي عند تنوين الكلمة، ولسبب آخر هو الالتباس بالمثنى والجمع، فلو قيل : (قاضِينْ) و(جوارِينْ) و(عصانْ) و(هُدَانْ) لالتبس التنوين بنوني الجمع والمثنى، فقصرت الحركة تخفيفا للنطق ومنعا لهذا اللبس، وقد تقدم بيان هذا بالمقاطع الصوتية [3].

وهذا التعليل ـ مع وضوحه ـ قد لا يظهر اتفاقه مع القول بأن التنوين هنا عِوَضٌ عن المحذوف، لأن النحويين هكذا يقولون ـ أي أنه عوض عن

---

١) انظر: سيبويه ٣/ ٣١٠–٣١١.

٢) انظر : المغني ٣٧٦/١، وشرح الحدود للفاكهي ٤٠١، والكناش ٢/ ١٢٤.

٣) انظر مبحث الإعراب التقديري في الباب الأول .

المحذوف . واختلفوا في توجيهه، فمنهم من يقول : حذف الحرف وعُوض عنه التنوين، ومنهم من يقول نوّنت الكلمة فالتقى ساكنان فحذف حرف العلة . لأنه عندهم ساكن[1]. وبقي التنوين عوضًا عنه، ومنهم من يقول في الممنوع من الصرف . كجوارٍ . إن تنوينه جاء بعد زوال منعه من الصرف بحذف آخره، فنوّن خوفًا من رجوع الياء لزوال الساكنين[2]. فكان هذا التنوين غير الأول الذي من أجله حذف حرف العلة، فجيء به لينقطع طمع رجوع حرف العلة، وبعضهم يقول : إن التنوين عوض عن الحركات الإعرابية المحذوفة من الآخر للثقل، أي لثقل الضم والكسر على الياء، في نحو : جواري وقاضي، ولهم أقوال أخرى في تفسير العوض ها هنا، وَردَّ بعضهم على بعض في ذلك[3].

وذهب بعض النحويين إلى منع كون التنوين في نحو : جوارٍ وغواشٍ تنوينَ صرف، على أن القول بذلك منشؤه عدم الاعتداد بحرف العلة المحذوف، فإن الكلمة لما صارت إلى غير الوزن الممنوع من الصرف صرفت، وعدم الاعتداد بالمحذوف غير صحيح، لأن حرف العلة لو لم يكن معتدا به لوجب أن يقال : هذه جوارٌ وغواشٌ، كما يقال : سلامٌ وكلامٌ، فلما كان التنوين هنا لا يوجد إلا بعد كسر عُلم بذلك أن المحذوف معتد به، وأن التنوين ليس تنوينَ صرف بل هو تنوين عوض فحسب[4].

والأظهر أن يقال إن كلمة (جوارٍ) وما شابهها، لما حذف آخرها بقيت على حركة ما قبل الآخر، فصار التنوين فيها تاليا لهذه الحركة، لأن التنوين لا يأتي إلا بعد حركة قصيرة، فإن كانت طويلة انقلب نونا كما في (مسلمِين) ونحوه، ولا نزاع في أن حركة ما قبل الآخر ليست حركة إعراب،

---

١) انظر مناقشة هذه المسألة في مبحث الحركة الطويلة في الباب الأول .

٢) وهما التنوين المقدر وجوده قبلُ، والياء، بناء على القول بسكونها !

٣) انظر : سر صناعة الإعراب ٢/٥١١-٥١٦، والمغني ١/٢٧٦-٣٦٧، والتصريح ١/١٤٤-١٤٥، وحاشية الخضري على ابن عقيل ١/٣٨-٣٩، وحاشية الصبان على الأشموني١/٣٥، وشرح الحدود ٤٠١.

٤) أما لي ابن الحاجب ٢/٤٨٤، و الممتع في التصريف ٢/٥٥٣-٥٥٤.

ومن ثم لم تتغير بتغير موقعها الإعرابي، لأن بناء الكلمة ثابتٌ، فالتنوين هنا مثله في : فتًى وقاضٍ في لحاقه بحركة ما قبل الآخر.

كما يظهر أن توجيه الاصطلاح على تسمية التنوين بالعوض هنا، من تأثير الرسم، وأن ذلك على سبيل تبادل المواقع مع حرف العلة، وإحلال صوت مكان آخر، بحسب الوظائف التركيبية، كما تتبادل الحركات الثلاث والسكون المواقع نفسها في نهاية كل كلمة، فلو شاء الإنسان لقال : إن الفتح في (لن يذهبَ) عوض عن الضم في (يذهبُ) وإن السكون في (لم يذهبْ) عوض عن الحركة، وليس ذلك بسبب كون إحدى هذه الفونيمات جيء بها للتعويض عن غيرها، وإنما ذلك لكونهما لا تجتمعان، فمن خصائص الفونيم عدم اجتماع فونيمين في موقع واحد في آن واحد[1]، فأيتهما طرأت على الأخرى أمكن أن يقال إنها عوض عنها بهذا المعنى فقط، لأن كل فونيم جيء به لأداء وظيفة معينة، وكذلك التنوين في هذه الكلمات جيء به لوظائف معينة، ولا علاقة لتلك الوظائف بحذف حرف العلة، ولا بحذف حركته ونحو ذلك، وإنما الحذف أو تقصير الحركة أو قبول الكلمة للصرف بعد ما كانت ممنوعة منه،كل ذلك جاء لأسباب صوتية ناشئة عن تأثير الأصوات وتأثرها ببعضها إذا اجتمعت، وهو إجراء مبني على طلب سهولة النطق، وخفة اللفظ، ووضوح المعنى، والإيجاز في اللفظ بقدر ما يفي بالغرض من الكلام.

ويغلب على كتب اللغة الحديثُ عن الكلمات المنقوصة دون المقصورة من هذا النوع، مع أن الأمر سواء في النوعين ولا يختلف، فالإجراء المتبع في نحو قاضٍ وجوارٍ وصحارٍ، هو نفسه المتبع في نحو قفًا ورحًى ومصطفًى، ونحو ذلك. كما تقدم في بداية المسألة. ولعل السبب الذي حملهم على ذلك هو النظر إلى الرسم، فإن الألف لا تحذف رسما في هذه الكلمات إذا نونت، لأن الرسم مبني على الوقف[2]، والكلمة تكتب بالصورة الموافقة لنطقها حال الوقف، وإن خالف ذلك المنطوق به حال الوصل، ومن ثم كتبت

---

١) انظر حول هذا المفهوم : تاريخ علم اللغة الحديث لجرهارد ١٠٨-١٠٩، ١١٢، والمدخل إلى علم اللغة لكارل ٧٨-٨٢، ودراسة الصوت اللغوي ١٧٧.

٢) انظر شرح الكافية للرضي ١٤٣٧/٢.

الألف بعد الكلمات المنصوبة المنونة، والمبنية على الفتح الطويل، نحو: (رجلاً) ـ (كتابًا) ـ (فتًى) ـ (مسعًى) مراعاة للوقف، وحذف حرف العلة في المنقوص المنوّن، لجواز الوقف عليه بالحذف[1].

ومثل جوارٍ وغواشٍ في الحذف والتنوين: ـ فيما سُمع عن العرب ـ حذف ألف ذَلاذِل وجَنادِل[2]، فيصيران إلى: ذَلَذِلٍ، وجَنَدِلٍ، منوّنا بعد ما كان ممنوعا من الصرف[3].

تنوين التعويض عن كلمة أو جملة مضافة ، وهو :

٢ـ التنوين اللاحق لكلمة قطعت عن الإضافة : وهذا قسمان :

القسم الأول : ما قطع عن مفرد، وهو كل كلمة ملازمة للإضافة إلى مفرد، فإذا قطعت عنه نونت، مثل كلّ وبعضٍ، قال الله تعالى :﴿وكُلاًّ ضربنا له الأمثال﴾[4] وقال تعالى ﴿كُلٌّ آمَنَ باللهِ﴾[5] وقال تعالى ﴿انظرْ كيف فضلنا بعضهم على بعضٍ﴾[6] فنونتا حين فارقتا الإضافة، **فالتنوين معاقِب للإضافة، فسمي عِوَضًا بناء على هذه المعاقبة، لا لكونه جيء به تعويضا عنها**، وهو تنوين تمكين، لأن الاسم متمكن في وجوه الإعراب، وهو تنوين تنكير ـ أيضا ـ لأن الاسم هنا نكرة بالمقابلة مع حال الإضافة التي يكون فيها معرفة، ولا تعارض بين هذه الأمور،كما تقدم .

وبناء على ذلك لا ضرورة للنزاع القائم في تنوين هاتين الكلمتين وأمثالهما، في كون تنوينهما للتعويض أو للتمكين، لأن مَن منع أن يكون تنوين تمكين نظر إلى أن الكلمة قطعت عن الإضافة فلما قطعت عنها

---

١) انظر: باب الهجاء، لابن الدهان الأنصاري ٣١،٣٣، تحقيق فايز فارس ط١، ١٤٠٦هـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت . و كتاب الكُتّاب لابن درستويه ٤١وما بعدها .

٢) الذَّلاذِل : أسافل القميص الطويل التي تلي الأرض منه . والجنادل : الأماكن الغليظة ذات الحجارة من الأرض (اللسان : ذلل ، جندل)

٣) انظر: سيبويه ٣/ ٢٢٨، وسر صناعة الإعراب ٢٣٧/١.

٤) سورة الفرقان(٣٩) .

٥) سورة البقرة(٢٨٥).

٦) سورة الإسراء (٢١).

عوّضت التنوين، وهذا لا يعارض التمكين، ومَن منع كونه تنوين عوض نظر إلى أن العوض لا يكون إلا عن جملة، وفي المبنيات فقط[1].

والتأمل في ضروب التنوين في هذه الكلمات يرشد إلى أنه أعم من ذلك، وحيث وجدت الظاهرة في المبنيات والمعربات فلا معنى لقصرها على قسم دون آخر.

القسم الثاني: ما قطع عن جملة: ويُمثّل له بكلمة (إذْ) وبعض المبنيات التي تلزم الإضافة إلى الجمل، حين يقطعن عن الإضافة بتنوين يلحقهن، ويسمى بتنوين عِوَضٍ، لكونه معاقبًا للإضافة، فكأنه عوض عن المضاف إليه، وتفسير ذلك على ما تقدم في النوع الأول، لا على حقيقة معنى التعويض، لأن التنوين فونيم وظيفي يؤتى به ليؤدي وظيفة معينة، ثم إذا وجد استدعى ذلك تغييرات في التركيب تتعلق باللفظ، وقد تنتج عنه دلالات معينة، وكل ذلك بمعزل عن حقيقة (التعويض)، لأن التنوين لم يؤت به في الأصل لأجل أن يُعَوَّض به عن محذوف، والدليل على صدق هذا أن المحل لا بد أن يكون مشغولا بالمحذوف أو التنوين، فأيهما حذف حل الآخر محله، على سبيل التناوب والتعاقب، ووجود أحدهما مرتبط بالوظيفة التركيبية لا بإرادة التعويض عن الآخر بغير هذا المعنى، وهو الارتباط بالوظيفة.

ومعنى هذا أن التنوين يتبادل الموقع مع الجملة التي تضاف إليها (إذْ)، وهذه الجملة إذا حذفت فُهِمَتْ من السياق، وانشغال المحل بالتنوين أمارة على حذف الجملة، والسياق يدل على نوعها[2].

وتلحق (إذْ) الظروف الزمانية نحو: يومئِذٍ وساعتئذٍ ووقتئذٍ وحينئذٍ وليلتئذٍ .....والجملة المحذوفة قد تكون اسمية وقد تكون فعلية، لأنها تضاف إلى النوعين، قال تعالى ﴿إذ الأغلال في أعناقهم﴾[3] وقال تعالى ﴿واذكروا إذْ

---

1) انظر: شرح المفصل لابن يعيش ٤ /١٣٢، وارتشاف الضرب ١/٣١١–٣١٢، والتصريح ١/١٤٦، وحاشية الصبان على الأشموني١/٣٦، وحاشية الخضري على ابن عقيل١/٣٨.

2) انظر: المغني ١/٣٧٧، ودراسات لأسلوب القرآن لمحمد عضيمة القسم الأول ١/١٢٤–١٢٥، ط/١٤٢٥هـ دار الحديث القاهرة.

3) سورة غافر (٧١).

أنتم قليل ﴾[1] وتقول : جئتك إذْ محمد أمير، وسمعتك إذْ تقول ذلك، ثم يقال بعد الحذف : جئتك حينئذٍ، وسمعتك يومئذٍ، فلما التقى التنوين - وهو ساكن - بالذال - وهي ساكنة - حركت الذال بالكسر، فصار التنوين بعد حركة الآخر البنائية، وقد تقدم أن حركة التخلص من التقاء الساكنين حكمها حكم حركات الآخر البنائية[2]، مثل : صهٍ ومهٍ، لأن أصلهما : صهْ ومهْ، وهذا تشبيه لفظي صوتي، لا علاقة له بالمعنى، لأن (صه) و(مه) لا تفتقران إلى مضاف إليه[3]، وأما ما يروى عن بعض النحويين من جعله تنوين (إذٍ) تنوين تمكين، واعتبار الكسرة قبله كسرة إعراب المضاف إليه[4]، فقد عارضه وأباه جمهور النحويين[5]، لأنه لا يستقيم مع معنى التمكين الذي تقدم شرحه، فـ(إذْ) كلمة مبنية على السكون، وتحريكها إنما كان على الوجه الذي سبق ذكره من التقاء الساكنين، ولو سلم بتحريكها إعرابًا، فإن ذلك لا يجعلها متمكنة، لأنه لم يثبت فيها سوى البناء على السكون، والحركة العارضة بعد تنوينه، وهذا لا يدل على التمكن.

والذي ذكره الأخفش في معانيه غير قاطع الدلالة على هذا الرأي المنسوب إليه، فقد قال في قوله تعالى ﴿ومِنْ خزيِ يومِئذٍ ﴾[6]: " أضاف (خزي) إلى (يوم) فجره، وأضاف (اليوم) إلى (إذْ) فجره"[7]، أي : فجر (يوم) لأنه يتحدث عن قراءة جر (يوم) .

فهذا الوجه ليس فيه ما يعارض بناء (إذْ) ثم أردف توجيه النصب في (يوم) فقال :

---

1) سورة الأنفال (٢٦).

٢) انظر مبحث حركة التخلص من التقاء الساكنين في الباب الأول .

٣) انظر : سر صناعة الإعراب ٢/٥٠٤- ٥٠٧ وشرح المفصل لابن يعيش ٤/١٣٣.

٤) هذا القول عزاه ابن جني للأخفش : سر صناعة الإعراب ٢/٥٠٥، وانظر : المغني ١/٣٧٧.

(٥) انظر سر صناعة الإعراب ٢/٥٠٤- ٥٠٧ وشرح المفصل لابن يعيش ٤/١٣٣.

٦) سورة هود (٦٦).

٧) معاني القرآن ١/٣٨٨.

"وقال بعضهم : (يومَئذٍ) فنصب، لأنه جعله اسما واحدًا، وجعل الإعراب في الآخر"[1]، وهذا الكلام ليس صريحا في القول بإعراب (إذْ) ولكنه محتمِل لذلك، لأن قوله : " جعل الإعراب في الآخر" قد يريد به آخر الكلمة المعربة، وهي (يوم)، وقد يريد به آخر الاسمين المتضايفين، وآخرهما (إذ)، ويرشحه قوله : "لأنه جعله اسما واحدًا " ولكنّ في هذا نقضًا لقاعدة ذكرها الأخفش نفسه قبل ذلك، في معرض حديثه عن اسم (لا) النافية للجنس في قول الله تعالى ﴿لاريبَ فيه﴾[2] فقال : " وكل شيئين جُعلا اسمًا واحدًا لم يُصرَفا"[3] فهذا يدل على أنه يريد بـ(الصرف) مجرد التنوين، لا الصرف التام الذي هو نظير التمكن .

---

١) السابق نفسه

٢) سورة البقرة (٢).

٣) معاني القرآن ١/ ٢٤-٢٥.

الفصل الثاني من الباب الثاني
وظائف التنوين النحوية

التنوين وحدة صوتية ذات وظائف متعددة على المستوى الفونولوجي، وتكتشف تلك الوظائف بالنظر إلى الكلمات المقابلة للكلمة المنونة في التركيب . ويُعَدُّ التنوين من القرائن الصوتية التي لم تُبن عليها الكلمات في الأصل، وإنما تلحق بالتركيب لأجل الوظائف المرادة منها،كشأن الحركات القصار والطوال، وتقدم في التمهيد بيان علاقة القرائن الصوتية بالنحو، ومنها التنوين، وإن أقسام التنوين التي سبقت في الفصل الماضي ناشئة عن الوظائف العامة للتنوين، ومن ثَمَّ يجد القارئ التداخل فيما بينها، كما تظهر دلالة التنوين على وظائف عدة في كلمة واحدة، كالتمكين والتنكير والعوض، كما في تنوين (كلٍ وبعضٍ)، لأن الفونيم واحد، والدلالة التقابلية التوزيعية متعددة بحسب تعدد البدائل، على نحو ما مر شرحه في التمهيد، وفيما يلي أمثلة تبرز الوظائف النحوية التفصيلية لقرينة التنوين:

أولا : وظائف تركيبية :

أ. وظائف تركيبية إسنادية : يدخل التنوين على مصدر أو وصف جار على فعله فيجعله في التركيب مسنداً، ويستلزم مسنداً إليه، ويدخل على اسم من الأسماء - غير الأوصاف الجارية على أفعالها - فيجعله في التركيب مسنداً إليه ويستلزم حينئذ مسنداً، والأمثلة على هذا كثيرة، أجتزئ منها بما يلي :

١. في الحديث (**أحيٌّ والداك**[١])؟ فـ(حيٌّ) مصدر نوّن فأضاف إليه التنوين معنى الإسناد، فتطلب مسنداً إليه، وهو (والداك)[٢].

- ومنه الحديث : (**شهادةٌ القومِ المؤمنين شهداءُ الله في الأرض**)[٣]، يُروى بتنوين (شهادةٌ) فارتفع (القوم) على أنه مسند إليه للمصدر

---

١) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ١٨، في كتاب الجهاد ، باب(١٣٨).

٢) انظر شواهد التوضيح والتصحيح لابن مالك صـ١٤، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط /دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٣) كلمة من حديث أخرجه البخاري في صحيحه٣ /١٤٨، في كتاب الشهادات ، باب(٦).

المنوّن[1]، وفي هذه الحال يكون انتصاب (المؤمنين) على وجه آخر، كالقطع بالمدح أو نحوه، وخرّجه السهيلي بأوجه على تنوين (شهادة) كلها جائزة في العربية، ونظّر له بنحو: أعجبني ضربٌ زيدٌ عمرًا[2].

٢. إذا قيل: "أمحسنٌ أخوك الآن" فإن صفة الفاعل الذي هو (محسنٌ) صارت مسندًا بتنوينها، وتطلبت مسندًا إليه، وهو: أخوك، ونحوه: **"هذا زرع جديدٌ نباتُه، وجميلٌ لونُه، وعظيمٌ نفعُه"** حصل الإسناد بتنوين الصفات المشبهة: جديد. جميل. عظيم، فصارت كل واحدة مسندًا، وارتفع المسند إليه بعدهن لذلك، ولو حذف التنوين لم يكن هذا الإسناد.

٣. ومن هذا النوع: لا قبيحًا فعلُه محمودٌ، و: يا راجيا ربَّه أبشرْ، و: هذا عملٌ مجزيٌّ عاملُه، والأمثلة من هذا القبيل كثيرة، وكلها تبين وظيفة التنوين في إفادة الإسناد[3].

٤. وأما دخوله في غير الوصف الجاري على فعله، فنحو: "محمدٌ رسولُ الله" - صلى الله عليه وسلم - فإن كلمة (محمد) أصبحت بتنوينها مسندًا إليه مفردة، ولو قوبلت بنحو: "محمدُ بني عبد المطلب رسول الله" لم تصلح للإسناد إليها إلا بعد استيفاء المضاف إليه، وكذلك كلمة (ابن) إذا كانت مسندة إلى اسم قبلها وجب إثبات التنوين في المسند إليه، أداءً لهذه الوظيفة، نحو: زيدٌ ابنُ عمرٍو، وإن خالدًا ابنُ محمدٍ، وأظن جعفرًا ابن أخينا، وليس عمرٌو ابنَ ذلك الرجل .....[4]، فقد احتفظ المسند إليه بوظيفته بمعونة قرينة التنوين، من غير أن يؤثر في ذلك تنوع مواقعه الإعرابية الوظيفية الأخرى، ولو أُزيل التنوين لَمَا صح الإسناد إلى هذه الكلمات إلا بعد تخصيص كل واحد ة، بمضاف إليه، أو نعت، أو بدل، ونحو ذلك .

---

١) انظر: أمالي السهيلي ٨٧–٨٨.

٢) السابق نفسه .

٣) انظر: المقتصد١/٥١٣وما بعدها . والكناش ١/٣٢٥، والتصريح ٢/٢٧٣.

٤) انظر: سر صناعة الإعراب ٢/٥٣٢، والكناش ٢/١٢٦.

٥ . ومثل هذا كون تنوين الاسم مسوغا لاستئناف إسناد جديد، نحو: هذا بيتٌ الوصولُ إليه سهلٌ، وكما جاء في الخبر: " **إنك بأرضٍ الربا فيها فاشٍ**"[١] فـ(الربا) و(الوصول) كلاهما مسند إليه، ولولا تنوين (بيتٌ)و(بأرضٍ) لما صح هذا الإسناد، لأن هذا التنوين هو الذي تمت به الكلمة فانفصلت عما بعدها، فأمكن أن يكون ما بعدها مستأنفًا، والدليل على كون التنوين هنا فونيمًا وظيفيًا أن استبدال الإضافة به يفقد الكلمة هذه الوظيفة التركيبية، ويؤدي إلى خلل تركيبي في الجملة .

* **قال سيبويه** " وتقول : أنت أهلٌ أن تفعل، (أهلٌ) عاملة في (أنْ)، كأنك قلت: أنت مستحق أن تفعل "[٢] فجعل تنوين (أهل) مسوغًا لإعماله فيما بعده، مع كون (أهل) ليس فعلا ولا وصفًا مشتقا من الفعل .

٦. قال الله تعالى ﴿ ولكُلٍّ وجهةٌ هو مولّيها فاستبقوا الخيراتِ﴾[٣] الإسناد في هذه الآية واضح بتنوين (كلٍّ)، فهي مسند، و(وجهة) مسند إليه، وإنما تشكل أركان الإسناد فيها بحذف تنوين (كل) وإضافة (وجهة) إليها، كما روي في بعض القراءات[٤]، ولأجل هذا قُدِّر وجه الإسناد بوجوه مختلفة، منها تقدير المسند إليه محذوفًا، والمعنى : ولكلِّ وجهةٍ هو موليها قوم، أو أمة، أو أهل . فيكون (قوم) ونحوه مسندًا إليه محذوفًا، وجملة (هو موليها) نعت لـ(وجهة) . ومنها أن يكون هذا من باب التقديم والتأخير، والمعنى : فاستبقوا الخيرات لكلِّ وجهةٍ هو موليها، قدم (لكل وجهة) على

---

١) ضمن كلام لعبد الله بن سلام رضي الله عنه لأبي بردة بن أبي موسى الأشعري، أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب مناقب الأنصار، الباب (١٩) انظر: فتح الباري لابن حجر ٧/ ١٢٩، ط/ دار الفكر.
٢) سيبويه ٣/ ١٥٧.
٣) سورة البقرة (١٤٨).
٤) انظر: الكشاف ١/ ١٠٢، وإعراب القراءات الشواذ ١/ ٢١٥، والدر المصون ٢/ ٢٧٤.

الفعل الذي تعلقت به . وهو فاستبقوا . للاهتمام به [1]، وهذه التفسيرات وغيرها في التماس وجه الإسناد، لا تلزم مع قرينة التنوين، لأن الإسناد في بداية التركيب بارز بإثبات التنوين .

ب . وظائف تركيبية تخصيصية

1. يتحدد نوع إعراب المخصِّص بالنظر إلى الاسم المنون، وهذا يسري على غالب أمثلة وظائف التنوين التركيبية الإسنادية المتقدمة، كمتعلقات المصدر، واسم الفاعل، والصفة المشبهة، ولا النافية للجنس، والنداء، كقول الله تعالى ﴿إن الله بالغٌ أمرَه﴾[2]فالمخصص بعد الإسناد هو (أمره) والإسناد حصل بقرينة التنوين، مقابل حذفه، كما في القراءة الأخرى (بالغُ أمرِه) وكلتاهما قراءة سبعية، ولكن الأصل هو التنوين، وحذفه كان لأجل التخفيف[3].

* ومثله قوله تعالى ﴿والله متمٌ نورَه﴾[4] قرئت الآية بالإضافة وحذف التنوين [5]، كما قرئت بالتنوين، وهكذا سائر المخصصات بعد الإسناد الذي يكون بقرينة التنوين، نحو : أنت أول الطلاب دخولاً الفصلَ. وهذا قارئٌ قرآنًا . ولا بائعًا سلعتَه عندنا . ويا طالبًا العلمَ اجتهد . ويا طالعًا جبلا . ولا تكن كناطح صخرةً......إلخ[6].

2. قال الله تعالى : ﴿أو إطعامٌ في يوم ذي مسغبة يتيما﴾[7] (إطعام) مصدر فعله أطعمَ، و(يتيما) مفعوله، فقد هيأ التنوين المصدر ليكون كالفعل

---

1) انظر : تفسير ابن عطية ٤٥٠/١، والبحر المحيط ٣٧/٢، والدر المصون ١٧٥/٢، والحاشية السابقة .
2) سورة الطلاق(٣).
3) حجة القراءات لابن زنجلة ٧١٢.
4) سورة الصف (٨).
5) حجة القراءات ٧٠٧.
6) انظر :معاني القرآن للفراء ٢٠٢/٢، و المحلى ٤٥، والكناش ٣٣٢/١–٣٣٦، والتصريح ٢٧٤/٣.
7) سورة البلد(١٤، ١٥)

في التركيب، فتعلق به المفعول[1] مخصِّصًا له، كما هو شأن الفعل في علاقة التعدية، وتؤيده القراءة الأخرى: ﴿أو أطْعَمَ في يوم ذي مسغبة يتيما﴾[2].

ومن هذا النوع قراءة من قرأ بنصب (مثلَ) بعد تنوين (جزاء) في قول الله تعالى ﴿فجزاءٌ مثلَ ما قَتَلَ من النَّعَمِ﴾[3] على أن (مثل) في صلة الجزاء، والمعنى: فعليه أن يَجزِيَ مثْلَ ما قَتَلَ، والجزاء مسند إليه، والمسند محذوف، فلما نوّن المصدر صار بمنزلة الفعل فانتصب متعلقه[4]، كقول الشاعر:

بضربٍ بالسيوف رؤوسَ قومٍ　　　أزَلْنا هامَهن عن المَقيلِ[5]

فنصب (رؤوسَ قومٍ) لأنه مخصص للمصدر المنون: (ضَرْب)، كأنه قال: ضَرْب ملتبس بالرؤوس، وواقع عليها حتى أزال هامهن.

٣. قال الله تعالى: ﴿نرفع درجاتٍ مَنْ نشاء﴾[6] قُرئت الآية في السبعة بتنوين (درجاتٍ) وبحذف التنوين[7]، فالتنوين قرينة على تخصيص الفعل (نرفع) بالمفعول، أو التمييز، أو الظرف، أو الحال، فإنه يصح كون (درجاتٍ) في حال التنوين مفعولا به ثانيًا، على تضمين الفعل (نرفع) معنى (نعطي) المتعدي لمفعولين. أو يكون النصب على حذف حرف الجر، والمعنى: نرفع من نشاء إلى درجات. ويصح كونه تمييزًا محولا من

---

١) انظر: حجة القراءات لابن زنجلة ٧٦٤، والتصريح ٣/ ٢٧٥.

٢) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي، (السبعة ٦٨٦).

٣) سورة المائدة (٩٥). وهي قراءة مروية في غير السبعة، انظر: المحتسب ١/ ١٨، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٤١، ومختصر ابن خالوية ٣٤. وإعراب القراءات الشواذ للعكبري ١/ ٤٥٦.

٤) انظر: المحتسب ١/ ٢١٨– ٢١٩ وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٤١. وإعراب القراءات الشواذ للعكبري ١/ ٤٥٦.

٥) بيت من الوافر، للمرار بن منقذ التميمي، انظر: سيبويه ١/ ١١٦، والمحتسب ١/ ٢١٩، وشرح أبيات سيبويه ١/ ٣٩٣. والمراد بالمَقيل هنا: مستقَر الرأس وهو العُنق.

٦) سورة الأنعام (٨٣).

٧) السبعة لابن مجاهد ٢٦١– ٢٧١، والحجة لابن زنجلة ٢٥٨.

مفعـول، علـى أن المعنـى : نرفـع درجـاتِ مَـن نـشاء، بالإضـافة . كمـا هـو القـراءة الأخـرى . ثـم حُـوّل [1]. ويـصح كونـه مـن بـاب التخـصيص بـالظرف، علـى معنـى : نرفـع مـن نـشاء فـي مراتـب ودرجـات . أو مـن بـاب التخـصيص بالحال، ويكـون المعنـى : نرفـع مـن نشاء وهـم درجـات، أي : متفـاوتين فـي الدرجات، أو : ذوي درجاتٍ[2] .

٤. قال الله تعالى ﴿ ومَنْ قتله منكم متعمدًا فجزاءٌ مثلُ ما قتَلَ من النَّعَم﴾[3] قرأ الكوفيون من القراء السبعة[4]هذه الآية بتنوين (جـزاء) ورفـع (مثـل)، وقـرأ البـاقون مـن الـسبعة بحـذف التنـوين وجـر (مثـل)[5]، فـالتنوين قرينـة علـى التخـصيص بالنعـت أو البدل، و(جـزاء) مـسند إليـه، لمـسند محـذوف، و(مثل) نعت للجزاء، والمعنى : فعليه جـزاءٌ مماثلٌ للمقتـول مـن الـصيد[6]، ويجـوز أن يكـون (مثـل) علـى هـذه القـراءة هـو المـسند، والمعنـى حينئـذ: فجزاء ذلك الفعل مثلُ ما قتل، أو فجـزاؤه مثـل مـا قتـل، أو : فجـزاء فعلـه مثل.... فحذف المضاف إليه ونوّن[7]، وقـد قـرئ بـذلك فـي بعـض القـراءات الشـواذ[8]، وقدره بعضهم بـ(فعليه جزاءٌ هو مثل ما قتل)[4].

- ومثل هذه الجملة في المعاني الوظيفية للتنوين من جهـة التخـصيص: قـول الله تعـالى . فـي الآيـة نفـسها . :﴿أو كفـارةٌ طعـامُ مـساكين﴾[9] فقد قرأها نافع وابن عـامر بإضافة (كفـارة) إلـى (طعـام) وقـرأ البـاقون

---

١) انظر الدر المصون ٥/ ٢٦-٢٧.

٢) انظر : البيان ١/ ٣٢٩، والبحر المحيط ٤/ ٥٧٢-٥٧٣، ومشكل إعراب القرآن لمكي ١/ ٢٥٩، والدر المصون ٥/ ٢٦-٢٧.

٣) سورة المائدة (٩٥).

٤) وهم عاصم وحمزة والكسائي .

٥) السبعة ٢٤٧-٢٤٨ ، والكشف لمكي ١/ ٤١٨، والحجة لابن زنجلة ٢٣٥.

٦) انظر الحجة لأبي على الفارسي ٣/ ٢٥٤-٢٥٥.

٧) انظر : معاني القرآن للزجاج ٢/ ٢٠٧، والحجة لابن زنجلة ٢٣٥ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٤٠-٤١، والكشف لمكي ١/ ٤١٨.

٨) إعراب القراءات الشواذ للعكبري ١/ ٤٥٦ والدر المصون ٤/ ٤١٨.

٩) انظر الحجة لأبي علي الفارسي ٣/ ٢٥٤ – ٢٥٥.

بتنوين (كفارة) ورفع الطعام، على أن (الطعام) بدل من الكفارة، لأنها من جنسه، ولم يضف الكفارة في هذه القراءة لأن الكفارة ليست للطعام، وإنما هي لقتل الصيد[1]، ويجوز كون (الطعام) مسندًا، و المسند إليه محذوف، والمعنى : كفارةٌ هي طعامُ مساكين [2]، فقد اختلف إعراب (طعام) من أجل تنوين ما قبله .

٥. قال الله تعالى ﴿وإنّ كُلاًّ لمّا لَيُوَفِّيَنّهم ربُّك أعمالَهم﴾[3] قرئت هذه الآية في السبعة وغيرها بقراءات متعددة، منها قراءة (لمّا) بتشديد الميم وتنويها[4]، على أنه مصدر نُعت به(كُلاًّ) مبالغة في التوكيد[5]، أو على أنه مفعول مطلق ، لأنه مصدر مؤكِّد[6]، ويكون المعنى : وإنّ كُلاًّ جميعًا ..... من لممته لمًّا، إذا جمعته، ونظيره قول الله تعالى ﴿وتأكلون التراث أكلاً لَمًّا﴾[7]أي : أكلا جامعًا، فقد سوغ تنوين هذه الكلمة تخصيص (كُلا) بها، ولما كان (كل) هنا مقطوعًا عن الإضافة، اعتبر تنوينه تنوين عِوض . كما تقدم . ولكونه متبوعًا بمنوّن لزم أن يكون المضاف إليه المحذوف نكرة، ليصح نعته بالنكرة، كما نُعتَ (أكلً) المنَكَّر بـ(لمًّا) في آية سورة الفجر المتقدمة [8]، ويكون تقدير المعنى : وإنّ كل قومٍ جميعًا، أو :كل أمة ....وقدره الزمخشري فقال "والمعنى وإن كُلاًّ ملمومين، بمعنى مجموعين، كأنه قيل : وإن كلا جميعًا، كقوله تعالى ﴿فسجد الملائكة كلُّهم أجمعون﴾[9]"[10] وعلى كل تقدير وإعراب يكون (لمًّا) مخصِّصًا لـ(كلاًّ) ولو حذف التنوين لم يكن ذلك.

---

١) انظر : الحجة لأبي علي ٣/ ٢٥٨، ولابن زنجلة ٢٣٧، والكشف لمكي ١/ ٤١٨– ٤١٩.

٢) انظر الدر المصون ٤/ ٤٢٥.

٣) سورة هود (١١١).

٤) نسبت هذه القراءة للزهري وسليمان بن أرقم واليزيدي ، انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٠ ، والمحتسب ١/ ٣٢٨، والحجة لأبي علي ٤/ ٣٨٨ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٠٥، وإعراب القراءات الشواذ ١/ ٦٧٤.

٥) انظر الحجة لأبي علي ٤/ ٣٨٨ ، وإعراب القراءات الشواذ ١/ ٦٧٤.

٦) المحتسب ١/ ٣٢٨.

٧) سورة الفجر (١٩)، وانظر الدر المصون : ٦/ ٣٩٧، ٤٠٦، ٤١٤.

٨) انظر : الحجة لأبي علي ٤/ ٣٨٨، والدر المصون ٦/ ٤١٥.

٩) سورة الحجر (٣٠).

١٠) الكشاف ٢/ ٢٣٦، وانظر الدر المصون ٦/ ٤١٥.

ج ـ الدلالة على التمام والأصالة

التنوين يدل على تمام الكلمة واستغنائها عما بعدها لفظًا، ولذلك لا يقع حشوًا، كما يدل على بقاء الكلمة على أصالتها، بدليل قطعها عن الإضافة المعاقبة للتنوين، لعدم الحاجة إلى مضاف يتم به معناها [1]، وهذه وظيفة تركيبية عامة في كل ما ينوّن، ومن الأمثلة التي تتجلى فيها ما يلي :

١. الدلالة على القطع عن الإضافة، فيما تغلب عليه الإضافة، كقول الله تعالى : ﴿لله الأمر من قبلُ ومن بعدُ﴾[2]قرئت الآية في بعض القراءات الشاذة بجر (قبلٍ وبعدٍ) منونتين[3]، فقطعت الكلمة عن الإضافة اكتفاءً بالتنوين في الدلالة اللفظية والمعنوية، ولذلك يجوز للإنسان أن يقول : جئتُ قبلاً وبعدًا، كما يقول : جئتُ من قبلُ ومن بعدُ [4]، كما قال الشاعر :

فساغَ ليَ الشراب وكنتُ قبلاً ... أكاد أُغَصُّ بالماء الحميمِ[5]

فصار التنوين مشعرًا بتمام الظرف وانفصاله عما بعده، وقطعه عن الإضافة مطلقًا .

* ومثله . مما تقدم في الفصل الأول من هذا الباب . تنوين العِوَض في (كلٍ وبعضٍ وإذٍ) فقد أُطلق عليه اسم تنوين (العوض) تعيينًا لوظيفته في التركيب، بناءً على أنه يغني الكلمة عن الارتباط بما بعدها، لأنها قد تمت به وكملت عِوَضًا عن المضاف إليه الذي يكون به التمام .

---

١) انظر : أمالي السهيلي ٢٥.وشرح قطر الندى لابن هشام ، صـ٣٣٠، و التوطئة للشلوبين ١١٧-١١٨.

٢) سورة الروم(٤).

٣) انظر : إعراب القراءات الشواذ للعكبري ٢ /٢٧٨-٢٧٩، تحقيق محمد عزّوز، ط١٤١٧هـ عالم الكتب . بيروت ، والبحر المحيط ٨ /٣٧٥.

٤) انظر : شرح المفصل لابن يعيش ٢ /٢٥٤.

٥) البيت من الوافر، ليزيد بن الصعق كما في الخزانة ٤٢٦/١، وانظر ما سبق في (٣) و(٤).

٢. ومن دلالته على التمام دخوله في الأسماء المتمكنة، وهو تنوين التمكين الذي سبق شرحه، فهو دال لفظًا على استغناء الكلمة عما بعدها، ومن ثم يصح الوقوف عليها، كما يدل معنًى على كمالها وأصالتها في الإعراب بجواز تعاقب علامات الإعراب على آخرها، فيقال: هذا كتابٌ، وقرأت كتابًا، ونظرت إلى كتابٍ، فقد كوّن التنوين مع الكلمة وحدة مستقلة لفظًا ومعنى، وأغنى هذا التركيب عن مضاف إليه يتم به معنى كلمة (كتاب)، كما دل على كمال تصرفها وتمكنها، واستغنت به عما يكتسبه المضاف من المضاف إليه من التخصيص أو التعريف، ونحو ذلك[1].

* **ومما يتصل بهذه الوظيفة** ما ذهب إليه الإمام السهيلي من أن تنوين الأعلام غير الممنوعة من الصرف مشعر ببقائها على أصلها الذي كانت عليه قبل أن تُنقَل إلى التسمية، كزيدٍ وخالدٍ وعمروٍ ومحمدٍ ......إلخ . لأنها باقية على أصلها، بحسب معانيها واشتقاقاتها، وهي في أصلها غير ممنوعة من التنوين والخفض[2]، فالتنوين قرينة دالة على هذه الأصالة، مقابلَ ما لاينون من الأعلام، كيزيد وأحمد وعثمان ...

٣. ومما تظهر فيه هذه الوظيفة التركيبية للتنوين: أنه إذا حُذف من متلازمين بُنيا فأصبحا شيئا واحدًا، إشعارًا بذهاب ما به يكون الانفصال والتمام وهو التنوين، ومن أمثلته: تركيب الأعداد، كثلاثة عشر، وأربعة عشر، وخمسة عشر .....إلخ، والأصل: ثلاثةٌ وعشرٌ، وأربعةٌ وعشرٌ.....[3]، وكذلك نحو: صباحَ مساءَ، وبيتَ بيتَ، وحَيْصَ بَيْصَ ......إلخ، والأصل:

---

1) انظر: شرح قطر الندى لابن هشام، صـ٣٢٠، والتوطئة للشلوبين ١١٧-١١٨ ومعاني التنوين لعبد الوهاب حسن حمد صـ١، ٦-٧، ورؤية جديدة في التنوين، في مجلة جامعة الملك سعود ٥/ ١٤٠-١٤٢.

2) انظر أمالي السهيلي ٢٨.

3) انظر: شرح المفصل لابن يعيش ٢/ ٢٩٠-٢٩١.

صباحًا ومساءً، وحيصٌ وبيصٌ، وبيتٌ إلى بيتٍ [١]، فلما حذف التنوين الدال على تمام كل كلمة واستقلالها رُكب الاسمان وجُعلا شيئًا واحدًا، لأن التنوين تطول به الكلمة فتكتفي به، وقد نص سيبويه على ذلك [٢].

وليس يبعد أن يكون هذا نفسه هو السببَ في جواز حذف التنوين من العَلَم الموصوف بـ(ابن) مضاف إلى عَلَمٍ آخر، لإنزال الاسمين منزلة الاسم الواحد نحو: يا زيدَ بْنَ خالدٍ، و: رأيت أحمدَ بنَ بكرٍ، وهذا زيدُ بنُ عبد الله، وهندُ بْنةُ صالحٍ .... بإسقاط التنوين لسببين: الأول التقاء الساكنين، والثاني شدة اتصال الكلمتين، لكثرة استعمال مثل هذا الأسلوب في كلام العرب، ومن ثَمَّ ذَكَرَ بعضُ كبارِ أئمةِ النحويين أن السبب في هذا إتباعُ الأول للثاني، بعد حذف التنوين الذي يطول به الكلام، لأن ثاني الاسمين جُعل كالتنوين للأول ،فصارا كالاسم الواحد [٣].

قال سيبويه: " ألا تراهم يقولون: هذا زيدُ بْنُ عبد الله، ويقولون: هذه هندُ بنةُ عبد الله . فيمن صرف . فتركوا التنوين ها هنا لأنهم جعلوه بمنزلة اسم واحد لما كثُر في كلامهم، فكذلك جعلوه في النداء تابعًا لابن" [٤]، وليس هذا بواجب، بل يجوز تحريك الأول بما يستحقه من حركة، وتنوينه مع تحريك التنوين، أو حذفه لالتقاء الساكنين، نحو: يا زيدُ بنَ أحمد، وهذا محمدُ بنُ عبد الله [٥].

---

١) انظر: المقتضب ٣/١٨٤، وشرح المفصل ٢/٢٩٤-٢٩٧، والكناش ١/٢٨٠، واللباب للعكبري ١/٢٩٧-٢٩٨، وأسرار العربية ٢٩٧. ومعنى (حيص بيص) اختلاط الأمور وتداخُلها، ويقال: وقع الناس في (حيص بيص) أي في فتنة واختلاط ، فمنهم الهارب ومنهم الفائت .

٢) سيبويه ٢/٢٠٣.

٣) انظر: سيبويه ٢/٢٠٣-٢٠٥. والمقتضب ٤/٢٣١، وسر صناعة الإعراب ٢/٥٢٦، وشرح الكافية للرضي ٢/١٤٣٨.

٤) سيبويه ٢/٢٠٤. وانظر المقتضب ٤/٢٣١-٢٣٢.

٥) السابق نفسه.

ثانيا : وظائف أسلوبية

يأتي التنوين مقارنًا لبعض الأساليب الإنشائية والخبرية، بصفة تكاد تكون مستمرة، فتكون مقارنته لتلك الأساليب جزءًا من القرائن عليها، بدليل تغير الأسلوب أو تأثره، أو فساده أحيانا، إذا حذف التنوين، لكون التنوين في هذه الأساليب فونيما استبداليا، يتغير المعنى بتغييره أو استبدال غيره به، كما هو شأن فونيمات الصوتيات الوظيفية بعامة، ومن الأمثلة على هذا :

أ. في أسلوب الإنشاء بالأمر : ومن صيغه المصدر النائب عن الفعل[1]، نحو: نزولا، خروجًا، صبرًا، ضربًا زيدًا، ورفقًا به .... أغنت هذه المصادر عن أفعال الأمر

وظيفيًا[2]، بمعونة قرينة التنوين التي أغنت عن الإضافة، مع جعل الأسلوب متضمنًا للتأكيد من غير إطالة الكلام بذكر الفعل الصريح.

ومنه قول الراجز :

* مَلْسًا بِذَوْدِ الْحَمَسِيِّ مَلْسا *[3]

أي : املس ملسا [3]، ومثله في الخوالف من أسماء الأفعال : إيهٍ، وصهٍ، ومهلاً، ورُوَيْدًا، فالأمر من هذه الخوالف دائم الاقتران بتنوينها عند إرادة العموم والشيوع، ولا يخفى ما يصحب ذلك من إفادة الإيجاز واختصار الكلام[4].

---

1) انظر : الأساليب الإنشائية في النحو العربي ١٤.

٢) انظر : المقتضب ٣ / ٢١٦، والمحلى ٣٢، والبحر المحيط ٩ / ٤٥٩، وأساليب التأكيد في اللغة العربية لإلياس ديب ص١٥١، ط / دار الفكر العربي - بيروت .

٣) رجز لم يُذكر قائله فيما وقفت عليه ، انظر : المقتضب ٣ / ٢١٦، والمحلى ٣٢، والبحر المحيط ٩ / ٤٥٩، وأساليب التأكيد في اللغة العربية لإلياس ديب ص ١٥١ ، والملس نوع من السير .

٤) انظر : سيبويه ١ / ٢٤٥، والمقتضب ٣ / ١٨٠، والحلبيات ٢١٣، وفتح الباري ١٠ / ٥٤٤.

ب. في أسلوب الاستفهام : كأن يقول الإنسان : رأيت رجلا، فيقال له : أيّا؟ أو يقول : رأيت امرأةً، فيقال له : أيةً؟ أو : رأيت نساءً، فيقال : أياتٍ ؟ وإذا تكلم بشيء من ذلك مرفوعا أو مجرورًا، قيل له : أيٌّ ؟ في المرفوعات، وأيٍّ ؟ في المجرورات.....وهكذا [1]، فالتنوين هنا جاء مصاحبًا لتركيب الاستفهام، بعد قطع الكلمة عن الإضافة، ليكوّن مع الأداة وحدة مستقلة للاستفهام عما سبق ذكره، واكتسب به الاستفهام الدلالة على تنكير المستفهم عنه، مع ما يحمله من وظائف أخرى كالإيجاز للكلام، وسرعة إيصال معنى الاستفهام إلى المخاطب.

ج. في الاستفهام الإنكاري : قال رجل لابن مسعود رضي الله عنه : "**قرأتُ المفصّلَ الليلةَ**" فقال ابن مسعود : "**هذًّا كهذِّ الشعر؟!**"[2] قوله: (هذًّا) استفهام إنكاري، والمعنى : أتهذ هذّا؟ أو : أهذًّا ؟! نصبه على المصدر، وحذف جملة الإسناد، مكتفيا بالتنوين عن تلك الجملة وعن أداة الاستفهام، للتدليل على هذا الأسلوب الموجز المعبر[3]، ولو حذف التنوين لاحتاج إلى قرائن أخرى للدلالة على هذا الأسلوب، كالتصريح بالفعل، أو ذكر مضاف إليه، ونحو ذلك .

* **ونحوه قول العرب** : " أتميميا مرةً وقيسيًا أخرى"؟ و: " أقعودًا وقد سار رفاقك"؟ و: " أتوانيًا في وقت الجد"؟ ونحو ذلك مما كثر فيه مجيء التنوين مصاحبا لهذا النوع من الأساليب الإنشائية [4].

د. في أسلوب الدعاء . وهو أسلوب إنشاء طلبي .: ويكثر أن يصاحبه التنوين، ولا سيما مع المصادر النائبة عن الأفعال، نحو : بُعْدًا . سحقا . ويلا . تعسًا . خيْبَةً ......يكتفى بتنوين هذه الكلمات في الدلالة على

---

1) سيبويه ٢/ ٤٠٧.
2) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ١٨٩، في كتاب الأذان ، الباب(١٠٦) و الهَذُّ سرعة القطع.
3) انظر : المفهم بشرح صحيح مسلم للقرطبي ٣/ ١٣٩٤، حققه مجموعة من المحققين ، ط / دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني. وفتح الباري ٢/ ٢٥٩.
4) انظر : سيبويه ١/ ٣٣٨-٣٤٣.

الدعاء، كما اكتفي بنصبها عن ذكر جملة الإسناد معها[1]، وعن تركيبها مع (أل)، أو المضاف إليه، أو نحو ذلك .

هـ: في أسلوب التعجب : نحو : عجَبًا ! ـ غريبًا! ـ إيهًا! ـ واهًا و آهًا![2]، ولم يُسمع عن العرب (واهًا) إلا منوّنًا[3]، وهو بمعنى التعجب .

* ومنه دلالة التمييز بكلمة (عَربيا) في الخبر " قلّ عربيّا مشى بها مثله"[4] دل التنوين على وظيفة المدح والتعجب، لما يحمله من التفخيم والإكبار للمخاطب، إذ المعنى : قل مثله عربيا، أي : أقلل بمثله من عربي[5].

* **ومن التعجب قول العرب :** في معرض التعظيم : " يا فارسًا ! يا شاعرًا ! "[6] أي : ما أعظمه من فارس، ومن شاعر! فانظر إلى ظهور وظيفة التنوين هنا مقابل حذفه!

و. في الأسلوب الخبري : يؤتى بالتنوين في الأساليب الخبرية لتأدية وظائف الإيجاز، والتعظيم، والتعميم، والتأكيد، ويعد في كل ذلك فونيما استبداليا يتغير المعنى باستبداله، ومن الأمثلة على هذا :

١. قول الله تعالى ﴿إذْ دخلوا عليه فقالوا سلامًا، قال سلامٌ، قومٌ منكرون﴾[7] فإن الكلمات المنونة هنا عبارة عن جمل مختزلة، والمعنى: نسلم سلاما، و: قال : عليكم سلام، أو : أمري سلام، و : أنتم قوم منكرون ...أو نحو ذلك مما يصح به المعنى [8].

---

١) انظر : سيبويه ١/٣١١–٣٣٤، والمحلى ٥٨.
٢) انظر : مجالس ثعلب ١/٢٢٨، و اللامات للزجاجي ١٣٣، وشرح المفصل لابن يعيش ٢/٢٣٤–٢٣٦، والتخمير ٢/٢٥٥.
٣) شرح المفصل لابن يعيش ٢/٢٣٣.
٤) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه ٥/١٦٧، باب غزوة خيبر .
٥) أمالي السهيلي ٨٦–٨٧.
٦) سيبويه ١/٢٣٧.
٧) سورة الذاريات (٢٥).
٨) انظر : البحر المحيط ٩/٥٥٥.

ويكثر مجيء التنوين لمثل هذا الغرض في المصادر، والأحوال، والمفاعيل، نحو: هنيئا مريئا، وجاء القوم طُرًّا، أو جميعًا، وشكرًا وحمدًا لله، وسمعًا وطاعةً، وافعل هذا رحمةً ودفاعًا، ولقيته فجأةً، وجاءني بغتةً،.... ونحو ذلك [1]، فكل كلمة منونة من هذا القبيل يمكن مقابلتها بجملة، أو بكلام يزيد عن كلمة واحدة، ولكن ذلك الكلام لا يؤدي بالضرورة تلك الوظيفة التي تؤدى بالتنوين، لا في اللفظ ولا في المعنى، أما في اللفظ فواضح، وأما في المعنى فالكلمة المنونة فيها شمول وإحاطة بمعاني الفعل ومتعلقاته، لا توجد في غيرها.

2. ومن أظهر ما يتجلى فيه معنى الإيجاز في الأساليب الخبرية تنوين العِوض، لأنه يكتفى به عن محذوف لا يستغنى عنه إلا بفونيم التنوين، نحو: مررت بكلٍ قائمًا، أي: بكلهم، جوابا لمن قال: هل لك عهدٌ بالقوم؟[2]، ونحو: أيٌّ منكم فعل هذا؟ بدلا من: أيّ رجل، أو أيّ شخص... ونحو ذلك، قال الله تعالى:

﴿أيًّا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾[3] فنوّن (أيًّا) عوضًا عن المضاف إليه، والمعنى: أي الاسمَيْنِ[4]. لأن أول الآية: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمنَ﴾ فهما اسمان.

وكذلك التعويض عن الجمل في نحو: يومئذٍ وساعتئذٍ، والتعويض عن الحركة الطويلة في نحو: قاضٍ وداعٍ وفتًى وعصًا، وجوارٍ وليالٍ، ونحو ذلك مما مر شرحه في مبحث تنوين العوض.

3. ومما يدل فيه التنوين على التعظيم وكمال الوصف. ويكون فيه نائبًا عن النعوت المتعددة في حال الوصل. نحو: رأيت رجلا أيَّ **رجلٍ**! ويجب عدم إسقاط التنوين للوقف هنا، لئلا تذهب وظيفته، ونحوه: أما علمًا **فعالمٌ**، و أما محمدٌ **فأمينٌ**، وهذا مفيدٌ جدًا، و: زرتك مرارًا، وأنت أخي حقًا، **وقسمًا** لأفعلنّ كذا....إلخ، نابت هذه الكلمات المنونة عن كثير من

---

1) انظر: سيبويه 1/316-319، 370-377، والمقتضب 3/217.

2) الكناش 2/125.

3) سورة الإسراء (110).

4) الدر المصون 7/429.

الألفاظ التي ينعت بها، أو يؤكد بها، مع الدلالة على المبالغة والتفخيم وكمال الوصف [1].

٤. إذا وُقِفَ على التنوين حُذف أو أُبدِل، إلا في أسلوب التذكر، فإنه يحرَّك وتمد حركته، أداءً لأسلوب التذكر هذا، وحرف التذكر عبارة عن حركة طويلة يشغل بها المتكلم لسانه إلى أن يتذكر، لأنه لا يريد أن يقطع كلامه فينصرف عنه المستمع، ولكنِ يريد أن يشعره بأنه لا يزال في معرض حديثه وخطابه له[2]، ومن ثمَّ كان إثبات التنوين في مثل هذا الأسلوب لتوفير هذه الحركة الإبلاغية لهذه الوظيفة بدلا من حذفه، نحو: أهذا زيدُنِي......بن بكر؟ و: أعطيته سيفَنِي......قاطعًا، ونحو ذلك[3]، والمراد : أهذا زيد بن بكر ؟ و : أعطيته سيفًا قاطعًا .

٥. إذا كان الوصف الجاري على فعله منفيا : فالغالب تنوينه، نحو : ما أنا بفاعلٍ كذا، وما هو ببخيلٍ، وليس بمجنونٍ، فكأن التنوين هنا أصبح من لوازم هذا الأسلوب ، لكثرة مصاحبته له، حتى صار قرينة عليه، قال الفراء : " ويختارون أيضا - أي العرب - التنوين، إذا كان مع الجحد - أي مع النفي - من ذلك قولهم : **ما هو بتاركٍ حقَّه، وهو غيرُ تاركٍ حقَّه**، لا يكادون يتركون التنوين، وتركه كثير جائز"[4].

---

1) انظر: سيبويه ١/٣٧٨-٣٨٧، و الجنى الداني ٥٢٧، ومقال (رؤية جديدة في تفسير التنوين) في مجلة جامعة الملك سعود ٥ /١٢٦-١٤١.

٢) انظر : الكناش ١ /١٣٧، والخصائص ٣ /١٢٨- ١٢٩.

٣) انظر : سيبويه ٤ /٢١٦، وسر الصناعة ٢ /٤٩٠

٤) معاني القرآن للفراء ٢ /٢٠٢.

ثالثا: وظائف بنيوية

تتردد بعض الكلمات في اللغة العربية بين الإعراب والبناء، فلا يكون ثمة دليل على أحدهما إلا التنوين أو عدمه، فيستدل بالتنوين على المعرب، ويستدل على المبني بعدم لحوق التنوين به، في موقع لا يكون فيه المعرب إلا منونا مع عدم المانع، ومن أمثلة ذلك :

أ. التفريق بين المبني والمعرب من الغايات، نحو : ابدأ بهذا أولاً، وابدأ بهذا أولُ، وابدأ به قبلاً، ومن قبلُ، فالمنوّن معرب ، لقطعه عن الإضافة لفظًا ومعنى، وغير المنوّن مبني، لأن المضاف إليه المحذوف معناه منوي[1].

ب. التفريق بين المنادى المبني وغيره، عند من يرى ذلك من النحويين، وهم البصريون والفراء[2]، نحو : يا رجلُ، مقابل : يا رجلاً، فالأول اسم معيّن مشار إليه مبنيّ على هذا المذهب، والثاني نكرة شائعة، ولذلك لم يُبْنَ، لأن تقديره : يا واحدًا ممن له هذا الاسم [3]، أو ممن يطلق عليه هذا اللفظ، أما جمهور الكوفيين فذهبوا إلى أن غير المنوّن مرفوع غير مبنيّ[3]، وبعض المحدثين يميل إلى هذا الرأي، على أن الأصل في المنادى أن يكون مرفوعًا، وما عدم تنوينه إلا اقتضاء صوتي للنداء[4]، وهذا الاقتضاء هو ظاهر ما رواه سيبويه عن الخليل في تعليل الرفع والنصب في المنادى، حين قال : " وزعم الخليل رحمه الله أنهم نصبوا المضاف، نحو يا عبدَ الله، ويا أخانا، والنكرةَ حين قالوا : يا رجلاً صالحًا، حين طال الكلام، كما نصبوا هو قبلَك، وهو بعدَك، ورفعوا المفرد كما رفعوا[5]

---

١) انظر : سيبويه ٢/ ١٩٩، والمقتضب ٤/ ٢٠٥-٢٠٦.

٢) انظر مناقشة المذهبين في التبيين للعكبري ٤٤٠-٤٤٣. و ائتلاف النصرة للزبيدي ٤٥، والإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري ١/ ٣٢٣-٣٢٥.

٣) انظر : المقتضب ٤/ ٢٠٦، وشرح الكافية للرضي ١/ ٤١٠.

٤) انظر : تقويم المقرر التدريسي في النحو العربي ، لمجموعة من المؤلفين ص٥٠، طبع المطبعة العربية ‏‎اانهج طالبي أحمد غرداية ٢٠٠٥ ، الجزائر. و النحو العربي نقد وبناء لإبراهيم السمرائي ٢٠٥. و تيسير النحو التعليمي لشوقي ضيف ١٦٢-١٦٣ط٢، دار المعارف ، القاهرة.

٥) يريد سيبويه بالرفع هنا علامته ، وهي الضمة ، ولا يريد به الإعراب .

(قبلُ وبعدُ) وموضعهما واحد، وذلك قولك : يا زيدُ، ويا عمرُو، وتركوا التنوين في المفرد، كما تركوه في (قبلُ)"[1].

فعلل النصب بطول الكلام، وعلل الرفع بقصره، وهذا تعليل صوتي، وجعل ترك التنوين في المنادى المفرد نظير تركه في نحو (قبل وبعد) من الغايات[2].

ج. التمييز بين المبني والمعرب من الحروف والضمائر ونحوها من المبنيات إذا سمي بها. كما سيأتي. فيقال : رأيت ليتًا وهُوًا وذُوًا، وجاء ليتٌ وهوٌ وذُوٌّ[3]، لمن أسماؤهم : (ليت. هو. ذو) فارقت هذه الكلمات البناء بعدما جدّ عليهن من الدلالة المعجمية. أو الاصطلاحية. فكان التنوين قرينة دالة على الأمرين معًا : الإعراب وانتقال الدلالة.

د. تمييز المعرب من المبني بعد (لا) النافية، فيقال : لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله، بالبناء، ويقال : لا حولٌ ولا قوةٌ إلا بالله، بالإعراب[4]، ويشهد لهذا قول الله تعالى ﴿لا بَيْعٌ فيه ولا خُلَّةٌ ولا شَفاعَةٌ﴾[5] في قراءة جمهور القراء، وقرأها أبو عمرو البصري وابن كثير بالبناء على الفتح: ﴿لا بَيْعَ فيه ولا خُلَّةَ ولا شَفاعَةَ﴾[6] كما قرئ بذلك قول الله تعالى ﴿فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾[7] بتنوين الاسم الذي بعد (لا) مرفوعًا، وبفتحه من غير تنوين على أن (لا) مع اسمها بنيا كبناء (خمسةَ عشرَ) والتنوين على أن الاسم معرب غير مبني[8]، قال الأخفش : " وإنما حذفتَ التنوين منه،

---

1) سيبويه ٢/١٨٢–١٨٣.

٢) انظر شرح سيبويه لكلام الخليل لتأكيد هذا المفهوم في ٢/١٩٩.

٣) انظر : سيبويه ٣/٢٦٢–٢٦٣.

٤) انظر : سيبويه ٢/٢٩٢، والتصريح ٢/١٢٤.

٥) سورة البقرة (٢٥٤).

٦) انظر : السبعة لابن مجاهد ١٨٧.

٧) سورة البقرة (١٩٧).

٨) انظر : حجة القراءات لابن زنجلة ١٢٩، ١٤١، والبحر المحيط ٢/٦٢، والتصريح ٢/١٢٤–١٢٥.

لأنك جعلْته و(لا) اسمًا واحدًا، وكلُ شيئين جُعِلا اسمًا واحدًا لم يُصرفا، والفتحة التي فيه لجميع الاسم، بُني عليها، وجُعِل غيرَ متمكن"[1].

هـ: قال الله تعالى ﴿ فلما جاء أمرنا نجينا صالحًا والذين آمنوا معه برحمةٍ منا ومِنْ خِزْيِ يومئذ﴾[2] قرئت هذه الآية بفتح ميم (يومئذ) مع تنوين ما قبله، ومع حذف التنوين، وقرئت بكسر ميم (يومئذ) وفتحها مع حذف تنوين ما قبله للإضافة، وكذا قرئ بذلك في قول الله تعالى ﴿ وهم من فزع يومئذ آمنون﴾[3] وقول الله تعالى ﴿من عذاب يومئذ﴾[4] في السبعة وغيرها[5]. فجاز مع التنوين كون الفتحة فتحة إعراب نصبًا على الظرفية، أو فتحة بناء لإضافته إلى مبني وهو: (إذْ)، أو لكون (يوم) رُكبَ مع (إذْ) كتركيب (خمسة عشر)[6]، فالتنوين في هذه الآيات قرينة على جواز وجهي البناء والإعراب في (يوم) في قراءة من نوّن وفتح الميم، مقابل عدم جواز غير الإعراب في قراءة من حذف التنوين وكسر الميم.

رابعًا : وظائف تركيبية إعرابية

المقصود بالإعراب: المواقع الإعرابية التي هي الرفع والنصب والجر والجزم، وما تتبعه هذه المواقع من المعاني النحوية العامة، كالفاعلية والمفعولية والإضافة، ونحو ذلك، وقد تعرب الكلمة ببعض هذه الوجوه الإعرابية بتأثير التنوين في التركيب، وتقدم بيان أثر التنوين التركيبي ـ عند الحديث عن الوظائف التركيبية ـ وما من وظيفة تركيبية إلا معها وظيفة إعرابية، لأن الإعراب ناشئ عن التركيب، فإذا كان التركيب يتطلب مسندًا ومسندًا إليه، ومخصصات للإسناد، فإن ذلك كله يتطلب ـ أيضا ـ رفعًا أو نصبا

---

1) معاني القرآن للأخفش ١/ ٢٤–٢٥.

2) سورة هود(٦٦).

3) سورة النمل (٨٩)

4) سورة المعارج (١١)

5) انظر: السبعة ٣٣٦، والكشف لمكي ١/ ٥٣٢–٥٣٣، والبحر المحيط ٦/ ١٧٨ والدر المصون ٦/ ٣٤٩–٣٥٠.

6) انظر: إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٩١، والبحر المحيط ٦/ ١٧٨، و الدر المصون ٦/ ٣٥٠.

أو جرًا، وإذا كان التنوين يجعل الصفات تؤدي وظائف الأفعال، فإن ذلك يؤدي إلى ما ينشأ عن تركيب الأفعال من أنواع الأعاريب، والأمثلة على هذا كثيرة لا تحصى، أجتزئ منها بما يلي :

أ. **الرفع** : تأتي الكلمة مرفوعة بعد اسم الفاعل المنون، واسم المفعول، والصفة المشبهة، أو اسم آخر مما ينوّن، نحو : هذا علمٌ نافعةٌ مباحثُه، معلومٌ أهلُه، كثيرٌ فوائدُه ......ارتفعت الكلمات : (مباحثه . أهله . فوائده) لوقوعهن بعد التنوين، ولو حذف التنوين لتغير الإعراب[1]. فيقال : نافعُ المباحث ومعلومُ الأهل وكثيرُ الفوائد، قال الله تعالى ﴿ألم ترَ أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمراتٍ مختلفًا ألوانُها﴾[2] كلمة (ألوانها) وقعت مسندًا إليه لأجل تنوين ما قبلها، وارتفعت لذلك، كما ارتفع (أبصارُهم) في قول الله تعالى ﴿خُشَّعًا أبصارُهم﴾[3]للسبب نفسه .

ب . **النصب** : كنصب الاسم مفعولا به بعد المصدر المنوّن، أو اسم الفاعل، أو الصفة المشبهة المنوّنين كذلك، نحو : هذا مكرمٌ أخاك الآن، ويا طائعًا ربَّه أبشر، ويا سميعًا دعاءَ المضطرّ وفقني، و : عجبت من ضربٍ زيدًا[4] ومنه آية سورة البلد السابقة[5].

وقول الشاعر :

فلولا رجاءُ النصر منك ورهبةٌ عقابَك قد صاروا لنا كالمواردِ[6]

فـ(عقابَ) منصوب مفعولا به ؛ لتنوين المصدر (رهبةٌ) قبله، كما انتصب (يتيمًا ومسكينًا) في الآية، لتنوين (إطعامٌ)[7].

---

1) انظر : سيبويه ٤١/٢وما بعدها و التصريح : ٢٧٢/٣، ٢٩٣.
2) سورة فاطر(٢٧).
3) سورة القمر (٧).
4) انظر : سيبويه ١٨٩/١، ١٦٤.
5) وهي قول الله تعالى﴿ أو إطعامٌ في يوم ذي مسغبة يتيمًا ﴾ .
6) البيت من الطويل ، ينسب للمرار بن منقذ التميمي ، انظر : سيبويه١٨٩/١، وشرح المفصل ٩٥/٣، والأشموني٣٣٣/٢.
7) السابق نفسه .

- **ومن النصب :** نصب التمييز بعد التنوين، نحو: هو حسنٌ وجهًا، وبعته رطلاً زيتًا، وقطعت ميلاً أرضًا، وهذا صاعٌ تمرًا، وفي يده خاتمٌ حديدًا ....ونحو ذلك. فالنصب في كلٍّ جاء بسبب التنوين، ولو حذف التنوين لَتَغَيَّرَ الإعراب[1]، لِتَغَيُّرِ التركيب.

ج. **الجر:** كل كلمة يجوز تنوينها فذلك دليل على جواز جرها، أي إحلالها محلا في التركيب تكون فيه مجرورة. لأن ما لا ينوَّن لا يُجَرّ لفظًا[2] في موضعه الذي يمتنع فيه تنوينه. ومعنى هذا أن جواز جرها وظيفة نحوية (إعرابية) تعرف بقرينة التنوين، وهذا يجري في جميع المعربات المنصرفة.

د. وقد يكون التنوين قرينة دالة على جميع أوجه الإعراب الممكنة في الكلمة، وذلك يكون في التوابع التي تأتي متبوعاتُها نكراتٍ منوّنةً، فإن التنوين في المتبوع يقصر إعراب التابع على إعراب المتبوع، بدليل تغير إعراب التابع بحذف تنوين المتبوع، نحو: **هذا علمٌ نافع، وتعلمت علمًا نافعًا، و اشتغلت بعلمٍ نافعٍ**، فلو حذف التنوين من المتبوع للزم إعرابُ التابع مضافا إليه، أو إعرابُه إعرابًا آخر بحسب ما يتغير إليه الإسناد، لأن الوظيفة تتغير، نحو: **هذا علمُ نافعٍ، وهذا العلمُ نافعًا، والعلم نافعٌ**، تغير إعراب كلمة (نافع) في كل مرة لتغير وظيفتها التركيبية، فوظيفة النعت غير وظيفة الإسناد، وكلتاهما تختلف عن وظيفة البدل، أو الإضافة، أو الحال.... والمتحكم في وظيفة التابع للنكرة هنا هو التنوين، ومن ثم جاز تعدد الأوجه الإعرابية بعد التنوين فيما لا يتحتم إتباعه على اللفظ، لأن المنون مقطوع عما بعده، كقول الله تعالى: ﴿هل من خالقٍ غيرُ الله﴾[3] يجوز رفع (غير) إتباعًا لـ(خالق) على الموضع، أو رفعه على

---

1) انظر: سر صناعة الإعراب ٥٤٢/٢، وشرح الكافية للرضي ٦٩٣/١ وما بعدها، والتصريح ٦٨٧/٢ وما بعدها

2) انظر أمالي السهيلي ٣٩.

3) سورة فاطر(٣).

أنه مسند إليه، أو مسند اسمي، أو على أنه مستثنى من تام منفي، ويجوز نصبه على الاستثناء، ويجوز جره إتباعًا على اللفظ.[1] وقد قرئت الآية بجميع هذه الأوجه[2].

- ومما يدل على تأثير فونيم التنوين تركيبًا وإعرابًا، أن الإنسان لو قال: (أنا زائرٌ فلانًا) بالتنوين لكان هذا وعدًا منه بالزيارة، ولو قال: (أنا زائرُ فلانٍ) لوجب أن ينظر في قرائن هذا الكلام، لأنه يجوز أن يكون هذا إقرارًا منه بأنه قد فعل، ويحتمل أن يكون وعدًا بأنه سيفعل [3]. فقد اختلف المعنى كما اختلف الإعراب، نتيجة لاستبدال فونيم التنوين بحذفه.

خامسا : وظائف تقسيمية

من وظائف التنوين تمييز الأسماء من الأفعال والحروف [4]، وهذا خاصٌّ بأنواع التنوين المتقدم شرحها في الفصل الأول من هذا الباب، لكونها هي الخاصة بالأسماء، وتظهر لها وظائف نحوية، وهي تنوين التمكين، والتنكير، والعوض، والمقابلة، فهذه الأنواع يستدل بها على اسمية الكلمة، كما يستدل بعدم اسميتها على عدم جواز لحوقها بالكلمة، ومن الأمثلة على ذلك :

أ. التفريق بين الفعل والاسم بالتنوين، ويكون ذلك في كل فعل ثلاثي ماضيه على وزن مصدره، كشدّ شدًّا، وكَرَّ كَرًّا، وصَفَّ صَفًّا، وهَمَّ هَمًّا....[5]

---

1) انظر: البيان للأنباري ٢/ ٢٨٦، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٣٦٦.
2) انظر الدر المصون ٩/ ٢١٢.
3) شرح عيون الإعراب، للمجاشعي صـ ٢٨، تحقيق عبد الفتاح سليم، ط١، ١٤٠٨هـ دار المعارف.
4) انظر: الإيضاح في علل النحو للزجاجي ٩٧.
5) انظر: سيبويه ٤/ ٤١٧، وما بعدها.

- وكذلك التفريق بين الفعل والصفة المشبهة منه، نحو: فرِحَ فهو فرِحٌ، وبَطِرَ فهو بطِرٌ، وأشِرَ فهو أشِرٌ، وشَبِعَ فهو شَبِعٌ ....[1]، وإذا نصبت هذه الأسماء لم يفرق بينها وبين الأفعال إلا التنوين.

- ومن التفريق بين الفعل والاسم بالتنوين: نحو: ساقَ /ساقٌ، ودارَ / دارٌ، ونابَ / نابٌ[2]، وجِيلَ/ جِيلٌ، مِيلَ / ميلٌ، مالَ /مالٌ.....إلخ. فإذا قيل مثلا: رأيته ساقًا، ورأيته ساقَ. ورأيته مالاً، ورأيته مالَ .لم يفرق بين الفعل والاسم إلا التنوين وعدمه. وكذا باقي الأمثلة.

ب. التفريق بين فعل الأمر واسم الفاعل من المنقوص، نحو: **ناجِ وقاضِ وعادِ**، أفعال أمر من المناجاة والمقاضاة والمعاداة، واسم الفاعل منها يكون بالتنوين، فيقال: ناجٍ وقاضٍ وعادٍ، وكذلك من كل فعل على وزن (فاعَل) واسم الفاعل من الثلاثي منه، نحو: جاهِدْ وجاهدٌ. قاتِلْ وقاتِلٌ. وضارِبْ وضاربٌ .....[3].

ج. التفريق بين الفعل الماضي الأجوف المبني لغير فاعله، والمصدر المجانس له في أصل الاشتقاق، الذي يأتي على وزنه، نحو: قيلَ قيلٌ، وقد جاء في الحديث: "**ونهى عن قيلٍ وقالٍ**" [4] بالتنوين على أنهما مصدران، وفي رواية "**عن قيلَ وقالَ**" بدون تنوين على أنهما فعلان محكيان، وقد استشهد بهما سيبويه على ذلك[5].

د. قد يكون التنوين قرينة على زمن الفعل، وذلك أن الصفات الجارية على أفعالها إذا كنّ مخصّصات، فإن العرب تختار تنوينها للدلالة على المستقبل، فينتصب المخصّص. كما تقدم في الوظائف التركيبية. مقابل حذف التنوين، فالإضافة عند إرادة الماضي، والتنوين لتعيين الزمن

---

1) انظر: إيجاز التعريف لابن مالك ١٦.

2) انظر: سيبويه ٤/٣٥٨.

3) إيجاز التعريف ١٦، وانظر سيبويه ٤/٣٧٧، وما بعدها.

4) تقدم تخريجه، انظر ص ١٩٥.

5) سيبويه ٣/٢٦٨-٢٦٩.

المستقبل[1]، قال الفراء: في قول الله تعالى: ﴿كلُّ نفسٍ ذائقةُ الموتِ﴾[2] " ولو نوّنت في (ذائقة) ونصبت (الموت) لكان صوابا[3]، وأكثر ما تختار العرب التنوين والنصب في المستقبل، فإذا كان معناه ماضيا، لم يكادوا يقولون إلا بالإضافة، وأما المستقبل فقولك: أنا صائمٌ يومَ الخميس، إذا كان خميسا مستقبلاً، فإن أخبرت عن صوم يوم خميس ماضٍ قلت: أنا صائمُ يومِ الخميس، فهذا وجه العمل "[4].

ومن شواهد هذه الدلالة للتنوين ما روي " أن الكسائي اجتمع هو وأبو يوسف القاضي عند هارون الرشيد، فجعل أبو يوسف يذم النحو، ويقول: وما النحو؟ فقال له الكسائي: ما تقول في رجل قال لرجل: أنا قاتلُ غلامِك، وقال له آخر: أنا قاتلٌ غلامَك، أيهما كنت تأخذ به؟ فقال أبو يوسف: آخذهما جميعًا، فقال له هارون: أخطأتَ. وكان له علم بالعربية. فقال أبو يوسف كيف ذلك؟ قال: الذي يُؤخذُ بقتل الغلام هو الذي قال: أنا قاتلُ غلامِك، بالإضافة، لأنه فعلٌ ماضٍ، وأما الذي قال أنا قاتلٌ غلامَك. بالنصب. فلا يؤخذُ، لأنه مستقبَلٌ لم يكن بعدُ، كما قال الله تعالى ﴿ولا تقولَنَّ لشيء إني فاعلٌ ذلك غدًا إلا أن يشاء الله﴾[5]فلولا أن التنوين مستقبَلٌ ما جاز فيه (غدًا)"[6].

هـ: التمييز بين الحرف والاسم، إذا كان الاسم حرفا مسمى به، فيميز بينه وبين الحرف الباقي على حرفيته بتنوين المسمى به، نحو: جاء لوٌّ، ورأيت

---

1) انظر تفسير القرطبي ٤/ ٢٩٧.
2) سورة الأنبياء (٣٥).
3) وقد قرأ بذلك جماعة في غير السبعة، انظر: إعراب القراءات الشواذ ١/ ٣٥٩، ومختصر شواذ القرآن لابن خالويه ٢٣، وتفسير القرطبي ٤/ ٢٩٧.
4) معاني القرآن ٢/ ٢٠٢
5) سورة الكهف (٢٣، ٢٤)
6) معجم الأدباء لياقوت الحموي ٧/ ١٧٧، ط٣، ١٤٠٠هـ دار الفكر.

ليتًا، ونظرت إلى هلٍّ (لمن سُمّيَ بهَلْ) ......ونحو ذلك، يقال في كل حرف سُمي به [١].

كقول الشاعر :

ليت شعري وأين منّي ليتٌ — إن ليتًا وإن لوًّا عناءُ [٢]

و كقول الآخر :

ألامُ على لوٍّ ولوْ كنتُ عالمًا — بأذناب لوٍّ لم تفتني أوائلُهْ [٣]

فقد دل تنوين (ليت) و(لو) على أنهما فارقتا الحرفية وصارتا اسمين [٢].

- وربما كان لفظ الاسم كلفظ الحرف، ولا يفرق بينهما سوى التنوين، كما في (كَلاّ)، وهو حرف ردع وزجر بدون تنوين، وقد يأتي لمعانٍ أخرى [٤]، وبالتنوين يكون معناه المصدر من (كَلَّ) بمعنى تعب من الإعياء، وهو الكَلال، على زنة الكلام، وقد جاءت هذه الكلمة بالتنوين وبدونه [٥] في قول الله تعالى ﴿كَلاّ سنكتبُ ما يقول﴾ [٦]، وهي بدون تنوين حرف عند جمهور أهل اللغة، وبالتنوين اسم، ومعنى الآية بالتنوين : كَلَّ ذلك الرأي منهم وضَعُف، أو : حملوا كلاًّ، أي ثقلاً، أو بمعنى: جميعًا، عند من ضم الكاف [٧].

---

١) انظر سيبويه ٣/٢٦٢-٢٦٣

٢) البيت من الخفيف، لأبي زيد الطائي، انظر: سيبويه ٣/٢٦٢، والمقتضب ١/٢٧٠، وخزانة الأدب ٧/٣١٩.

٣) بيت من الطويل، ورد في المراجع السابقة من غير نسبة لقائل .

٤) انظر : رصف المباني ٢٨٧، والجنى الداني ٥٧٧ .

٥) انظر المحتسب ٢/٤٥، والدر المصون ٧/٦٣٨، وإعراب القراءات الشواذ ٢/٥٩.

٦) سورة مريم (٧٩).

٧) انظر : المحتسب ٢/٤٥، والتبيان للعكبري ٢/٨٨١، وإعراب القراءات الشواذ له ٢/٥٩.

- ومثل ذلك قول الله تعالى: ﴿ قُلْنَ حاشَ لله ﴾[1] قرئ منونًا في الوصل على أنه اسم بمعنى ناحية[2]، كقول الشاعر:

يقول الذي أمسى إلى الحرز أهلُه — بأيِّ الحَشا أمسى الخليطُ المباينُ[3]

ويروى: بأيّ حشًا. بالتنوين. أي: بأيّ ناحية أمْسَوْا؟ يقال: فلان في حشا فلان، أي في ناحيته، كأن معنى الآية: يوسف ناحيةٌ من ذلك[4]، وقيل معناها في هذه الحال براءةٌ، فهي اسم مرادف للبراءة من كذا[5]، وأما بغير تنوين فترد حرفًا تارة، وفعلا تارة أخرى بحسب السياق الذي ترد فيه، وبين النحويين خلاف في تأصيلها حينئذٍ[6]، والمراد هنا بيان كون التنوين قرينة على اسميتها، مقابلَ حرفيتها أو فعليتها إذا لم تنوّن.

سادسًا وظائف لهجية

قد يدل التنوين على لهجة من اللهجات العربية في تركيب نحوي، فتكون وظيفته النحوية عندئذٍ الدلالة على تلك اللهجة، بسبب ما لها من الأثر في التركيب، وقد تقدم في التمهيد الاستدلال على أن القرائن الصوتية تؤدي وظائفها النحوية عندما يظهر لها أثر في التركيب، ومن الأمثلة التي توضح الأثر التركيبي للتنوين في اللهجات ما يلي:

أ. بعضُ العربِ يصرف نحو (هند) من المؤنثات الثلاثية الساكنة الوسط، كدعْد وجمْل، فيقولون: هذه هندٌ بنتُ عمرٍو، وبعضهم يمنعها من الصرف فيقول: هذه (هندُ) بالضم فحسب، فالتنوين مميز للهجة من يصرفها ممن لا يصرفها[7].

---

1) سورة يوسف (٣١).

٢) انظر: إعراب القراءات الشواذ ١/٧٠٠، والبحر المحيط ٦/٢٦٩، ونسب القراءة لأبي السمال، ونَظَّر لها بـ(رَعْيًا لله)، والدر المصون ٦/٤٨٤.

٣) البيت من الطويل، لمالك بن خالد الهذلي، وقيل المعطل، انظر شرح أشعار الهذليين ١/٤٤٦. والمباين: المفارق والمزايل.

٤) إعراب القراءات الشواذ ١/٧٠٠

٥) المغني لابن هشام ١/١٣٠.

٦) انظر المغني ١/١٢٩-١٣١، والجنى الداني ٥٥٨-٥٦٨.

٧) انظر: سيبويه ٣/٢٤٠-٢٤٢، ٥٠٦، والمقتضب ٢/٣١٦، وسر صناعة الإعراب ٢/٥٢٧، وما ينصرف وما لا ينصرف ٦٧-٦٨.

ب. تنوين بعض العرب لكلمة (غَوْغاء) ـ وهو الجراد المتموّج، ويُشَبَّهُ به رعاع الناس ـ وكذا (قُوباء) ـ بالمد لا بالتحريك، وهو نوع من البثور في الجسم ـ على أن الهمزة ليست منقلبة عن ألف للتأنيث، بل هي للإلحاق، فهما مذكرتان، ومنهم من لا ينوّنهما، على أنهما ممنوعتان من الصرف بألف التأنيث[1]، فوظفوا التنوين للتفريق بين اللهجتين، والإعرابين، والمعنيين.

ج. من العرب من يقول: هذه **ذِفْرًى أسِيلةٌ**، فينون (ذفرى) على أن ألفها زائدة للإلحاق، ومنهم من يقول: ذفرَى أسيلةٌ، فيمنعها من الصرف، على أن ألفها للتأنيث، وكذلك فعلوا في (علقي) ـ وهو نبت ـ و(تترى) منهم من ينوّنهما لأنها لغته، ومنهم من لا ينوّن، فمن نوّن ذهب إلى التذكير وزيادة الألف للإلحاق، ومن لم ينوّن ذهب إلى التأنيث[2]، والتنوين هو القرينة الدالة على هذه الوظائف.

د. دلالة التنوين على الصرف والتذكير، في لغة من ينوّن بعض أسماء البلدان، والأماكن التي ورد فيها التذكير، نحو: منى ـ واسط ـ هجر ـ قباء ـ حراء ـ دابق .....[3]، وهكذا في كثير من الكلمات التي تسمى بها الأماكن، أو القبائل، أو السور، أو الأحياء، فبعض العرب ينونها، وبعضهم يمنعها من الصرف فلا ينوّنها باعتبار تأنيثها المعنوي أو اللفظي، وتفصيل ذلك مبسوط في المراجع المحال إليها[3].

هـ: إذا سمي بجمع المؤنث الذي يكون بالألف والتاء أو الملحق به، فمن العرب من يبقيه على ما كان عليه قبل التسمية، ومنهم من ينونه، ومنهم من يترك تنوينه ويُبقي الكسرة في النصب والجر، ومنهم من يزيل التنوين، ويمنعه الكسرة، على أنه منعه من تنوين الصرف من غير أن يمنعه من الكسر. نحو: (أولات) و(هندات) و(عرفات) و(بركات) أسماءً[4]، فالتنوين قرينة دالة على هذه اللهجات مقابل لهجات مَنْ لا ينوّن، وكل ذلك راجع إلى مراعاة اللفظ ـ وهو لفظ الجمع ـ بعد ما استجد من الدلالة الوظيفية بالتسمية.

---

١) سيبويه ٣/٢١٥، وما لا ينصرف ٤٤.

٢) سيبويه ٣/٢١١، ٢١٢، ومعاني القرآن للفراء ٢/٢٣٦، وما لا ينصرف ٣٨–٣٩.

٣) سيبويه ٣/٢٤٢–٢٤٦، والمقتضب ٣٣٥٧–٣٥٩، وما لا ينصرف ٧١–٧٣.

٤) سيبويه ٣/٢٣٣–٢٣٤.وشرح الكافية الشافية لابن مالك ١/٢٠٥.

و. من العرب من يقول : رأيت رجلاً غضباناً وآخر سكراناً، وغصناً ريّاناً، وإناءً ملآناً .....إلخ، لأنهم يقولون للمؤنثة : غضبانة وسكرانة وملآنة، وتنسب هذه اللهجة لبني أسد[1]. فجعلوا التنوين قرينة على (فعلان) الذي مؤنثه (فَعْلانة)، وأما من يؤنثه على (فَعْلى) فلا ينوّن[2].

ز. قال الله تعالى ﴿ إنا أعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا وسعيراً﴾[3] وقال تعالى : ﴿وأكواب كانت قواريرا﴾[4] قرئت هاتان الكلمتان في الآيتين بالتنوين وبحذفه، فخُرِّج تنوينهما على أوجه، منها أن هذا الإجراء لغة لكثير من العرب في صرف ما لا ينصرف، فتنوينهما قرينة على تلك اللغة[5]، وقد حكاها الكسائي عن العرب[6] وخُرِّج على هذه اللهجة أيضا تنوين (يغوث) و(يعوق) في قول الله تعالى ﴿ولا يَغوثَ ويَعوقَ ونَسْرًا﴾[7] حيث قرئ بتنوينهما في بعض القراءات الشواذ[8].

سابعًا : وظائف تعيينية (تنكيرية)

تقدم عند شرح تنوين التنكير بيان وجه كون التنوين يدل على التنكير، وهذا هو الشائع في أكثر الكلمات العربية، وإذا دل على التنكير في كلمة كان سلبه منها قرينة على التعريف، لأنه يتبادل المواقع - حينئذٍ - مع علامات التعريف، كالألف واللام، والتعيين في النداء، والإضافة، فبان بذلك أن التنوين قرينة صوتية ذات وظائف نحوية تعيينية، لأثره الظاهر في التعريف وسلبه، ولا يظهر ذلك إلا في الاستعمال اللغوي، الذي يتم فيه التوزيع التقابلي للفونيمات الوظيفية في التركيب، لأن المعتبر في المعرفة التعيين

---

1) شرح الكافية الشافية ١٤٤١/٣.
٢) انظر سيبويه ٢٠٥/٣.
٣) سورة الإنسان (٤).
٤) سورة الإنسان(١٥).
٥) انظر : معاني القرآن للفراء ٢١٤/٣، والبيان للأنباري ٤٨٠/٢-٤٨١، والبحر المحيط ٣٦٠/١٠.
٦) البحر المحيط ٢٨٦/١٠، وانظر معاني الفراء ١٨٩/٣.
٧) سورة نوح (٢٣).
٨) انظر : إعراب القراءات الشواذ للعكبري ٦٢٣/٢، ومختصر شواذ القرآن لابن خالويه ١٦٣.

بعد الاستعمال[١]، وأما قبل الاستعمال فالمعرفة كالنكرة من جهة التعدد، والشيوع فيما وضعت له [٢]. ومن ثم يُلحظ أنه لا فرق بين تنوين نحو(زيدٍ) وتنوين نحو(رجلٍ) مجردين من التركيب، لصدق (زيد) على كل من تسمى بهذا الاسم، وصدق (رجل) على كل الرجال، ولكن التركيب يفرق بين (زيدٍ) و(زيدٍ) في نحو: جاء زيدٌ ومعه زيدٌ آخر، فتنوين الأول للتمكين فقط، وتنوين الثاني للتمكين والتنكير، والوظيفة التركيبية هي المُحَتّمَةُ لهذا الفرق، كما يفرق بين (رجل) و(رجل) في نحو: هذا رجلٌ ابنُ رجلٍ[٣]، لأن الأول معيّن بالإشارة إليه، فتنوينه ليس بتنوين تنكير، ولكنه للتمكين، والثاني تنوينه للتنكير والتمكين معًا[٤]، وقد مضى بيان المعنى المختار للتمكين في الفصل الأول من هذا الباب، وهو المعنى الذي تُجرى عليه جميع التطبيقات في هذا الكتاب.

أ. يفرق بقرينة التنوين بين المنادى النكرة والمعرفة، كما يفرق بين المبني والمعرب من الغايات الملازمة للإضافة، وسر ذلك أن الاسم الملازم للإضافة يطول بالمضاف إليه، فإذا قطع عن الإضافة عوّض التنوين، فيكون التنوين بمنزلة المضاف إليه، لأن الاسم يطول به ويكمل، كما يطول بالمضاف إليه، فيقال: ابدأ بهذا قبلاً وبعداً [٥]، فإذا قطع عن الإضافة لفظًا مع نية المعنى بُني فمنع التنوين، لأنه حينئذٍ يصير كالمعرفة، لاستغنائه عن المضاف إليه [٦]، وكذلك المنادى يكون معرفة ونكرة بالتنوين وعدمه، نحو: يا زيدُ، ويا رجلُ، فهذا معرفة، ونحو: يا رجلاً، ويا ذاهبًا، وهذا نكرة، لأن التنوين نائب عما كان يستحقه من الإضافة، وأما نحو: يا زيدُ، ويا رجلُ، فتعيينه بالنداء يكفي عن الإضافة، ولا يحتاج لشيء يطول به[٧].

---

١) انظر: شرح الحدود النحوية للفاكهي ٢٩٤.
٢) شرح الحدود النحوية ٢٩٣-٢٩٤.
٣) انظر: سيبويه ٣/٥٠٨.
٤) انظر: الكناش ٢/١٢٤.
٥) سيبويه ٢/١٩٩.
٦) السابق مع شرح المفصل لابن يعيش ٢/٢٥٢.
٧) انظر سيبويه ٢/١٩٩.

قال سيبويه : " وقال الخليل رحمه الله : إذا أردت النكرة فوصفت أو لم تصف فهذه منصوبة، لأن التنوين لحقها فطالت، فَجُعلتْ بمنزلة المضاف لما طال نُصب ورُدّ إلى الأصل، كما فُعِل ذلك بـ(قَبْل وبَعْد). وزعموا أن بعض العرب يصرف (قَبْلاً وبعدًا) فيقول : ابدأ بهذا قبلا. فكأنه جعلها نكرة "[1]

ب. إذا قيل : لقيتُ أحمدًا، (بالتنوين) فإنه يعني أيّ شخص يسمى بهذا الاسم دون تعيين، وإذا قيل : لقيت أحمدَ، (بدون تنوين) فإنه يعني أنه لقي الرجل الذي يسمى أحمد، وبينه وبين المخاطب عهدُ متقدم فيه، فالتنوين هو الذي فرّق بين هاتين الوظيفتين[2].

ج. إذا لحق التنوين صوتًا من الأصوات المحكية، أو كلمة مبنية أخرى دل ذلك على تنكيرها، أو تعميمها : فيقال عند التنكير : مررت بسيبويهٍ وعمرويهٍ، وعند التعميم : إيهٍ وغاقٍ غاقٍ، وصهٍ، وحيَّهَلاً، وإيهًا، وأفٍّ، وواهًا، ......وإذا حذف تنوين شيء منها دل على التعيين والتعريف[3].

د. تعريف العَلَم بالوضع، فأما اللفظ فمثل لفظ النكرة [4]، ومن ثم ينقلب نكرة إذا وصف بنكرة، أو أضيف إلى نكرة، وفي هذه الحال يصحبه التنوين الدال على التنكير، نحو : هذا عثمانٌ آخر، وهذا زيدٌ منطلقٌ، والمراد مسمّى بهذا الاسم، وليس المراد (زيدًا) بعينه، فهو بمثابة أن يقال : هذا رجلٌ منطلقٌ[5]، ونحوه : هذا زيدٌ ابن رجلٍ كريمٍ، وهذا زيدُ رجلٍ[6]، فالموصوف بالنكرة والمضاف إلى نكرة كلاهما نكرة، والقرينة في كلّ هي التنوين، تنوين الموصوف، وتنوين المضاف إليه.

---

١) سيبويه٢/١٩٩.

٢) انظر : سر صناعة الإعراب ٢/٤٩٣–٤٩٤.

٣) انظر : سيبويه ٢/١٩٩، والمقتضب ٣/١٨١، ٢٢٣، وسر صناعة الإعراب ٢/٤٩٤–٤٩٥.

٤) اللباب للعكبري ١/٧٧.

٥) سيبويه ٢/٩٧.

٦) سيبويه ٣/٥٠٧–٥٠٨.

هـ : قال الله تعالى ﴿فلا تقل لهما أفٍّ﴾[1] وقال تعالى : ﴿هيهات هيهات لما تُوعَدُونَ﴾[2] قرئت هاتان الكلمتان (أفّ) و(هيهات) بالتنوين وبغيره، إلا أن تنوين (هيهات) في غير السبعة[3]، وهما مبنيتان ولكن تنوينهما دليل على إرادة التعميم والتنكير، فيكون معنى (هيهاتٍ) بعداً بعداً لما توعَدون، وبغير تنوينه : البعدَ البعدَ لما توعَدون، وإنما بني لأنه خالفة، وليس مشتقاً من فعل ما، والخوالف يفرق بين تنكيرها وتعريفها بالتنوين وعدمه[4]، ومثله (أفّ) بمعنى أتضجر، فكأنه قال : ولا يكن منك تضَجُّرٌ لهما، أو : ولا تُصدر صوتاً من هذا النوع لهما، ونحو ذلك مما يفسر عموم المعنى وتنكير اللفظ [5]، قال أبوعلي القيسي : " ومن نوّن اعتقد تنكيرها، وتصوّر معنى المصدر النكرة، وكأنه قال : بعداً بعداً، ومن لم ينوّن اعتقد تعريفها، وتصور معنى المصدر المعرفة، كأنه قال: البعدَ البعدَ، فجعل التنوين دليل التنكير، وعدمه دليل التعريف " [6]

ثامناً : وظائف صرفية

إذا كان الصرف ـ أو التصريف ـ يطلق على ما يعرض للحروف الأصول من التغيير، بالزيادة أو النقص[7]، أو نحو ذلك من ضروب التغيير، على حسب الوظائف المتنوعة للأبنية، فإن التنوين يعد من اللواحق الصوتية التي إذا زيد بها المبنى صارت له دلالات على المستوى التركيبي الوظيفي لم تكن له قبل،

---

1) سورة الإسراء (٢٣)، ووردت الكلمة نفسها في سورة الأنبياء (٦٧) وفي سورة الأحقاف (١٧).

2) سورة المؤمنون (٣٦).

3) انظر : السبعة ٣٧٩، المحتسب ١/١٨، ٩٠، والدر المصون ٧/٣٤٢، ٨/٣٨٥.

4) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤/١٢، والكشاف ٣/٤٧، والدر المصون ٨/٣٣٦.

5) انظر : الكشف لمكي ٢/٤٤.

6) إيضاح شواهد الإيضاح لأبي علي الحسن بن عبد الله القيسي ١/١٩٣، تحقيق محمد بن حمود الدعجاني، ط١، ١٤٠٨هـ دار الغرب الإسلامي ـ لبنان.

7) شرح التصريف الملوكي لابن يعيش ١٨، وشرح مختصر التصريف العزي ٢٥.

وثمة معانٍ صرفية عامة ودلالاتٌ تستفاد من الكلمة المنونة، التي من شأنها التنوين، منها :

١. الدلالة على التمام والاستغناء عن مركب إضافي.
٢. أن الكلمة معربة غير مبنية (غالبًا).
٣. الاسمية.
٤. عدم قبول الألف واللام .
٥. أنها منصرفة .
٦. الدلالة على التمكن (غالبًا) .
٧. كونها نكرة إن لم تكن عَلَما.[1]

هذه وظائف صرفية عامة يدل عليها فونيم التنوين، باعتباره فونيما استبداليًا، تتغير الدلالة بحذفه، أو استبداله، والمستوى التركيبي مرتبط بالمعاني الصرفية، إذ لا يتم التركيب إلا على أساس التكوين الصرفي والفونولوجي، وعلى أساس ذلك تكون الوظيفة الإبلاغية في الكلام.

ومن يتتبع الوظائف التفصيلية للتنوين على المستوى النحوي الصرفي يجد كثرة دورانها في اللغة العربية، كالدلالة على التذكير والتأنيث في بعض الأسماء المقصورة، والزيادة وعدمها، والحذف، وتغيّر الصيغة الصرفية ......إلخ.

ومن الأمثلة التطبيقية على ذلك :

أ. إذا نوّن (فُعْلان) ـ بضم الفاء ـ أو(فِعلان) ـ بكسر الفاء ـ أو(فَعِلان) ـ بفتح الفاء مع كسر العين ـ دلّ التنوين على أصالة الألف والنون، وعدم زيادتهما، نحو: سِرْحانٍ ـ عُرْيانٍ ـ إنسانٍ ـ ظَرِبانٍ ـ حَسانٍ، خُسْرانٍ .....إلخ[2].

ب. يتبادل التنوين الموقع مع لام الكلمة إن كانت الكلمة معتلة اللام، وهو المسمى تنوين العوض عن حرف ـ كما تقدم في الفصل الأول من

---

١) انظر لهذه المعاني : سر صناعة الإعراب : ٢/٤٩٣، ٥٠٣، والخصائص ٣/٦٢، ٦٥، وأمالي السهيلي ٣٩. و مجلة معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى / العدد الأول ص ١٠٩–١١٣.
٢) انظر : سيبويه ٣/٢١٧–٢١٨، وما لا ينصرف ٤٧–٤٩، وشرح المفصل لابن يعيش ١/١٣١.

هذا الباب . وهذه وظيفة صرفية، تتعلق بمبنى الكلمة من جهة التغيير بالحذف، فيقال : جوارٍ وغواشٍ وعوادٍ وليالٍ وقاضٍ وراعٍ وعالٍ، وعصًا وهدًى ومصطفًى ومقتفٍ ......والأصل : جواري وغواشي وعوادي وليالي وقاضي وراعي ....إلخ، فالتنوين عوض عن نقص البناء، على ما تقدم في بيان وجه التعويض هنا، كما تقدم توجيه هذه التسمية مع كون التنوين جيء به لوظيفة سياقية .

وقد يكون عوَضًا عن حرف محذوف في الحشو، ومما ورد من ذلك : قول العرب في:(ذَلاذِل وجَنادِل): ذَلَذِل وجَنَدِل، وهو وزن ممنوع من الصرف، فلما حذفت ألفه ونقص بناؤه نوّن، فصار التنوين علَمًا لهذا الحذف[1].

ج. إذا اجتمع التنوين مع همزة الوصل وجب إسقاط الهمزة في الوصل، وتحريك التنوين بالكسر[2]، نحو: زيدُنِنْطلَقَ، ورأيت بابَنِنْفتح، وكنت مع سعيدِنِبْني، وأصل الكلام : زيدٌ انطلق، وبابًا انفتح، وسعيدٍ ابني، قال الله تعالى ﴿ ونادى نوحٌ ابنه﴾[3] و قال تعالى ﴿لِمَ تعظون قومًا الله مُهلِكُهم﴾[4] والشواهد على هذا لا تحصى كثرةً .

* وإذا وقع بعد التنوين همزة قطع جاز نقل حركتها إلى التنوين ثم حذف الهمزة، نحو: بكرُنَبوك، وصالحُنَخوك، والأصل : بكرٌ أبوك، وصالحٌ أخوك[5]، وقرئ بذلك في قراءة ورش عن نافع، نحو

---

١) انظر : سيبويه ٣ /٢٢٨، وسر صناعة الإعراب ٣٣٧/١. الذَّلاذِل : أسافل القميص الطويل التي تلي الأرض منه . والجنادل : الأماكن الغليظة ذات الحجارة من الأرض (اللسان : ذلل ، جندل).

٢) انظر : سر صناعة الإعراب ٢/ ٤٩٠-٤٩١، وشرح المفصل ٤ /١٣٧، والنشر ٤٠٨/١.

٣) سورة هود(٤٢).

٤) سورة الأعراف (١٦٤).

٥) انظر : سر صناعة الإعراب ٢/ ٤٩٠-٤٩١، وشرح المفصل ٤ /١٣٧، والنشر ٤٠٨/١.

قول الله تعالى ﴿ ومتاعٌ الى حينٍ﴾[1]وقول الله تعالى: ﴿وكلَّ شيءٍ احصيناه﴾[2] .

ومثل ذلك إدغام التنوين في اللام بعد حذف همزة الوصل، كما في قول الله تعالى ﴿وأنه أهلك عاداً الأولى﴾[3] فقد قرأها ورش هكذا :

﴿عادَ لُّولى﴾[4]، فقد ظهر بذلك تأثير التنوين في المبنى من جهة نقل الحركات،

وتحريك الساكن، وإدغام المظهر، وحذف الحرف أو الحركة، وتغيير الصيغة الصرفية تبعًا لذلك .

د ــ يفرق بين المؤنث والمذكر من الأسماء المقصورة بالتنوين، فالمنون مذكر، والذي لا ينوّن مؤنث، لأنه ممنوع من الصرف، وذلك أن كل ما كان على وزن (فُعْلى) أو (فَعْلى) أو (فِعْلى) بفتح الفاء أو بكسرها أو ضمها، لا ينوّن إذا أُريد به مؤنث، نحو : أنثى . أخرى . رُجعى . دُنيا . ذِكرى . ضِيزى . سَلمى . سلوى . ريّا . سكرى . غَضبى . تقوى.....وما ينوّن نحو : حَبنطًى (للعظيم البطن) وقبعثرًى، وأرطًى . ومِعزًى ...إلخ[5].

* ومن هذه الوظيفة النحوية على المستوى الصرفي قراءة مَنْ قرأ مِنَ السبعة بتنوين كلمة (سبأ) في قول الله تعالى ﴿ وجئتك من سَبإٍ بنبإٍ يقينٍ﴾[6] على أنه مذكر اللفظ، واسمٌ للبلد أو الحيّ، أو اسم لرجل، ومن ثَمَّ نُوّن، لأنه مذكر سمي به مذكر[7]، فهذه ونحوها كلها وظائف صرفية على المستوى النحوي العام .

---

١) سورة البقرة(٣٦) وسورة الأعراف(٢٤) وسورة الأنبياء (١١١).

٢) سورة يس(١٢).

٣) سورة النجم(٥٠).

٤) انظر : انظر النشر ١/٤٠٨، ٤١٠.

٥) انظر : سيبويه ٣ /٢٠٥-٢٠٦، ومالا ينصرف ٣٤-٤٠.

٦) سورة النمل (٢٢).

٧) انظر : حجة القراءات لابن زنجلة ٥٢٥، والبحر المحيط ٨ /٢٢٥.

* ومنها ما يدل فيه التنوين على هذه الوظيفة مع التنكير، كقول الله تعالى ﴿إنك بالوادي المقدس طُوىً﴾[1] قرئ "طوى" بالتنوين وغيره، فالتنوين دليل على التذكير، بمعنى المكان، أو على إرادة التنكير وليس ممنوعًا من الصرف، وعدم التنوين دليل على التأنيث والتعريف، وأن المراد البقعة، فهو ممنوع من الصرف، وهو في كِلاَ الوجهين بدل من (الوادي المقدس)[2]

تاسعا : وظائف صوتية (فونولوجية)

يأتي التنوين في التركيب لأداء وظيفة صوتية، ذات أهمية على المستوى الفونولوجي، بدليل فواتها والإخلال الصوتي في التركيب بحذف التنوين، أو باستبداله، ويكون ذلك على أضرب متنوعة :

أ ـ فمنها مجيء التنوين لمراعاة الفاصلة، وتحقيق الانسجام الصوتي، كما في قول الله تعالى ﴿ إنا أعتدنا للكافرين سلاسلاً، وأغلالاً وسعيرًا﴾[3] وقوله تعالى : ﴿وأكواب كانت قواريرًا، قواريرًا من فضة﴾[4] فمن القراء السبعة من قرأ هاتين الآيتين بتنوين كلمتي (سلاسلٍ) و(قوارير) [5] مع كونهما ممنوعتين من الصرف، كما هو شأن ما كان على وزنهما من الجموع، فمن الأوجه التي حملت عليها هذه القراءة : التناسب الصوتي، بمعنى أن كلمة (سلاسلا) نونت لتجانس كلمتي (أغلالاً وسعيرًا) المنونتين، وكلمة (قواريرًا) الأولى نونت لتناسب فواصل السورة، فكلها كذلك، ونوّنت الثانية لتجانس الأولى صوتيا، مراعاةً للنظير والتوافق الصوتي[6].

---

1) سورة طه (١٢).

2) انظر : السبعة ٤١٧، ومشكل إعراب القرآن ٤٦٢/٢، والتبيان ٨٨٦/٢، والبحر المحيط ٣١٦/٧، وإعراب القراءات الشواذ ٦٦/٢.

3) سورة الإنسان (٤).

4) سورة الإنسان(١٥، ١٦).

5) السبعة : ٦٦٣-٦٦٤.

6) انظر : البحر المحيط ٣٦٥/١٠، ومغني اللبيب ٦٨٤/٢، و(التناسب في النحو) مقال في مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز / العدد الثاني صـ ٢٦٥-٢٦٦.

ويرى الدكتور سمير استيتية أن دعوى التناسب هذه لا وجه لها في قراءة من قرأ بتنوين هاتين الكلمتين، وردّ افتراض كون التنوين للمحافظة على تناسب رؤوس الآي، بأن التنوين لا يوقف عليه أصلاً[1]. هذا فحوى كلامه.

ومن المعلوم بالضرورة أن مثل هذه الظواهر الصوتية لا وجه فيها للتأويل والإنكار، لأنها ظواهر واقعة على الحقيقة، والنطق يفرضها، والحس يدركها، فلا يمكن ردها، لأنها لا تخضع لمقاييس واستنباطات عقلية. فمن تأملها بثاقب النظر رده الطبع إلى الإقرار بها، ومن الجلي أن تنوين (قوارير) الأولى - وهي رأس آية - يناسب رؤوس آيات السورة، والتنوين لا يظهر في الوقف و لكن يظهر به الانسجام الصوتي من جهة محافظته على الحركة الموقوف عليها، وهي الفتحة، فلولا التنوين لحذفت هذه الحركة عند الوقف، وهذه الوظيفة الصوتية هي التي ساوت الراء الموقوف عليها في (قواريرا) بالراء في: قديرًا. قمطريرا. تقديرا ....إلخ، من جهة كونها مفتوحة موقوفا عليها.

ويكون تنوين (قواريرًا) الثانية لمناسبة الأولى، وقف على الأولى أم لم يوقف، للمحافظة على الوظيفة الصوتية، وهي التوافق الصوتي، ولأجل المحافظة على الوظيفة الإعرابية، وهي إقرار الحركة الإعرابية وحمايتها من الحذف عند الوقف، لأن التنوين لا يلي إلا حركة قصيرة، ولو حذف هنا لجاز الوقف بالسكون، فتفوت هذه الوظيفة، ومن ثم علل جمع من القدماء والمحدثين هذا التنوين في هذه الآية بإرادة التناسب الصوتي[2].

---

١) "رؤية جديدة في تفسير التنوين" ضمن مجلة جامعة الملك سعود ٥/١٢٥-١٢٦.

٢) انظر مع ما سبق في الحاشية(٦): حجة القراءات لابن زنجلة ٧٣٨-٧٣٩، و(قضية المجاورة في الدراسة النحوية والتصريفية) مقال للدكتور رشيد رزق الطويل ضمن مجلة (اقرأ) - بحوث لغوية وأدبية- جامعة أم القرى صـ٨٨، عدد ١٤٠٦/هـ. و: النحو العربي نقد وبناء، للسمرائي صـ٢٠٣.

• ومن هذا النوع تنوين كلمة (سبإ) ـ السابقة ـ في قول الله تعالى: ﴿وجئتك من سبإٍ بنبإٍ يقين﴾[1] فمن الأوجه التي يمكن حمل هذا التنوين عليها أنه لأجل محاذاة ما بعده من التنوين [2]، ولا خفاء في هذا، لتوالي ثلاث كلمات منونات، ولا منافاة بين هذا التفسير وما سواه مما تقدم وغيره، لأن المناسبة الصوتية متحققة مع جميع الأوجه.

ب ـ ويأتي التنوين مكملا للتفعيلة في قافية البيت، أو مكملا لآخر تفعيلة من الشطر الأول، نحو قول امرئ القيس في مطلع معلقته:

*قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزلٍ *

ومنه بعض الروايات لقوله:

فبتنا تحيدُ الوحش عنا كأننا   قتيلان لم يعلم لنا الناس مصرعَنْ[3]

ولقول جرير:

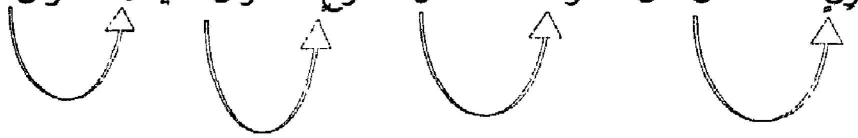
متى كان الخيام بذي طلوح   سقيتِ الغيثَ أيتها الخيامُنْ[4]

هكذا تروى هذه الأبيات في بعض كتب النحو، ويستشهد بها على هذا النوع من التنوين[5]، والتنوين ـ كما هو ظاهر ـ هنا مكمل للتفعيلة، وهذه وظيفة صوتية (فونولوجية) خاصة بالشعر، والرسم البياني الآتي يوضح ذلك:

---

1) سورة النمل (٢٢).
2) انظر: حجة القراءات لابن زنجلة ٥٢٥، والسبعة ٤٨٠، والبحر المحيط ٨/٢٢٦، وموسيقى اللغة ٥٣.
3) بيت من الطويل، ديوان امرئ القيس ص١٣١. وفيه: فبتنا تصد ....مصرعا.
4) بيت من الوافر، ديوان جرير ص٣٨٥، ط١، ١٤٠٦هـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
5) انظر: سر صناعة الإعراب ٢/٤٧٩، ٥٠٢، والخصائص ١/٧٠، وشرح المفصل ٤/١٣٤-١٣٥.

ومنزلٍ = مفاعلنْ، سُ مصرعًا = مفاعلنْ، طلوحٍ = فعولنْ، خيامٌ = فعولنْ .



فالتنوين في كل هذا جيء به لإتمام الوزن، وتوفية التفعيلة، فهو بمنزلة حرف الإطلاق، وحروف الوصل، وقد يؤدي التنوين هذه الوظيفة في حشو البيت الشعري : كقول الأغلب العجلي :

جاريةٌ من قَيْسٍ ابْن ثعلبهْ كأنها حِلْيةُ سيفٍ مُذْهَبَهْ(1)

فالتنوين في (قيسٍ) بمنزلة اللام من (مستفعلن) وحرك لالتقاء الساكنين :

من قيسنبْ = مستفعلن، وقال الحطيئة :



وإلا يكن مال يُثاب فإنه سيأتي ثنائي زيدًا بْنَ مهلْهِلٍ(2)

التنوين في قوله : (زيدًا) بمنزلة العين من (فعول) لأن : دَنبْنَ = فعول .



والشواهد من هذا النوع كثيرة جدًا في الشعر العربي، لأن الشعراء كثيرًا ما يضطرون إلى تنوين ما لا ينوّن لأجل إتمام الوزن، وإقامة القافية وإكمال التفعيلة، قال ابن يعيش :" وهو من أحسن الضرورات "(3).

ج. ومن الوظائف الصوتية للتنوين : المحافظة على الصوت، لينشغل به المتكلم، ويحافظ على المستوى الإبلاغي الموجه للمخاطب، وذلك عند التذكّر، إذا كان المتذكَر يلي منوّنًا . وقد سبق شرحه في الوظائف

---

1) انظر : سيبويه ٣ /٥٠٦، والمقتضب ٢ /٣١٣، والبيت من الرجز.

2) بيت من الطويل ، ديوانه ص٣٠٢، وانظر : سر صناعة الإعراب ٢ /٥٣١.

3) شرح المفصل ١٣٢/١، وانظر : سيبويه ٣ /٥٠٥، والموضع السابق من سر الصناعة .

الأسلوبية ـ نحو: هذا كتابُنِيـ...مفيد، و: رأيتُ زيْدَنِيـ...بْنَ عليّ[1]، فإن الوظيفة التي يؤديها مد التذكر هنا مرتبطة بالتنوين وحركته التي يتبعها.

د. ومن الوظائف الصوتية للتنوين ما يسمى بالترنم، أو ترك الترنم، فإنما يُجاء بهذا النوع من التنوين ـ أو النون الشبيهة بالتنوين ـ لأجل إعطاء تلوين صوتي لموسيقى الكلام، وهو خاص بالقوافي الشعرية في الغالب، بدلا من حرف الإطلاق، ومن أمثلته الشائعة قول جرير:

أقلّي اللومَ عاذلَ والعتابَنْ وقولي إن أصبتُ لقد أصابَنْ[2]

وقول النابغة الذبياني:

أزِفَ الترحُّلُ غير أن ركابنا لمّا تزل برحالنا وكأنْ قدِنْ[3]

هكذا يرويهما من يستشهد بهما على هذا النوع من التنوين[4]، والمقصود هنا أن هذا التنوين جيء به ـ حسب هذا الإنشاد ـ مكان حرف الوصل، لأجل تنغيم الصوت، وتغيير نمط الترنيم الذي يكون بحرف الإطلاق.

وقد ورد في النثر ـ أيضا ـ في بعض القراءات لقول الله تعالى ﴿والفجر، وليالٍ عشرٍ، والشفع والوتر، والليل إذا يَسرْ﴾[5] بتنوين: (الفجر)، و(الوتر)، و(يَسرْ) في قراءة مروية عن أبي الدينار الأعرابي، وجماعة غيره[6]، لأنه تنوين وظيفته صوتية، فيدخل في الأفعال والحروف، وفيما فيه الألف واللام،

---

1) انظر: الكناش ١/١٣٧، وشرح المفصل ٤/١٦١.

٢) بيت من الوافر، ديوانه ص٥٧. و(عاذل) ترخيم عاذلة، أي يا عاذلة، من العذل وهو اللوم والعتاب.

٣) بيت من الكامل، ديوانه ص٣٠. و(أزِفَ) بمعنى قَرُبَ.

٤) انظر: شرح المفصل ٤/١٣٥، والكناش ١٢٥، والمغني ١/٣٣٨، وحاشية الخضري على شرح ابن عقيل ١/٣٩–٤٠.

٥) سورة الفجر(١–٤).

٦) انظر: مختصر ابن خالويه في شواذ القرآن ١٧٣، والبحر المحيط ١٠/٤٦٩وإعراب القراءات الشواذ للعكبري ٢/٧٠٦، والدر المصون ١٠/٧٧٨.

إذ الغرض منه كفّ حركة الإطلاق، وتوحيد صوت الكلمات الموقوف عليها، بإلحاق غنة بأواخرهن، وليس ذلك خاصًا بنوع من أنواع الكلمة دون غيره، ومن ثم خالف سائر أنواع التنوين المختصة بالأسماء. قال أبو حيان: "وهذا ذكره النحويون في القوافي المطلقة إذا لم يترنم الشاعر، **وهو أحد الوجهين اللذين للعرب إذا وقفوا على الكلم في الكلام لا في الشعر**، وهذا الأعرابي أجرى الفواصل مجرى القوافي"[1].

ومن هذا النوع: التنوين الذي يقال له التنوين الغالي، أي الزائد على الوزن، وهو اللاحق للقوافي المقيدة[2]، ولا فرق بينهما، من جهة الوظيفة الصوتية الفونولوجية[3]، ويروي عليه النحويون قول رؤبة:

وقاتمِ الأعماقِ خاوي المُخْتَرَقْ مُشْتَبَهِ الأعلامِ لمّاعِ الخَفَقْ[4]

ينشدونه: المخترقِنْ ــ الخَفَقِنْ[5]، فهذا كالأول في كون الداعي إليه إرادة التنويع في الترنم، والتلوين الصوتي، أو أن يكون الصوت المقيد بالسكون مطلقًا بالغنة، لأن الصوت في الغنة يمتد ويلين، كما هو شأن حرف المد.

---

١) البحر المحيط ١٠/٤٦٩.

٢) أنظر ما يأتي في (٥).

٣) وهو رأي ابن يعيش، انظر شرح المفصل في الموضع السابق.

٤) ديوان رؤبة ص١٠٤، نشر مكتبة ابن قتيبة - الكويت. و(قاتم الأعماق) معناه مظلم الأعماق، وهي الداخل.

٥) شرح المفصل ٤/١٣٥، والكناش ١٢٥، والمغني ١/٣٣٨، وحاشية الخضري على شرح ابن عقيل ١/٣٩-٤٠.

الباب الثالث

قرينة الوقــف

الفصل الأول

أحكام الوقف الصوتية وأنواعه

أ ـ أهمية الوقف في اللُّغَة :

الكلام سلسلة متصلة الأجزاء، وكل جزء منها يتأثر معنًى بما قبله وما بعده، وذلك التأثر ناشئ عن النظام التركيبي للسلسلة الكلامية، والفصل بين أجزاء هذه السلسلة يكوّن حدودًا فونولوجية فوق القِطعية، داخل التيار الصوتي المستمر[1]، فتستقل كل قطعة في نهاية الحد بمعناها، استقلالا كاملا أو جزئيا، فإذا جاء تقسيمها وفق الوظائف المعنية للمتكلمين أو المخاطبين، كان لها الحظ الأوفر في الدلالة الكلامية على الأغراض، والنصيب الوافي في الفصاحة .

ولقد عبر علماء العربية عن أهمية الوقف بما يساويه بسائر القرائن الصوتية الوظيفية الأخرى، القطعية وفوق القطعية، ولحظوا أثره الواضح في فهم معاني النصوص، ومن عباراتهم في ذلك قول ابن الأنباري : " ومن تمام معرفة إعراب القرآن ومعانيه وغريبه، معرفة الوقف والابتداء فيه "[2]. و قول النكزاوي : " باب الوقف عظيم القدر جليل الخطر، لأنه لا يتأتّى لأحد معرفة معاني القرآن، ولا استنباط الأدلة الشرعية منه إلا بمعرفة الفواصل ...."[3].

وتعددت عبارات علماء العربية والدراسات القرآنية في بيان أهمية الوقف، بما يدل على إدراكهم لما يمثله من علوّ شأن، كقول الزركشي فيه: " وهو فنّ جليل، وبه يُعرف كيف أداء القرآن، ويترتب على ذلك فوائد كثيرة، واستنباطات غزيرة، وبه تتبيّن معاني الآيات، ويؤمَنُ من الوقوع في

---

١) انظر : في الصواتة الزمنية لمبارك حنون ، ١٠٤، ١١٤.

٢) إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ١٠٨/١، تحقيق محيي الدين عبد الرحمن ، دمشق ١٣٩٠هـ .

٣) من كلام العلامة عبد الله بن محمد النكزاوي المتوفى سنة ٦٨٣هـ كما في كتابه : الاقتداء في معرفة الوقف والابتداء ص١٩٨، تحقيق مسعود أحمد ، (مخطوط) وانظر الإتقان للسيوطي ٢٥٩/١.

المشكلات"[1]. ونقل هو وغيره من العلماء في هذا المجال آثارًا عن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته، وعن متقدمي علماء العربية، مثل ما روي عنه صلى الله عليه وسلم من أنه كان يقطع قراءته آية آية، ويقف على رؤوس الآيات، وأن قراءته مفسرة حرفًا حرفًا، ومنها ما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما أنهم كانوا يُعَلَّمون ما ينبغي أن يوقف عنده، كما يتعلمون القرآن[2].

وكذلك اهتم المحدثون بالوقف وعبروا عن أهميته ودوره المتميز في فهم الكلام، كقول بعضهم: " إن للتلوين الموسيقي للكلام المنطوق - متمثلا في السكتة والوقفة، وما يصاحبهما من نغمات مختلفات - دورا فاعلا في تصنيف الجمل والعبارات، وتوجيه إعرابها "[3].

ويكفي أن ينظر إلى كتاب الله الذي هو قمة الفصاحة ورأس البلاغة، لإدراك أهمية الوقف في اللغة، فإن جمله مفصولة بالوقوف، ومعانيه بها مبيَّنَة، وأداءه الصوتي موسوم بها، ونظامه التركيبي مفسر بالوقوف الراسمة لحدوده، ومن ثم لا يحسن أداءه إلا من يتميز بمعرفة تامة بالوقف[4]، والسبب في ذلك أن اللغة ليست أصواتًا تؤدى كيفما اتفق، بل أصواتٌ تؤدى كيفما يجب، لما وضعت له من معانٍ ومقاصد تنتظم بمقاطعها وفواصلها.

ومما يبرز أهمية الوقف في اللغة ما نجده في العربية من الاهتمام بالفواصل، كما يظهر من ختم مقاطع الجمل بحرف واحد، أو أحرف متجانسة، وهو ما يعرف بالسجع، لأجل بيان نهايات الجمل، ومبتدآت

---

١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٣٤٢/١، تحقيق محمد أبو الفضل، دار المعرفة، بيروت. (بتصرف يسير).

٢) انظر الموضع السابق من البرهان، و: القطع والائتناف لأبي جعفر النحاس ٢٧-٢٨، تحقيق أحمد فريد المزيدي، ط١، ١٤٢٣هـ دار الكتب العلمية - بيروت. و المكتفى في الوقف والابتدا لأبي عمرو الداني ١٣٢، تحقيق يوسف المرعشلي، ط٢، ١٤٠٧هـ مؤسسة الرسالة - بيروت.

٣) علم الأصوات لكمال بشر ٥٦٤.

٤) انظر: لطائف الإشارات ٢٤٩/١.

المعاني الوظيفية المستأنفة، والقرآن الكريم حافل بهذه الظاهرة، كما هو الشأن في سائر النصوص العربية .

ومن الأوجه التي فسرت بها الحروف المقطعة في أوائل بعض سور القرآن، أنها لأجل التنبيه على انقضاء السور وبدايات غيرها، فجعلت هذه الأحرف علامة لانقطاع ما بينهما[1]، كما رأى بعض العلماء أن ذلك هو السبب في كتابة البسملة بين كل سورتين[2].

ووردت في أهمية الوقف ومنزلته في اللغة، وجلال شأنه في الكلام آثار عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وعن صحابته، وعلماء الأمة، غير ما أوردته، ذكرها المصنفون في هذا الفن، فليراجعها من أرادها في الكتب المشار إليها[3]، وقد أفرده كثير بالتأليف، وأدرجوه في كتب تجويد القرآن، وكتب اللغة الأخرى، كما ألفت فيه كتب ورسائل علمية متخصصة في العصر الحديث .

والخلاصة أن الوقف عامل جوهري في التنظيم الزمني للغة[4]، ومكوّن تركيبي مساير للألفاظ وطرق أدائها، يتجسد فيه الزمن أداة تنظيمية تقنينية للأصوات اللغوية، ويمثل بعداً فونولوجيا إنجازيا متحكما في كثير من الوظائف التركيبية في اللغة، ومع كونه يعد من الظواهر التطريزية الفوقِطعية ـ لكونه أحد عناصر التركيب الصوتي فوق البنائي[5]ـ فالمتفحص

---

١) انظر معاني القرآن للأخفش ٢١/١. وفسرت بأوجه أخرى متعددة ، انظر منار الهدى في بيان الوقف والابتدا لأحمد الأشموني ٦٢-٦٣ .طبعة دار الكتب العلمية ببيروت . سنة ١٤٢٢هـ.

٢) منار الهدى ٦٨-٦٩.

٣) انظر على سبيل المثال : القطع والائتناف لأبي جعفر النحاس ٢٧-٣٤، والمكتفى في الوقف والابتدا لأبي عمرو الداني ١٣٠-١٣٥ ، و نظام الأداء في الوقف والابتداء لأبي الأصبغ ابن الطحان الأندلسي ص٢٠، تحقيق علي البواب ، ط١، ١٤٠٦هـ الرياض ، ومنار الهدى للأشموني ٢١-٢٣، والبرهان للزركشي ، والإتقان للسيوطي ، في المواضع السابقة فيهما ، وكتاب النكزاوي (الاقتداء في الوقف والابتداء) ١٦٠-١٦٧و١٩٨وما بعدها .

٤) انظر في الصواتة الزمنية ص٧.

٥) انظر : (علم الأصوات في القرن العشرين) في مجلة عالم الفكر ص٢٩٠.

لأثره يجده لا يقل أهمية عن الفونيمات القطعية التركيبية، كالصوامت والصوائت، في تكوين الأبعاد الفونولوجية، مهما كانت بواعثه ومحدداته، ولعل فيما تقدم عن علماء العربية ما يبين تفطنَهم للمنطلقات الوظيفية للوقف، وإدراكَهم لتشكيله للإطار الفونولوجي الزمني للغة، خلافا لما زعمه بعض المحدَثين من أن الوقف لم يحظ إلا بعناية قليلة عند القدامى والمحدَثين ! وأن أغلب الدراسات الوقفية فشلت في أخذ تعدد التحديد بعين الاعتبار[١]!! فلا يخلو هذا الكلام من بعض المبالغة، ولولا خشية الإطالة لذكرت من أقوالهم وجهودهم أكثر مما تقدم، ولكن فيما يأتي من الدراسة إحالات كثيرة في المجال التطبيقي قد تغني عن ذلك .

ب ـ تعريف الوقف

الوقف في اللغة : ذكر ابن فارس أن الواو والقاف والفاء أصل واحدٌ، يدل على تمَكُّثٍ في شيء ثم يقاس عليه[٢]، وهو مصدر قولك وَقَفْتُ الدابةَ ووقفت الكلمةَ وقفًا، فإذا كان لازمًا قيل : وقفت وقوفًا[٣]، وهذا كله يتلخص معناه في الحبس والكفّ[٤]، **وفي الاصطلاح : " قطع النطق عند إخراج آخر اللفظ "**[٥] أو : **" قطع الكلمة عما بعدها**[٦]، **إن كان بعدها شيء "**[٧] وعبّر عنه بعض العلماء بـ(ترك الحركة)[٨]، وهذا حد غير جامع، لأنه لا يشمل الموقوف عليه بالحركة الطويلة، كالمنصوب المنوّن، نحو : قرأت كتابًا، وسمعت دعاءً، والمعتل، نحو : محمد يدعو، ويصلي، ويسعى .

---

١) انظر : في الصواتة الزمنية ١٦، ٢٨، والمراد بتعدد التحديد : تعدد أسباب الوقف المحددة له ، وهي دواعي قطع الصوت اختياريا أو اضطراريا .

٢) مقاييس اللغة للعلامة أحمد بن فارس ، مادة (وقف) ط١، ١٤٢٢هـ دار إحياء التراث العربي . بيروت، ص١٠٦٢.

٣) تهذيب اللغة للأزهري ، مادة (وقف) ٩/ ٣٣٣.

٤) انظر . مع ما سبق . المصباح المنير للفيومي ٣٤٤، واللسان ٩/ ٣٥٩–٣٦٠ مادة (وقف).

٥) انظر : ارتشاف الضرب ١/ ٣٩٢، وشرح الحدود النحوية للفاكهي ٤١٤.

٦) شرح الشافية للرضي ٢/ ٢٧١، و التعريفات للجرجاني ٣٤٧، تحقيق محمد المرعشلي ط١، ١٤٢٤هـ دار النفائس ، بيروت.

٧) المنح الفكرية ١٧٤.

٨) التحديد للداني ١٦٩، والموضح للقرطبي ٢٠٦.

وانتقده بعضهم أيضًا بأنه لا يشمل الكلمة الساكنة الآخر بناءً، نحو (كَمْ) أو إعرابًا نحو (لم يلدْ)[1]، ولكن يُجاب عنه بأن المراد ترك الحركة من المتحرك، أما غير المتحرك - كالمبني على السكون والمجزوم - فهو في أصله لاحق بالمتروك تحريكه.

والتعريف الذي يكثر دورانه لدى المتأخرين هو قول ابن الجزري: " قطع الصوت على الكلمة زمنًا يُتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة، إما بما يلي الحرف الموقوف عليه أو بما بعده "[2]. قوله: (بنية استئناف القراءة): هذا خاص بالوقف في أثناء القراءة، وأما بعد انتهائها فيكون بنية الإعراض عنها.

ولما كان الوقف فصلا بين الكلمات سمي مكانه فاصلة، أو مَفْصِلا، أو حدًا، ومن ثم أُطلق على المواضع التي نص القراء على الوقوف عليها في القرآن الكريم، فكل موضع منها يسمى وقفا[3]، وبـ(المفصل) يعرف في كثير من الدراسات الحديثة في علم اللغة، فيوصف بـ" أنه إمساكة، أو سكون يفصل بين مجموعة صوتية وأخرى، أو بين كلمة وأخرى "[4]. وكلمة (السكون) الواردة في هذا القول غير دقيقة في تعريف الوقف، وإن كان السكون يُعَدّ أهم وحدة للوقف كما سيرد بعدُ، وعدم الدقة يتمثل في أن المجموعات الصوتية كثيرًا ما يتخللها السكون من غير إرادة للوقف، وقد يوقف بغير السكون.

وقد يُعنى به عند بعض علماء الصوتيات: " البعد الزمني للغة الإنسانية "[5] وهذا عام جدًا؛ لأن البعد الزمني يشمل العمل الكلامي كله، ولا يخص الوقف، وإن كان الوقف - لتعلقه بالمدد التي تتيحها المقاطع الكلامية للناطق، والمدد التي يمكنه الفصل بها بين أجزاء الكلام - من أهم مظاهر

---

1) انظر المنح الفكرية ١٢٧.
2) النشر ١/٢٤٠.
3) انظر: المقصد لتلخيص ما في المرشد لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، في حاشية منار الهدى ص١١.
4) الأصوات اللغوية للخولي ١٦٧، ومعجم علم الأصوات له ١٢٦.
5) في الصواتة الزمنية ٣١.

البعد الزمني للغة، ولذلك ينظرون إليه فيفسرونه في إطار (البحث السلوكي) خلال إنتاج اللغة[١]، فإن من أهم ظواهر السلوك التي ينشأ عنها تأثير فونولوجي في اللغة: محطات الانتهاء والابتداء من خلال التيار الصوتي.

ج - وحْدة الوقف الصوتية ومناسبتها للمعنى

الوحدة الصوتية للوقف - في الغالب - هي السكون، أو إطالة الصوت[٢]. وقد تقدم الحديث عن السكون في الباب الأول - والحركة استمرار والسكون ضده، ومن ثم ناسب أن يكون الموقوف عليه ساكنا، لأن النطق أو إنتاج الصوت لا يكون في حال السكوت، والإمساك عنه هو الوقف والسكون، ومن هاهنا - أيضا - كان من القواعد المقررة في اللغة العربية حذفُ الحركة - غالبًا - عند الانتهاء من القول، ثم الاستئنافُ بها عند الابتداء فيه[٣]، لمناسبة السكون للوقف، والحركة لتركه[٤]، فهذه مناسبة منطقية واضحة، كما قيل: الوقف للاستراحة، وسلب الحركة أبلغ في تحصيل الراحة[٥].

وبعض متقدمي النحويين ربما جعلوا الوقف مرادفا للسكون، فيعبرون عن أحدهما بالآخر[٦]، ولعل هذا ما جعل بعضهم يعرفه بـ(ترك الحركة) - كما تقدم - وكأنهم يريدون أن الحرف الساكن موقوف. وعلل الإمام المالقي تسمية السكون وقفًا فقال: "وكذلك سمي وقفا بمعنى أنك لما انتهيت إلى الحرف نطقت به، ثم وقفت عن تحريكه"[٧] فجعل عدمَ إتباعِ الحركة للحرف سكونًا، وهذا تعليل ضعيف؛ لأن إتباعَ الحرف حركةً غيرُ لازم، والحرف الساكن قد يتلوه حرف متحرك أو ساكن، ولا تتلوه الحركة

---

١) انظر السابق.

٢) انظر: بغية المستفيد لابن بلبان الحنبلي ص٥٢، تحقيق رمزي دمشقية، ط١، ١٤٢٢هـ دار البشائر الإسلامية، بيروت. وجهد المقل ٢٧٦.

٣) انظر على سبيل المثال: التكملة لأبي علي ١٨٧، والخصائص ١/ ٥.

٤) انظر: الموضح للقرطبي ٢٠٦.

٥) المنح الفكرية ١٧٤.

٦) انظر: سيبويه ١/ ١٣–١٥، والمقتضب ١/ ١٤٢.

٧) الدر النثير ٥٧٧–٥٧٨.

ولا يمنع ذلك من تسميته ساكنا، نحو اللام من : المُلْك، والفاء من نفْس ...فالذي يظهر من تسمية هذا وقفا أنهم يعتبرون الحركة التي تعقب الحرف استمرارًا لصوت الحرف نفسه، لأن الحركة لا تستقل بالنطق، وإنما تأتي تابعة للحرف المحرَّك بها، فلما رأوْا الحرف الساكن لايمتد صوته بحركة تليه سموا التصويت به وقفا، أي حين لم يمتد بحركة تُعَدّ ـ في حسبانهم ـ استمرارًا له فقد وقف صوته.

ويغلب على هذه الوحدة أن تكون مصحوبة بنغمة تدل عليها، والغالب كونها نغمة هابطة[1] في الجمل الإنشائية، وربما عُبِّر عن هذه الوحدة الوقفية بـ(الصمت)[2]وهو أظهر في الكلام المسموع .

وأما إطالة الصوت عند الوقف فالمقصود بها الوقف بالحركة الطويلة[3]، لأن إشباع الصوت ومده يقوم مقام الإسكان، بجامع قطع الصوت واستنفاده[4]، ولأن الحركة الطويلة وحدة صوتية منفصلة عما بعدها، تمثل قمة المقطع لما قبلها، كحركة الإطلاق، والمعتل الآخر .

ويُلجأ في العربية أحيانًا إلى اختلاس الحركة الموقوف عليها، بدلا من حذفها أو إشباعها، وهو ما يسمى بالرَّوْم، وإلى تضعيف الحرف الموقوف عليه أيضا، لإعلام المخاطب أن الموقوف عليه متحرك، لأن الحرف المضعف لا يكون آخره إلا متحركًا[5]، **والرَّوْم هو تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظمها، فيسمع لها صُوَيْت خفي**[6]**، ولهذا سمي اختلاسًا**[7].

---

١) انظر علم الأصوات لكمال بشر ٥٥٤-٥٥٥.

٢) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ٢٢٥.

٣) الكناش ٢/١٥٨.

٤) تقدمت مناقشة هذه المسألة في الباب الأول، عند دراسة الحركة الطويلة، وانظر: أبحاث في أصوات العربية لحسام النعيمي ٩٠،٧٤، ط١، ١٩٩٨م، بغداد.

٥) انظر: سيبويه ٤/١٦٨، والتكملة ١٨٨وما بعدها، والتحديد- ١٦٩، والإتقان ١/٢٧٦.

٦) الموضح ٢٠٨ والارتشاف ١/٣٩٢، و القواعد والإشارات للحموي٥١، تحقيق عبد الكريم بكار، ط١، ١٤٠٦هـ دار القلم، دمشق.

٧) سيبويه ٤/٢٠٢، والمنح الفكرية ١٧٥.

د ـ أقسام الوقف من جهة المعنى

المراد هنا تقسيم الوقف بحسب معاني الجمل الموقوف عليها، وارتباطها بما بعدها، وهو التقسيم الفونولوجي، الذي تنتظم به الوظائف وتتميز، وقد تعددت تقسيمات العلماء له من هذه الناحية[1]، ولكن الناظر فيها بتأمل يجدها راجعة إلى أربعة أقسام : **وقف تام** مختار، **وكاف** جائز، **وحسن** مفهوم، **وقبيح** متروك. فهذا التقسيم لا تكاد مفاصل الكلام تخرج عنه، ولذلك اختاره جمهور العلماء المصنفين في هذا الفن، وارتضوا التقعيد عليه [2]، واقتصر عليه بعضهم ؛ لأن المتكلم ينبغي أن يختار الوقف على كل كلام تام غير متعلق بما بعده، ليكون ذلك بيانًا وفصلا له، ولكنه قد ينقطع به النفَس دون التمام فيقف مضطرًا، فهذا متنوع بحسب تعلقه بما بعده[3]، وهذا هو أساس هذا التقسيم، وفيما يلي شرح هذه الأقسام الأربعة :

١. **الوقف التام** : وهو قطع الكلام على كلمة في نهاية المعنى وانقضاء الجملة، كما في نهايات القصص، وانقضاء الموضوع، أو انقضاء حديث ما، ثم الاستئناف بحديث آخر، أو قصة أخرى، ونحو ذلك، وسمي تاما لتمام المعنى عليه، لعدم تعلقه بما بعده لا لفظًا ولا معنًى، كما في خواتيم السور، ونهايات قصص القرآن، وما قبل بدايات الأساليب الإنشائية، ونحو ذلك [4].

٢. **الوقف الكافي** : وهو الوقف على كلام تعلق بما بعده معنًى لا لفظًا، **والمراد بالتعلق المعنوي** : أن يكون الموضوع واحدًا، كالوقف على كلمة

---

١) كتقسيمه إلى تام وأتم وشبيه بالتام ، ثم ناقص وأنقص ، ثم الاضطراري (البرهان ٣٥٩/١) وتقسيمه إلى مختار وجائز وقبيح (نظام الأداء ٢٨) وتقسيمه إلى : صالح ومفهوم وحسن وجائز ......ونحو ذلك (انظر: منار الهدى ٢٤، والمقصد في هامشه ص١٥–١٧) وانظر الاقتداء للنكزاوي ١٩٠–١٩٤.

٢) انظر على سبيل المثال: المكتفى ١٢٨، والتحديد ١٧٤، ونظام الأداء ٢٨، والبرهان للزركشي٣٥٠/١، ٣٥٤، والنشر ٢٢٦/١، والإتقان ٢٥٩/١–٢٦٠ومنار الهدى ٢٥–٢٨، والمقصد في هامشه ص١٥.

٣) انظر : نظام الأداء ٢٩.

٤) انظر : المكتفى ١٤٠، والبرهان ٣٥١/١ ، والاقتداء للنكزاوي ١٩٠–١٩٢.

(يؤمنون) في قول الله تعالى ﴿إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تُنذِرْهم لا يؤمنون﴾[١] والاستئناف بقوله تعالى﴿ختم الله على قلوبهم ﴾[٢] فالمعنيّ بالموقوف عليه والمبدوء به واحد، وهو: الكافرون[٣]، وسمي كافيا للاكتفاء به عما بعده، واستغناء ما بعده عنه[٤].

٣. **الوقف الحسن**: وهو الوقف على كلام متعلق بما بعده لفظًا ومعنى، ولذلك لا ينبغي أن يتعمد الوقف عليه مع الابتداء بما بعده، بل إذا وقف عليه فينبغي أن يبدأ بالموقوف عليه، أو بما قبله ليربط الكلام[٥]، لأن الأصل فيه الاضطرار لأجل النَّفَس[٦]، إلا أن يكون في القرآن رأس آية، فيحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده، اختيارًا؛ لأن القراءة سنة متبعة، ولأنه في نفسه حسن مفيد وإن تعلق بما بعده[٧]، ولكنه لا يكوّن فقرة لغوية مستقلة عما بعده، بسبب التعلق اللفظي والمعنوي، **والمراد بالتعلق اللفظي**: التعلق من جهة الإعراب، كأن يكون الموقوف عليه موصوفا والمبدوء به صفة، وكذلك المعطوف عليه مع المعطوف، والمبدل منه مع البدل، وهكذا في سائر التوابع[٨]، وهو مستلزم للتعلق في المعنى[٩]، ومثاله الوقف على رؤوس الآيات التالية: ﴿الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيمِ، مالكِ يومِ الدينِ﴾[١٠] وذكر الداني أنه لا يحسن الابتداء بما بعده لأنه تابع مجرور،

---

١) سورة البقرة (٦).
٢) سورة البقرة (٧).
٣) انظر جهد المقل ٢٥٠.
٤) النشر ١/٢٢٦. وانظر الاقتداء ١٩٣.
٥) المنح الفكرية ١٢٨، وجهد المقل ٢٥٠.
٦) انظر المكتفى ١٤٥.
٧) انظر: النشر ١/٢٢٦، وبغية المستفيد ٥٥.
٨) انظر: نهاية القول المفيد لمحمد مكي نصر ١٨١، ومعالم الاهتداء للشيخ محمود خليل الحصري ص٢٨، ط٢٣، ١٤٢٣هـ مكتبة السنة، القاهرة.
٩) انظر: المكتفى ١٤٥، والمنح الفكرية ١٣١، وجهد المقل ٢٥٥، ونهاية القول المفيد ١٨٩.
١٠) سورة الفاتحة.

والمجرور لا يبدأ به، وتبعه على ذلك كثير من المؤلفين موافقين[1]! وفي هذا نظر من وجهين :

الوجه الأول : أن التعلق اللفظي لا يتعارض مع حسن الابتداء بما بعد الموقوف عليه، إذا كان الوقف وقفًا لأجل النفَس فقط، دون قطع للقراءة أو الكلام بالكلية، أي الوقف لأجل النفس دون مكث يكون به تفكيك الكلام، فالمخاطب لا يزال ينتظر ما بعد الموقوف عليه متطاولاً له، من صفة أو بدل أو معطوف أو مستثنى، أو خبر، أو فاعل، ونحو ذلك، ولا سيما إذا طالت الفاصلة، واحتيج إلى التنفس قبل إتمام الكلام، فالفترة الزمنية التي يُتنفس فيها لا تصل - عادةً - إلى مهلة تؤثر في وصل الكلام، ولا في ربط التابع بمتبوعه، ومن ثم كثر دوران هذا النوع من الوقوف في القرآن، فالأَولى إذن منعُ قطع القراءة عليه لا منعُ الوقف عليه لمجرد النفس، وكذلك منع ابتداء القراءة بما بعده من غير قراءة لما قبل المبدوء به، ولأجل هذا وردت به القراءة في القرآن، كما ذكر أبو عمرو نفسه ورواه بسنده[2].

الوجه الثاني : أن التابع إذا كان مجرورًا فالابتداء به بعد مجرد التنفس ينبغي أن يكون أَولى وأفضل، لأنه لا يوهم القطع، خلافًا للمرفوع والمنصوب، فإنهما يوهمان الاستئناف والقطع بإضمار فعل أو اسم، أو نحو ذلك، وعلى هذا ينبغي أن يحمل قوله : (والمجرور لا يُبدأ به) على الابتداء بعد قطع كامل لا بعد وقف، وهو الابتداء دون ذكر لما قبل المبدوء به، لا الابتداء بعد مجرد الفصل بنَفَس، كما في قول الله : ﴿الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يومِ الدينِ﴾[3] وقد وردت به القراءة وصحت، به الرواية[4] فالبعد الزمني هنا معتَبَرٌ ومُهِمٌّ في الحكم على الوقف والابتداء، ومن ثَم انطلقت منه بعض الدراسات الحديثة في الوقف، كما تقدم عند شرح معنى الوقف .

٤ – الوقف القبيح : وهو الوقف الذي قد يحيل المعنى، أو يفسده، أو يجعل الموقوف عليه بلا معنى، ومنه الوقف على الصلة دون الموصول،

---

١) انظر : المكتفى ١٤٧، والمنح الفكرية ١٣٢–١٣٣.

٢) انظر المكتفى ١٤٧.

٣) سورة الفاتحة.

٤) انظر : منار الهدى ٣٣.

والمضاف دون المضاف إليه .....ونحو ذلك، وقد ذكر له ابن الأنباري مواضع متعددة في اللغة [١]، يجمعها أن يقال: " هو أن يوقف على الأول دون الثاني من كل عنصرين لغويين متلازمين" كالمؤكَّد دون التوكيد، والمفعول الأول دون الثاني، والحروف والأفعال الناسخة دون أسمائها ....إلخ[٢].

ومن أمثلة إحالة المعنى : الوقف على كلمة (أحمد) في جملة (رجع خالد، وأحمد باق عندنا) ومنه الوقف على كلمة (يهدي) في قول الله تعالى ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾[٣] ومن أمثلة إفساد المعنى : الوقف على كلمة (الكافر) في جملة : (يرحم الله المسلم، والكافر له عذاب أليم) ومنه قول الله تعالى ﴿إنما يستجيب الذين يسمعون، والموتى يبعثهم الله ﴾[٤] فالوقف على كلمة (الموتى) يفسد المعنى لأنه يوهم عطفهم على الذين يسمعون[٥].

وهذا النوع من الوقف لا يقع فيه إلا جاهل لا يفهم شيئا من العربية، لأنه يفسد الكلام ويجعله محالا أو عديم الفائدة، وبه يفسد الإعراب، وتنتقض به الأحكام، وقد يوقع في المحاذير الشرعية، وإذا وقع فيه المضطر وجب عليه الابتداء بما قبل الموقوف عليه ؛ ليربط الكلام[٦].

ونخلص إلى أن هذه الأقسام ترتبط بعاملين مهمين، الأول : المعنى الوظيفي، والثاني : نَفَس المتكلم، والأداء المتميز للغة لا يكون إلا بمراعاة التوفيق بين الأمرين معًا، بحيث لا يفسد أحدهما مقاصد الكلام، ونظامه التركيبي، ومن ثم يقول الإمام الزركشي :

" واعلم أن الوقف في الكلام قد يمكن أن يكون من غير انقطاع نفَس، وإن كان لا شيء من انقطاع النفَس إلا ومعه الوقف، والوقوف أمرها على سبيل الجواز، إلا الذي بُني عليه الكلام وما سواه، فعليك منه أن تختار الأفضل فالأفضل ؛ بشرط أن تُطابق به انقطاع نفَسك، لينجذب عند السكت إلى باطنك من الهواء ما تستعين به ثانيا على الكلام الذي تنشئه

---

١) إيضاح الوقف والابتداء ١/١١٦، وانظر الاقتداء للنكزاوي ١٨٩.

٢) السابقان ، ومعالم الاهتداء ٣٩.

٣) سورة القصص(٥٠).

٤) سورة الأنعام (٣٦).

٥) انظر : النشر ١/ ٢٢٩، ومعالم الاهتداء ٣٩-٤٧.

٦) انظر المرجعين السابقين ، وبغية المستفيد ٥٥-٥٦.

بإخراجه على الوجه المذكور" ثم ذكر بعض مواضع دواعي الوقف في الكلام[1].

هـ : أقسام الوقف من جهة الأغراض

قد يكون الغرض من الوقف إنهاءَ الكلام والانتقالَ منه إلى غيره، وقد يكون الغرض الفصل بين المعاني والجمل، وقد يكون الغرض الفصل بين الألفاظ للتمييز بينها أو للتخفيف من ثقل ناشئٍ من تواليها. فهذه ثلاثة أقسام ناشئة عن الأغراض المسببة للوقف ابتداءً، فيتخذ الوقف فيها وضعًا إجرائيا عاما، ولكنه يخضع للقواعد الفونولوجية ؛ من حذف وزيادة وتضعيف وإبدال .....ونحوذلك، وتصب في قالبه الأقسام السابقة من الجهة الوظيفية، فتصنف وفق هذا الوضع، وقد اصطلح بعض العلماء على تسمية الأول منها (قطعًا) والثاني (وقفًا) والثالث (سكتًا) وهو تقسيم متفق مع الأوضاع العامة لحال الواقف عن الكلام، والعوارض التي تعرض له في أثناء الكلام أو القراءة، وتتميز به الوقوف من جهة الدلالة على غرض الواقف من الوقف. لأنه منظور فيه للمدة الزمنية التي يكون فيها الوقف، و سوف أعتمده في حديثي عن الوقف من هذه الوجهة الصوتية العامة المرتبطة بمدد الوقف، مع اعتماد التقسيم الأول فونولوجيا، لارتباطه بالوظائف النحوية. وفيما يلي إضاءات موجزة على هذه الأقسام :

١ ـ **القطع** : وهو إنهاء الكلام وتركه بالكلية، بالإعراض عنه إلى السكوت، أو شيء آخر سوى الكلام أو القراءة، كالركوع في الصلاة، وكالانتهاء من الدرس، أو من قراءة أخبار، ونحو ذلك[2].

٢ – **الوقف** : وهو هنا خاص بقطع النطق في أثناء الكلام أو القراءة، في زمن يسير يتنفس فيه، بنية الاستئناف بما يلي الموقوف عليه، والغالب كونه اختياريا، يقصد لذاته من غير عروض سبب اضطراري، كانقطاع النفس أو العجز أو نسيان أو حصر، أو غير ذلك، وهذا النوع هو المراد غالبا عند الإطلاق، ويجب أن يحترز فيه عن القبيح الذي تقدم شرحه[3].

---

١) البرهان ١/٣٦٨.

٢) انظر : النشر ١/ ٢٣٩-٢٤١، والطرازات المعلمة لعبد الدائم الأزهري المتوفى سنة ٨٧٠هـ ص١٩٦، تحقيق نزار خُورْشيد ، ط١، ١٤٢٤هـ دار عمار ، الأردن .

٣) السابق نفسه.

٣ – السكت: هو الإمساك على حرف من حروف الكلمة لفصله عما بعده في أثناء الكلام، وقد يكون على كلمة شديدة الاتصال بما بعدها، فيسكت عليها لبيان أنهما كلمتان، نحو السكت على (مَن) و(بل) في قول الله تعالى ﴿وقيل مَنْ راقٍ﴾ [١] وقوله تعالى ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ﴾[٢] لأن الوصل يوهم الإفراد، و أنهما: مرّاق، وبرّان[٣] على وزن فعّال وفعلان، وذلك غير مراد، ولا يُتَنَفّس في السكت، ليكون دون زمن الوقف[٤].

وفي الدراسات الغربية يطلقون عليه مصطلح: Juncture أي: المَفْصِل، أو: Transition أي: الانتقال، ويعرفونه بأنه: "سكتة خفيفة بين كلمات أو مقاطع في حدث كلامي بقصد الدلالة على مكان انتهاء لفظ ما، أو مقطع ما، وبداية آخر"[٥]، و وربما ترجمه بعضهم بـ(pause)[٦] بمعنى الوقفة المؤقتة، ولا يبدو هذا دقيقا، لأن كلمة (pause) تعني: الوقفة أو التوقف[٧]، وهي أعم من السكت، فالسكت نوع خاص من جنس الوقف، وليس هو الوقف بالاصطلاح المتقدم. وهو الاصطلاح المشهور. والمفصل Juncture أدق في الدلالة عليه، وربما سماه بعضهم: Caesura وترجمه بـ(الصمتات)[٨] وهو أيضا بمعنى الوقف أو الانقطاع[٩]، فلا يعطي مدلول السكت الدقيق بالمعنى المتقدم.

وبالنظر إلى ما سُطر عن السكت في الدراسات العربية والأجنبية يُدرَك أنه قرينة صوتية وظيفية، ذات أثر تركيبي، يتضح ذلك في أمثلته وأغراضه في

---

١) سورة القيامة (٢٧).

٢) سورة المطففين (١٤).

٣) انظر: البحر المحيط ٣٥٢/١٠، ونهاية القول المفيد ٢١٤.

٤) انظر: النشر ٢٤٠/١، ونهاية القول المفيد ٢١٣، وجهد المقل ٢٤٧.

٥) أسس علم اللغة ٩٥، وانظر دراسة الصوت اللغوي ٢٣١، وأبحاث في أصوات العربية ٧٢.

٦) الدراسات الصوتية عند علماء العرب والدرس الصوتي الحديث، لحسام البهنساوي ٢٥٠.

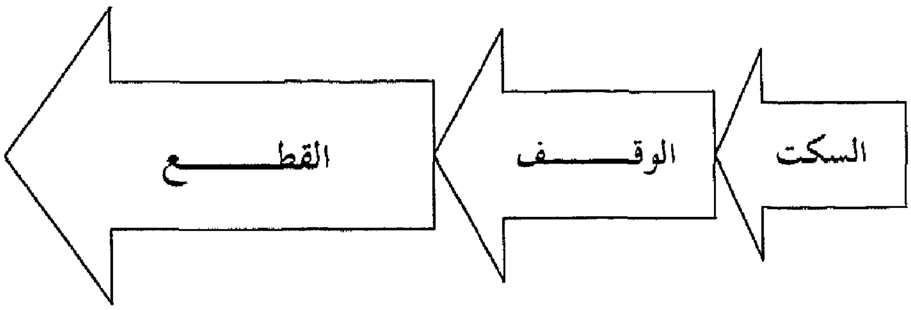
٧) انظر المورد الوسيط لمنير البعلبكي ص٤٣١ ط١٠، ١٩٩٢م دار العلم للملايين، بيروت، ودراسة السمع والكلام لسعد مصلوح ٣٠٤، والتشكيل الصوتي للعاني ١٦٤.

٨) علم الصوتيات لعبد العزيز علام و عبد الله ربيع ص٣٥٣.

٩) انظر المورد الوسيط ٨٨.

كل أنواع الدراسات اللغوية، الحديثة والقديمة [1]، وسيأتي في الفصل التالي ما يدل على أهميته وظيفيا، باعتباره نوعا من أنواع الوقف التي يؤتى بها في أثناء الكلام لأغراض دلالية معينة .

ويلحظ المرء أن هذا التقسيم لأنواع الوقف جاء وفقا للفترات الزمنية التي تستغرق في كل نوع، وهذا رسم يعطي تصورًا للتفاوت الزمني بين هذه الأقسام، حيث يمثل كل سهم مما يلي مدة تقريبية لتصوّر زمن كل قسم بالنسبة لما سواه :



والمفهوم العام للجميع هو " الوقف " ولكن عند التفصيل وتخصيص المدة يعبر بهذه الطريقة، للدلالة على المراد . وبعض المحدثين قد يرتضي مصطلحات أخرى مأخوذة عن لغات غير عربية، مَبنيةً في أصلها على الفصل بالنبر والنغمات، ويدرجونها في الفواصل الوقفية، كالفاصل الصاعد والهابط والمؤقت والموجَب والسالب، ونحو ذلك [2]، وعند تدقيق النظر في معانيها وأمثلتها نجدها لا تخرج عن الأقسام الثلاثة السابقة .

---

1) انظر على سبيل التمثيل : أسس علم اللغة ٩٥، ودراسة الصوت اللغوي ٢٣١، وأبحاث في أصوات العربية ٧٢. وعلم الصوتيات لعبد العزيز علام و عبد الله ربيع ص٣٥٣.

2) انظر : الأصوات اللغوية للخولي ١٦٨.

الفصل الثاني
وظائف الوقف النحوية

أولا : وظائف تركيبيـــة

١- الدلالة على تعدد أوجه إعراب الكلمة الواحدة

أ. قال الله تعالى ﴿وكأيّن من نبيّ قُتِلَ معه رِبِّيّون كثيرٌ﴾[١] الفعل (قتل) قرئ مبنيا للمفعول، ومبنيا للفاعل، وكلتاهما قراءة سبعية[٢]. والوقف على (قتل) ينبني عليه كون المسند إليه ضميرًا عائدًا على (نبي) و أما (رِبّيّون)فيكون مسندًا إليه، والمسند هو (معه) وعدم الوقف على (قتل) يكون به (ربيون) هو المسند إليه، فاعلا أو نائب فاعل، حسب القراءة.[٣]

ب. قال الله تعالى ﴿ وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم﴾[٤] الوقف على (الخاشعين) يجوز معه أن يكون (الذين) في محل رفع أو نصب على القطع، وأن يكون في محل جر على الإتباع، وإذا لم يوقف على (الخاشعين) وجب كون (الذين) في محل جر نعتًا لـ(الخاشعين)[٥].

ج. قال كعب بن زهير في لاميته المشهورة بـ(البردة) يصف ناقته :

حرفٌ، أخوها أبوها، من مُهَجَّنَةٍ وعمها خالُها قَوداءُ شِمْلِيلُ[٦]

---

١) سورة آل عمران (١٤٦).
٢) انظر السبعة ٢١٧.
٣) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ١٧٥.
٤) سورة البقرة (٤٥، ٤٦).
٥) انظر منار الهدى ٩٥.
٦) البيت من البسيط ، ديوان كعب بن زهير ١١، وشرح البردة للأنباري ١٠١، تحقيق محمود حسن زيني ط١، ١٤٠٠هـ نشر تهامة ، جدة. و حرف : قوية صلبة . ومهجنة : كريمة . وقوْداء : طويلة العنق . وشِمْليل : سريعة خفيفة .

الوقف على (أخوها) يجعله فاعلا لـ(حرف) لأن (حرفا) منوّن، كأنه قال: قويٌّ صلبٌ أخوها، وعندئذ يكون (أبوها) مسندًا إليه، و(من مهجنة) المسند. والوقف على (حرف) على أنه خبر لمسند إليه محذوف، و(أخوها أبوها) جملة مستأنفة.[1]

د. ومما يدخل في هذا الاختلاف مرجع الظرف بحسب الوقف، كقوله تعالى:

﴿لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم﴾[2] إنْ وقف على (عليكم) تعلق (اليوم) بـ(يغفر) وإن وُقف على (اليوم) تعلق بمتعلّق (عليكم) وهو خبر محذوف، وقد يُخرَّج نصبه على أوجه أخرى، تعود في الظاهر إلى الوقف عليه وعدمِه.[3]

هـ: قال الله تعالى ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخِيَرَةُ﴾[4] (ما) في (ما كان) نافية، بالوقف على (ويختار) وتكون موصولة مفعولا به مع عدم الوقف، والأول الوجه، لمناسبته للمعنى الصحيح[5].

و. قال تعالى﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة﴾[6] إذا وصل (المتقين) بما بعده تعين كون (الذين) نعتًا له، وإذا وُقف على (المتقين) كان ما بعده مستأنفًا؛ لأنه يُعرب مبتدأً[7].

ز. تقول العرب: **"إنك لا تجني من الشوك العنب"**[8] الوقف على (تجني) يتم به الكلام، فيكون ما بعده جملة مستأنفة، مكونة من مبتدإ مؤخر وخبر مقدم، و(العنب) على هذا مسند إليه. ولكن هذا الوجه غير مراد.

---

1) انظر: حاشية البغدادي على شرح(بانت سعاد) لابن هشام، القسم الأول من الجزء الثاني ص٤٦٦، تحقيق نظيف محرم خواجه، ط١، ١٤١٠هـ دار صادر، بيروت.

2) سورة يوسف(٩٢).

3) انظر: الكشاف ٢/٢٧٤، والبحر المحيط ٦/٣٢١، والبيان للأنباري ٢/٤٥.

4) سورة القصص(٦٨).

5) انظر: المكتفى ٤٣٩، ومنار الهدى ٥٨٦-٥٨٧.

6) سورة البقرة (١، ٢).

7) انظر: المكتفى ١٥٨-١٥٩،ومنار الهدى ٧٥-٧٧.

8) انظر جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ١/١٠٥.

ولـذلك لا يـصح الوقـف هنـا إلا علـى كلمـة (العنـب) ليكـون مفعـولا بـه لـ(تجني)، فقد اختلف الموقع الإعرابي بسبب الوقف.

ح - قال الله تعالى ﴿ قال رب إني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلونِ، وأخـي هـارون هـو أفـصح مني لسانا ...﴾[1] الوقـف علـى (هـارون) يوهم أن (أخـي) مفعول به، فيكون معطوفا على الياء في (أن يقتلوني) وذلك غير مراد، ويصح المعنى بالوقف على (أن يقتلونِ) فتكون جملة (وأخـي هـارون .....) جملـة مـستأنفة، لا محـل لهـا مـن الإعـراب، ويـصح بـذلك المعنـى؛ لأن الخوف إنما هو من موسى على نفسه دون أخيه[2].

٢ - تحديد مواقع الجمل الوظيفيـة

أ. قـال الله تعـالى ﴿ وفـي الأرض آيـات للمـوقنين، وفـي أنفـسـكم، أفـلا تبـصرون﴾[3] جملـة (وفـي أنفـسـكم) معطوفـة علـى الجملـة التـي قبلهـا، أي: وفـي أنفـسـكم آيـات، و(أفـلا تبـصرون) جملـة مـستأنفة، وجـاء هـذا الإعراب بناءً على الوقف على (وفي أنفسكم) فإذا وُصِل بما بعده ولم يوقف عليه صار جارا ومجرورًا متعلقًا بـ(تبصرون) وتكون جملة (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) جملة مستأنفة غير معطوفة على ما قبلها، بناء على هذا الوقف[4]. والوجه الأول أقوى وأولَى بالاختيار، وهو الوقف على (وفي أنفسكم) ليكون من عطف الجمل، وتكون وظيفة جملة (أفلا تبصرون) شاملة للجملتين قبلها، ويكون الحض على التفكر في آيات الأرض وآيات الأنفس.

ب. قال الله تعالى ﴿وما يعلم تأويلَه إلا اللهُ، والراسخون في العلم يقولون آمنا بـه﴾[5] الوقـف علـى (إلا الله) لتكـون جملـة (والراسـخون ...) مـستأنفة، والوصل يجعل "الراسخين" معطوفا على (الله) وبناءً على الوجه الأول

---

١) سورة القصص (٣٣، ٣٤).

٢) انظر المكتفى ١٥١.

٣) سورة الذاريات (١٩-٢١).

٤) انظر: التبيان للعكبري ٢/١١٨٠، ومنار الهدى ٧٤٠.

٥) سورة آل عمران (٧).

تكون جملة (يقولون) في محل رفع خبرًا لـ(الراسخون) ويكون من عطف الجمل، وعلى الثاني تكون خبرًا لمسند إليه محذوف، أو حالاً من "الراسخين" أي : قائلين، والمعنى على الوجه الأول أن المتشابه من القرآن لا يعلمه إلا الله وحده. وعلى الوجه الثاني يعلمه الله ومن خصه بزيادة في العلم حتى بلغ درجة الرسوخ.[1]

ج. قال الله تعالى ﴿ لكلِّ امرئٍ منهم ما اكْتسبَ من الإثمِ، والذي تَوَلَّى كِبْرَهُ منهم له عذابٌ عظيمٌ ﴾[2] الوقف على (من الإثم) على أنه تمام الكلام، وما بعده جملة مستأنفة. فإنْ وُقف على (منهم) الثانية فسد المعنى، إذ تكون جملة (والذي تولى كبره ....) معطوفة على ما قبلها، وهذا لا يصح، لأن المعنِيِّينَ في الجملة الأُولى المؤمنون، والذي تولَّى كبره منافق [3].

د. قال الله تعالى ﴿ فلا يَحزُنْكَ قَولُهُم، إنَّا نعلَمُ ما يُسِرُّونَ وما يُعلِنُونَ ﴾[4] الوقف على (قولهم) لتمام المعنى، فتكون جملة (إنا نعلم ...) مستأنفة، وهذا هو المراد، والوصل يوهم أن جملة (إنا نعلم ....) هي مقول القول، وليس ذلك بصحيح، بل المعنى: لا تهتم بتكذيبهم إياك فتحزن لذلك، إن الله يعلم ما حملهم على ذلك، وهو الحسد، ونحو ذلك [5].

٣ - وظائف تركيبيـــة إسنادية

قد ينبني على الوقف الإسناد إلى الكلمة بالوقف دونها، أو عليها، أو بعدها، كما يُبنى عليه تحديد ركني الإسناد في الجملة، ومن أمثلة ذلك :

---

١) انظر :معاني القرآن للفراء ١٩١/١، والبيان للأنباري ١٩٢/١، و البحر المحيط ٢٨/٣–٣٠، وتفسير ابن كثير ٥٢٠/١–٥٢١.

٢) سورة النور(١١).

٣) انظر المكتفى ١٥١.

٤) سورة يس (٧٦).

٥) انظر : تفسير القرطبي ٥٧/١٥، والبحر المحيط ٨٣/٧.

أ. قوله تعالى ﴿ إنما يستجيب الذين يسمعون، والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون ﴾[1] الوقف على (يسمعون) يجعل المعنى تاما، وهو المراد، فيكون (الموتى) مسندا إليه، ولو لم يوقف عليه لكان عطفًا ولفسد المعنى[2] .

ب. قال الله تعالى ﴿الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيزِ الحميدِ. اللهِ الذي له ما في السموات وما في الأرض ﴾[3] إذا وقف على (الحميد) صار لفظ الجلالة مسندا إليه مقطوعا عن المتبوع، وإن لم يقطع كان تابعا لـ(الحميد) على البدلية، وقد قرئ بالوجهين في السبعة[4].

ج. وقال الله تعالى ﴿ قل هو الله أحدٌ الله الصمدُ ﴾[5] إذا وُقف على (هو الله) فهو مسند ومسند إليه، وإن وُقف على (أحد) فتكون جملة (الله أحد) خبرًا عن الضمير (هو) وخلت من الضمير لكونها مفسرة، وقد أعربت الآية بالوجهين.[6]

د. إذا كان الفاعل ضميرًا متصلا مدًّا للحرف الذي قبله، ثم جاء بعده حرف ساكنٌ، فعندئذٍ يسقط ضمير الفاعل نطقًا، ولا يستدل عليه إلا بالسياق، وأما في اللفظ فلا بد من سكتة لطيفة عليه تظهره، وهو من وظائف السكت التي تقدمت الإشارة إليها، نحو: لم يكتبوا * الدرس . لم تدرسي* المادة . لم تكتبا* الواجب . فالسكتة الخفيفة في هذه المواقع توظَّف لبيان المسند إليه، ومنه قول الله تعالى ﴿وليَدْخُلوا المسجدَ﴾[7]

---

1) سورة الأنعام (٣٦).
2) انظر المكتفى ١٥١.
3) سورة إبراهيم (١، ٢).
4) انظر: حجة القراءات لابن زنجلة ٣٧٦.
5) سورة الإخلاص (٢،١)
6) انظر الخصائص ١/ ١٠٥،١٠٦ البيان للأنباري ٢/ ٥٤٥ .
7) سورة الإسراء (٧).

و: ﴿وقِيلَ ادْخُلا النارَ﴾[1] و: ﴿قِيلَ لها ادْخُلِي الصرحَ﴾[2] وهو كثير في القرآن، والغالب توظيف النبر هاهنا، لإظهار المسند إليه، كما سيأتي في باب التنغيم.

والسكت هنا لا يصلح الوقف الكامل مكانه، لأنه بين متلازمين قد يتأثر المعنى بالفصل الكامل بينهما، ومن ثم ذُكر عن الإمام الأخفش أنه كان إذا قرأ قول الله تعالى ﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها لِتُجزَى كلُّ نفس بما تسعى﴾[3] أنه يسكت سكتة لطيفة على (أكاد) ثم يقرأ: (أخفيها لتجزى ......) وذلك ليبين أن اللام في (لتجزى) متعلقة بـ(أخفيها) لا بـ(آتية) وهذا على أن معنى الإخفاء: الإظهار، على طريقة السلب، كأشكيته، أي: أزلت شكواه[4]، فإن كان المعنى: أسترها، فاللام متعلقة بـ(آتية) فتكون السكتة على (أخفيها) قال ابن جني: "أما الوقفة فلئلا يظن أن اللام معلقة بنفس (أخفيها) وهذا ضد المعنى ......فأما قصر الوقفة فلأن اللام متعلقة بنفس (آتية) فلا يحسن إتمام الوقف دونها، لاتصال العامل بالمعمول فيه، وهذه الوقفة القصيرة ذكرها أبو الحسن، وما أحسنها وألطف الصنعة فيها!"[5]

٤ - وظائف تركيبية تخصيصية

كالدلالة على المخصِّص بالوقف عليه، أو الوقف دونه، أو على ما بعده، ومن أمثلتها:

أ. قد يكون المخصِّص حركة طويلة تسقط نطقًا إن لقيت ساكنًا، لأجل الثقل الناشئ من طول الحركة مع السكون، وفي هذه الحال تتضافر قرينتان في الدلالة على المخصص المحذوف، الأولى: السياق، والثانية: الوقف، أو السكت، والسكت أولى من الوقفة الكاملة في بعض

---

١) سورة التحريم (١٠).

٢) سورة النمل (٤٤).

٣) سورة طه (١٥).

٤) انظر: البيان للأنباري ٢/١٣٩.

٥) المحتسب ٢/٤٨.

المواضع، والوقف الكامل أولى في بعضها، وقد يُستغنى عنهما بالنبر، نحو: علّمني *الدرس. كتابي* الجديد، وشاهده قول الله تعالى ﴿مِنْ بَعْدِي* اسْمُهُ أحمد﴾[1] وقوله تعالى ﴿ وخافوني* اليوم أكملت لكم دينكم﴾[2] ومن ثم كتبت في المصحف بدون ياء مراعاة للفظ.

ب. حكى ابن هشام عن بعض العلماء أنه سمع شيخًا يعرب لتلميذه (قيّمًا) من قول الله تعالى﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعَلْ له عِوَجًا * قَيِّمًا﴾[3] على أنه صفة لـ(عوجًا) قال فقلت له: يا هذا كيف يكون العِوَجُ قَيِّمًا؟! وترحمت على مَنْ وقف من القراء على ألف التنوين في (عِوَجًا) وقفة لطيفة، دفعا لهذا التوهم، وإنما (قيما) حال .... [4]. السكت هنا رواية حفص عن عاصم[5]، للتفريق بين المخَصّصَيْنِ: المفعول، والحال.[6]

ج. قال الله تعالى﴿ أولئك لهم رزق معلومٌ فواكهُ وهم مكرَمون﴾[7]

الوقف على (معلوم) يلزم منه كون (فواكه) خبرا لمسند إليه محذوف، وعدم الوقف يلزم منه كونه بدلا من (رزق)[8]، فالمعيّن لنوع التخصيص هو الوقف وعدمه.

د. قال الله تعالى﴿ طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى، تنزيلاً ممن خلق الأرضَ﴾[9] إنْ وُقف على (يخشى) كان (تنزيلا) مفعولا مطلقا، أي: نزّله تنزيلاً، وإذا لم يوقف على (يخشى) فهو بدل اشتمال من

---

١) سورة الصف(٦).
٢) سورة المائدة(٣).
٣) سورة الكهف(١، ٢).
٤) المغني ٢/ ٦٩٠.
٥) انظر النشر ١/ ٤٢٦.
٦) انظر: البيان ٢/ ٩٩.
٧) سورة الصافات(٤٢).
٨) انظر: منار الهدى ٦٤٧، والبيان ٢/ ٣٠٤.
٩) سورة طه (١-٣).

(تذكرة) أو حال، ولا يصح إعرابه مفعولا له، لأن الشيء لا يُعَلَّل بنفسه، لأن المعنى حينئذ : ما أنزلنا القرآن إلا للتنزيل ! ويصح أيضا إن لم يوقف على (يخشى) أن يكون (تنزيلاً) مفعولاً به لـ(يخشى) وأما مع الوقف فلا يصح [1]، والمقصود أن وظيفة الوقف والوصل تعيين نوع التخصيص، كما تبين .

ولقد دلت هذه الأمثلة على الدور الوظيفي لقرينة الوقف في التركيب، إسنادًا وتخصيصا، وعلى مستوى الجمل و مستوى المفردات، وليس يعني إفراد هذه الوظائف بهذا التفصيل أنها لا تجتمع، بل قد تجتمع أحيانًا في أسلوب واحدٍ، ومن أمثلة اجتماع التخصيص والإسناد في الوقف : قول الله تعالى ﴿قالوا يا ويلنا مَنْ بعثَنا مِنْ مَرْقدِنا*هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾[2] فالوقف على (مرقدنا) يكون به (هذا) مبتدأً، وما بعده خبره، وتكون هذه الجملة حينئذٍ مستأنفة، أو تكون في محل نصب؛ لأنها مقول القول، ولأجل هذا المعنى صح في رواية حفص عن عاصم السكت على كلمة (مرقدنا)[3] والوقف عليها، تحقيقا لهذا الإعراب، فهذه وظيفة إسنادية، وبالوقف على (هذا) يكون صفة لـ(مرقدنا) أو بدلا منه[4]، وتكون وظيفة الوقف حينئذ تخصيصية .

ثانيا : وظائف أسلوبية

كتحديد جملتَي الإنشاء والخبر، والتفريق بينهما بالوقف، وتعيين نوع الأسلوب ....إلخ.

أ. قال الله تعالى ﴿ أفمن كان مؤمنًا كمن كان فاسقا، لا يستوُون ﴾[5] ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يتعمد الوقف على كلمة

---

1) انظر : البحر المحيط ٧ /٣١١، والتبيان للعكبري ٢ /٨٨٤، ومنار الهدى ٤٨٦.
2) سورة يس(٥٢).
3) انظر النشر ١/ ٤٢٥.
4) انظر : الدر المصون ٩ /٢٧٥-٢٧٦، ومنار الهدى ٦٤١.
5) سورة السجدة (١٨).

(فاسقًا)[1] لتجديد الاستفهام الإنكاري وتمييزه من الأسلوب الخبري، ثم يبتدئ مستأنفًا، فيقرأ: "لا يستوون"، جوابًا لذلك الاستفهام، وهذا التمييز بين الأسلوبين بالوقف يفيد المعنى قوة وإيضاحًا ظاهرًا، بسبب حسن تقسيم الكلام.

ب. إذا قلت: "مَنِ المضروب فيكم"؟ فهذه جملة إنشائية واحدة، وإذا قلت: مَنِ المضروب.؟ فيكم؟ فهاتان جملتان إنشائيتان، لأن المعنى: أفيكم؟ فأغنى الوقف عن أداة الاستفهام، ولم يكن ثمة زيادة في الجملة الأصلية سوى الوقف، ولو قيل: مَنِ المضروب زيد؟ لكانت جملتان إنشائيتان أيضًا، لأن (زيدًا) منادى، والمعنى: من المضروب يا زيد؟ ولكن هذه الجملة الندائية تصبح استفهامية بالوقف على ما قبلها، فيقال: من المضروب.؟ زيد؟ كأنك قلت: هل زيد هو المضروب؟ فقد أغنى الوقف عن أداة النداء، كما أغنى عن أداة الاستفهام، ولا يخفى ما للتنغيم من أثر في مثل هذا.

ج. إذا جيء بـ(لا) داخلة على الجملة الدعائية، أَوْهمَ ذلك النفي، وهو ضد المقصود، فيحترز من ذلك بالوقف، أو سكتة خفيفة على (لا) نحو: لا،عافاك الله. لا،يرحمك الله. لا، شفاه الله. لا، أطال الله بقاءك ......فتكون (لا) نفيا لكلام متقدم، فهي جملة إخبارية، ويكون ما بعدها جملة إنشائية دعائية، ويتم القطع بينهما بالوقف الكامل، أو السكت، مع تغيير النغمة بإصعادها على الجملة الإنشائية أو بإهباطها، بحسب ما يخالف نغمة النفي السابقة لها، وقد يفصل بينهما بالواو العاطفة، دفعًا لذلك الإيهام، وهو الذي يسميه البلاغيون بـ**(الوصل لدفع الإيهام)** فيقال: **لا وعافاك الله. لا وأيدك الله.**[2]

ولا يُغني في مثل هذا الموطن الاكتفاء بالنية، لأن اللفظ يجب أن يدل على ما في الضمير، فلو وصل المتكلم (لا) هاهنا بما بعدها اكتفاء بما يعنيه عُدّ ذلك خطأً، ولأجل هذا كان ما رُوي عن أبي بكر الصديق رضي

---

1) انظر الدر المصون ٩/ ٨٨، ومنار الهدى ٦١١.

2) انظر: المطوَّل في شرح تلخيص مفتاح العلوم. للتفتازاني ص٤٥٢، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط١، ١٤٢٢هـ دار الكتب العلمية. بيروت.

الله عنه من أنه قال لرجل معه ناقة : أتبيعها بكذا ؟ فقال الرجل : لا عافاك الله. . ولم يفصل (لا) بوقف ولا بغيره . فقال أبو بكر:لا تقل هكذا، ولكن قل : "لا وعافاك الله " فأنكر عليه لفظه ولم يسأله عن نيته[1].

د. قال الشاعر :

لو كان في الألف منّا واحدٌ فَدَعَوْا مَنْ فارسٌ؟ خالَهمْ إياه يَعْنونا[2]

الكلام في البيت متصل في مصراعيه، وقد لا يظهر أسلوب الاستفهام فيه عند الوصل، وإنما يجليه الوقف على جملة : مَنْ فارسٌ؟ لأنها جملة إنشائية استفهامية منفصلة عما بعدها، وما بعدها جملة إخبارية في جواب الشرط.

هـ. قال الشاعر :

زعمتم أن إخوتكم قريش لهم إلْفٌ وليس لكم إلافُ[3]

الوقف على (قريش) وبه انتهى الكلام المزعوم من المخاطَبين، ثم الابتداء بكلام الراد عليهم زعمَهم : لهم إلْفٌ .... على أن المعنى : كذبتم في زعمكم أن إخوتكم قريش، فكأنهم قالوا : لِمَ كذبنا؟

---

١) القطع والائتناف لأبي جعفر النحاس ٩٢.

٢) بيت من البسيط في قصيدة نسبت لأكثر من شاعر، والمرجح لدى فريق من النقاد أنها لبشامة بن حزن النهشلي، انظر: الكامل للمبرد ١/١٤٥-١٤٦، تحقيق الدالي، ط١، ١٤٠٦هـ مؤسسة الرسالة، بيروت. والشعر والشعراء لابن قتيبة ٤٢٤، تحقيق مفيد قميحة، ط٢، ١٤٠٥، دار الكتب العلمية، بيروت. والحماسة لأبي تمام ١/٧٧-٧٨، تحقيق عبد الله عسيلان، ط١، ١٤٠١هـ جامعة الإمام بالرياض. والمؤتلف والمختلف للآمدي ٨٠-٨١، ط١، ١٤١١هـ، دار الجيل، بيروت.

٣) بيت من الوافر، لمساور بن هند العبسي، كما في شرح الحماسة للمرزوقي ٣/١٤٤٩، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، ط٢، ١٣٨٨هـ القاهرة. والمطول ٤٥١. والإلف والإيلاف بمعنًى، وهو ما يؤلف ويستأنس به، وبمعنى التهيؤ والتجهيز، انظر اللسان، مادة (ألف).

فقال مجيبا عن استفهامهم : لهم إلْف .....[1]، ولو وُصل الكلام ولم يوقف على نهاية المصراع الأول، لكان قوله (لهم إلف...) من ضمن ما زعموه، والجملة الأُولى : "زعمتم أن ..." تحتمل الإخبار والإنشاء، والثانية: " لهم إلف ..." إخبارية، لأنها جواب عن الأولى، فالكلام يحمل أسلوبين خبريين مختلفين ظاهرين، ويحمل أسلوبا إنشائيا مقدَّرًا، مع آخر إخباريّ، وكل ذلك يتجلى بالوقف دون الوصل.

و- قال السمرقندي[2] في حديثه عن الوقف المترتب على نوع الأسلوب بحسب الأداة الدالة عليه : " وأما قوله تعالى : ﴿فإن كُنتَ في شكٍّ مما أنْزلْنا إليك فاسْألِ الذين يَقْرَؤونَ الكتابَ مِنْ قَبْلِك لَقَدْ جاءَكَ الحقُّ مِن رَبّك فلا تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرين﴾[3]، فمن ذهب إلى أن (ما) شرط [4] فالوقف على : (من الممترين) ومن ذهب إلى أنها للنفي[5] فيكون الوقف على :(إليك). وأما قوله : ﴿قُلْ إن كان للرحمن وَلَدٌ فأنا أوَّلُ العابدينَ﴾[6] ، فمن ذهب إلى أنّ " إنْ " للشرط فالوقف على : (العابدين)[7] ، والمعنى : فأنا أوّل من يعبده على أنه واحد لا ولد له، وقيل : معناه: فأنا أوّل الآنفين والجاحدين[8] .

1) انظر : المُطَوّل ٤٥٢.

2) هو محمد بن محمود السمرقندي المتوفى سنة ٧٨٠هـ

3) سورة يونس (٩٤) .

4) وهو رأي الجمهور، انظر : معاني القرآن للفراء : ١ / ٤٧٩ ، والبحر المحيط : ٦ / ١٠٥

5) فيكون المعنى : ما كنت في شك مما أنزلنا إليك ، وهو قول الرازي ، انظر : التفسير الكبير ١٧ / ١٢٨ - ١٣٠

6) سورة الزخرف (٨١).

7) وانظر : معاني القرآن وإعرابه: ٤ / ٤٢٠ ، وزاد المسير لابن الجوزي ٧ / ٣٣١ ،ط٢، ١٤٠٤هـ المكتب الإسلامي ، بيروت ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٧٩ - ٨٠ .

8) انظر : معاني القرآن وإعرابه : ٤ / ٤٢٠ ، والقطع والائتناف ٤٧٢، وزاد المسير : ٧ / ٣٣١ .

ومن ذهب إلى أنّ " إنْ " بمعنى : " ما " للنفي[1]، أي : ما كان للرحمن ولد، حسن الوقف على : (وَلَدٌ)[2]، والوقف في الوجهين على : **(العابدين)** تام "[3].

والقول بكون (إنْ) في هذه الآية بمعنى (ما) النافية ذهب إليه كثير من المعربين والمفسرين[4] على أن المعنى : ما كان للرحمن ولد، فأنا أول الشاهدين على ذلك، أو المعترفين بذلك، أو العابدين له بأنه ليس له ولد، وجعله الإمام الطبري مرجوحًا ؛ لأنه يوهم أنه لم يكن له ولد في الماضي فقط، ومن ثم اختار كون (إنْ) شرطية[5]. والأولى جعل الوقف تاما على (ولد) إذا فسرت (إنْ) بالنافية، ليكون الكلام جملتين منفصلتين .

وخلاصة ما ذكره السمرقندي هنا أن الوقف على الكلمات المشار إليها تستفاد منه المعاني التي ذكرها لهذه الأدوات، وكل معنى يدل على أسلوب خاص، كالنفي والشرط، أو الإخبار بغيرهما، وهذه الطريقة في توظيف الوقف لفهم الأساليب النحوية هي الشائعة في كتب من ألف في هذا الفن، فيما يتعلق بأوقاف القرآن، كما اعتمدها المعربون للقرآن، والمفسرون له ، وهي طريقة واضحة في توظيف القرينة الصوتية المتمثلة في الوقف، في مجال الدراسات النحوية .

---

١) انظر : تفسير الطبري ٢٤/ ٦٠–٦١، ط٣، ١٣٩٨هـ دار المعرفة . بيروت . ومعاني القرآن وإعرابه : ٤/ ٤٢٠ ، والقطع والائتناف ٤٧٢، وزاد المسير : ٧ / ٣٣٢ ، والبحر المحيط : ٩ / ٣٩٠، وعلل الوقوف للسجاوندي ٣/ ٩٢١، تحقيق محمد العيدي ، ط٢، ١٤٢٧هـ مكتبة الرشد، الرياض.

٢) – انظر : المكتفى ٥١٠ – ٥١١ ، و الجامع لأحكام القرآن : ١٦ / ٧٩ .

٣) نجوم البيان في الوقف والابتداء وماءات القرآن ، للسمرقندي ص١٩٦–١٩٧، تحقيق محمد بن مصطفى بكري (غير منشور).

٤) انظر ما سبق في حاشية (١).

٥) انظر تفسير الطبري ٢٤/ ٦١. والقطع والائتناف ٤٧٢.

ثالثًا : وظائف بنيويـــة

تبدو وظيفة الوقف البنيوية في ثلاثة أنواع عامة في اللغة العربية :

النوع الأول : المحافظة على حركة البناء لئلا تتعرض للحذف والتغيير. ويكون ذلك بإلحاق هاء السكت بها عند الوقف، فيقال : لِمَهْ؟ وعلامَهْ؟ وقِهْ، وعِهْ، وصَلِّهْ، وهاتِهْ، واغْزُهْ، وارْمِهْ، وارْضَهْ، وهَلُمَّهْ، وكتابِيَهْ، واسمع كلامِيَهْ، وهُوَهْ، وهِيَهْ ....إلخ[1].

ومن أدلته قول الله تعالى ﴿ وما أدراك ما هِيَهْ﴾[2] وقوله تعالى﴿وأما مَنْ أُوتِيَ كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أُوتَ كتابِيَهْ، ولم أدرِ ما حسابِيَهْ﴾[3] وقد يحافظ على حركة البناء هذه لدى الوقف بإشباعها، نحو: أنا، وحيّهَلا، وفي الوصل يحذف هذا الإشباع، فيقال : أنَ أقول كذا، وحَيَّهلَ بفلان.[4]

النوع الثاني : استبدال السكون بالحركات عند الوقف، وهو إجراء شائع في المعرب والمبني، ولكنه في المعرب أكثر، فإذا وُقف على كلمة متحركة الآخر فالغالب حذف حركتها، فتصير إلى السكون، إلا أن تكون مبنية فيحافظ على حركتها بهاء السكت في غالب الأمر . كما تقدم . وقد تُختلس بالروم، إشعارًا بأصلها، ولكن الوقف بالسكون هو الأصل[5].

وقد تتبادل علامات الإعراب وعلامات البناء المواقع عند الوقف، وهو ما يُعرف بالنقل في الوقف، فتجعل علامة الإعراب للمبني الساكن الذي قبل حرف الإعراب، ويُسكّن حرف الإعراب، نحو : جاء بكُرْ . ورأيت البكَرْ . ومررت ببكِرْ[6]، ويشترط لهذا الإجراء شروط في النحو العربي[7].

---

1) انظر : سيبويه ٤ /١٦١، والتكملة ١٩٤-٢٠٦وشرح الشافية ٢ /٢٩٦-٢٩٩، وشرح المفصل٤ /٢١٠-٢١٢، والارتشاف ٣٩٤/١.

2) سورة القارعة(١٠).

3) سورة الحاقة(٢٥، ٢٦).

4) انظر : سيبويه ٤ /١٦٣-١٦٤والارتشاف ٤٠٦/١، وشرح الشافية ٢ /٢٩٤.

5) انظر : التكملة ١٨٧، والخصائص ٣٣١/٢-٣٣٢، والارتشاف ٣٩٧/١ ، وشرح المفصل ١٨٨/٤، وشرح الشافية للرضي ٢٧٢/٢، ٢٧٥.

6) انظر ما ورد في الحاشية السابقة .

7) انظر : الخصائص ٣٣١/٢، ٣٣٢، والارتشاف١/ ٣٩٨ ، وشرح الشافية ٣٢١/٢-٣٢٢، والكناش١٥٨/٢، و توضيح المقاصد للمرادي /١٦٩-١٧٤، تحقيق عبد الرحمن سليمان، ط١، ١٣٩٧، القاهرة.

ومن نقل علامة البناء قول العرب : اضرِبُهْ، ومِنُهْ، وعَنُهْ[1]، قال أبو النجم العجلي :

*نقول قَدِّمْ ذا وهذا أدْخِلُهْ *[2]

يريد : أدْخِلْهُ، فنقل الحركة إلى الساكن قبلها، وبنى الضمير على السكون.

النوع الثالث : التزام حركة واحدة، أو التزام السكون في رويّ الشعر[3]، بنائيةً كانت الحركة أو إعرابية، لأن الروي محل الوقف في القصيدة، فتبنى القصيدة على حركة واحدة في روي القوافي المطلقة، وتُبنى على السكون في القوافي المقيدة [4]، ومما يدل على أن الوقف من أسباب المحافظة على نمط الصوت الأخير من البيت ، أن الترنم والغناء يكون أيضا على نهاية صدر البيت، أي على عروضه، بل على تفعيلات الحشو أيضا، ولكن لا يُلتزَم بناؤها على صوت واحد، لأن ما عدا "الضرب" لا يلزم الوقف عليه . والضرب هو التفعيلة الأخيرة من عجز البيت[5]ـ مع كون الموسيقى مقصودة في البيت كله، فكان الوقف أهم دواعي توحيد الصوت الموقوف عليه، وكان توحيده من أبرز وظائف الوقف البنيوية، لبناء الكلم عليه مهما اختلف إعرابها .

رابعًا : وظائف تركيبية إعرابيـــــة

يتمثل غالب الوظائف الإعرابية للوقف في قسمين بارزين، الأول : ما يتعلق بالتأثير في علامة الإعراب، والثاني : تغيّر أعاريب الكلمة بتغير مواقع الوقف في جملتها .

القسم الأول : <u>يأتي في ثلاثة أنواع</u> :

---

1) سيبويه ٤ / ١٧٩، والتكملة ٢١١.

2) ديوانه ص١٩١، وسيبويه ٤ / ١٨٠وفيه : *فقَرِّبَنْ هذا وهذا أزحله* و(أزحله) بمعنى : أبعده . وانظر : شرح المفصل ٤ / ١٩٣.

3) الرويّ : هو الحرف الذي يكون قافية القصيدة ، وتُبنى عليه ، فتنسب إليه . انظر : الفصول في القوافي لابن الدهان ٤٨، والكافي في علمي العروض والقوافي ١٤٦.

4) انظر : الفصول في القوافي ٤٩–٥٢وما بعد ذلك ، والوافي بمعرفة القوافي ٦٥–٧٦.

5) انظر : ما سبق في (٣).

١ – **حذف علامة الإعراب**، إن كانت حركة قصيرة، نحو: هذا زيدْ، ورأيت الرجلْ، وكتبت بالقلمْ ... فإن الوقف هنا هو القرينة المجوزة للإسكان.

٢ – **نقل علامة الإعراب** إلى ما قبل حرف الإعراب عند الوقف، نحو: هذا القصُرْ، ودخلت القصَرْ، ونظرت إلى القصِرْ[١]. أو نقلها إلى ما بعدها، كقول الشاعر:

عجبتُ والدهرُ كثيرٌ عجَبُهْ ... من عَنَزِيٍّ سبَّني لم أضْرِبُهْ[٢]

أصله: لم أضْرِبْهُ، فنقل علامة الجزم إلى الهاء، وعلامة البناء إلى الباء.

٣ – مطل حركة الإعراب، فتكون حركة طويلة بعدما كانت قصيرة، نحو: رأيت أحمدا، ومررت بالرجلي، وهذا أحمدُو[٣]، فقد صار حرف الإعراب معتلا بهذا الوقف.

ومما يلحق بهذا أن الوقف يظهر حركة الإعراب الطويلة فيما تحذف منه وصلاً، نحو: هؤلاء ساكنو المدينة، ورأيت معلمي المدرسة، قال تعالى ﴿غيرَ مُحِلّيِ الصيدِ﴾[٤] و﴿حاضري المسجد الحرام﴾[٥] والمقصود أن هذه الحركة يظهرها الوقف عليها وافية. وهي في الوصل محذوفة. ولا يلزم من ذلك جواز الوقف على كل ما ترد فيه[٦].

ومن صوره إشباع الحركة لأجل التذكر، نحو: هذا قَوْلُو.....محمد، وسمعتو..... قولًا... زيد، وكتبت بقلمي....... خالد[٧]، وهو وقف عارض ممطول،

---

١) انظر: سيبويه ٤/١٧٩–١٨٠، والكناش ٢/١٥٨–١٥٩، وشرح المفصل ٤/١٩٢، وتوضيح المقاصد ٥/١٧٠–١٧٣.

٢) الرجز لزياد الأعجم، كما في سيبويه ٤/١٧٩–١٨٠، وشرح المفصل ٤/١٩٣، و(العنزي) الرجل المنسوب إلى قبيلة عَنَزَة.

٣) الكناش ٢/١٥٨، وشرح المفصل ٤/١٩١.

٤) سورة المائدة (١).

٥) سورة البقرة (١٩٦).

٦) انظر: المقصد لتلخيص ما في المرشد، في هامش منار الهدى ص٣٤.

٧) انظر: الخصائص ٣/١٢٨، وقد تقدم الكلام مرارا على هذه الحركة.

قد يكون معه النفَس وقد لا يكون، ومهما يكن فإنه يؤثر في حركة الآخر، من جهة كونها لا تحذف، وكونها تتحول إلى حركة طويلة .

القسم الثاني من قسمي وظائف الوقف الإعرابية : تغير أعاريب الكلمة بتغير مواقع الوقف في جملتها، وهذا كثير في اللغة، لا حصر له، وتقدمت نماذج منه في الوظائف التركيبية، ومن أمثلته :

أ – قول الله تعالى ﴿وقالوا قلوبنا غُلْفٌ، بل لعنهم الله بكفرهم، فقليلا ما يؤمنون﴾[١] فإذا وُقف على (بكفرهم) يكون نصب (قليلا) على أنه نعت لمصدر محذوف، أي : فإيمانا قليلا، أو نعت لزمان محذوف، أي : فزمانا قليلاً يؤمنون، وإذا لم يوقف على (بكفرهم) فيكون (قليلا) حالاً من فاعل (يؤمنون)[٢].

ب – ومن ذلك ما جاء في الحديث الصحيح أن رجلين جاءا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتشهد أحدهما فقال : **" من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما" فوقف، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "قم . أو : اذهب . بئس الخطيب أنت"**[٣] .

وإنما قال له ذلك لأنه وقف قبل أن يقول : فقد غوى، فأوهم وقفُه أن (مَن يعصهما) معطوف على (مَن) في (من يطع الله ورسوله) والخبر عنهما : فقد رشد، والحق أن (ومن يعصهما) جملة مستأنفة خبرها: فقد غوى.

ج –قال الله تعالى ﴿إن هذا لرزقنا ما له من نفادٍ، هذا وإنّ للطاغين لشر مآب﴾[٤] يصح الوقف على كلمة (هذا) في بداية الآية الثانية، ويصح الوقف على ما قبلها، ويختلف المعنى والإعراب في الوقفين كليهما، فالوقف على ما قبلها ينبني عليه كونها مسنداً لمسند إليه محذوف، ويكون

---

١) سورة البقرة(٨٨).

٢) انظر منار الهدى ١٠٤.

٣) رواه مسلم في صحيحه١/٥٩٤، كتاب الجمعة ، الباب (١٣) وانظر المكتفى ١٣٣، والاقتداء للنكزاوي ٢٠٢.

٤) سورة ص (٥٤–٥٥).

الوقف تامًا، والمعنى : الأمر هذا[1]، أو يكون مسندًا إليه لمسند محذوف، والمعنى : هذا جزاء المتقين، أو هذا بيان جزاء المتقين ...ثم استأنف الكلام عن الطاغين بعد ذلك[2]، ويكون الوقف على ما قبلها كافيا وليس تاما، وإن وُقف على كلمة (هذا) احتملت الوجه الثاني في الإعراب السابق، وأن تكون توكيدًا لفظيا لما قبلها، والمعنى : إن هذا لرزقنا هذا[3].

خامساً : وظائف لهجية

تعددت لهجات العرب في الوقف على أواخر الكلمات، فصار نوع الإجراء المتبع في كل لهجة عند الوقف دليلا على تلك اللهجة، وكانت وظيفة الوقف بذلك الإجراء الدلالة على هذه اللهجات، وورد ذلك بصور متنوعة في النصوص العربية، وذكر له رواة اللغة أمثلة متعددة أجتزئ منها بما يلي :

أ. **الوقف على المنصوب المنوّن بالسكون** في لغة ربيعة، نحو : رأيت زيدْ، وقرأت كتابْ، وكلمت محمدْ....[4]، ومنه قول الشاعر:

إلى المرءِ قيسٍ أُطيلُ السُّرى وآخذُ من كل حيٍّ عُصُمْ[5]

أي : وآخذ عُصُمًا من كل حي، فحذف التنوين ووقف بالسكون على هذه اللهجة، فجاءت قرينة الوقف هنا مؤثرة في الإعراب بحذف علامته، في موضع لا تُحذف فيه علامة الإعراب عند سائر العرب .

* **أو إبدال التنوين ياءً (كسرة طويلة) إذا كان بعد كسر**، نحو : مررت بزيدي، وواوًا (ضمة طويلة) إن كان بعد ضم، نحو : جاء زيدُو، ونسبت

---

1) انظر المكتفى ٤٨٤.

2) انظر : القطع والائتناف ٤٤٣، وعلل الوقوف للسجاوندي ٣ /٨٧١ ، و منار الهدى ٦٦٠.

3) انظر ـ مع الحاشية السابقة ـ البيان للأنباري ٢ /٣١٧.

4) انظر : الخصائص ٢ /٩٧،٩٨، وشرح الشافية ٢ /٢٧٢، والارتشاف ١ /٣٩٢، وشرح المفصل ٤ /١٩٠.

5) البيت من المتقارب ، للأعشى ميمون ، كما في ديوانه ٤٠٣ . والسُّرَى: السير ليلا ، وعُصُم : المواثيق والعهود، جمع عِصام .

هذه اللهجة لأزد السراة[1]، فصارت وظيفة الوقف هنا المحافظة على علامة الإعراب بوصل الحركة، كما يحصل في حركة الإطلاق في الشعر.

ب - إبدال الألف همزة عند الوقف، نحو: رأيت رجلأ، وهذه حُبْلَأْ، وهو يضربهأ[2]، فهذا النوع من الإبدال الكائن بالوقف دليل على هذه اللهجة .

ج - إلقاء حركة الهمزة المتطرفة بعد ساكن على الساكن الذي قبلها، نحو: هذا بُطُؤْ، ورأيت البُطَأْ، ومن البُطِئْ، ورأيت الردَأْ، ومن الرِّدِئْ، والأصل: بُطْءٌ، وبُطْأً، وبُطْءٍ، والرِّدْءَ ....[3]، فنتج من هذا الإجراء في الوقف مجيء العلامة الدالة على الإعراب قبل الحرف الموقوف عليه، فصار إسكان الآخر للوقف غيرَ مُذهب لعلامة الإعراب .

د - إبدال الهمزة الموقوف عليها واوًا، أو ياءً، نحو: هذا الكَلَوْ، وأفعَوْ، في الرفع، و: من الكَلَيْ، وأفعَيْ، في الجر[4]، ونسبت لفزارة وناس من قيس، وبعض طيئ [4].

ومثله إبدال الياء جيما عند الوقف في لهجة بعض بني تميم[5]، نحو: علجّ، وعشجّ، أي: عليّ وعشيّ وروي أنه قيل لرجل من بني حنظلة: ممن أنت ؟ قال: "فقيمجّ" قيل: من أيّهم؟ قال: "مُرّجّ". يريد: فُقَيميّ، ومرّيّ"[6]، ومنه قول الشاعر:

يا ربّ إن كنتَ قبِلْتَ حجّتجْ   فلا يزال شاحجٌ يأتيك بِجْ

---

1) انظر: توضيح المقاصد للمرادي ٥ / ١٥٥.
2) انظر: سيبويه ٤ /١٧٦-١٧٧.
3) انظر: سيبويه ٤ /١٧٧ والتكملة ١٩٦.
4) انظر: توضيح المقاصد ٥ / ١٦٥.
5) ورويت عن غيرهم أيضا، انظر: فصول في فقه العربية لرمضان عبد التواب ١٣٣-١٣٤.
6) أمالي القالي ٢ /٧٧ عن أبي عمرو بن العلاء، وشرح الملوكي ٣٣٠.

* أقمرُ نهّاتٌ يُنَزّي وفْرَتِجْ *(١)

هـ: **الوقف على المعتل الآخر بحذف حرف العلة**، نحو: هذا القاضْ، والمنادْ، ويوم التنادْ، ويوم التلاقْ، والمتعالْ، وهو كثير، وقد قرئ به في القرآن (٢)، نحو قول الله تعالى ﴿ومن يهدِ الله فهو المهتدْ﴾(٣) ونحوها كثير.

و- الدلالة على الأنثى بالشين بدل الكسرة، عند الوقف على كاف خطاب الأنثى، أو بسين، أو كاف مشوبة بالسين أو الشين نحو: إنّكش /إنّكس، أكرمتكش /أكرمتكس، وأعطيتكش /أعطيتكس، أو: إنش /إنس، و: مالش /مالس؟ ......فإذا وصلوا لم يجيئوا بها، ويكون تركها في الوقف علامة التذكير، ونسبت هذه اللغة لقبائل من ربيعة، وتميم، وأسد، وهوازن(٤).

فكل هذه النماذج وأمثالها يُعَد فيها الوقف قرينة وظيفتها الدلالة على جواز الإجراء المترتب عليه - أي على الوقف - في لهجة من يتكلم بذلك من العرب.

سادسًا: وظائف صرفيـــــة

كل ما سبق في الوظائف اللهجية يدخل في الوظائف الصرفية أيضا، لتعلقه بأبواب الصرف، كالإبدال والإسكان والحذف، ونحو ذلك من ضروب التغيير الذي يلحق المباني التصريفية، ومنها:

أ - **حذف الهاء من المرخم الموقوف عليه، وإبدال الألف منها**، نحو: يا سلمَ، ويا فاطمَ، ويا ضباعَ، فإذا وُقف عليها، قيل: يا سلمَهْ. فاطمهْ.

---

١) الرجز منسوب لبعض أهل اليمن، كما في النوادر ٤٥٦، ومجالس ثعلب ١١٧/١، وانظر: أمالي القالي ٧٨/٢ و شرح الشافية ٢٨٧/٢، وشرح الملوكي ٣٣١، والشاحج: البغل أو الحمار، وأقمر: أبيض. ونهّات: نهّاق، من النهيق. ويُنزي: يحرك، والوفرة: شعر الرأس.

٢) انظر :الدر النثير للمالقي ٥٧٧، ٦٠٢، ٦١٥،، وشرح المفصل ١٩٧/٤-١٩٨. وشرح قطر الندى للمصنف ٤٢٢.

٣) سورة الإسراء (٩٧).

٤) انظر: سيبويه ١٩٩/٤-٢٠٠وسر الصناعة ٢٣٠/١.

ضباعهْ ....برد الهاء التي حذفت للترخيم، وقد يحذفونها ويقفون بالألف أو السكون[1].

ب . **رد المحذوف عند الوقف**، ومثاله أن نون (يكن) إذا حُذفت وُقف عليه بردها فيقال في الوقف على (لم يكُ) : لم يكنْ، وجمهور القراء يقفون على الكاف تبعًا للرسم[2].

* **ومنه رد الياء المحذوفة من المنقوص عند الوقف**، نحو : المتعالِ . وهذا القاضِ، إذا وقف عليه جاز رد المحذوف، فيقال : المتعالي . القاضي، وقد قرئ به، كما تقدم[3].

* **وكذلك رد النون إذا حذفت للإضافة ثم وُقف على ما حذفت منه**، نحو: هؤلاء ساكنو الدار، وهذان طالبا علمٍ، وعند الوقف يقال : هؤلاء ساكنون، وهذان طالبان[4].

ج . **حذف التنوين من المرفوع والمجرور عند الوقف**، نحو:هذا محمدْ . عن محمدْ، بحذف التنوين والحركة[5]......وهذا خاص بالصحيح الآخر غير المختوم بهاء التأنيث .

د . **ومن الحذف** قول الشاعر :

بالخير خَيْراتٍ وإنْ شرًا فا ولا أريد الشرَّ إلا أنْ تا[6]

أي : وإنْ شرا فشرّ......إلا أن تشاء، أو : أن تريد[7]، فهذا حذف خاص بالوقف.

---

1) انظر : سيبويه ٢/ ٢٤٢–٢٤٤، والارتشاف ١/ ٤٠٦–٤٠٧.

2) الارتشاف ١/ ٣٩٦.

3) انظر : توضيح المقاصد ٥/ ١٦٢.

4) السابق ٥/ ١٦٢–١٦٣.

5) انظر : سر صناعة الإعراب ٢/ ٥١٨.

6) بيت من الرجز للقيم بن أوس ، كما في النوادر ٣٨٦، وورد في سيبويه ٣/ ٣٢١، وشرح الشافية ٢/ ٣٢٣.

7) المراجع السابقة .

* ومنه : حذف صلة هاء الضمير عند الوقف، نحو : بِهْ. لَهْ. عملُهْ [1].

هـ : وإذا وُقف على المنون بعد فتح أُبدل التنوين ألفًا، إلا تنوين هاء التأنيث، فإنه يحذف عند الوقف حفظًا لعلم التأنيث أن يزول، ولكيلا تنقلب تاءً مفتوحة بعدها ألف[2]، نحو : هذه شجرهْ، ورأيت شجره، ونظرت إلى شجرهْ ......

و . تضعيف الحرف الموقوف عليه، نحو : جاء خالدّ، ومررت بخالدّ، ورأيت أحمدّ[3]. وهذا خاص بالكلمة التي آخرها حرف صحيح قبله متحرك[3].

سابعًا : وظائف صوتيــة (فونولوجية) صرفيــة :

أهم وظيفة صوتية للوقف أنه يمكّن المتكلم من الاستمرار في الكلام، ويهيئ له فرصة التزود بالهواء الذي به ينتج الأصوات، وينسق مع ذلك التتابع الصوتي[4]، كما نبه الزركشي في كلمته التي سبق نقلها [5] في نهاية الفصل الأول من هذا الباب .

وكثيرًا ما يتصرف العرب في أواخر الكلمات عند الوقف بأنواع التغييرات، لمراعاة التوافق الصوتي، أو لتخفيف النطق، أو لزيادة الإسماع، ونحو ذلك .

وصور هذا لا تكاد أمثلتها تنحصر، فمنها :

أ – **جواز التقاء الساكنين في الوقف**، دون الوصل، نحو : زيْدْ. بعْدْ. قبْلْ ..... وتقدمت مناقشة هذه المسألة، في مبحث "حركة التخلص من التقاء الساكنين " ويدخل فيها **الوقف بتضعيف الحرف** الموقوف عليه .كما تقدم آنفا.

---

1) انظر : توضيح المقاصد ٥/ ١٥٨.

2) البديع في الرسم لابن معاذ الأندلسي ص٧٩، تحقيق غانم قدوري ، ط١، ١٤٢١هـ دار عمار، الأردن ، وشرح الشافية ٢/ ٢٨٩، وتوضيح المقاصد ٥/ ١٥٦.

3) انظر : سيبويه ٤/ ١٦٩–١٧٢، والتكملة ١٨٨، والكناش ٢/ ١٥٧.

4) انظر : العربية وعلم اللغة الحديث لمحمد داود ١٣٦.

5) وانظر البرهان ١/ ٣٦٨.

ب – **زيادة كمية الصوت في المد العارض للسكون،** إن كان سببه همزة متطرفة عند الوقف عليه، نحو: ماءْ . سماءْ . سوءْ . تفيءْ . تنوءْ . يجيءْ .....والسبب في هذا ضعف حرف المد وخفاؤه، لأنه عبارة عن حركة طويلة، فإذا وقع الهمز بعده كاد أن يطغى عليه صوت الهمز، لقوة الهمز، ومن ثم يشبعون صوت الحركة الطويلة بقدر ما يصل إلى إظهار الهمز جليا[1].

* ومما يتعلق بزيادة كمية الصوت هذه: شدة القلقلة عند الوقف خاصة[2]، ولا يكون ذلك إلا في حروف القلقلة، وهي (قطب جد)، ولا سيما إذا كان الحرف مشدّدًا[3]، نحو: الحقّ . المدّ . الخطّ ...... وشبيه بهذا استدعاء الوقف لزيادة كمية صوت الحرف الموقوف عليه، حتى يكون أتم مما قبله وأمكن في المخرج، نحو السين من (النفْسْ) فإنها أوفى صوتًا من الفاء التي قبلها، وإذا قدمت السين انعكس الأمر نحو: (النسْفْ) فالفاء الآن أصبحت أوفى صوتًا بسبب الوقف عليها [4].

* ومنه زيادة كمية الحركة عند التذكر، حتى تصبح كأنها حرف مد، مع أن الغرض منها صوتي صِرْف وليست مدًا في الأصل [5] .

ج . **ومن ذلك مراعاة تشابه أصوات الفواصل،** فيما يسمى بالسجع، لإعطاء الكلام إيقاعًا صوتيا متوازنًا عند الوقف[6]، وهي ظاهرة فاشية في اللغة العربية، ولا تخلو منها سورة من سور القرآن، نحو قول الله تعالى ﴿ قل أعوذ برب الناس، ملك الناس، إله الناس، من شر الوسواس، الخناس.....﴾ [7] قال السيوطي: " والأصل في الفاصلة والقرينة المتجردة

---

1) انظر: الخصائص ٣/ ١٢٥، والمنح الفكرية ١١٩، والموضح ١٢٨.
2) انظر: مخارج الحروف وصفاتها لابن الطحان ص١٣٤–١٣٥.
3) انظر: الرعاية ٢٥٩.
4) انظر: الخصائص ١/ ٦٠.
5) انظر: الأصول في النحو ٢/ ٣٩٢–٣٩٣.
6) انظر: الإتقان ٢/ ٩٤٠وما بعدها، وموسيقى اللغة ٢٤وما بعدها .
7) سورة الناس (١-٤).

في الآية والسجعة : المساواة "[١] وهو شبيه بالترنم، بزيادة الصوت وتطويله، فيما يسمى في الشعر بوقف الترنم[٢].

* وقول الله تعالى ﴿إِذْقالتْ الملائكةُ يا مرْيمُ إنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بكلِمَةٍ منهُ اسمُه المسيحُ عيسى ابنُ مريمَ وجيهاً في الدنيا والآخِرةِ ومِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[٣] فقوله:(ومِنَ الْمُقَرَّبِينَ) معطوف على (وجيها) الآتي حالاً، والمعنى: ومُقَرَّبًا من المقربين، قال أبو حيان: " وجاءت هذه الحال هكذا لأنها من الفواصل، فلو جاء: (ومقرَّبًا) لم تكن فاصلة"[٤]

فقد انتقل من الإفراد الذي يقتضيه ظاهر السياق إلى الجمع لأجل المساواة الصوتية بين الكلمات الموقوف عليها.

* وبهذه العلة يتوجه إجماع القراء على الرفع في قول الله تعالى ﴿ولا يؤذَنُ لهم فيعتذرونَ﴾[٥] ولم يقرأ أحد : (فيعتذروا) مع جوازه قياسا، لورود الفعل بعد فاء السببية في سياق النفي، والسبب أن "الرفع هنا بثبوت النون فيحصل بذلك تناسب رؤوس الآي، والنصب بحذفها فيزول معه التناسب"[٦] و كذلك قول الله تعالى ﴿وإنْ يقاتِلوكم يُوَلُّوكُمُ الأدبارَ ثمَّ لا يُنْصَرُونَ﴾[٧] فلم يحذف النون من (ينصرون) مع كونه معطوفًا على جواب الشرط الذي هو (يولوكم)، بل أثبت النون لتتناسب رؤوس الآيات[٨]، وتتحقق الوظيفة الصوتية المتمثلة في توحيد النغمة الموقوف بها.

---

١) الإتقان ٢/٩٤١.
٢) ارتشاف الضرب ١/٤٠٨.
٣) سورة آل عمران (٤٥)
٤) البحر المحيط ٣/١٥٥.
٥) سورة المرسلات(٣٦).
٦) شرح شذور الذهب ٢٨٦، وانظر معاني القرآن للفراء ١/٢٢٩.
٧) سورة آل عمران (١١١).
٨) انظر معاني القرآن للفراء ١/٢٢٩.

د ـ ومنه الوقف بالروم، وهو نقص الحركة واختلاسها، فيبقى في نهاية الكلمة صُوَيت صغير، يُستدل به على الحركة الكاملة[١] .

هـ : **ومن الوظائف الصوتية اللهجية الوقف على هاء التأنيث في الاسم بالتاء،** نحو : مسلمت، والرحمت، وطلحتْ، وحمزتْ ...... قال الشاعر :

والله نجّـــاك بكفـــيْ مَسلَمَـتْ — مـن بعدِ ما وبعدِ مـا وبعدمَتْ

صارت نفوسُ القومِ عندَ الغَلْصَمَتْ — وكادت الحرَّةُ أنْ تُدْعى أمَتْ[٢]

والأصل : مسلمة، و[بعدما ـ بعدمهْ ـ بعدمتْ] والغلصمة . وهي ما بين الرأس والعنق . وأمة، وليس لهذا الإجراء سبب سوى مراعاة التوافق الصوتي، وهي لهجة فاشية في قبيلة طيئ[٣].

و ـ **تغيير المقطع الصوتي عند الوقف**، وسبب ذلك أن الكلمة الموقوف عليها إذا كان آخرها متحركا فإنه يعد مقطعًا صوتيا بمفرده، كما في السين من (دَرَسَ) فهذه الكلمة مكونة من ثلاثة مقاطع صوتية : دَ/رَ/سَ، فإذا وقف عليها ضم الحرف الأخير إلى الذي قبله، فكوّنا مقطعا واحدًا، لأن الحرف الساكن لا يكوّن مقطعًا بمفرده، وعندئذ تصبح كلمة (درس) مقطعين فقط : دَ / رَسْ .

ز ـ **ومن الوظائف الصوتية** : تشويق السامع وتهيئته لما يقال، ويكون ذلك بالوقف على ما قبل مقول القول، ونحوه من المتلازمات، نحو : يقول محمد : **خالقوا الناس بخلق حسن**، و : من يفعل هذا : فجزاه الله خيرًا، و: يا أحمد : اتق الله .....وأمثلته كثيرة، وسماه بعضهم بالوقف التفسيري[٤] .

---

١) انظر سيبويه ٤ /٢٨٢، والتكملة ١٨٨، والقواعد والإشارات للحموي ٥١ .

٢) الرجز لأبي النجم العِجلي ، كما في ديوانه ص٤٧، وانظر : الخصائص ٣٠٤/١، وشرح الشافية٢ /٢٨٩-٢٩٠

٣) انظر الوقف والابتداء في كتاب الله لأبي جعفر محمد بن سعدان المتوفى (٢٣١هـ) ص١٤٩، تحقيق محمد خليل الزروق ، ط١، ١٤٢٣هـ الإمارات .

٤) انظر : العربية وعلم اللغة الحديث ١٣٧.

الباب الرابع
قرينة الإدغــام

الفصل الأول

أنواع الإدغام وأحكامه الصوتية

١ - تعريف الإدغام

الإدغام لغة : الإدخال، فيطلق على دخول شيء في مدخل ما[١]، ويقال : أدغمت الشيء في الشيء إذا أدخلته فيه [٢]، وقيل معناه في اللغة : الإخفاء والإحكام والستر [٣]، وقيل : التغطية، يقال : أدغمت الشيء ودغمته إذا غطيته [٤]، وكل هذه الألفاظ بمعانٍ متقاربة، وأما في الاصطلاح فمعناه : إدخال صوت في آخر حتى يصيرا من موضع واحد، ويجمعهما عمل واحد، كشأن الحرف المشدد[٥]، والأصل الإظهار، وإنما يُلجأ إلى الإدغام فرارًا من الثقل في النطق[٦].

كيفية الإدغام : يكون الإدغام بضم أحد الحرفين إلى الآخر، وإلزامه إياه، فيرتفع اللسان لهما ارتفاعة واحدة، من غير فصل بينهما بشيء، ومن غير مهلة زمنية طويلة، فيلزم اللسان موضعا واحدًا، ويلبث شيئًا قليلا في لزوم مكانه ثم يتركه بحركة، وهو ما **يُعبّر عنه في الدراسات الصوتية الحديثة بالانحباس ثم الانفجار**، فيكون الناطق قد جمع بين سكون وحركة في مخرج واحد باعتمادة واحدة[٧]، ويعني هذا أن زمان نطق الحرفين في هذه الحال يكون أطول من زمان النطق بالحرف الواحد،

---

١) مقاييس اللغة لابن فارس ٣٣٩(دغم).

٢) انظر : التعريفات للجرجاني ٧١، وشرح الشافية ٣/ ٢٣٥.

٣) الإدغام الكبير للداني ٤٠، واللباب للعكبري ٢/ ٤٦٩.

٤) انظر : الدر النثير للمالقي ١٧٢، والإدغام الكبير ٤٠، واللسان (دغم).

٥) انظر : سيبويه ٤/ ١٠٤، والمقتضب ٤/ ٣٣٣ ، والجمل للزجاجي ٤١٣-٤١٤، وشرح المفصل ٤/ ٤٨٧.

٦) معاني القرآن للفراء ١/ ٣٥٤.

٧) انظر : سيبويه ٤/ ١٠٤-١٠٥، والمقتضب ٤/ ٣٣٣، ٣٣٤ والتحديد للداني ٩٩، والكشف لمكي ١/ ١٤١، والموضح للقرطبي ١٣٩-١٤٠، وجهد المقل ١٨١.

متحركا كان أو ساكنًا، **وهذا عينه معنى التضعيف الذي هو صفة الحرف المشدّد، لشدة امتزاج المدغمين** فصارا كالحرف الواحد مشدّدًا، لأن الجمع بينهما بتفريغ ما بينهما من الحركة يجعل كل واحد منهما غير مستقل في اللفظ، فَيَجمعان في اعتمادة واحدة لعضو النطق[1]، وقد شرح العلامة المرعشي ذلك بقوله " ومعنى عدم استقلاله في التلفظ : عدم الفراغ عن تلفظه قبل الثاني، والفراغ إنما يكون برفع اللسان في اللساني، والشفة في الشفوي، والحلق في الحلقي، عن مخرج الحرف، وذلك الرفع إذا وُجِدَ يكون فاصلاً بين الحرفين، ويستقل الحرف الأول، وينتفي الإدغام، فحقيقة الإدغام التلفظ بالمثل الثاني قبل الفراغ عن المِثْل الأول، ومعنى وحدة الاعتماد : هو عدم وجود ذلك الفاصل "[2].

واعترض الرضي على اعتبارهما حرفين، ذاهبًا إلى أنهما حرف واحد مع اعتماد قويّ على مخرجه، واعترض على قول ابن الحاجب : **" أن تأتي بحرفين ساكن فمتحرك من مخرج واحد من غير فصل "** بأن هذا تناقض ، لأنه لا يمكن مجيء حرفين أحدهما عقيب الآخر إلا مع الفك بينهما، وإن لم تفك بينهما فليس أحدهما عقيب الآخر[3]، هكذا يقول، **وفي هذا الكلام نظر**، لأن تكرار الحرف الواحد ليس بمستحيل بل إنه ممكن ومعقول، ومتى كُرِّر في مكانه قوي الاعتماد عليه، وكل حرف لا يخلو من أن يكون ساكنا، أو متحركا، لا ثالث لهما، وورود المتحرك عقيب الساكن أمر شائع متأتٍّ في اللغة، نحو : قلْ لَه، واذهبْ بِه، وفي هذه الحال إما أن يُفك بينهما، وإما أن لا يُفك، والفك بينهما يكون بطرق، منها :

أ. الفك بينهما بحركة . ب. أو نبرة . ج. أو نغمة .

د. أو سكتة خفيفة . هـ : أو بالوقف .

---

١) انظر : شرح الشافية للرضي ٣/ ٢٣٥، والدر النثير ١٧٢.

٢) جهد المقل للمرعشي ١٨٢(بتصرف يسير) وانظر :الكناش ٢/ ٣٠٦.

٣) شرح الشافية ٣/ ٢٣٥.

وأما عدم الفك فيكون بإزالة الحركة من بينهما حال النطق[1]، أعني: إسقاط حركة الأول ليتصل بالثاني من غير فصل[2]، ويكون ذلك بانحباس عضو النطق على الأول زمنًا ما - مع استمرار الصوت - قبل الانتقال إلى الثاني، وصفة ذلك إسكان الحرف ثم تركه بحركة، فالجزء الممكوث عليه هو الساكن، وهذا المكث هو السكون، وتركه مع جنوح إلى إحدى الحركات الثلاث هو تحريك لجزئه الأخير. وبناءً على هذا يتم تبعيض الحرف، بين السكون والحركة، فهو إذن حرفان متماثلان: ساكن فمتحرك، ولولا ذلك لما أمكن جمع السكون والحركة، لأنهما ضدان، لا يجتمعان في شيء في آنٍ واحدٍ، فثبت بهذا أن أحدهما يقع عقيب الآخر، دون فاصل بينهما، لأن المكث على الحرف ليس تركًا له، وهذا المكث هو الذي فسره الرضي بقوة الاعتماد، وذلك الاعتماد نشأ منه إسكان، والإسكان وصفٌ مستقل عن الحركة، ومن المعلوم أن الحرف المشدد لا يكون إلا متحركًا في نهايته، فإن وُقف عليه نحو:(حقّ) -(ثمّ) كان تركه بصفة السكون بعد تقوية الاعتماد، وكل من وصف الحرف المضعف - فيما وقفت عليه من كتب العربية - يصفه بأنه حرفان أولهما ساكن وثانيهما متحرك، فلولا هذا التبعيض لما أمكن جمع سكون وحركة لحرف واحدٍ.

فثبت بهذا أن الوصف الصوتي الفونولوجي للحرفين المدغمين يقضي بأنهما صوتان مركبان، وليسا مجرد قوة الاعتماد على حرف واحد. والحقيقة الصوتية للحرف المضعف في اللغة العربية، تدل على أنه الصورة النهائية للحرفين المدغمين، سواء أكان الإدغام للمتماثلين ابتداءً، أو كان عن طريق التماثل الطارئ بالتأثر الصوتي.

مناقشة رأي من ذهب إلى أن المضعّف حرف واحد طال زمن النطق به:

والرأي الذي ذهب إليه الرضي في تصوره لنطق الحرفين المتماثلين يقاربه ما جنح إليه بعض المهتمين بالدراسات الصوتية من المحدثين العرب، ممن لم يسلّم بكون الحرف المضعّف حرفا مكررا، أو حرفين أُدخِل أحدُهما في

---

1) انظر: المقتضب ١/٣٣٣.

٢) انظر: شرح التصريف للثمانيني ٢١٦.

الآخر، منطلقين من آراء وتحليلات لبعض الصوتيين من غير العرب، ممن لا يجدون في لغاتهم ظاهرة الإدغام بالصفة التي هي بها في العربية .

فقد رأى اللغوي الفرنسي (فندريس) أن ما يسمى بالسواكن المضعّفة ليس إلا سواكن طويلة، وأنه من الخطإ أن يقال بوجود ساكنين في نحو (atta) وساكن واحد في (ata)[1]، كما ذهب اللغوي الإيطالي (ماريوباي) إلى أن اصطلاح الساكن المضعّف هو اصطلاحٌ مضِلّل حقًا ؛ لأنه قد استعير من طريقة الكتابة، أما في النطق فيمد الصوت الساكن (الصامت) بتطويل مدة النطق به.. [2]. وفسره (جان كانتينو) بنحو من هذا [3].

وقد برهن كُلٌّ من الدكتور محمد سامي أنور[4]، واللغويُّ ماريوباي[5]، وبرتيل مالمبرج[6] على عدم وجود الحرف المضعّف في اللغة الإنجليزية، وأن الحرف الذي يكتب مكررًا فيها ينطق بحرف واحد، أي بدون تضعيف، وكذلك حال بعض اللغات كالأسبانية، ومعظم الفرنسية[7]، والألمانية[8].

ولقد ذهب المتأثرون بهذا الرأي إلى قياس اللغة العربية على هذه اللغات، فأداهم ذلك إلى تعليل التضعيف في العربية بتطويل زمن النطق بالحرف الساكن، **فيقول الدكتور رمضان عبد التواب** :" وإن ما نعرفه باسم الحرف المشدّد، أو الصوت المضعّف، ليس في الحقيقة صوتين من جنس واحد، الأول ساكن والثاني متحرك . كما يقول نحاة العربية . وإنما هو في الواقع

---

١) اللغة لفندريس ص٤٩.

٢) كتابه (أسس علم اللغة)ص١٤٦.

٣) كما في كتابه (دروس في علم أصوات العربية)ص٣٩.

٤) انظر : علم الأصوات في القرن العشرين ، مقال له في مجلة عالم الفكر الكويتية ، العدد٣، عام :١٩٨٧، ص٢٨٩-٢٩٠.

٥) أسس علم اللغة ١٤٦.

٦) علم الأصوات ١٨٠.

٧) انظر علم الأصوات لبرتيل ١٨٠، ١٨٣.

٨) دراسة الصوت اللغوي ١٢٦.

صوت واحد طويل، يساوي زمنه زمن صوتين اثنين"[1] ثم ذكر الأقوال السابقة مستدلا بها .

كما رأى الدكتور أحمد مختار عمر أن "الإدغام هو إحلال صوت ساكن طويل محل الصوتين الساكنين القصيرين"[2]. ويقرر أن تضعيف الحرف الساكن يفسَّر بتطويله، كما في العربية، نحو : لذّ، حبّ، دكّ ....وفي حالة اعتبار الساكن طويلا يعد صوتًا مفردًا[3].

وناقض هذا باعترافه بأن الطول استمرار ممتد بخلاف التضعيف[4]، وأن الحرف المدغم يحصل هبوط في وسطه، ويُكوّن حدًا مقطعيا[5]. فهذا يدل على أنه حرفان أولهما نهاية مقطع، وثانيهما بداية مقطع[6]، ولو كانا حرفًا واحدًا طويلا(ممتدًا) . كما يقول . لما حصل تقسيمه مقطعيا، ولَمَّا استطاع الناطق أن يسكت على الجزء الأول منه قبل الثاني، فإن هذا لا يكون على حرف واحد طويل . ومن ثم يقول برتيل مالمبرج : " ويعرف المضعّف بأنه صامت احتباسيّ + صامت انفجاريّ، وهذان الصامتان . فضلا عن ذلك . متماثلان"[7].

ويقرر الدكتور عبد الصبور شاهين أن الصامت المضعّف من جهة النطق صامت واحد طويل، يشبه الحركة الطويلة، وأنه لا فرق بين نطق (قَدِم) و(قَدّم) سوى قصر مدة حبس الهواء في الكلمة الأولى، و طولها وتوتر اللسان في المخرج في الكلمة الثانية[8].

وما ذهب إليه هنا لا يتفق مع ما قرره في موطن آخر من أن أصول الكلمة لا تتغير من صيغة لأخرى، لأنها حروف المادة الثابتة، وضرب لذلك أمثلة منها

---

١) كما في كتابه (المدخل إلى علم اللغة) ص٩٧.

٢) دراسة الصوت اللغوي ٣٨٨.

٣) دراسة الصوت اللغوي ١٢٧.

٤) انظر هامش الصفحة السابقة من كتابه .

٥) انظر : دراسة الصوت اللغوي ، هامش ٣٨٨.

٦) انظر إثبات ذلك في : التشكيل الصوتي للعاني ١١٩–١٢٠.

٧) علم الأصوات ١٨٠.

٨) المنهج الصوتي للبنية العربية ٢٠٧.

أن (شدّ) بزنة :فَعْلَ، لأن النطق : شَدْدَ، بإسكان العين، و(قدّم) بزنة : فعّل، بتكرير العين، كما أن (عَلْم) بإسكان العين بزنة: فَعْل، و: (قال) بزنة : فال .....[1]

فقد أثبت هنا ـ عن طريق الميزان الصرفي ـ أن الحرف المضعّف حرفان، بدليل كونه بزنة حرفين في الميزان، ويستحيل في النطق أن يطال الصوت بالحرف الصامت حتى يصير حرفين، ولو سُلّم بذلك لكانت الدال في (شدّ) ثلاثة حروف : الدال التي طال النطق بها حتى صارت حرفين، وهي الأولى، ثم الدال الثانية، لأنه أقر أن زنتها : (شدْدَ) وهكذا ضبطها بالعلامات، ولا يمكن أن يقسم صامت واحد إلى قسمين ولو في النطق، ولا أن يُعَلّم صامت واحد بعلامتين مختلفتين في آن واحد، ولو كانت الحركة الطويلة مثل الحرف المضعف ـ كما يراه الدكتور عبد الصبور ـ لكان نحو (قال) كلمة رباعية نطقاً كذلك، لأنه جعل طول الحركة حرفين نطقًا، وقاس عليها الحرف المضعف، والحركة الطويلة في الحقيقة صوت واحد، وليست صوتين باتفاق، أما الحرف المضعف فحرفان متماثلان من الجهتين الصرفية والنطقية، فبان الفرق بينهما .

وكلامه في علاقة التضعيف بالإدغام والمماثلة لا يخلو من مثل هذا التعارض، فإنه يرى أن إدغام المثلين ليس إدغامًا، نحو (قدْ دخلوا) ولكنه تضعيف محض[2]. هذه عبارته، وهي تدل على أنه يرى أن الإدغام غير التضعيف، ثم يقول في موطن آخر : " إن الإدغام يشمل حالة التضعيف، وهي لا تدخل في نطاق مفهوم المماثلة، وإن الإدغام ينفرد عن المماثلة بحالة التضعيف "[3]، وتحدث عن الإدغام في موطن آخر، ثم قال : "وهو من الناحية الصوتية يعتبر من قبيل ما يسمى بالتضعيف"[4]!

فهو هنا يرى أن التضعيف ناشئ عن الإدغام ـ وهذا هو الصحيح ـ ولكنه خلاف ما ذكره من قبل، كما أن تفسيره للتضعيف بأنه إطالة صوت بحرف

---

١) المنهج الصوتي للبنية العربية ٤٦-٤٧.

٢) انظر : تعليقه على كلام برتيل في : علم الأصوات ١٤٧.

٣) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ٢٣٦.

٤) المنهج الصوتي للبنية العربية ٢٠٦.

واحد ينفي كونه إدغامًا، لأن الحرف الواحد لا يمكن أن يُدغَم بعضُه في بعض، والإطالة لا تكون إدغامًا.

ولعل أكثر هؤلاء مبالغة في عدّ الحرف المضعف حرفًا واحدًا طال زمن نطقه: الدكتور سعد مصلوح، الذي يرى أن "ما يميز المقطع ذا الساكن المشدد إنما هو الطول النسبي في الصائت، وزيادة شدته ودرجته، وأما الحرف الساكن نفسه. كالدال في (سدّ). فلا يطرأ عليه تغيير ذو قيمة "[1]!! ومن ثم ساوى بين المقطع الأول من كلمة (اكتب) وهو (اكْ)= س ص س. والمقطع الأخير من أي كلمة آخرها حرف مشدد عند الوقف، نحو (ردّ) = سَ ص س.[2] هكذا قطّعه، ووضع الفتحة فوق السين إشارة إلى أنه مقطع منبور!! وانتهى إلى أنه يرى أن الحرف المشدد يدخل تحت فونيم المدة (أو الطول) من الجانبين الصوتي والصرفي.

وهذا الرأي إن كان قد استند إلى التجارب المعملية. كما يقول صاحبه[3]. فإنه خلاف ما هو مسموع، ولا يتفق مع شيء مما يقرره علماء العربية من القدماء والمحدثين، ولا ما تصوره أجهزة التصوير الطيفي للكلام، ففي كل ذلك تفريق بين الصائت والصامت، وفرق بين المقطع المنتهي بصامتين والمنتهي بصامت واحد، وإذا كانت الحركة التي قبل الحرف المشدد هي منشأ طوله فما ذا يقال إذا كان ما قبله حركة طويلة ؟ نحو: الحاقّة. الطامّة. دابّة .... ومن الواضح جدًا هنا تأثر الكاتب باللغة الإنجليزية، من جهة كونه ربط النبر بالمقطع في جميع الحالات[4]، وفرّع على ذلك أن الحرف المضعف إنما هو جزء من مقطع منبور، كما هو في الإنجليزية [5]. ولأجل بيان عدم دقة هذا الرأي أُقدم فيما يلي صورتين طيفيتين للكلمتين اللتين مثّل بهما الدكتور سعد، وهما كلمة (اكْتُب) وكلمة (ردّ):

---

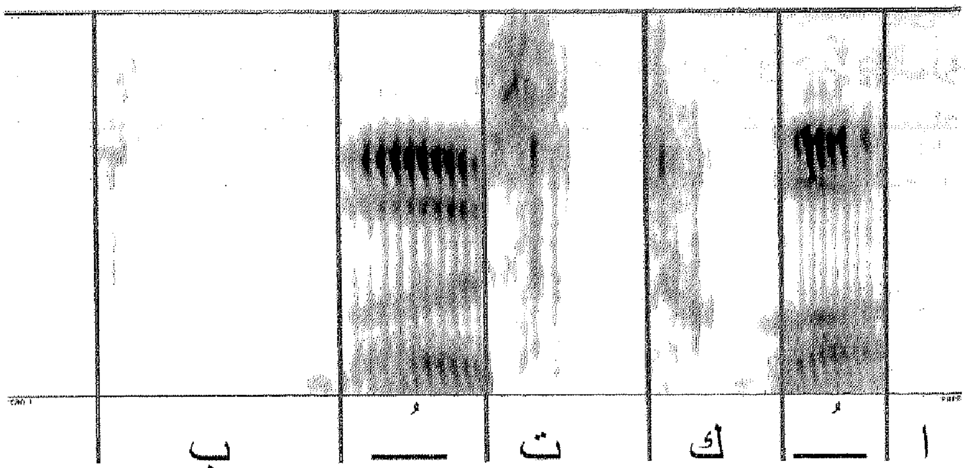
1) دراسة السمع والكلام ٢٣٥-٢٣٦.

٢) السابق نفسه.

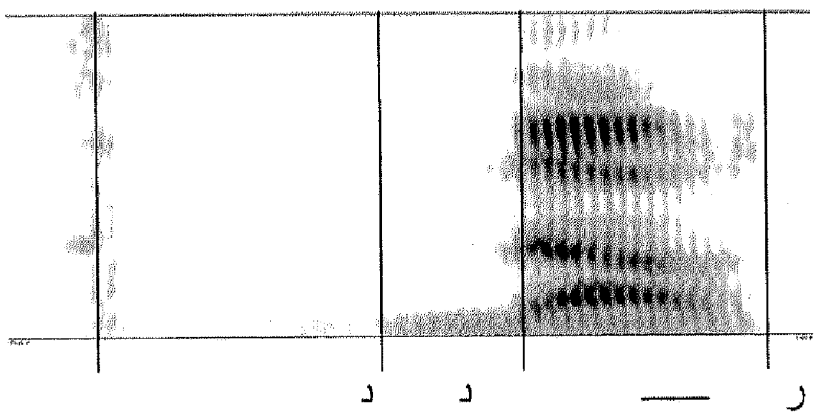
٣) انظر المرجع نفسه ص٢٣٥.

٤) انظر مثلا: ٢٣٨ - ٢٣٩.

٥) تقدم النقل عن أصحاب هذه اللغة في الإقرار بذلك، وسيأتي كذلك في مبحث (فونيم النبر) في الباب الخامس (باب التنغيم) في هذا البحث.

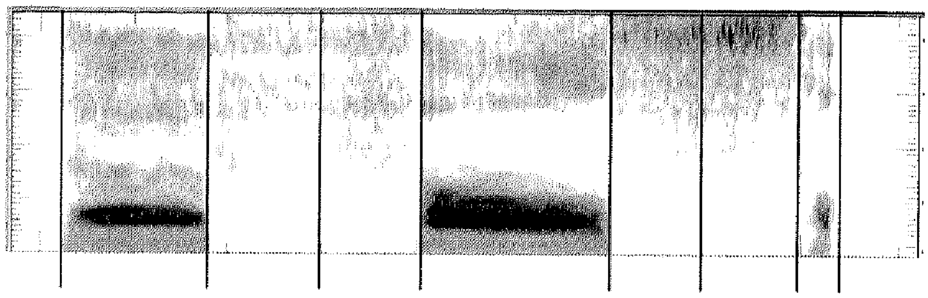


يتبيّن هنا أن المقطع الأول انتهى بنهاية صوت الكاف، فهو مكون من صامتين بينهما نواة المقطع، وهو الحركة، وكذلك المقطع التالي المكون من التاء وحركتها فالباء.



يتبيّن من هذه الصورة أن المقطع قُفِل بصامتين لا بصامت واحدٍ، والدليل على ذلك أن صوت الدال الأولى ـ لأجل الضغط عليها وقوة الاعتماد على موضعها ـ صارت له كمية أكبر، فظهر في الرسم بوضوح، بينما يظهر موضع الدال الثانية مشابها لموضع الراء هنا، والكاف والتاء في الرسم الأول، في خلوّه من أي قمم صوتية، سوى ما تبعها من القلقلة في نهايتها. كمثل ما تبع الكاف والتاء من الهمس بعد كل واحدة، ومن ثَمّ عُدّت القلقلة نبرةً

يظهر بها الحرف ويتميز. وهذا الهبوط المقطعي الذي حصل بين الدالين وأمكن من وضع حد في وسطهما يُعَدّ دليلا واضحًا على أنهما حرفان، جُمع بينهما بطريقة نطقية خاصة، وليسا حرفًا واحدًا، ولا يمكن أن يقال إن الكمية المقطعية هنا تساوي الكمية السابقة في (اكْ) فالفرق جليّ بينهما في الصورة، كما هو الشأن في النطق. ويلحظ هذا الأمر نفسه فيما يكون فيه الحرف المضعف وسط الكلمة، نحو كلمة (الصّافّات) وهذه صورتها الطيفية :



لقد بدا واضحًا أن الحرف المضعف (صص . فف) تختلف صورته عن الحرف المخفف، من جهة الكمية والزمن والنوع والمقطع.

والخلاصة : أن الحرف المضعّف (المشدد) عبارة عن حرفين متماثلين، أولهما ساكن والثاني متحرك، أُدغم أحدهما في الآخر، بعد تماثل متقدم أو طارئ، وسواء أكان سكون الأول متقدمًا على الإدغام، أم كان لأجل الإدغام[1]، وهذا هو الذي عليه جمهور علماء العربية[2].

---

1) انظر : المفيد في شرح عمدة المجيد للمرادي ١٥١، والدر النثير ١٧٤-١٧٥، والصوتيات والفونولوجيا لمصطفى حركات ٩٣-٩٤. و(النظريات الصوتية في كتاب سيبويه)مقال للطيب البكوش في حوليات الجامعة التونسية ص١٥٢، العدد ١١، سنة ١٩٧٤.

2) انظر على سبيل المثال : سيبويه ٤/٤١٧وما بعدها، والمقتضب ١/٣٣٣و٣٣٤، والخصائص ٢/١٤٠-١٤١، والكناش ٢/٣١٨-٣١٩.

ومهما يكن لهذا الوصف من علاقة بـ(كمية) الصوت، و(زمنه) أو قوة (الاعتماد) فإن ذلك لا يغير شيئًا من حقيقته، وقد أحسن الدكتور جعفر عبابنة في الاحتجاج بالأدلة الواضحة على أن الحرف المشدد حرفان وليسا حرفًا واحدًا طال زمن النطق به[١].

٢ - معرفة الحرفين المدغمين، وأسباب الإدغام

الحرفان المدغمان يكونان متماثلين، أو متجانسين، أو متقاربين، والمتماثلان هما الحرف المكرر، كالباء مع الباء، والدال مع الدال، والمتجانسان هما المتحدان في المخرج الكلي مع الاختلاف في الصفات، كالطاء والتاء والدال، والمتقاربان هما اللذان تقاربا في المخرج دون الصفات، كالدال والسين، أو تقاربا في الصفات دون المخرج، كالتاء والثاء [٢]. وقد درج النحويون على جعل المتجانسين والمتقاربين قسمًا واحدًا، باسم "المتقاربين"[٣] بناءً على أن التجانس من التقارب، وهذا صحيح، وهو الذي سأنتهجه في هذه الدراسة .

ومعنى هذا أن إدغام الحرف في الحرف - أو تأثر الحرف بآخر - مسبَّبٌ عن أمرين على وجه العموم : **الأول التماثل، والثاني التقارب**، وعند التحقيق والتدقيق يتمحضان في سبب واحد إن كان الإدغام كاملا، **هو التماثل**، لأن التقارب يؤدي إلى التماثل، وعن طريق التماثل يكون الإدغام، لأن الحرفين لا يمكن جمعهما بعمل واحد لعضو النطق إلا إذا تماثلا[٤]، فلا يحتاج عضو النطق إلى تغيير موضعه للجمع بينهما، بل يكفيه أن يزيد في الاعتماد والمكوث في موضعه[٥]، قبل أن ينتقل إلى الآخر، بالصفة التي تقدمت، وهذا

---

١) انظر : (في حقيقة الإدغام) مقال لجعفر عبابنة في مجلة أبحاث اليرموك ، سلسلة الآداب واللغويات ، المجلد الثالث ، العدد الثاني ، عام ١٤٠٦هـ . ص٥٠-٥٩.

٢) انظر :الإدغام الكبير٤١، و النشر ٢٧٨/١-٢٧٩، والطرازات المعلمة ١٥٧ وجهد المقل ١٨٢-١٨٣، و نهاية القول المفيد ١٢٢.

٣) انظر مع ما سبق :التكملة ٦١٤، وشرح الشافية ٢٣٤/٣، والكناش ٣١٨/٢-٣١٩.

٤) انظر شرح التصريف للثمانيني ٢١٧.

٥) انظر : الدر النثير ١٧٢-١٧٣، والكناش ٣١٧/٢-٣١٩، وشرح مختصر التصريف العزي ٩٦-٩٧.

في الإدغام الكامل خاصة. أما الإدغام الناقص، أو الإخفاء، أو أي نوع آخر - من أنواع الجمع بين الحرفين التي لا ينتج عنها التماثل الكامل بينهما - فسببه هو التقارب الصوتي، فيتأثر الصوت بالصوت المجاور له فينطقان بطريقة مختصرة، فيها تخفيف على عضو النطق وانسجام بين الأصوات، مع بقاء شائبة من كل صوت[1]، ومثل هذا الإمالة، فما هي إلا تقريب صوت من صوت[2]، وكذلك **همزة بين بين، والإدغام الناقص** كالذي يكون للنون الساكنة في حروف (ينمو) وللطاء الساكنة في التاء، نحو: بسطْت - فرَّطْت - أحطْت، **وإشمام** الصاد زايًا نحو: التصديق - الفصد[3]، **وإتباع الحركة للحركة** المجاورة لها، نحو: الحمدُ لُله - كما تقدم في حركة الإتباع - **وقلب تاء الافتعال** حرفًا مناسبًا لما قبلها، نحو: اصطبر وادّكر، في (اصتبر واذتكر)[4]، **وكترقيق الراء** للكسرة بعدها أو قبلها، ونحو ذلك من صنوف التقريب الصوتي، فكلها يصدق عليها مقولة (تأثّر صوت بآخر) أو تقريب صوت من صوت، أو جمع صوت مع آخر عند النطق[5].

وهذا النوع من التأثر الصوتي هو وحده الذي يسميه بعض المحدثين بالمماثلة، دون غيره[6]، مع أن المماثلة قد لا تتحقق فيه، لأن الغالب أن تحققه لا يحتاج إلى مماثلة كاملة بين الصوتين، وأما المضعف الذي تتحتم فيه المماثلة فلا يجعلونه من المماثلة[7]! وهي - كما يُعَرِّفونها -: "جعل الصوتين

---

1) انظر: التحديد للداني ٩٩، و التطور النحوي للغة العربية ٢٩، والأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس ١٨٤.
2) انظر: المنصف ٢/٣٢٥.
3) انظر سيبويه ٤/٤٧٧، ٤٧٨.
4) انظر لهذه الصور من التجنيس بين الأصوات: المنصف ٢/٣٢٥-٣٢٧، والأصوات اللغوية لإبراهيم ١٨٣-١٨٤..
5) انظر: سيبويه ٤/٤٣٧وما بعدها، والخصائص ٢/١٤٠-١٤٤، وعلم الصوتيات لعبد العزيز علام وعبد الله ربيع ٣٠٨-٣٠٩.
6) انظر: الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس ١٧٨، واللسانيات المجال والوظيفة والمنهج ٩٣.
7) انظر: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ٢٤١، ٢٣٦، و: في أصوات العربية دراسة تطبيقية ص ١٠٥-١٠٦.

غير المتماثلين متماثلين"[1] وصفتها : أن يتأثر الصوت بآخر مجاور له، فيغيره بحيث يكون مثله أو قريبا منه، أو يؤثر في صفاته أو في موقعه [2]، ومعنى هذا أنهم لا يطلقون (المماثلة) إلا على إدغام المتقاربين، دون المتماثلين.

ولا معنى لهذا إلا أن يكون لما تقدم من احتمال تأثر بعضهم باللغات التي ليس فيها هذه الظاهرة بالصفة التي هي بها في العربية، وليس من المستبعد ـ أيضا ـ أن يكون بعضهم تأثروا بفكرة فناء الحرف المدغم في الحرف المدغم فيه، وهو تعبير الدكتور إبراهيم أنيس حين تحدث عن الإدغام، فقال : " وأقصى ما يصل إليه الصوت في تأثره بما يجاوره أن يفنى في الصوت المجاور، فلا يترك له أثرًا، **وفناء** الصوت في صوت آخر هو ما اصطلح القدماء على تسميته بالإدغام "[3] وقال : " والإدغام بنوعيه عبارة عن **فناء** الصوت الأول في الثاني ....."[4] وكرر هذه الكلمة مرارًا، وبعض من جاءوا بعده رددوا هذه المقولة، وعبّروا بها عن الإدغام [5].

والأولى عدم التعبير بكلمة (الفناء) هذه، لما توحي إليه من انعدام الصوت المدغم، وهو في الحقيقة لا يخلو من ثلاث أحوال : **الأولى /** أن يقلب إلى مقاربه، نحو : وجدْتّ.**الثانية /** أن يمزج بمماثله، نحو : ردّ، أو قُلْ لَه.**الثالثة /** أن يخفى إذا تلاه مقاربه مع بقاء بعض صفاته، نحو : بسطت . وليس يصدق على إحدى هذه الأحوال القول بالفناء، ولا سيما الحال الثالثة التي يعترفون

---

1) أسس علم اللغة ١٤٧، وانظر : أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي لعبد الصبور شاهين ٢٣٢.

2) انظر : دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن ١٢٥.

3) الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس١٨٢.

4) السابق ١٨٧. وقد تكلم عن المماثلة بالمفهوم السابق ، ثم عرض الإدغام ضمن ما سماه بـ(درجات التأثر) وقد يوحي هذا أنه يرى أن درجات التأثر ـ ومنها الإدغام ـ مندرجة تحت المفهوم العام للمماثلة ، وإن كان قد فصل بين الإدغام والمماثلة (انظر : ١٧٨-١٨٦).

5) مثل عبد الصبور شاهين في كتابه : أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ٢٣٢، ٢٣٧، ومجدي إبراهيم في كتابه : في أصوات العربية ١٠٥، ومحمود زين العابدين في كتابه : الأصوات العربية بين اللغويين والقراء ١٦١.

بها، **فالتحقيق إذن أن "الحرف المدغم غير مستهلك "**[1] بل "إنه ثابت"[2]. وأثره موجود لفظًا ومقطعًا وموقعًا، ولكن يبدو أن الخلط بين مستويي التحليل الصوتي المجرد (الفونيتيكي) والتحليل الشكلي أو الوظيفي (الفونولوجي) للأصوات له أثر في مثل هذا التصور، وقد مرّ في هذه الدراسة مرارًا التنبيه على ضرورة التفريق بين المستويين، وبالاستناد على ذلك ينبغي أن يقال إن الحرفين المدغمِ أحدُهما في الآخر - إدغامًا كاملا - حرفان اثنان من الناحية الفونولوجية (الوظيفية) وحرف واحد مكرر من الناحية الفونيتيكية (الصوتية المجردة)[3]، ومن ثم يجد القارئ جمهور الصوتيين لا يفرقون بين المماثلة والإدغام[4]، لأن المماثلة أقوى أسباب الإدغام، كما تقدم في التحليل (فونيتيكيًا) و(فونولوجيا).

٣ - أقسام الإدغام

ينقسم إدغام حرف صامت في حرف صامت إلى قسمين يشملان جميع أنواع الإدغام، هما الإدغام الصغير، والإدغام الكبير[5].

القسم الأول : الإدغام الصغير، وهو الذي يكون فيه الأول من الحرفين ساكنًا ابتداءً، نحو : قدْ دخل، وقطّع، ولم يذهبْ بكر، واجلسْ ساكتًا، وكمْ مالك، وهلْ لك ...

ونحو ذلك[6]، سمي صغيرًا لقلة التغيير الذي يحدث عنه، وهو جمع الحرفين في نطق واحد، من غير حذف لشيء[7]، إلا أن يكون بين متقاربين

---

١) جهد المقل ٣١١.

٢) شرح الكافية ٩٤/١ للرضي .

٣) انظر : القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية ، منهج لساني معاصر ، ص٢١٩.

٤) انظر على سبيل التمثيل : اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج ٩٣، ودراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن ١٢٥، و في أصوات العربية دراسة تطبيقية ١٠٤، والأصوات العربية بين اللغويين والقراء ١٥١، و علم الأصوات بين القدماء والمحدثين لعلي مزيان ص١٢١، ط١، ٢٠٠٣، ليبيا.

٥) انظر : النشر ٢٧٤/١، والطرازات المعلمة ١٦٠، والإتقان ٢٩٢/١.

٦) انظر : المقتضب ٣٣٣/١، وإيجاز التعريف ١٧٢، والحاشية السابقة.

٧) انظر : الطرازات المعلمة ١٦٠.

فيلزم قلب أحدهما إلى لفظ الآخر، كما في تاء (الافتعال) إذا لقيت مقاربا لها، نحو: ادّكر، واظّلم، واصّبر [١].

القسم الثاني: الإدغام الكبير، ويكون عندما يلتقي حرفان متحركان، فيدغم أحدهما في الآخر، والغالب أن لا يكون إلا في كلمتين نحو: جعلَ لكم - عددَ سنين - حدثَ ذلك - الرحيمِ مالك ...... وقد يكون في كلمة واحدة، نحو: يخلُقُكُم - يدعونّي - تأمنّا ... ولا فرق بين كون الحرفين متماثلين ومتقاربين، وسمي كبيرًا لتعدد ما يستلزمه من التغيير الصوتي بالنسبة لسابقه، وهو حذف حركة الحرف الأول، ثم الإدغام، في المثلين، فإن كانا متقاربين أضيف إلى ذلك تغيير ثالث، وهو قلب أحد الحرفين إلى لفظ الآخر[٢].

وسبقت الإشارة إلى أن الإدغام في القسمين معًا قد يكون تامًا، وهو الأكثر وقوعًا، وقد يكون ناقصًا، وهو قليل، **فالتام** "إدراج أحدهما في الآخر ذاتًا وصفة" كإدغام التاء في الطاء، كما في قول الله تعالى: ﴿قالت طائفة﴾[٣] فإنه يصير إلى: (قالَطّائفة) فلم يبق من التاء شيء.

والناقص "إدراج أحدهما في الآخر ذاتًا لا صفة" نحو: ﴿أحَطْتُ﴾[٤] والصفة التي تبقى من المدغم يغلب كونها إما إطباقًا، واستعلاءً، كما الكلمة السابقة، ومثلها: بسطْت - نخلقْكم، وإما غنّة[٥]، نحو: مَنْ يؤمن - مِنْ ولي ...

٤. صور إدغام الحرفين من جهة الإعراب والبناء

ولكل من إدغام المثلين والمتقاربين الكبير والصغير ثلاث صور، بحسب حالات الحرفين المدغَم و المدغم فيه، فإنهما إما أن يكونا مبنيين، وإمّا أن يكونَ الأول مبنيا والثاني معربا، أو الأول معربا والثاني مبنيا. والمراد ببناء

---

١) انظر الحاشيتين السابقتين والتكملة ٦١٤.

٢) انظر: سيبويه ٤/٤٦٨-٤٦٩، والتكملة ٦٢١، والنشر ١/٢٧٤.

٣) سورة آل عمران (٧٢).

٤) سورة النمل (٢٢).

٥) جهد المقل ٢١٠، والمنح الفكرية ١١٠.

الحرف كون حركته حركة بناء، كما أن المراد بإعرابه كون حركته حركة إعراب. **فهذه ثلاث صور، وفيما يلي تفصيلها :**

١) **الصورة الأولى :** أن يكون الحرفان المدغمُ أحدُهما في الآخر مبنيين :

أولا: إدغامهما إدغاما صغيرًا : نحو : أمْ مَن - عني - منّي - أنْ نجعل - اضربْ بَكرًا - قلْ لكم - اخشيْ ياسرًا - هلْ لكم - كيْ يقوم - خلوا وهم - اجلسْ ساكتًا - كمْ مالك - قدْ دخلوا - اضربْ بعصاك - اذهبْ بِكتابي - وهكذا في كل ما التقى فيه حرفان مِثْلان بُني الأول منهما على السكون والثاني على الحركة، فالإدغام يجعل الحرفين كحرف واحد مشدد، والعلامتين علامة واحدة هي علامة بناء الحرف الثاني، سواء أكان الحرف الأول حرف إعراب أم حرف بناء، فيقال مثلا : النون في (عنّي) حرف مبني على الكسر، والأصل أنهما نونان : نون (عن) ونون الضمير، التي يسميها النحويون (نون الوقاية)، الأولى مبنية على السكون، والثانية على الكسر، فجعلهما الإدغام حرفا واحدًا مضعّفًا مبنيا على علامة واحدة، شبيهة بنون : (عَنَّ)، و(ظنّ) وكذا يقال في تحليل سائر الأمثلة المتقدمة، نحو اضربْ بِعصاك، فالإدغام جعل الباءين باءً واحدة مضعّفة ، كباء (الْجُبِّ) و(الربِّ) في البناء على علامة واحدة .

والقول في المتقاربين كالقول في المتماثلين، إذا كان الأول ساكنا أصالة لغير إدغام، نحو: قدْ تاب - قدْ تبين - هلْ ثُوّب - همتْ طائفة - رَحُبتْ ثم وليتم - أنبتتْ سبع - مضتْ سنة الأولين ....الخ، ومنه الإدغام في المبدل من تاء الافتعال، نحو : اظّلم - اصّبر - ادّكر - اتّصف - اتّدع - اتّزر - اتسر ...... وهكذا، والأصل : اظتلم، اصتبر - اذتكر ، اوتصف - اوتدع - ايتسر... على وزن (افتعل) فما كانت فاؤه حرف استعلاء أو إطباق قلبت تاؤه من جنس ذلك الحرف، ثم أُدغم الحرفان، مثل : اظّلم واصّبر ، لأن حرف الاستعلاء أقوى فتأثيره أقوى، لما فيه من الجهر والإطباق والاستعلاء، وسبب القلب هو طلب الخفة وتناسب الأصوات، والاقتصاد في النطق، فإن كانت الفاء حرفا مستفلا مجهورًا كالذال والدال قلبت إليه التاء أيضا ، لأنها مهموسة، نحو : ادّعى

واذّكر، أو: ادّكر[١] .وما كانت فاؤه حرفَ لين قلبت فاؤه تاء لضعف حرف اللين، ثم أُدغمت في تاء الافتعال، وبُني الحرفان على حركة الحرف الثاني منهما[٢]، نحو: اتسر واتصل واتقى ....

ثانيا: إدغامهما إدغاما كبيرا: المراد به كون الحرفين متحركين أصالة في كلمة أو في كلمتين، نحو: حيٌّ؛ لأن أصله: حَيِيٌ[٣]ـ شدّ. مدّ. حبّذا، فإن الأصل: شدَدَ. مدَدَ. حَبُبَذا، ففي نحو: شدَّ ومدَّ وحيَّ من الماضي، سكن الحرف الأول ثم أُدغم في الثاني، واكتفي في الحرفين بعلامة بناء الثاني منهما[٤]، لأجل الإدغام الذي أوجب سكون الأول.

ومن أمثلته في المتقاربين: قول الله تعالى: ﴿وشَهِدَ شاهد﴾[٥].

﴿فمن زُحْزِحَ عَن النار﴾[٦]. ﴿ووَرِثَ سليمانُ﴾[٧] وهو كثير[٨].

فقد صار الفعل في (شهدَ) و(زُحْزِحَ) و(ورِثَ) مبنيًا على ما بُني عليه الحرف التالي له، لأنهما صارا حرفًا واحدًا مضعفا، بعد حذف حركة بناء الفعل من الحرف المدغم.

٢) **الصورة الثانية:** أن يكون الحرف الأول مبنيا والثاني حرف إعراب:

أولا: إدغامهما إدغامًا صغيرًا: نحو: مهديّ. مقضيّ. مرويّ. منسيّ، ونحو ذلك كل مفعول من الثلاثي المعتل الآخر، بناءً على أن أصله: مهدُويٌ.

---

١) انظر: المنصف ٢/٢٢٧–٢٣١.

٢) انظر: الخصائص ٢/١٤١–١٤٢.

٣) المقتضب ١/ ٣١٧. ومنه قول الله تعالى ﴿ويحيى مَنْ حيَّ عن بيّنَةٍ﴾ سورة الأنفال (٤٢) قرأه بعض القراء بالإدغام، وبعضهم بالإظهار. [انظر: السبعة ٣٠٦،والتكملة ٦٠٤–٦٠٥، ومعاني القرآن للأخفش ١/ ٣٥٠]

٤) انظر: المقتضب ١/٣٣٤–٣٣٥. والحجة لأبي على ١/١٠١.

٥) سورة يوسف(٢٦).

٦) سورة آل عمران (١٨٥).

٧) سورة النمل(١٦).

٨) انظر: إدغام القراء للسيرافي ص ٢٦ وما بعدها، تحقيق محمد الرديني، ط٢، ١٤٠٦هـ نشر دار أسامة، دمشق، والإدغام الكبير لأبي عمرو ٩٣وما بعدها.

مقضويٌ ـ مرووِيٌ ـ مُنسُويٌ، انقلبت الحركة الطويلة التي هي واو (مفعول) ياءً، للتناسب الصوتي، لأن اللام ياء، ثم أدغم المبني في المعرب[1]، ونحو ذلك يقال في : سيّد وميّت، على أن الأصل : سَيْوِدٌ ومَيْوِتٌ، وكذلك : عِصِيٌّ ودِلِيٌّ ومغزُوٌّ، وكل جمع على (فعول) من المعتل[2]، والأصل : مغزووٌ، وعصويٌ ودلويٌ، بعد ما كانتا (دلوو) و(عصوو) فقلبت الواو ياءً طلبا للتناسب الصوتي[3]، **ومن إدغام المبني في المعرب :** (ستّ) وأصله المقدّر على ما يراه النحويون : سِدْتٌ، بعد ما كان (سدسًا)[4].

ثانيا : إدغامهما إدغامًا كبيرًا : نحو : يمدّ ويعدّ ويصبّ ويظلّ .....على وزن (يفْعُل) صوتيًا، بتحريك الفاء نطقًا، والأصل المقدَّر للصيغة : : يمدد ويعدد ويصبب ويظلل، بدليل : لم يمدد ولم يصبب .....[5] الحرفان الأخيران من هذه الصيغة متحركان، ثم أدغم الأول بعد تسكينه ـ وهو حرف بناء ـ في الثاني الذي هو حرف إعراب. ومن المتقاربين من هذا النوع : (وَدٌّ) في : وَتِدٍ[6].

الصورة الثالثة : <u>أن يكون الحرف الأول من المدغمين حرف إعراب والثاني مبنيًا :</u>

أولا: إدغامهما إدغامًا صغيرًا : نحو : لم يذهبْ بكر، ولم يرجعْ عمرو، ومَنْ يطِعْ عَلَم ..... وهو خاص بالفعل المضارع المجزوم بالسكون، لأن الأسماء لا تجزم، والأفعال لا يجزم منها إعرابًا إلا المضارع . ومن المتقاربين : قول الله تعالى ﴿اركب معنا﴾[7] ـ﴿يغفر لكم من ذنوبكم﴾[8] ـ ﴿إنْ نَشَأْ

---

1) المراد بالمعرب هنا ذو الحركة الإعرابية ، كما سبق التنبيه .

2) انظر : سيبويه ٤ /٣٦٢-٣٦٨، والمقتضب ١/٣٠٨-٣١١، ٣٥٦-٣٥٧ ، وشرح الملوكي ٤٦٤-٤٧٨.

3) انظر : شرح الملوكي ٤٧٩، وشرح الشافية ٣ /٢٣٧، والهمع ٦ /٢٨١-٢٨٢.

4) سيبويه ٤ /٤٨١-٤٨٢، والخصائص ٢ /١٤٣.

5) انظر : التكملة ٦٠٩، وشرح الشافية ٣ /٢٤٤، وإيجاز التعريف ١٧٦، ١٨٦، ١٨٨-١٨٩، والهمع ٦ /٢٨٧.

6) انظر : سيبويه ٤ /٤٨٢، والخصائص ٢ /١٤٠.

7) سورة هود (٤٢).

8) سورة نوح (٤).

نَخْسِفْ بِهِمُ الأرض﴾[1] وفي هذا الإدغام تبقى علامة الإعراب كما هي صوتيا، غير أن الحرفين يبنيان على حركة واحدة حكمًا، كما تقدم .

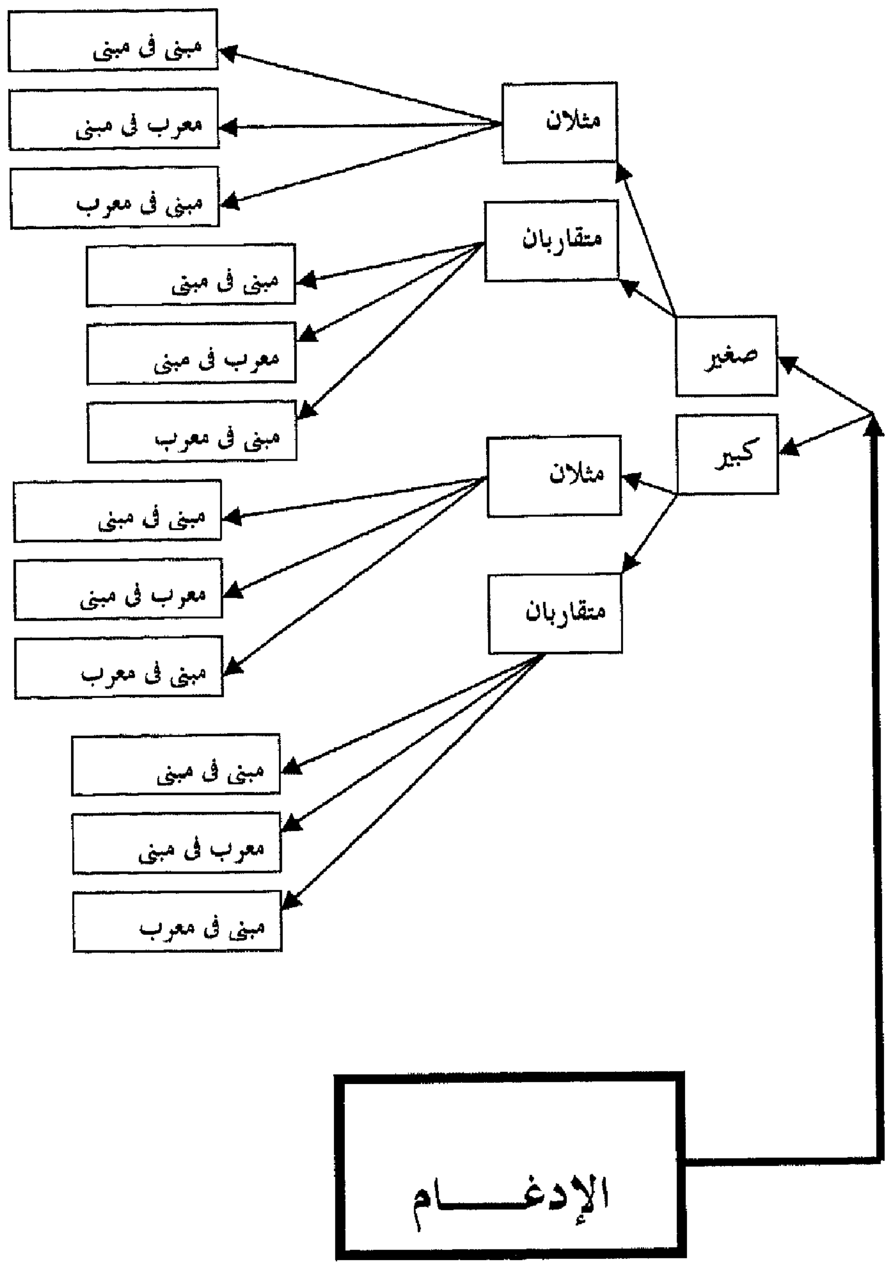
ثانيا : إدغامهما إدغامًا كبيرًا : نحو قول الله تعالى : ﴿ينزعُ عنهما﴾[2] و﴿وتودون أن غيرَ ذاتِ الشوكةِ تكون ﴾[3]و﴿إنما المشركونَ نَجَس﴾[4] و﴿حتى إذا أدركهُ الغرَقُ قال﴾[5] و﴿ومن يبتغ غير الإسلام دِينًا فلن يقبل منه﴾[6] ....

ومن المتقاربين :﴿ الودودُ ذو العرش . يكادُ زيتها . أطهرُ لكم ......﴾ وفي هذا النوع يسكن حرف الإعراب سكونًا عارضا لأجل الإدغام، وتحذف علامة الإعراب لوجود قرينتين دالتين عليها، وهما : ١. **القرينة الموقعية**، وهي موقع الكلمة من الإعراب في السياق اللغوي . ٢ـ **القرينة الصوتية**، التي هي الإدغام، لأنه يدل على الحرفين معًا، ومتى فُكّ ظهرت علامة الإعراب، لأن فكه يكون بإدخال حركة الإعراب بين الحرفين، وحركة الإعراب مقترنة بحرفها .

وفيما يلي رسم بَيانيٌّ مشَجّر يلخّص هذه الأقسام، والصور الصوتية لإدغام الحرفين الصامتين، بالطريقة التي انتهجتها هذه الدراسة :

---

١) سورة سبأ (٩) وانظر لورود الإدغام في هذه الآيات : إدغام القراء للسيرافي ٥،١١، ٣٩.
٢) سورة الأعراف (٢٧).
٣) سورة الأنفال (٧).
٤) سورة التوبة (٢٨).
٥) سورة يونس (٩٠).
٦) سورة آل عمران(٨٥).



الإدغـــــام
صغير
كبير
مثلان
مبنى فى مبنى
معرب فى مبنى
مبنى فى معرب
متقاربان
مبنى فى مبق
معرب فى مبنى
مبنى فى معرب
مثلان
مبنى فى مبنى
معرب فى مبنى
مبنى فى معرب
متقاربان
مبنى فى مبنى
معرب فى مبنى
مبنى فى معرب

الفصل الثاني
وظائف الإدغام النحوية

١ ـ الوظيفة العامة (الفونولوجية) :

للإدغام وظيفة صوتية عامة هي : تخفيف النطق والاختصار، ليخرج الكلام سهلا دون تعثر، لأنه نطق قائم على التماثل الصوتي الأصلي أو الناتج عن القلب[1]، وهي وظيفة صوتية أدائية عامة في جميع أنواعه .

قال أبو عمرو الداني ـ رحمه الله ـ : " ولا يَخِلُّ المعرَبُ منه بذهاب إعرابه، إذا أُسكن للإدغام وذهب إعرابه .... ألا ترى أن حركات الإعراب قد تحذف في الوقف نحو : (قال اللهْ) و(الحمد للهْ) و﴿ وتذرون الآخرهْ﴾[2] وشبهه، وتحذف أيضا من الأسماء المعتلة والأسماء المقصورة .....فلا يخل المعنى بحذفه في ذلك كله، ولا يلتبس وجهه .... فكذلك في الإدغام مثله سواء " .[3] وقال السيرافي : **" إنما الإدغام تخفيف وحذف إعراب "**[4].

يريد أن دلالة الموقع الإعرابي كافية في حال عدم ظهور علامة الإعراب بسبب الوقف، وكذلك الحال في الحرف المدغَم إذا ذهبت علامة الإعراب منه بسبب الإدغام ؛ فإن الموقع الإعرابي كاف في الدلالة عليها، فإن القرينة الإعرابية متعددة الأنواع، قد تكون سياقية وقد تكون لفظية، وصوتية أحيانا، ومما هو معلوم بالضرورة أن النحو يشمل ما ليس بإعراب، والقرائن الإعرابية جزء من الفونيمات التركيبية الدالة، كما أن الإدغام جزء منها، وطلب التخفيف ذو أثر كبير في التركيب من نواح عدة،ومن ضروبه الإدغام؛ لأنه من طرق الاقتصاد النطقي في أثناء أداء الكلام، وهو الغرض العام

---

١) انظر : (النظريات الصوتية في كتاب سيبويه) مقال للطيب البكوش في مجلة حوليات الجامعة التونسية ، العدد١١، ص١٥٠-١٥١.

٢) سورة القيامة (٢١).

٣) الإدغام الكبير في القرآن لأبي عمرو الداني ٤٠،٤١. وانظر المقتضب للمبرد ١/ ٣٢٤ .

٤) إدغام القراء للسيرافي ٦٠ .

والوظيفة المستمرة للإدغام، والتأثير في التراكيب النحوية من جملة ما ينشأ من أجل ذلك[1]، كما سيتبين فيما يأتي .

٢ ـ أما الوظائف التفصيلية الأخرى، التي تنشأ بعد تحقق الوظيفة الصوتية الأدائية العامة، فهي كما يلي :

أولا : وظائف تركيبية :

أ ـ **وظائف تركيبية إسنادية :** كالدلالة على المسند أو المسند إليه في التركيب، ومن أمثلتها :

١ – الدلالة على المسند إليه (الفاعل) نحو : اخشيْ ياسرًا، يصير نطقًا :" اخْشَيّاسرًا" فقد ذهب الضمير الدال على الفاعل لإدغامه فيما بعده، فصار الإدغام دليلا عليه، قال الله تعالى ﴿ وتَولَّوْا واستغنى اللهُ﴾[2]/ ←—— تولَّوسْتغنى [3]، (حسب الكتابة الصوتية).

ونحوه : اخشَوْا واقدًا / ←—— اخْشَوَّاقدًا[4]، فقد أدغمت الواو التي هي ضمير الفاعل في واو العطف، فصارتا واوًا واحدة مضعفة، ودل الإدغام على الفاعل دلالة صوتية لفظية،كما دل عليه السياق دلالة معنوية .

٢ – ومن الدلالة على المسند إليه (المبتدإ) قول الله تعالى ﴿لكنّا هو الله ربّي﴾[5]المسند إليه بعد(لكن) غير موجود صوتيا، لأن الألف تحذف في الوصل في قراءة غير ابن عامر، ورواية عن نافع[6]، ولكن الإدغام هنا قرينة دالة على المسند إليه، إذ التقدير : (لكن أنا). و(أنا) مسند إليه (مبتدأ)

---

١) انظر : الإدغام الكبير ٥٠–٥١، والخصائص٢/ ١٣٩–١٤٥، والكناش ٢/ ٣١٨–٣٢٠، والممتع ٢/٦٣١، ٦٥٠–٦٥٨.

٢) سورة التغابن (٦). و: ←—— / (معنى هذا الرمز : يصير صوتيا) .

٣) انظر : شرح الشافية ٣/ ٢٣٧.

٤) انظر : سيبويه ٤/ ٤٤٢، مع السابق .

٥) سورة الكهف (٣٨).

٦) انظر : السبعة ٣٩١.

ـ فخففت الهمزة وأُلقيت حركتها على النون فأصبحت (لَكِنَنَا) ثم أدغمت النون في النون[1] / ⟵ لَكِنَّ.

٣- وروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال **[فأيُّ المؤمنين آذيتُه، شتمته لعنته، جلدته، فاجعلْها صلاةً وزكاةً وقربةً ......]**[2] فرواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه، فقال: (جَلَدُّه) في (جلدته) بإدغام التاء في الدال، لأنها لهجته[3]، فقد ذهب صوت الضمير الدال على المسند إليه (الفاعل)، وصار إلى شيء آخر، فلم يبق ثمةَ دليل على الفاعل إلا الإدغام.

٤. ومن الاستكفاء بالإدغام عن بعض حروف الكلمة الدالة على المسند: ﴿وإنْ يَكُ كاذبا﴾[4] ⟵ /يكّاذبًا، أدغمت الكاف في الكاف، فلم يبق من الفعل سوى حرف الياء، ولكن الإدغام قرينة دالة عليه، مغنية عن الإظهار، وهذه هي حجة من أدغم في مثل هذه المواضع[5]، ومثله: ﴿وآتِ ذا القربى﴾[6] إذ تصير إلى (آذّقربى) فلم يبق ما يدل على المسند إلا تضعيف الذال بعد المد[7].

ب. وظائف تركيبية تخصيصية:

قد يكون المخصِّص حرفًا، فإذا أُدغم ذهب، فلم يبق ما يدل عليه سوى الإدغام المدلول عليه بالتضعيف، كما أن المخصِّص أحيانًا يكون حرفين فيدغم أحدهما فيما بعده، فيبقى الأول غير كافٍ للدلالة على التخصيص إلا بالنظر إلى قرينة التضعيف الدالة على الحرف المدغم، فتكون وظيفة الإدغام حينئذٍ تركيبيةً تخصيصية، مع الوظيفة الصوتية العامة، وهي تقليل

---

١) انظر: المحتسب ٧٠/١، والخصائص ٣٣٣/٢، والدر المصون ٤٩١/٧.

٢) رواه مسلم في صحيحه ٢٠٠٨/٣، كتاب البر والصلة، الباب (٢٥).

٣) انظر الموضع السابق في (مسلم)، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢٧٦/١،ط١، ١٤١٨هـ دار الكتب العلمية، بيروت.

٤) سورة غافر(٢٨).

٥) انظر الدر النثير ٢٣٨.

٦) سورة الإسراء (٢٦) والروم(٣٨).

٧) انظر: الإدغام الكبير ٦٦، والنشر ٢٧٩/١.

الجهد على أعضاء النطق بالتوافق الصوتي، الذي تنسجم به الأصوات فلا تستلزم كثيرَ عملٍ في النطق بها، ومن أمثلة هذه الظاهرة[1] :

١. قول الله تعالى ﴿ وجعلناه هدى﴾[2] ← / جعلنا هُدًى .

. ﴿مالكم من إلهٍ غيْرُهُ هو أنشأكم﴾[3] ← / غيْرُهُوَ .

. ﴿فيكيدوا لكَ كَيْدًا ﴾[4] ← / لَكَّيْدًا .

. ﴿فاعبدوه هذا صراطٌ مستقيمٌ ﴾[5] ← / فاعبُدوهّذا .

. ﴿وكان ربُّكَ قَديرًا ﴾[6] ← /ربُّقَّديرًا .[7]

. ﴿ مَنْ يُعْجِبُكَ قولُه ﴾[8] ← /يعْجِبُ قَّوْلُه .[9]

. ﴿فلمّا جاءَ آلَ لوطٍ المرسلون ﴾[10] ← /آلُّوطٍ [11]

. ﴿ ويا قومِ مالي أدعوكم ﴾[12] ← /قَوْمَّالي [13] في هذا المثال وأشباهه اختفى المضاف والمضاف إليه، غير أن المضاف بقيت بعض حروفه . القاف والواو. وأما المضاف إليه فالدالّ عليه هو كسرة الميم المدغمة، فلما

---

١) أكرر التنبيه على أن هذا السهم في الكتابة الصوتية يرمز به بدلا من جملة (يصير إلى ، أو: يتحول إلى).

٢) سورة الإسراء (٢) والسجدة (٢٣).

٣) سورة هود(٦١).

٤) سورة يوسف(٥).

٥) سورة مريم (٣).

٦) سورة الفرقان(٥٤).

٧) انظر : الإدغام الكبير ٥٠، ٥٦، ٥٧، والدر النثير ٢١٠-٢١٢، ٢٢١-٢٢٢، ٢٦٠.

٨) سورة البقرة (٢٠٤)

٩) انظر : الإدغام الكبير ٥٧، ٩٤.

١٠) سورة الحجر(٦١).

١١) الدر النثير : ٢٤٢-٢٤٣، والإدغام الكبير ٧٣-٧٤، وقد شرح أبو عمرو الداني وجه الإدغام في هذه المواضع ورد على من منعه ، وانظر النشر ٢٨١/١-٢٨٢.

١٢) سورة غافر(٤١).

١٣) انظر : الإدغام الكبير (٤٥-٤٦، ١١٣.

حذفت الكسرة للإدغام، كان تضعيف الميم المدغم فيها دليلا على الميم المدغمة وعلى حركتها بالاقتضاء، واصطحاب الأصل قبل الإدغام، لأن الحرف يقتضي حركته الواجبة له بالتركيب .

٢ـ وقد يدل الإدغام على الإضافة دلالة مباشرة ـ والإضافة من أهم طرق التخصيص ـ نحو : كتابَيَّ ـ يدَيَّ ـ مسلمِيَّ ـ مسلمَيَّ ـ منهدسِيَّ ......الأصل قبل الإضافة : كتابَيْن ـ يدَيْن ـ ومسلمين ـ ومسلمون ـ مهندسون، أضيفت كل كلمة إلى ياء المتكلم فحذفت نونا التثنية والجمع للإضافة، وأدغمت الياء في الياء، فصارتا ياءً واحدة مضعّفة، فلم يبق دليل لفظي على الإضافة إلا الإدغام المدلول عليه بتضعيف الياء، وفي الجمع المرفوع قلبت الواو(الضمة الطويلة) ياءً تخفيفًا للفظ، ثم أدغمت[١]ـ كما فُعِل في نحو : (مرضيّ ومَرمِيّ) ـ ولولا تضعيف الياء في هذه الكلمات لما كان ثمة دليل على الإضافة[٢].

ثانيا : وظائف تركيبية صوتية

المراد هنا التركيب الصوتي لا النحويّ، كتركيب المبني مع المعرب صوتيا، والفعل مع الاسم، والفعل أو الاسم مع الحرف، والظاهر مع المضمر ....إلخ، ويكون ذلك بجمع كل عنصرين لغويين ومزجهما في كلمة واحدة، لتحقيق المعنى المتقدم للإدغام، وينتج عنه ذهاب علامات الإعراب وعلامات البناء، والتباس حرف الإعراب بغيره، كما ينتج عنه تراكب الصيغ صوتيا، والتباس صيغ الأسماء بصيغ الحروف، وعندئذ يكون فك الإدغام بمنزلة فك اللغز (أو فك التشفير) للكشف عن حقيقة التراكيب اللغوية بناءً وإعرابًا، ولمعرفة صيغها الأصلية ومعانيها، وأمثلة ذلك كثيرة جدًا، أجتزئ منها بما يلي :

---

١) كما جاء في الحديث :[**أوَ مُخْرِجِيَّ هم**] وأصله قبل الإضافة : أو **مخرجونني** . (انظر : شواهد التوضيح والتصحيح لابن مالك ١٣).

٢) انظر : شرح الكافية للرضي ٩٣/١-٩٤(القسم الأول).

أ. رجعَ عسى ــ> /رجعّسى . *لماخرجَ جاء غيره ــ> /خرجّاء .

ب. يسوقُ قال ــ> / يسوقّال . * يكتبُ بَرع ــ> / يكتبّرعَ .

ج. يذهبُ بكر ــ> /يذهبّكر . * يرجعُ عالم ــ> / يرجعّالم .

د. قالَ له ــ> / قالّه . * ذهبَ به ــ> / ذهبِّه .

هـ. إنكَ كادحٌ ــ> / إنكّادحٌ . *بكتابَيْ ياسر ــ> /بكتابَيّاسر .

و. حمِدْتُ اللهَ ــ> / حمتُّ. *وجدْته ــ> / وجتّه.

ز. إنه هو ــ> / إنّهُوَ. * سلكَكُم ــ> /سلَكُّم . *خلقَكُم ــ> /خلكُّمْ[١]

ح. قد تاب ــ> /قتّاب . *بل طبع ــ> /بَطَّبَع .*هل ثاب ــ> /هثّاب .

ط. في +ي = /فِيَّ . *عنْ + ني = /عنّي .*لدى +ي = لدَيَّ .

ي. الْ + شمس = / اشّمس . *الْ + ثوب = /اثّوب . *الْ +دين = /ادّين ....

ك. ومن التركيب الصوتي في الإدغام ما ذكره سيبويه من قول بني تميم : (مَحَّم) في (مَعَهُم)، و(مَحّاؤُلاءِ) في (معَ هؤلاء)[٢]، والإدغام في كل هذا دليل على أن الكلمة مركبة وليست بسيطة .

هذه بعض الأمثلة للتركيب الصوتي الذي يؤدي إليه الإدغام في اللغة العربية، وهو تركيب مزجي يعرض في أثناء النطق، خاضع للقوانين الفونولوجية، التي يمثلها الأداء النهائي . أو الشكل النهائي . للكلمات صوتيا، لأجل الأداء الخفيف للأصوات المتماثلة والمتقاربة، ويلحظ أن هذا الإجراء شامل لجميع أنواع الإدغام في الحروف[٣]، كما أنه يسري في جميع أنواع الكلم، وما يتألف منه، وهذا يدل على أن الإدغام ظاهرة صوتية ممكنة في

---

١) انظر : الدر النثير ٢٥٣-٢٥٤.

٢) سيبويه ٤ /٤٥٠.

٣) انظر : (الترتيب في تطبيق القواعد الصوتية في اللغة العربية) مقال لداود عبده ، في مجلة "أشغال ندوة اللسانيات في خدمة اللغة العربية " بتونس ، العدد ٥، ١٩٨١، ص٢٠٥وما بعدها .

جميع اللغات، تدخل في إطار تأثر أصوات اللغة بعضها ببعض[1]، ويمكن تفريعه إلى قواعد متعددة بحسب أصناف المدغم والمدغم فيه، والتغييرات التي تنتج عن ذلك[2] فيعكس ثراءً لغويًا، يتمثل في توليد أعداد جمة من الصور الصوتية، فهو لأجل ذلك لا يقل أهمية عن الاشتقاق والنحت في هذا المجال .

ثالثا : وظائف أسلوبية

أ. من وظائف الإدغام الأسلوبية تفريقه بين الإنشاء والخبر، في بعض الصور التي تحتمل الأمرين، مثل كلمة (آتي) فعل مضارع آخره كسرة طويلة، وهذه الكسرة قد تقصر أحيانا تخفيفا، كما تقصر عند جزم الفعل، كما قصرت الحركات في نحو قول الله تعالى ﴿ذلك ما كنا نبغ ﴾[3] وقوله تعالى ﴿يوم يدعُ الداع إلى شيءٍ نُكُرٍ﴾[4] كتبت هذه الكلمات في القرآن (نبغ ـ يدعُ ـ الداع) **وكذلك تُؤدّى نطقًا**، باختصار الحركة الطويلة تخفيفًا، واستدلالا بالجزء على الكل، وهذا كثير الورود في القراءات القرآنية [5]، وقد اشتهر الاستغناء بالكسرة قصيرةً عن مدها في اللهجات العربية الفصيحة[6]، وتقدم في الوظائف الإسنادية ورود الإدغام في قول الله تعالى : ﴿ وآتِ ذا القربى حقه﴾[7] فتصير إلى : (آذّا القربى) بإدغام التاء في الذال، إدغامًا كاملا، فدل ذلك على أن الفعل أمر، فالأسلوب إنشائيّ، إذ لو كان مضارعًا لما جاز الإدغام، لوجود الفاصل الذي هو حرف المد، أو وجود ما ينوب

---

1) انظر الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس ١٧٨.

٢) انظر : اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج ٩٣، وعلم الأصوات للغوية لمناف مهدي ١٣٧.

٣) سورة الكهف(٦٤).

٤) سورة القمر(٦).

٥) انظر : البرهان للزركشي ٣٩٨/١-٣٩٩.

٦) انظر : في اللهجات العربية القديمة، للسمرائي ١٥٠.

٧) الإسراء (٢٦) والروم (٣٨).

عنه وهو الكسرة القصيرة، أما في الأمر فالكسرة قصيرة لزومًا، ومن ثم لا يمتنع الإدغام لالتقاء المتقاربين دون فاصل معتد به بينهما[1].

قال المبرد: "وإنما يلزم الإدغام بلزوم الحركة"[2].

وذكر ابن الجزري بعض القراء الذين يقرؤون هذه الكلمة بالإدغام، ثم قال: "بالإدغام للتقارب وقوة الكسرة"[3] وقوتها ترجع إلى لزومها في هذا الموضع، لأنها حركة بناء، إضافة إلى القوة الصوتية للكسر.

ومما يساعد على هذا النوع من الإدغام صوتيا: ثقل الكسر - وهو هنا حركة التاء - على اللسان، مع خفة الفتح الذي هو حركة الذال، وجهرها مقابل همس التاء، والجهر صفة قوة، والهمس ضده، كما هو معلوم.

وما قيل في الكلمة المذكورة يقال في قول الله تعالى ﴿ومن يبتَغِ غَيْرَ الإسلام دينًا فلن يُقْبَلَ منْهُ﴾[4] بإدغام الغين في الغين، فتصير إلى ـ> /يبتغَّيْر. فدل هذا على أن (مَنْ) شرطية، فالأسلوب أسلوب شرط، ومع عدم الإدغام لا يتحتم ذلك، بل يجوز أن تكون موصولة، ويكون قصر الكسر للتخفيف لا للجزم، كما جرى في أماكن أخرى.

ب- إذا كانت الأداة الدالة على الأسلوب قليلة الحروف ثم أدغمت في مقاربها، أو مماثلها، يكون ذلك بمثابة إخفاء لتلك الأداة، وقد يؤدي إلى الإلباس، لعدم ظهور نوع الأسلوب، لخفاء قرينته، فيكون التضعيف المسبب عن الإدغام قرينة على الصوت المخفى، ومن أمثلته:

١. هلْ رأيت ؟ ـ> / هرّأيت .*هل ثاب ؟ ـــ> /هثّاب[5]
٢. من له ؟ ـــ> /مَلّه. * من رأيت؟ ـــ> /مَرَّأيْت .
٣. بلْ ران ـــ> /برّان . يحتمل الإضراب، وغيره .

---

١) انظر: الإدغام الكبير ٦٦، والنشر ١/ ٢٧٩.
٢) المقتضب ١/٣١٨.
٣) النشر ١/٢٨٨.
٤) سورة آل عمران(٨٥).
٥) كقول الله تعالى: ﴿هل ثُوِّبَ الكفار ما كانوا يفعلون﴾ سورة المطففين (٣٦) قرئ: (هثُّوِّبَ) انظر السبعة: لابن مجاهد ١٢٠.

٤. قدْ ترى ـــ> /قتّرى . والصوت واحد، ولا التفات إلى الإملاء، فلا فرق حينئذ بين (قد ترى) و(قتّرا) فعل ما ض مسند إلى ضمير الاثنين، غير أن التضعيف مظنة التركيب، فيكون قرينة على ما يدل عليه السياق، ومثله: (هتّرى) في (هل ترى) وقد قرئ بكل ذلك في القرآن الكريم، وصح عن العرب في كلامهم[1].

٥. قُلْ : لا، لهـــ> / قُلاّله .* قُمْ، ما بك؟ ــ> /قُمّا بك .

والدليل على أن التضعيف مظنة لإرادة غير الظاهر، قول الشاعر :

عافتِ الماءَ في الشتاءِ فقُلْنا   بَرّدِيهِ تصادِفيهِ سَخِينا [2]

فقوله : (بَرّدِيه) معناه، اجعليه بارداً، غير أن ابن سيده أنشده وعزا تفسيره بـ(سَخّنيه) لقطرب، ثم قال :" إنه غالط، إنما هو : (بل رديه) فأدغم"[3].

ووردت على نحو من هذا شواهد من كلام العرب يستدل فيها بالإدغام على نوع الأسلوب، مع استصحاب قرينة السياق، تركت إيرادها تحاشياً للإطالة [4].

ج . لا تقولونّحن . ما تفعلونّفعل . لا ترجعينّاجية ....في الجملة الأولى دل الإدغام على الإخبار، ولولاه لكانت إنشائية، لأن (لا) تكون حينئذ ناهية، إذا قيل: لا تقولوا نحن، وفي الجملة الثانية تكون (ما) نافية، بدليل الإدغام، المدلول عليه بتضعيف النون، ولولا تضعيفها لكانت (ما) شرطية، ويكون الفعل مجزوما، ولا دليل على إعراب الجواب ؛ لأنه موقوف عليه، فيقال : ما تفعلوا نفعلْ، فالأسلوب أسلوب شرط ....وفي الجملة الثالثة إخبار، و(ناجية) حال، والمعنى : لا ترجعي وأنت ناجية، والقرينة الدالة على هذا هي تضعيف النون في (ناجية) فإنه يدل على الإدغام، ولولا ذلك لكان

---

١) انظر : سيبويه ٤ /٤٤٨، ٤٥٧-٤٥٩، والسبعة لابن مجاهد ١٢٠، وشرح المفصل ٤ /٥٢٢.

٢) بيت من الخفيف ،غير منسوب في المصادر التي أوردته ، انظر : المحكم لابن سيده ٩ /٣١٩، واللسان ،مادة (برد) والمغني ١ /٣١٣.

٣)الموضع السابق في المحكم .

٤) انظر : الخصائص ٣ /١٦٨-١٦٩، والمواضع السابقة في سيبويه والمغني والسبعة .

الكلام أسلوبين إنشائيين، الأول : لا ترجعي، نهي، والثاني : ناجية، نداء، أي : يا ناجية ، ولو تتبع المرء أثر الإدغام على الأساليب التركيبية على هذا المنوال لوجد كثرة لا تحصى، وفيما ذُكِر دلالة على ذلك .

رابعًا : وظائف إعرابية

يؤثر الإدغام في علامة الإعراب، بحذفها أحيانًا، وقلبها حينًا آخر، أو نقلها، وأحيانًا باختلاسها والإشارة إليها، ونحو ذلك من أنواع التغيير، والأمثلة عليه، كثيرة متنوعة، أكتفي منها بما يلي :

أ. الأفعال : يمدّ . يشدّ . يهمّ ......علامة إعراب كل فعل منها . رفعًا . ضم آخره، فإذا جزم جاز فيه الضم إتباعًا لحركة العين، والفتح طلبا للخفة، والكسر طردًا للأصل في التخلص من التقاء الساكنين، فيقال : لم يمُدُّ . لم يمُدَّ . لم يمدِّ ...جازت هذه الأوجه في حال الإدغام، فإن فُكّ الإدغام لم يجز شيء منها، بل يجب السكون، فيقال : لم يمدُدْ . لم يهممْ .....فإن كانت عين الفعل مكسورة أو مفتوحة لم يجز الضم، نحو : لم يفِرّ . لم يعَضّ ....وهكذا يقال في البناء حال أمر الواحد : مُدُّ . مُدَّ . مُدِّ، بالحركات الثلاث في مضموم العين، وبدون الضم في غير مضمومها، وإذا فُكّ الإدغام لم يجز سوى السكون : امدُدْ . افرِرْ . اعْضَضْ ....[1].

وقد غلب الفتح واشتهر في المجزوم من المضعف، **فكانت الدلالة على الجزم وظيفة إعرابية مطردة للإدغام في كل مضعّف ورد مفتوح الآخر**، نحو : لا تَشُدَّ الحبلَ . مَن يرتدَّ يضرَّ نفسه . إن تجِدَّ اليوم تُسرَّ غدًا......

ب . قال النابغة الجعديّ :

*** تأخرْ فلَن يجعل لّك الله مفخرا ***[2]

يجْعَلَ لَكَ ← /يَجْعلّكَ ، حذفت علامة الإعراب، استغناء بدلالة تضعيف اللام على حرف الإعراب، وحرف الإعراب مقرون بعلامته، ولو لم يدغم لانكسر البيت، ومن ثم وجّهه بعض الباحثين بأن الصواب (لم يجعل) لئلا

---

1) انظر : المقتضب ١/٣٢٠–٣٢١، وشرح مختصر التصريف العزي ١٠٢–١٠٤.

2) شطر بيت من الطويل ، ديوانه ص ٦٩.

ينكسر البيت[1]، وحَمْلُ البيت على الإدغام أولى مما ذكره، لأن قرينة الإدغام كافية في الدلالة على حرف الإعراب، وكافية في تعليل الإسكان، ويبقى - مع ذلك - للشاعر ما أراده من الاستقبال في النفي بـ(لن) ولا فرق في العربية بين الإسكان بعد (لم) وأخواتها، والإسكان للإدغام، وإذا اعتبر الأصل بحال الرفع فيكون الإسكان كله عارضًا، سواء اقتضاه الموقع التركيبي في السياق، أو اقتضاه الإدغام، أو الوقف[2]، فلكل وظيفته، كما أن الحركة منوطة بوظيفتها في السياق، أيًّا ما كانت. قال أبو عمرو الداني - راويا عن أبي عمرو البصري بسنده إليه: " **والإدغام لا ينقص من الكلام شيئًا، لأنك إذا أدغمت شدّدت الحرف، فلم تنقص شيئًا، قال: والعرب إنما تدغم ليكون أخفّ، فإذا كان الإدغام أثقل من التمام أتمّوا** "[3]فهذا الكلام من إمام العربية أبي عمرو البصري دليل على أنه يرى الإدغام قرينةً صوتيةً وظيفيةً، من وظائفها الدلالة على ما لم يظهر من الإعراب بسببها، دلالتَها على سائر التغييرات الصوتية الأخرى الناشئة عنها في التركيب، كالقلب والإمالة وسلب بعض الملامح الصوتية للحرف......إلخ.

ج - تقدم في تفسير معنى الإدغام أنه شامل لجميع أنواع تقريب الصوت من الصوت[4]لأن جميع أنواع الإدغام داخلة في المزج بين الصوتين والجمع بينهما بعمل واحد لعضو النطق، وبناءً على هذه القاعدة: كان من أظهر وظائف الإدغام الإعرابية :ما يسمى **بالروم، أو الإشمام، أو الاختلاس**، وهي مصطلحات يؤدّى بعضها ببعض، ومن ثم رجح بعض العلماء أنها مترادفة، لأن وظيفتها في النطق واحدة، وهي الإشارة إلى الحركة للإعلام بأصلها، فترتفع جهالة السامع بها[5]، ومن ثم اتفق رواة الإدغام عن أبي عمرو البصري أنه كان يشير إلى حركة الإعراب المدغم حرفُها، بمعنى أنه كان يومئ إلى الحركة، ويسرع بها فلا يتمها، جامعًا بينها وبين السكون السابق

---

1) انظر: جمهرة أشعار العرب ٢/ ٧٨٦.
2) انظر: النشر ١/ ٢٩٦-٢٩٧.
3) الإدغام الكبير ٣٩.
4) انظر: الخصائص ٢/ ١٣٩.
5) انظر: القواعد والإشارات للحموي ٥١-٥٢، والتحديد للداني ٩٥-٩٧، والتمهيد لابن الجزري ٥٨-٥٩.

لها، وهو سكون مختلس أيضا غير تام، ولأجل عدم تمامه سماه بعضهم إخفاءً.[1]

ومن أظهر دلائل هذه القاعدة اتفاق القراء على روم حركة الإعراب حال إدغام النون في النون في قول الله تعالى ﴿ما لك لا تأمَنّا﴾[2] أصلها : (تأمنُنا) والقراء يشمون النون المدغمة ضماً، إشارة إلى الإعراب المحذوف بسبب الإدغام[3]، وهذا منهج أبي عمرو البصري في الكلمات التي ورد أنه كان يسكن فيها حرف الإعراب في الوصل[4]، وقد سبقت مناقشة هذه المسألة في الباب الأول في مبحث (حركة التخلص من التقاء الساكنين) وخلاصتها إنما هي في هذا الباب، لأن ذلك ما هو إلا تقريب صوت من صوت، وجمعٌ لصوتين بعمل واحد، وهي خلاصة باب الإدغام [5]. **وفي هذه المسألة يتجلى اجتماع الوظيفتين اللتين تدور عليهما رحى نظام الفونولوجيا في اللغة العربية، وهما : الوظيفة الصوتية، والوظيفة الإعرابية، فإن التوفيق بين الأصوات بإعطائها تلويناً تتجانس به لتخف على الناطق : وظيفة صوتية صِرْفة . والتوصل من خلال ذلك إلى نوع الحركة الإعرابية، أو البنائية عن طريق الإشارة إليها، بما يتفق مع قانون الانسجام ذلك المذكور : وظيفة إعرابية .**

خامسا: وظائف إعرابية صوتية

كثير من الوظائف الإعرابية المتقدمة يغلب عليها الاقتران بوظائف صوتية محضة، تكون في أحايين كثيرة أظهر من الوظائف الإعرابية نفسها، وإن كانت الإعرابية مع ذلك مصاحِبة لها، ويأتي ذلك في صور متنوعة، منها :

أ- **بناء حرف الإعراب على حركة ما بعده، بعد حذف حركته**، لأن الحرفين المدغم والمدغم فيه صوتيا يكون لهما لفظ واحد من جهة

---

1) انظر: التفصيل في سيبويه ٤ / ٢٠٢ والإدغام الكبير ٨٣-٨٤، والخصائص ٢ /٣٤٠-٣٤١ والسبعة ١٢٢والنشر ١/ ٢٩٦-٢٩٧.

2) سورة يوسف(١١).

3) انظر: السبعة ٣٤٥، وجهد المقل ٢٠٢.

4) انظر: إدغام القراء للسيرافي ٨-٩، والكشف ١/ ٢٤٠-٢٤١، مع ما سبق في حاشية (٥) من الصفحة السابقة.

5) انظر الخصائص ٢/ ١٤٠-١٤١.

التحليل الفونيتيكي - كما تقدم - فتكون الباء - مثلا - في (لن يذهب بكر) ←/يذهبّكر، كالباء في : (الجبّ) و(الربّ) ونحوهما، فما هو إلا كحرف مبني على حركة واحدة، وإن كان فونولوجيا يعد حرفين، كما سبق .

وهذه وظيفة إعرابية صوتية، لما فيها من جمع الحرفين في حرف واحد مضعّف، والعلامتين في علامة واحدة، ظاهرًا، مع حذف العلامة الأصلية للإعراب إن كانت حركة، وهذا منطبق على جميع صور الإدغام الكبير .

ب - **وَسْمُ حرف الإعراب بغير علامته الأصلية، إما مع نقل حركة ما قبل الآخر إلى ما قبلها**، نحو: لم يشدَّ، وأصل الصيغة : لم يشدُدْ، نقلت حركة الدال الأولى إلى الشين قبلها، ثم أدغمت الدال في الدال وحركت بحركة التخلص من التقاء الساكنين[1].

وإما مع نقل حركة الإعراب إلى ما قبلها، نحو قولهم " عَبُشّمْس" في "عبد شمس"، نقلت حركة الإعراب التي بعد الدال إلى الباء الساكنة، وأدغمت الدال في الشين[2].

ج - تكون علامة الإعراب أحيانًا حرفًا، ثم يدغم ذلك الحرف في الكلمة التي بعده، فتذهب علامة الإعراب، **فيكون التضعيف الناشئ عن الإدغام دليلاً على الإعراب**، نحو: مررت بأخوي يزيد ←/بأخويَّزيد، وغلاميْ يجيى ←/ غلاميَّحيى .

قال الله تعالى ﴿قال أتحاجّونّي ﴾[3] و﴿أفغير الله تأمرونّي أعبد﴾[4] أدغمت النون التي هي علامة رفع الفعل المضارع في نون الضمير، المسماة بـ(نون الوقاية)، فأصبحتا نونًا واحدة مشددة[5]، ومثله قراءة أبي عمرو ﴿ويستحيون نساءكم﴾[6] بإدغام النون الأولى في الثانية [7]، ونحوه : هؤلاء مسلميَّ،

---

1) انظر إيجاز التعريف ١٧٧.
2) انظر :التكملة ٦١٢.
3) سورة الأنعام(٨٠).
4) سورة الزمر(٦٤).
5) انظر : حجة القراءات لابن زنجلة ٢٥٧–٢٥٨، وإيجاز التعريف ١٩١.
6) سورة البقرة (٢٩) والأعراف(١٤١) .
7) انظر الإدغام الكبير ٦٨.

وهذان مسلمَيَّ، والأصل : مسلمويَ[1] ـ مسلمايَ، بإلحاق ياء المتكلم للكلمة، ثم حذف نون الجمع للإضافة كما هو القياس .

والخلاصة التي ينبغي أن تقال ها هنا: أنه عندما يحصل الإدغام وتحذف علامة الإعراب أو علامة البناء، يكون الإدغام دليلا على الحرف المدغم وحركته أو علامته، وتبقى حالة الرفع أو النصب، أو الجر، بلا علامة، وتكون علامة المدغم فيه للحرفين معًا، كما صار الصوت لهما معًا، وارتفاع اللسان بهما مرة واحدة، فيصير اختصارٌ في العمل النطقي، وحذف لعلامة، واستغناءٌ عن حركة، وحلولُ حركةٍ محلَّ أخرى، وهذا يكون في جميع أمثلة الإدغام الكبير .

سادسا : وظائف لهجية

يأتي بعض صنوف الإدغام خاصا بقبيلة بعينها، وفي بعض اللهجات أنواع خاصة من الإدغام، وكل ما هو خاص من أنواع الإدغام يُعدّ قرينة على لهجةِ مَنْ يتكلم به دون غيره، وقرينة على الإجراء التركيبي المترتب عليه، ومن الأمثلة على ذلك :

أ . يأتي الفعل (نِعْمَ) ـ بكسر فسكون، على وزن (فِعْلَ) فإذا وقعت بعده كلمة مبدوءة بميم وأدغم فيها، دل ذلك على لغة من يحرك عينه : (نِعِمَ) لاستحالة الإدغام إذا كانت العين ساكنة سكونًا خالصًا، قال سيبويه " وأما قول بعضهم في القراءة ﴿ إن الله نِعِمّا يعظكم به﴾[2] فحرك العين، فليس على لغة من قال (نِعْم) فأسكن العين، ولكنه على لغة من قال : (نِعِمَ) فحرك العين، وحدثنا أبو الخطاب أنها لغة هذيل، وكسروا كما قالوا : (لِعِبَ) "[3] . وإذا كسرت العين فقد يفتحون النون

---

١) انظر : شرح الكافية للرضي ١/ ٩٤.
٢) سورة النساء (٥٨).
٣) سيبويه ٤/ ٤٤٠.

استثقالاً لتوالي كسرتين، وقد قرئ به في السبعة [١]، و سبق التحليل الصوتي لقراءة من سكّن العين مع الإدغام، وبيان وجهها صوتيا[٢].

ب . ومن دلالة الإدغام على اللهجة : إدغام إحدى التاءين في الأخرى مع تحريك الفاء في وزن (افتعل) مما عينه تاء، نحو: اقتَتَلوا . يقتتلون . اقتتِلوا ←/قَتَّلوا . يَقَتّلون . قِتِّلوا، عزاها سيبويه لبعض العرب[٣]، فالإدغام هنا قرينة على الصيغة الأصلية لهذا الوزن في هذه اللهجة مقابل اللغة العامة للعرب، بمعنى أن نحو (يقتّلون)في هذه اللهجة نظير لـ(يقتتلون) وليس نظيراً لـ(يَقْتلون)، والقرينة على ذلك هي الإدغام.

ج . إبدال الألف المقصورة ياء ثم إدغامها في ياء المتكلم إذا أضيف إليها، وهي لغة هذيل . أيضا . يقولون في نحو : (هوايَ وعصايَ وقفايَ وتُقايَ ...) : هَوَيَّ وعَصَيَّ وقَفَيَّ وتُقَيَّ [٤]، قال شاعرهم :

سبَقوا هَوَيَّ وأعْنَقوا لهَواهمُ ... فتُخُرِّموا ولكل جَنْبٍ مَصْرَعُ[٥]

يريد بقوله (هَوَيَّ) : هوايَ، فأبدل الألف ياء، ثم أدغم .فصار الإدغام هو القرينة على أن الكلمة مقصورة .

د . عدم فك الإدغام إذا اتصل المدغم فيه بضمير الفاعل، نحو: رَدَّت . رَدّنَ . رَدَّنا . رُدّنَ ......وهي لغة ناس من بني بكر بن وائل، وبعض القبائل [٦]، اكتفوا بالإدغام عن الصيغة الأصلية للكلمة، واللغة الفاشية المعروفة في العرب فك الإدغام : رَدَدْت . رَدَدْنَ . ارْدُدْنا . ارْدُدْنَ ..... وإذا لم يسند الفعل إلى ضمير الفاعل فالإدغام لغة تميم، والفك لغة الحجاز،نحو: رُدّ: ارْدُدْ، لم يرُدّ : لم يرْدُدْ .....في الأمر والمضارع المجزوم [٧].

---

١) انظر : السبعة ١٩٠وحجة القراءات لابن زنجلة ١٤٧

٢) انظر الباب الأول من هذه الدراسة : مبحث حركة التخلص من التقاء الساكنين .

٣) سيبويه ٤ /٤٤٣، وانظر :التكملة ٦١٩–٦١٠ و شرح الشافية ٣ /٢٨٥.

٤) انظر : الحجة لأبي علي ٤ /٣٨، والمحتسب ١/٧٦.

٥) بيت من الكامل ، لأبي ذؤيب الهذلي ، من قصيدة له في أشعار الهذليين ١/ ٧ . ومعنى (أعنقوا) أسرعوا .
و تخرموا : تناقصوا ، وتُخُطِّفوا حتى ما توا كلهم .

٦) انظر : سيبويه ٣ /٥٣٥ ، وشرح الشافية ٣ /٢٤٤–٢٤٥ ، والكناش ٢ /٣٠٩.

٧) انظر : سيبويه ٤ /٤٧٣، وشرح الملوكي ٤٥٤.

سابعًا : وظائف تصريفية :

أ ـ قلب الحرف إلى صوت مقاربه ليدغم فيه، وهذا جارٍ في جميع إدغام المتقاربين[1] نحو : بل ربكم ـ عدد سنين ......تصير←/برّبّكم، قلبت اللام راءً، ثم أدغمت الراء في الراء، وهكذا يقال في الباقي .

ومنه إدغام اللام الشمسية فيما تدغم فيه من الحروف غير اللام، نحو : الشمس، فإن الأصل : الْ + شمس[2]. وأما اللام فتدغم فيها للتماثل[3]، لا للتقارب، كما يدغم كل حرف في مماثله، **وبعض المحدثين لا يرون ذلك !** ويرون أن لام التعريف لا تدغم إذا لقيت مماثلها، نحو : لغة ـ لين ـ لحم ـ لجين...... فإذا قيل : اللين واللغة واللحم واللجين ....فلام التعريف منطوق بها غير مدغمة، لأن المدغم ـ في رأيهم ـ لا يُنطق[4] !! هكذا يقولون وهذه شبهتهم، ولعل هذا رأي كل من يورد ما تدغم فيه من الحروف ولا يذكر اللام منها[5]. <u>وهذا الرأي من شأنه ألاّ يكون إدغام لحرف في حرف مطلقًا</u> !!

وقد يكون القائلون به متأثرين بالقول بـ(فناء) الحرف المدغم في المدغم فيه، وقد تقدم أنه قول إبراهيم أنيس، وتبعه عليه جمع من المعاصرين، وهو قول من شأنه ألاّ يكون ثمة إدغامُ مِثْلٍ في مِثْلٍ، فقد سبق في شرح معنى الإدغام أنه يكون بمزج الحرفين والنطق بهما معًا حتى يصيرا كهيئة الحرف الواحد المضعّف، فهذا الجمع والمزج في العمل هو الإدغام، وهو على هذا المعنى كيفية يُؤَدّى بها الحرفان، وهذا المزج هو الذي يكون في اللام مع اللام، ولا فرق بين (الْ لُغة) و(بلْ لَكم) في النطق باللامين كلام واحدة مضعفة، ولا يقول أحد إن الحرف المضعف كالمظهر

---

1) انظر : اللباب للعكبري ٢/٤٦٩، وأسرار العربية ٣٥٨، وشرح الملوكي ٤٦١-٤٦٦.

2) انظر : التكملة ٦٢٣، واللباب ٤٧٦.

3) انظر اللامات للزجاجي ١٧١، تحقيق مازن المبارك ، ط٢، ١٤١٢هـ دار صادر ، بيروت.

4) انظر : على سبيل المثال : المنهج الصوتي للبنية العربية ٢١٢، وعلم الأصوات اللغوية لمناف مهدي ١٤١.

5) انظر : مثلا : دراسة الصوت اللغوي ٣٨٩، والمدخل إلى علم أصوات العربية لغانم قدوري ٢٢٧.

المخفف[1]، وإن خالف بعضهم في مسألة كمية الصوت[2]، أوفي زمن النطق بصوت الحرف المضعف[3]. كما مرّ.

ويلزم من يقول بعدم إدغام لام التعريف في اللام أن يقول بعدم إدغامها في حرف من الحروف البتة، لأن الذي يحصل هو قلبها - وليس إدغامها - إلى مجانسها ثم يدغم ذلك المجانس في مثله، فيلزمه أن يقول: " ثم يظهر المجانس مع مثله " كما قال هذا القول نفسه في اللام!! فمن نفى إدغام اللام في اللام وجب عليه أن ينفي إدغام الشين في الشين، والثاء في الثاء ....وهكذا، لأن علة النفي واحدة، وهي النطق بالمدغم، وينبني على هذه المقولة إلغاء ظاهرة الإدغام في اللغة، لأن (الفناء) المزعوم غير موجود في شيء من صوره، فالحرف إما أن يقلب إلى مقاربه. وهذا ليس إفناءً له. وإما أن يُبَعّض الصوت به، وإما أن يقرَّب بإمالته إلى صوت مقاربه، أو بإشمامه صوتَه ....إلخ، وليس في شيء من هذه المعاني معنى الإفناء للحرف، وكلها من أنواع تقريب الصوت للصوت لأجل جمعهما في النطق، قال الرضي في بعض كلامه على إدغام الياء: " **فالياء باقية إلا أنها أدغمت، والمدغم ثابت**"[4]، وتقدم قول العلامة المرعشي " **الحرف المدغم غير مستهلك** "[5]، وقول أبي عمرو بن العلاء البصري " **والإدغام لا ينقص من الكلام شيئًا، لأنك إذا أدغمت شدّدت الحرف، فلم تنقص شيئًا ......** "[6]

ب - عدم قلب الواو والياء إذا كانتا مدغمتين، ووليتا ما يقتضي قلبهما، نحو: عُيَّل وسُيَّل - وقُيَّم وصُيَّم، ولَيَتْ الياء الساكنة ضمة، فالقياس قلبها واوًا، و لكنها لم تقلب لأنها صوتيا في حكم المدغم فيه، ويذكر النحويون لمثل هذا نحو: اخرِوّاط واجْلِوّاذ[7]، وردت الواو ساكنة عقيب الكسرة، ولم

---

1) انظر: التفريق بينهما صوتيا وفونولوجيا: التشكيل الصوتي للعاني ١١٩-١٢٠.
2) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها ٣٠٠.
3) أي المدى الذي يستغرقه نطق الحرف، انظر التشكيل الصوتي للعاني ١١٥.
4) شرح الكافية ١/ ٩٤.
5) جهد المقل ٣١١.
6) الإدغام الكبير ٣٩.
7) مصدرا اخْرَوَّط واجْلَوَّذَ، إذا ذهب مسرعًا.

تقلب ياءً كما هو القياس ؛ لأنها مع الواو المتحركة بعدها كالحرف الواحد صوتًا [1]، والإدغام هو القرينة على علة تصحيح الواو والياء ها هنا .

ج . قد يستدل بالإدغام على التأنيث، ويكون ذلك إذا أدغمت التاء في التاء مما تشتبه فيه تاء الضمير بتاء التأنيث الساكنة، ويصح أن تكون فيه التاء المدغمة تاء تأنيث، فيقطع حينئذ بكونها للتأنيث، لأن تاء الضمير لا تدغم فيما بعدها [2]، لثقل ذلك بسبب سكون ما قبلها، نحو : **تعلمت تّعلمًا**، لا يصح هنا أن تكون التاء في (تعلمت) إلا لتأنيث الفاعل، لكونها أُدغمت فيما بعدها، ولولا الإدغام لجاز أن تكون للمتكلم أو الغائب .

د . تنزيل الحركة العارضة لالتقاء الساكنين منزلة الحركة اللازمة، نحو لم يردَّ، ولم يقرّ ..... فإن آخر الفعل يلزم تحريكه، مع كون هذه الحركة عارضة لأجل التخلص من التقاء الساكنين، وهي لهجة تميم، كما تقدم [3].

هـ : يمنع الإدغام نقل حركة العين المعتلة إلى الساكن الصحيح قبلها، نحو : ازوَرّ، واسْوَدّ، وابْيَضّ [4]، لأنه لو نقلت حركة حرف العلة لالتقى ساكنان،وهما الحرف المنقولة حركته، والحرف المدغم، ولا يكون ذلك إلا في الوقف، وذهب ابن مالك إلى أن المانع منه خوف الالتباس بـ(فاعل) الذي يجب المصير إليه لو نقلت الحركة [5].

وللإدغام وظائف تصريفية أخرى غير هذه، يجدها من يطلع على كتب اللغة العربية ونصوصها، ولا سيما الوظائف التي تنشأ عن الإعلال والإبدال، وإدغام الضمائر، وعلامات الجمع والتثنية إذا أدغمت في ياءات الإضافة، وواو

---

١) انظر لهذه المسألة : التكملة ٥٩٤، والكناش ٢/٢٨٢ ، و شرح الشافية ٣/٢١١، والمبدع لأبي حيان ١٨٨، وشرح الملوكي ٤٩٨-٥٠١.
٢) انظر : الإدغام الكبير ٤٥، والنشر ٢/٢٧٩.
٣) انظر : شرح الملوكي ٤٥٤.
٤) انظر : سيبويه ٤/٢٦.
٥) انظر : إيجاز التعريف ١٣٧، وانظر التصريح ٥/٤٥٤. ومراد ابن مالك أن الحركة لو نقلت من الواو في (اسْوَدّ) ومن الياء في (ابْيَضّ) لوجب أن يصيرا إلى (سادّ) و(باضّ) كاسم الفاعل من (سدّ) و(بضّ) ونحوهما .

مفعول وفعول كمرضي وعصي، وكذلك التغيير في الصيغ والأوزان [1]، وغير ذلك مما يطول الكلام بتتبعه، وقد مرّت نماذج منه في أمثلة الإدغام، وليس الغرض من هذه الدراسة الاستقصاء، ولكن إثبات الجانب الوظيفي للقرينة الصوتية بما يوضحه من الأمثلة التطبيقية، ولعل ما تقدم من الأمثلة يكفي دليلا على ما سواه .

ثامنًا : وظائف صوتية (فونولوجية):

أ - **إدغام الواو والياء اللينتين فيما بعدهما يدل على أنهما صوتيًا من الحروف الصوامت،** وامتناع إدغامهما يدل على أنهما مديتان كالألف[2]وذلك حينما يكونان حرفي مدّ جيء به إشباعًا للضم، والكسر، نحو: قالوا وهم - في يوم - انصري ياسرًا ......وهكذا .

وأما الإدغام فنحو : ﴿عفَوْا وقالوا﴾[3] و ﴿آوَوْا ونصروا﴾[4] ونحو : اخشَيْ يزيد - كِتابَيْ ياسر[5]←/اخشَيّزيد - /كتابَيّاسر. فهما في هذه الحال حرفان صامتان، وليسا حرفي مد، والدليل على ذلك هو الإدغام .

ب - **مجيء أوزان في اللغة لا تجوز إلا في الإدغام،** لعدم وجود ما بُني عليها أصالة، نحو وزن (انفعل) من (وجِل) و(اليسر) و(المحو) فيقال : اوّجل - ايّسر - امّحى، لأنه ليس من أوزان العرب (افّعَل)[6] ولكنه جاء هكذا بسبب إدغام نون (انفعل) في فائه، لأن نونه تجانس في المخرج فاء هذه الكلمة.

ج - **اجتماع حرف المد مع الصامت الساكن وصلا،** وذلك أنه إذا جاء حرف ساكن بعد حرف المد حذف حرف المد بقصر الحركة، استثقالاً، إلا

---

1) انظر : المبدع : ٢١٠، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٤-٢٣٦.
2) انظر : سيبويه ٤ /٤٤٢، والتمهيد في معرفة التجويد للعطار ٢٩٠، وشرح الشافية ٢٣٧/٣.
3) سورة الأعراف (٩٥).
4) سورة الأنفال (٧٢).
5) انظر ما سبق في حاشية (١).
6) انظر : سيبويه ٤ /٤٥٥، وشرح الشافية ٣ /٢٦٩.

أن يكون في الوقف، أو يكون الساكن مدغمًا، نحو: دابّة - الحاقّة - تُمودّ الثوب .....فيزاد في إشباع المد للتوصل إلى الساكن المدغم، بدلا من قصر الحركة الممدودة[1].

د - **زيادة كمية الصوت المدغم،** وزيادة زمن نطقه لزومًا للدلالة على الإدغام، وللتفريق بينه وبين الحرف المخفف، وبخاصة عند الوقف؛ لتمكين الحرف المشدد[2]، وقد لا يدل ذلك على زيادة في المعنى، نحو: ربَما / ربّما - لكن / لكنّ - أحمدُ /أحمدّ (عندالوقف) وقد يكون للتضعيف معنى زائد، نحو: كسَر وكسَّر، وقتَل وقتّل....[3].

هـ: إسكان الحرف المتحرك لأجل الإدغام؛ لتفريغ ما بين الصوتين المدغمين من حاجز صوتي، والحركة حاجز صوتي، لا يمكن الإدغام إلا بإزالته من بين المدغمين[4]، وهذا إجراء صوتي فونولوجي.

و- **ومن الوظائف الصوتية الفونولوجية للإدغام: اجتماع ثلاث ضمائرَ** أو أكثرَ متماثلاتٍ في كلمة واحدة، أو فيما هو كالكلمة الواحدة، ولا يكون هذا إلا في الإدغام، نحو: قصّصت - فكّككَ ...[5]، **ومنها ما يعرف بالإدغام الناقص،** وهو إدغام الصوت في الصوت مع بقاء شائبة منه تدل عليه، لأن المدغم فيه لا يستوعب جميع الصفات الصوتية للمدغم، كما يكون في إدغام الطاء في التاء، نحو: بسطت - أحطت .....ونحو إدغام النون في حروف (ينمو) **ومن هذا النوع الإمالة،** لأنها - أيضا - تبعيض صوتي[6] للحرف الممال، غير أنها خاصة بإدغام الحركة في الحركة، فإذا قال المتكلم: عالم - ضحى - شاء - مجريها - أدراك ......بإمالة الألف نحو صوت الياء، والكسرة نحو صوت الفتحة أو العكس، فقد مزج بذلك بين الصوتين، وأدخل أحدهما في الآخر، كما يُفعل في الصوامت.

---

1) انظر: سيبويه ٤١٩/٤ المقتضب ٣١٩/١.
2) انظر: الرعاية ٢٥٩.
3) انظر: التشكيل الصوتي للعاني ١٢٠، والصوتيات والفونولوجيا ٩٣-٩٤.
4) انظر: سر صناعة الإعراب ٢٨/١، والكناش ٣٠٧/٢، وشرح المفصل ٤٨٨/٤.
5) انظر: شرح الشافية ٢٠١/٣، وشرح مختصر التصريف العزي ٩٤.
6) انظر: التحديد ٩٦-١٠١، وشرح المفصل ٥٢٦/٤-٥٢٩، وجهد المقل ١٨٤، ١٨٩، ١٩٨.

ز. **التغيير في المقاطع الصوتية للكلمة**، وهو خاص بالإدغام الكبير، لما يكون فيه من تسكين للحرف المدغم الذي يُعَدّ - مع حركته - مقطعا صوتيا كاملا، فإذا سكن بسبب الإدغام انضم إلى المقطع السابق له، فنقصت المقاطع، نحو:

حَيِيَ = حَ، يِ، يَ = س ح / س ح / س ح / ثلاثة مقاطع صوتية . وفي الإدغام:

حَيّ = حَيْ، يَ = س ح س / س ح / مقطعان فقط .

وإذا كان فيه نقل للحركة لم تنقص مقاطع الكلمة، ولكن يتغير تكوينها الصوتي، نحو:

يَرْدُدُ = يَرْ، دُ، دُ = س ح س / س ح / س ح /

يَرُدُّ = يَ، رُدْ، دُ = س ح / س ح س / س ح /

هذه الكلمة قبل الإدغام متكونة من ثلاثة مقاطع، أولها مغلق، والأخيران مفتوحان، وبعد الإدغام يكون الأول والثالث مفتوحين، والثاني مغلقا، **وفي هذا التقطيع الصوتي (المقطعي) رد على القول بفناء الصوت المدغم** .

والمقصد من هذه الجولة في وظائف الإدغام التدليل على البحر ببعض قطره، وليس الاستقصاء، فإنه متعذر، وقد وضح كون الإدغام قرينة صوتية ذات وظائف نحوية متنوعة، على المستوى العام لمفهوم النحو العربي، الذي يشمل: الأصوات، والصرف، والتركيب، ومن يدقق في الموضوع ويطلع على المراجع المحال إليها يجد ثراءه ووضوحه، ويقف على ضرورة تفعيل الجانب الصوتي في الدراسات النحوية .

الباب الخامس

قرينة التنغيم

الفصل الأول

مفهوم التنغيم وأحكامه الصوتية

١ - معنى التنغيم والمراد منه :

التنغيم تفعيل من النَّغْمة التي هي جَرْس الكلمة، وحُسْن الصوت من القراءة ونحوها[١]، أو من النَّغْمِ الذي هو الكلام الخفي"[٢]، وقال ابن الأكفاني "النغمة صوت لابث زمانًا يجري من الألحان مجرى الحروف من الألفاظ "[٣] ويصف المحْدَثون "النغمة" بأنها فونيم فوقطعي[٤]، يصاحب الفونيمات القطعية[٥]، ويؤثر في المعنى[٦]. وأنها **تعني " استخدام النطاقات الفوقطعية للتمييز بين المفردات المعجمية"**[٧].

والنغمة هي الوحدة المكونة للتنغيم، وقد تعددت عبارات الصوتيين في تحديد التنغيم من الجهة الاصطلاحية، مع اتفاقهم على المفهوم العام له، فعُرِّف بأنه **" عبارة عن تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعات في حدث كلامي معين"**[٨]، وهذا التعريف لا يختص بالتنغيم الوظيفي، بل يتناول مفهومه من جهة المعنى اللغوي للفظة بوصفها ظاهرة صوتية عامة، تتخلل الكلام في جميع كيفياته، سواء أريد به معنى، أو جاء عفوًا مصاحبًا لعبارات الناطق، من غير قصد نمط معيّن .

---

١) العين ٤ /٤٢٦ (نغم) ومقاييس اللغة لابن فارس ص١٠٠٠(نغم) .

٢) اللسان ، مادة (نغم).

٣) إرشاد القاصد ص٢١٨.

٤) انظر : في الصواتة الزمنية ٢١، و(**الفوقطعي**) بمعنى (**فوق القطعي**) والمراد به : ما ليس بالحروف ولا الحركات (انظر : معجم علم الأصوات للخولي ١٢٨).

٥) الفونيمات القطعية هي الحروف الصوامت والحركات .

٦) انظر : معجم علم الأصوات للخولي ١٧٥.

٧) الموسوعة اللغوية ٥٨/١ ضمن (الطبيعة الداخلية للغة): اللغة صوت منظم (الفونولوجيا) المؤلف: إيرك فدج.

٨) أسس علم اللغة ٩٣.

وعُرّف أيضًا بأنه "**إعطاء القول الأنغام المناسبة والفواصل المناسبة، كلمةً كان القول أو جملة أو جزءاً من جملة**"[1]. والمراد بالأنغام المناسبة الأنغام الموافقة للمعنى الذي يريده المتكلم، والفواصل المناسبة يراد بها الفواصل الصوتية الناشئة عن انتقالات الصوت بين الهبوط والصعود، ونحوهما. وعرفه بعض الصوتيين بأنه "**استخدام تغييرات النغم لأغراض غير معجمية /مفرداتية**"[2].

وتأتي دراسة التنغيم هنا في إطار القيمة الدلالية للصوت، باعتباره أحد الفونيمات المميزة في اللغة. كما تقدم في التمهيد. والغالب ألاّ يخرج عن مناسبة الصوت للمعنى، وإن ارتبطت تلك الدلالة في بعض المواطن بأشياء من خارج اللغة الصوتية، كحال المتكلم، والموقف الذي يكون فيه الكلام، ونحو ذلك.

والتنغيم بهذا الاصطلاح غير مبوّب له في كتب العربية قديمًا، ولم تفرد له دراسة في كتب اللغة. فيما وقفت عليه. إلا حديثًا، ولكنّه موجود في العربية، لكونها من جملة اللغات الصوتية البشرية، والنغْم صوت لا يخلو منه كلام[3]، ولكن لكل لغة نماذج تنغيمية تميزها عن غيرها، غير أن كونه ملمحًا فيزيائيا مصاحبًا للكلمات[4]استدعى دقة ملاحظته، ولطف تفسيره، حتى ربما أنكر بعض المهتمين بوصف اللغة وجوده وظيفيا في لغة ما، وقد يكون ذلك ضربًا من المبالغة، لأنه لا يعقل أن تتكون اللغة من أصوات هرائية لا يراد منها الدلالة على مقاصد للمتكلمين.

ولأجل دقته تلك اختلف الواصفون له في التعبير عن ضابطه، أو في تحديده تحديدًا مطردًا منعكسًا. أي التحديد الجامع لأفراد المحدود، المانع

---

١) معجم علم الأصوات للخولي ٤٧.(بتصرف يسير).

٢) الموسوعة اللغوية ١/ ٦٠.

٣) انظر: بحث التنغيم في التراث العربي ص٧، لعليان الحازمي، منشور على الشبكة الالكترونية، مجلة shariaramag/mag٢٣/. وعلم اللغة للسعران ٢١٢. و أسس علم اللغة لماريو باي ص٩٥.

٤) انظر: في الصواتة الزمنية ٥٤.

من دخول غيره معه[1]- لكنهم وصفوه بأوصاف تدل على المراد به، كالتي تقدمت[2]، ومنها تعريفات شاعت بألفاظ لا تدل إلا على نوع من التنغيم، أو ألفاظ مرادفة له، أو تعريفه ببعض أسبابه، أو تعريفه بما يشمله مع غيره من الفونيمات، كتعريفه بالموسيقى، أو الإيقاع، أو أنغام الفواصل، أو حركات الأوتار الصوتية، أو التوترات الصوتية، أو الاختلاف في النغمة، أو رفع الصوت وخفضه... وهي تعريفات مع صحتها لا تخلو من بعض النقص[3].

والمتأمل في تلك الأوصاف مع التدقيق في حقيقة التنغيم - من جهة القيمة الدلالية للصوت - ينتهي إلى أنه نوع من إعراب الكلام بالأداء المناسب لمعناه، ومن هنا أرى أنْ يقال في تعريفه:

" إيضاح معاني الكلام بتلوين صوتي مصاحب للألفاظ " ليكون شاملا لجميع التنوعات الصوتية الدالة المصاحبة للكلام، وهي تنوعات غير محددة، كارتفاع النغمة، ونبر الكلمة، وانخفاض النغمة، ودرجة الصوت، ومداه، وزمنه المستغرق، وعلوّه، وكميته، وحجمه، والوقفات، والسكتات، واختلاس الصوت، والوصل، والصعود والهبوط، والتردد، والمدّ، والإيقاع، وتناسب النغمات، والخفض، والإشباع الحركي، والتشديد، والروم، والإشمام، والاسترسال، والتراخي، والبطء، والتزفير، والرنين، ودرجات النَفَس، والهدوء، والترقيق، والتفخيم، والاستواء، والخشونة، واللين، والتمطيط، والضغط، والإسراع، والتحزين، والتنحيف، والتحديد، والترجيع ......وغير ذلك من التنوعات الصوتية[4] التي يشملها مصطلح **(التنغيم)** ويعبّر عنها بـ**(التلوين الصوتي)**.

---

1) انظر: إيضاح المبهج في معاني السلم للشيخ أحمد الدمنهوري ٥٧، تحقيق عمر الطباع، ط١، ١٤١٧هـ، بيروت.

2) وانظر أيضًا الدلالة الصوتية في اللغة العربية، لصالح سليم عبد القادر الفاخري ص١٩٧، نشر المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، مصر.

3) انظر على سبيل المثال: الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس ١٧٥، وعلم الأصوات لكمال بشر ٥٣٣، والمدخل إلى علم اللغة لرمضان عبد التواب ١٠١، ومقدمة لدراسة اللغة لحلمي خليل ٢٤٠، والتنغيم اللغوي في القرآن الكريم للعزاوي ٢٦.

4) انظر: بحث التنغيم في التراث العربي ص٧، و(مقارنة للتنغيم في العربية والإنجليزية) مقال لكوثر علي العسكر، في مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة، العدد ٥٥، عام ١٩٩٢، ص٢٠٨، وعلم وظائف الأصوات اللغوية ١٢٠-١٧٥، ودراسة الصوت اللغوي ١٩٢، ومناهج البحث في اللغة لتمام حسان ١٦٤، والموسوعة اللغوية ٥٨/١.

ولا ريب أن إيضاح المعنى بمثل هذه الكيفيات يعدُّ نوعا من البيان، لأن البيان - كما يقول الجاحظ - " **اسم جامع لكل شيء كشَفَ لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يُفضيَ السامعُ إلى حقيقته، ويَهْجُمَ على محصوله كائنًا ما كان ذلك البيان....**"[1]، والتنغيم من طرق كشف المعاني، وبخاصة عند اللبس،كما سيأتي.

وهذا يعني أن الإنسان قد لا يكتفي بالألفاظ المكونة من الحروف الهجائية وحركاتها، بل يلجأ في كثير من الأحيان إلى تضمينها أنماطًا وكيفيات من التلوين الصوتي المصاحب بقصد الدلالة على أغراض معينة، كالنهي، والحنين والاستفهام، والإنكار، والنفي، والزجر، والتأكيد .....والتعبير عن العواطف المتنوعة، كالغضب، والفرح، والتقرير، والاستعطاف، والاستكانة، والانفعال، والتردد، والشك، والتعجب والقلق.....[2].

وكل ذلك يجعل التنغيم ذا قيم مهمة ومتعددة، ووظائف شديدة التنوع[3]، لا تقل أهمية عن مقاصد الوحدات اللفظية، كالأدوات والضمائر، والمباني المختلفة، أو الظواهر الصوتية الأخرى كالوقف،والإدغام .

وإذا كان التنغيم - كما تقدم - لا يخرج في عمومه عن إطار الصوت المناسب لمعناه، فإنه من المشهور في اللغة العربية دلالة أنماط معينة من الأصوات المجردة على معانٍ محددة، حتى صارت أعلامًا عليها، كالقهقهة لنوع من الضحك، والولولة لصوت المرأة عند الجزع، والهمهمة لتردد الزفير في الصدر، من الحزن ونحوه، والأنين لصوت المتوجع، فإن زاد فيه رفعًا قيل له : الخنين، وفوقه الزفير، فإذا مدّ النفس ورمى به فهو الشهيق، والأمثلة على ذلك كثيرة [4].

---

١) البيان والتبيين ٧٦/١.

٢) انظر الصوتيات والفونولوجيا لمصطفى حركات ٤٤-٤٥.

٣) انظر : في الصواتة الزمنية ٢١.

٤) فقه اللغة للثعالبي ٢٤٠-٢٤١.

وقد أشار بعض علماء العربية القدامى إلى هذه المناسبة بين الأصوات والمعاني، وتنبهوا إلى أن الصوت قد يكون فونيما يتغير المعنى باستبداله، كقول ابن جني : " **فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، ونَهْج متلئب عند عارفيه مأمون، وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبّر بها عنها، فيعدلونها بها، ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما نقدره وأضعاف مانستشعره**"[1] وضرب أمثلة متنوعة لذلك، فيها استعمال العرب للأصوات المتضمنة للهمس أحيانًا للمعاني المناسبة للهمس في الضعف واللين، واستعمالهم أصوات الجهر أحيانًا للمعاني المناسبة له في القوة والظهور[2].

وذكر السيوطي أمثلة كثيرة للأصوات المناسبة لمعانيها، ثم تعجّب من بديع هذه المناسبة، كجعل الصوت الأضعف والألين والأخفى والأسهل والأهمس لما هو أدنى وأقل وأخف عملا أو صوتًا، مقابل التعبير بالصوت الأقوى والأشد والأظهر والأجهر، لما هو أقوى عملا وأعظم حسًا، قال : **"ومن ذلك المدّ والمطّ فإن فعل المطّ أقوى ؛ لأنه مدّ وزيادة جذْبٍ، فناسب الطاء التي هي أعلى من الدال ......"**[3]

فهذه المعاني المعجمية لم تستفد إلا من نمط الصوت، والمعنى المعجمي يتبعه المعنى التركيبي الذي يحصل أحيانًا بالتنغيم، كما سيأتي في الفصل الثاني .

وقالت الخنساء :

فما عَجولٌ لها بَوٌّ تُطيفُ به ... لها حنينان إصغارٌ وإكبارُ

ترتع ما رتعتْ حتى إذا ادّكرت ... فإنما هي إقبالٌ وإدبارُ

لا تَسْمَنُ الدهرَ في أرضٍ وإنْ رُبِعَتْ ... فإنما هي تَحنانٌ وتَسْجارُ[4]

---

1) الخصائص ١٥٧/٢ و انظر ما بعدها .

2) انظر الحاشية السابقة نفسها .

3) المزهر ٥٣/١.

4) الأبيات من البسيط ، ديوان الخنساء ٣٨١–٣٨٤، بشرح ثعلب ، تحقيق أنور أبو سويلم ، ط١، ١٤٠٩هـ دار عمار، الأردن ، والأبيات من قصيدة ترثي بها أخاها صخرًا ، والعجول : الثكلى ، تريد بها الناقة ، تشبه نفسها بها، والبَوّ : جلد الحوار يُحشى ثمامًا أو تبنًا ثم يقرب للناقة لترأمه فتدرّ عليه، و (رُبِعَتْ) رعت في الربيع ، والتسجار الزيادة في الحنين والتطريب فيه (انظر الشرح المذكور ص ٣٨٤).

لقد وصفت هذه الشاعرة التغيرات الصوتية الدالة على ولهها وحنينها وجزعها على أخيها، فوصفت (الحنين) بالصغر والكبر، وذلك يعني تفاوته، وهذا التفاوت في نمط الصوت هو التنغيم، لأنه غير الصوت العضويّ المعتاد، إنما هو نوع خاص أُريد به معنى خاصّ، وكذلك قولها : (تحنان وتسجار) فصوتها في طلب ولدها حنين، والزيادة في الحنين مع التطريب والمدّ، هو السَّجْر[1]، و الحنين هو " **جماعة نغم يمكن أن تقترن بها الحروف التي تركّب منها ألفاظ دالة على المعاني**"[2].

وأنشد أبو علي القالي في أماليه لأعرابي :

وحديثها كالقَطْر يسمعه   راعي سنين تتابعت جَدْبا

فأصاخ يرجو أنْ يكون حَيًا   ويقول من فرح : هيا ربّا[3]

أوردهما ابن جني ثم قال : " **يعني حنين السحاب وسَجْرَه، وهذا لا يكون عن نبرة واحدة ولا رزمة مختلسة، إنما يكون مع البدء فيه والرَّجع، وتَثنّي الحنين على صفحات السمع**"[4].

فلا أدل من هذا الكلام على إدراك هذا العالم لأثر التلوينات الصوتية المصاحبة للكلمات والجمل، كأنواع النغمات وأوضاعها، وما يفسر بها من صنوف الأصوات والألفاظ، التي يؤتى بها للدلالة على المعاني .

فالتنغيم - إذن - من جملة الظواهر الصوتية الوظيفية، وهو مع كونه ملمحا صوتيا مصاحبًا للكلام[5]. أعني أنه ليس صوتًا صامتًا ولا صائتًا، والكلام يتألف بدونه - إلا أن له أثرًا وظيفيا ظاهرًا عندما يسمع مرددا بين أجزاء الكلام.

---

١) انظر الموضعين السابقين من فقه اللغة ، وشرح ثعلب .
٢) الموسيقى الكبير للفارابي ١٠٩، نقلا عن : دلالة الظاهرة الصوتية في القرآن ١٤٨.
٣) من مجزوء الكامل ، أمالي القالي ٨٤/١، والخصائص ٢٩/١، ونسب البيتان للراعي النميري ، وهما في ملحق ديوانه ص٣٠٠، والحَيا : المطر .
٤) الخصائص ٢٩/١.
٥) انظر : أسس علم اللغة ٩٢.

ويمثل النغم في سلسلة أصوات الكلام ما تمثله الجملة النحوية المرتبطة ببعضها، ولكل جملة معناها المستقل، وينبغي لمن يحسن الكلام ويدرك المعاني أن يؤدي هذه الجمل أداء تتميز به، تأتي فيه الملامح التنغيمية مناسبة لمعنى الجملة، فيراعي مقاطعها، وبداياتها ونهاياتها، حتى تتم الفائدة للسامع بدون عناء، والأغلب أن يكون ذلك على حسب ما اعتاده المخاطبون في لغتهم، ومن ثم يستنكرون الخلل الصوتي في التنغيم ،كما يستنكرونه إذا وقع في الإعراب[1].

والتنغيم يعد من جهة القيمة الدلالية للصوت بمثابة الوقوف والفواصل بين المعاني، في الدلالة على العبارات الوظيفية التي يراد بها أن تكون متساوية أو مختلفة، أو مناسبة لما قبلها أولما بعدها، أو مغايرة له[2].

وهو بذلك يُعد نوعًا من الأداء المتميز للكلام، كالذي وصفت به عائشة رضي الله عنها كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : **(ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد كسردكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام بيّن فصْل، يحفظه من جلس إليه)**[3].

ومن ثم ذمت العرب لحن أصحاب التقعير والتكلف بما لا يناسب المعنى من الأصوات، كمن يتكلف التمطيط والجهارة والتفخيم في غير موقعه، ومدحوا حسن اللفظ، وإصابة المعنى باللفظ المناسب، ونعتوا الأصوات بالحلاوة والعذوبة والرفق واللين والترخيم، وشبهوها أحيانًا بالطيب والنسيم والماء والحرير ....[4]ونحو ذلك .

---

١) انظر حول هذا المفهوم الوظيفي للتنغيم : البيان والتبيين ١/١٣٨-١٤٧. وعلم الأصوات لكمال بشر ٥٣٣-٥٤٧.

٢) ينظر لما يقارب هذا المفهوم : علم اللغة للسعران ٢١٢، وعلم الأصوات لكمال بشر ٥٣٤، والدلالة الصوتية في اللغة العربية٢٠٣ .

٣) أخرجه الترمذي في الشمائل المحمدية ١٨٦حديث ٢١٣.

٤) انظر : البيان والتبيين ١/٤٦-١٤٧. أسرار البلاغة ٢١، ٢٦.

فونيم النبر

ثمة تداخل شديد بين النغمة ونبر الكلمة[1] أو ما يعرف بـ(النبر) أو (النبر النغمي) وهو - أعني النبر النغمي - حالة متوسطة بين نبر الكلمة والنغمة[2]، والنبر في اللغة كلمة دالة على الرفع والعلوّ، وكل مَنْ رفع شيئًا فقد نبره[3]، ومن هذا الأصل سمي المنبر منبرًا؛ لارتفاعه وعلوه، قال ابن الأنباري " والنبر عندهم ارتفاع الصوت، يقال: نبر الرجل نبرة، إذا تكلم كلمة فيها علُوّ"[4]. ويطلق أيضًا على الخَلْس[5].

ويراد به في الدراسات الحديثة " **تمييز مقطع أو حرف أو كلمة من بين أخواتها بضغطة تخصصها، فتزيد وضوحًا في السمع**"[6]، وهذا يدل على أن مفهوم النبر عند المحدثين هو نفسه المعروف عند علماء العربية، فهو دائر على ما يلي:

١. رفع الصوت .

٢. التكلم بكلمة فيها علوّ.

٣. الاختلاس .

٤. الضغط على حرف، أو على كلمة.

---

١) انظر: الموسوعة اللغوية ١/٥٨.

٢) الموسوعة اللغوية ٥٨-٥٩.

٣) مقاييس اللغة لابن فارس ٩٧١(نبر). واللسان ٥/١٨٩ (نبر).

٤) الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر ابن الأنباري ١/٤٢٠.

٥) اللسان ٥/١٨٩(نبر).

٦) انظر: أسس علم اللغة ٩٣.و الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس ١٦٩. ودراسة السمع والكلام لسعد مصلوح ٢٢٧. وعلم وظائف الأصوات اللغوية لعصام نور الدين ١٧٥، واللغة العربية معناها ومبناها ١٧٠، وعلم الأصوات لكمال ٥١٢.

وذكر ابن سينا أنه ينتج عن "حفز قويّ من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير"[1].

وأصل النبر للمقاطع الصوتية، **والمقطع** ينشأ عن تناوب الفتح والإغلاق للمجرى الصوتي في أثناء الكلام، مما ينتج عنه تناوب الألفاظ الشبيهة بالصوائت، والشبيهة بالصوامت، ويوجد النبر في الكلمات المؤلفة من أكثر من مقطع في بعض اللغات، بأن يكون أحد مقاطعها أقوى من المقاطع الأخرى[2]، **وفي العربية . وبعض اللغات . يشمل وجودُ النبر ما ذكر أيضًا، وقد يقع في كلمة مكونة من مقطع واحد، نحو: لا، ما، منْ، أنْ، بلْ، هلْ ......إلخ.**

والنبر في اللغة العربية نبر حرّ، غير ثابت، يمكن أن يقع في أول الكلمة، أو في آخرها، أو في حشوها، ولكن ليس معنى ذلك أنه يكون وفق هوى المتكلم، بل يراد بحرّية النبر: أن الحقائق الفونولوجية لا تكفي في حدّ ذاتها لتقرير وتحديد موضع النبر[3]. **ويعتمد في الاستدلال عليه ما تزيد به الكلمة جهارة ووضوحًا، نحو:** درجة النغمة العالية، وزيادة المدة، ودرجة علوّ الصوت الزائد، وكما يكون نبر الكلمة على مقطع من مقاطعها لتحديد إيقاع اللفظ ، يكون نبر الجملة على كلمة من كلماتها للإشارة إلى أهم العناصر ذات المعنى في الجملة، كنبر الإنسان لكلمة تهمه . فيرفع بها النغمة . أو تهم المخاطبين، أو ينبه عليها، أو يدور عليها المعنى في الجملة، ونحو ذلك[4].

فالنبر عنصر صوتي مرتبط بالتنغيم، ومن يتتبع مواضع وقعه في الكلام يجده . كما يقول بعض الصوتيين . "كأنه ينفث الحياة في الهيكل العظمي للأصوات، أو على حد قول بعضهم : النبر روح الكلمة، يعطيها طابعها

---

١) أسباب حدوث الحروف لابن سينا ص١٦، وانظر (التنغيم اللغوي في القرآن لسمير العزاوي ص١١٨).

٢) انظر : الموسوعة اللغوية ٥٣/١–٥٧، وأسس علم اللغة لماريو ٩٥.

٣) الموسوعة اللغوية ٥٧/١. ودراسة السمع والكلام ٢٣٨.

٤) انظر : الموسوعة اللغوية ٥٧/١–٥٩، واللغة لفندريس ٨٧، والأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس ١٧٤. والأصوات اللغوية للخولي ١٥٨–١٦١، ودراسة السمع والكلام ٢٤٠.

وشخصيتها، سواء أكان نبر علوّ، أم نبر شدة"[1]. لأن الغالب في تنغيم الكلام كونه صادرًا عن تمييز بعض أجزائه بما يخالف الباقي، عن طريق العلو والارتفاع والشدة والمُدة الزمنية المستغرقة في أثناء الضغط على مقطع ما، أو باختلاس بعض الأصوات، أو مزجها ..... وقد يكون ذلك التمييز ناتجًا عن نبر مقطع أو كلمة، كما يكون نغمة مصاحبة للجملة[2].

وقد استعمل علماء العربية مصطلح النبر، بهذا اللفظ أحيانًا، وعبروا عنه في كثير من المواطن بألفاظ أخرى تدل عليه وتعنيه عمليا، وربطوا في بعض كلامهم بين النبر والتنغيم من جهة الصوت والمعنى اللغوي والأغراض.

فمن أقوالهم في ذلك: ما **ذكره سيبويه من أن العرب تستعمل للتنبيه:** "(يا) و(أيا) و(هيا) إذا أرادوا أن يمدوا أصواتهم للشيء المتراخي عنهم، والإنسان المعرض عنهم، الذي يرون أنه لا يقبل إلا بالاجتهاد ....والندبة يلزمها (يا) و (وا) **كأنهم يترنمون فيها**، فمن ثم ألزموها المدّ، وألحقوا آخر الاسم المدّ **مبالغة في الترنم** "[3]. فقد ربط سيبويه الزيادة في الصوت بالترنم، وبإرادة الإسماع، والإبلاغ، والتنبيه.

وقول المبرد : " وأنها - يعني الهمزة - نبرة في الصدر جاز فيها التخفيف ....والمخففة بوزنها إلا أنك خففت النبرة، لأنك نحوت بها نحو الألف"[4] فقد استعمل لفظ (النبر) للتنويع الصوتي، فالهمزة المحققة تصدر عن نبرة (ضغطة) في الصدر، وهذا يعني أنها تحتاج إلى علوّ وشدة في الصوت، ومن ثم سموها نبرة . وذكر أيضًا أن حرف القلقلة تتبعه نبرة عند الوقف[5]، يريد أن تلك النبرة تبرز حرف القلقلة عندما يخفيه الوقف عليه، ويتميز بها عما يجانسه من الحروف في المخرج.

---

١) اللغة لفندريس ٨٧ (بتصرف يسير).

٢) انظر : دراسة السمع والكلام ٢١٢. والتشكيل الصوتي ١٣٤.

٣) سيبويه ٢/٢٣٠، ٢٣١ (بتصرف يسير).

٤) المقتضب ٢٩٢/١.

٥) المقتضب ٣٣٠/١، ٣٣٢.

وكذلك ذكر ابن جني أن من الحروف حروفًا مُشربة تُحْفَز في الوقف وتُضغط عن مواضعها، فلا يوقف عليها إلا بإتباعها صوتًا يميزها، لشدة الحفز والضغط، وهي حروف القلقلة، وكذلك ما يتبعه صويت كالنفخ، مثل حروف الهمس وبعض حروف الرخاوة[1]، فقد استعمل للصوت المنبور ألفاظا تدل عليه وتصفه، وهي الحفز والضغط والنفخ، وصوت مميز، وهذه هي اصطلاحات المحدثين على النبر.

وذكر الرضيّ مثل هذا الذي ذكره ابن جني، وعرف الصوت الذي يخرج مع حروف الرخاوة فقال: الرخاوة أن يجري الصوت بالحرف عند إسكانه **كالنبر**"[2]

ومن أقوالهم في التصريح بمصطلح (النبر) وربطه بالتنغيم: **نص ابن جني** الذي سبق في شرح معنى التنغيم، وفيه: "**يعني حنين السحاب وسَجْرَه، وهذا لا يكون عن نبرة واحدة ولا رزمة مختلسة، إنما يكون مع البدء فيه والرَّجع، وتَثَنّي الحنين على صفحات السمع**"[3]. وكذلك قوله: " ولكن هذا القبيل من هذا العلم .أعني علم الأصوات والحروف .له تعلّق ومشاركة للموسيقى، لما فيه من **صنعة الأصوات والنغَم**"[4].

فربط بين النبر الذي تحتاجه الأصوات والحروف والنغم الذي يكون في الجمل .

ومن أقوالهم قول ابن سينا: " ومن **أحوال النغم: النبرات**، وهي هيآت في **النغَم** مدية، غير حرفية، يبتدأ بها تارة، وتخلل الكلام تارة، وتَعقُب النهاية تارة، وربما تُكَثّر في الكلام، وربما تُقَلّل، **ويكون فيها إشارات نحو الأغراض**، وربما كانت مطلقة للإشباع، ولتعريف القَطْع، ولإمهال السامع ليتصور، ولتفخيم الكلام، وربما أُعطيت هذه النبرات بالحدّة والثِّقَل هيآتٍ تصير بها دالة على أحوال أخرى، من أحوال القائل، أنه متحير، أو غضبان، أوٌ

---

١) سر صناعة الإعراب ٦٣/١.

٢) شرح الشافية ٣/ ٢٦٠.

٣) الخصائص ٢٩/١.

٤) سر صناعة الإعراب ٩/١.

تصير به مستدرجة للمقول معه بتهديد، أو تضرّع، أو غير ذلك، وربما صارت المعاني مختلفة باختلافها، مثل أن النبرة قد تجعل الخبر استفهاماً، والاستفهام تعجباً[1]، و غير ذلك "[2].

تدور أهمية كلام ابن سينا هنا على أمور، منها :

١. أنه فسر مراده بالنبر بقوله : هيآت في النغم مدية ....إلخ. فهو أداء مصاحب للكلام، تصاحبه نغمات خاصة، لأن كل نوع من أنواع النبرات تصاحبه نغمة تناسبه، كما يقول المحدثون[3].

٢. أنه يؤكد علاقة النبر بالتنغيم، وهو موافق لما يقوله المحدثون، قال فندريس : " ونقصد بالنبر هنا نبر الإيقاع، أي النغمة "[4].

ويصرح بعضهم بأن من أنواع النبر ما يسمى بـ(النبر النغمي) وهو الناتج عن ارتفاع النغمة[5].

٣. أنه تضمن ربطاً للتنغيم بالدراسة النحوية، لما نبه عليه من أن الأساليب تتغيّر بسببه، وتختلف به المعاني، ويشار به إلى الأغراض، وهذا هو موضوع هذه الدراسة .

٤. أنه نبه على وظائف التنغيم، ومصادره، بوصفه جزءاً من أجزاء لغة التخاطب .

٥. أن فيه دليلا على أن النبر والتنغيم من جملة الأوضاع الصوتية المعروفة في التراث العربي، خلافاً لما يذكره بعض المحدثين من أن العرب لا يعرفون التنغيم والنبر، وأن اللغة العربية ليست لغة تنغيم ونبر[6].

---

١)انظر لهذا : البرهان للزركشي ٢/٣٢٧-٣٤٧.

٢) الخطابة لابن سينا ١٩٨-١٩٩تحقيق محمد سليم سالم ، القاهرة ، ١٩٥٤م ، نقلا عن : (الأبعاد المعنوية في الوظائف النحوية ، لأسامة جرادات ٢٣-٢٨).

٣) انظر : الأصوات اللغوية للخولي ١٧٠. واللغة لفندريس ١٠٩.

٤) اللغة لفندريس ١٠٩.

٥) علم وظائف الأصوات اللغوية (الفونولوجيا) ١٠٩.

٦) ممن قال ذلك : المستشرق الألماني برجستراسر في كتابه (التطور النحوي للغة العربية ٧٢) . وهو كتاب مليء بالطعن في العربية !. وهنري فليش في كتابه (العربية الفصحى ٤٩) وتأثر بهما بعض من الصوتيين العرب، مثل عبد الرحمن أيوب كما في (محاضرات في اللغة ١٤٥) والطيب البكوش، كما في (التصريف العربي ٧٨) كلاهما =

وربما كان الدافعَ إلى ذلك عدمُ وجود دراسات مفردَة - فيما وقفت عليه - لدى علماء العربية في هذا الشأن، كما أن الغالب على كلام علماء العربية التعبير عن الظواهر الصوتية المصاحبة للكلام - كالنبر والتنغيم - بألفاظ أخرى، ولكن مع ذلك وردت نصوص غير قليلة عن المتقدمين من علماء العربية كالتي سبق إيرادها - تدل على إدراكٍ عامٍّ للنبر والتنغيم، وما لهما من تأثير في الكلام، كوصفهم للنبرات والنغمات باللين والشدة والحط والنزول، ونبّه بعضهم إلى ما لهذه الظواهر الصوتية من أثرٍ مخصوصٍ في النفوس وفهم الكلام، وسيقف القارئ على شواهد لذلك - غير التي سبق ذكرها - في أماكنها المناسبة في هذه الدراسة، إن شاء الله.

وقد اعترف فريق من الباحثين المحدثين في الصوتيات بوجود التنغيم التمييزي في العربية، وصنفها بعضهم ضمن اللغات التنغيمية، أي اللغات التي يُعد التنغيم والنبر فيها فونيما تمييزيا، وأثبتوا له جذورًا في كلام سيبويه والفراء والفارسي وابن جني والجرجاني، وغيرهم، ووقفوا عليه في مواطن كثيرة مما كتبه علماء القراءات والتجويد[1].

غير أن غالب من وقفت على كتاباتهم في هذا الموضوع جمعوا بين إثبات دور التنغيم النحوي في اللغة العربية ومعرفة علماء العربية له، جمعوه بنوع من الشك والتردد في الإقرار به، تأثرًا منهم بالموقف الآخر،

= نقلا عن (النبر وبعض ظواهره في القراءات القرآنية - لولاء صادق محسن - في مجلة الرسالة الإسلامية، العدد ٢٣٧، شعبان ١٤١٠) وكذلك: رمضان عبد التواب، إذ يقول: "ولم يعالج أحد من القدماء شيئًا من التنغيم ولم يعرفوا كنهه": المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ٣٧١، و: محيي الدين عبد الرحمن رمضان في مقال له بعنوان: (هل في العربية الفصيحة تنغيم) ص٦٢، في مجلة *اللسان العربي*، العدد ٥٢، رمضان ١٤٢٢هـ.

١) انظر: الأصوات اللغوية للخولي ١٦٢،١٧٢، ودراسة السمع والكلام ٢٣٨، ومن الكتب التي ذكرت ذلك: بحث الدكتور عليان الحازمي - السابق -: (التنغيم في التراث العربي) وكُتُب: إبراهيم أنيس، وبروكلمان، وجان كانتينو، وتمام حسان، وخالد قاسم بني دومي في كتابه: دلالة الظاهرة الصوتية، وبحث: (النبر وبعض مظاهره في القراءات القرآنية) لولاء صادق (سابق)، وكتاب التنغيم اللغوي في القرآن الكريم، للعزاوي، نشر داء الضياء، الأردن ١٤٢١هـ، والدلالة الصوتية في اللغة العربية، لصالح الفاخري.

حتى إن بعضهم بعدما ناقش المسألة، واستعرض ما قيل فيها، دعته الحيرة بين الإثبات والنفي والخروج برأي مستقل إلى أن يدعي أن النبر في العربية موجود " ولكنه من النوع غير التمييزي، أي لا تأثير له في المعنى "[١]! وهذا خلاف ما أثبته آخرون من أدلة على أن نبر العربية وتنغيمها كثيرًا ما يكون تمييزيا[٢].

ولا يكاد كتاب من كتبهم يخلو من مثل هذا الموقف المتناقض، وقد يخفف بعضهم العبارة فيذكر أن نبر العربية له شبه قريب للغات النبرية من جهة الوظيفة[٣]!.

ولكل من الدكتور محمد صالح الضالع[٤]، والدكتور محيي الدين عبد الرحمن رمضان[٥]، بحث انتهى فيه إلى عدم وجود ظاهرتي النبر والتنغيم في العربية ودراساتها، واجتهدا في ردّ جميع ما ورد مما يستدل به على وجودهما، وحملاه على أنه نوع من التعبير الفني، والمهارة في الأداء، ووسماه بعبارات لا تخلو من التوهين والتمريض، ونفيا ـ بشدة ـ أن يكون له علاقة بمعايير التنغيم الفونولوجي ...

وما قالاه لا يخلو من بعض المبالغة في هذا الجانب، كما أن تأثرهما بالثقافة غير العربية ظاهر التأثير في كثير مما يذكرانه.

والحقيقة أن وصف اللغة يجب أن يكون نابعًا من نصوصها واستعمالاتها، مع الاستعانة بآراءِ مَنْ وصفها ممن جمع بين العلم، والموضوعية.

---

١) المدخل إلى علم أصوات العربية ـ لغانم قدوري ٢٤١.

٢) انظر ما ورد في الحاشية (١) من الصفحة السابقة.

٣) انظر مثلا: علم الأصوات لكمال بشر ٥١٩.

٤) انظر بحثه في المجلة العربية للعلوم الإنسانية من جامعة الكويت ، العدد ٦٧، السنة ١٧، صفر ١٩٩٩.

٥) سبق ذكر مقاله.

والدراسات الفونولوجية - كما تقدم مرارًا - يجب أن تبحث من خلال قوانين اللغة المعينة، وأن تدور في فلك اللسان الواحد، وبناءً على هذا أكتفي بالتعليق على ما ذكراه تعليقا موجزًا بما يلي :

أولا: عدم دراسة الظاهرة والتقعيد لها في لغة من اللغات لا يعني - بالضرورة - عدم وجودها بحال من الأحوال .

ثانيا : وجود التنغيم والنبر في اللغة العربية من جهة المنطوق المستعمل لا نزاع فيه، لأنها من الظواهر الصوتية العامة المشتركة بين جميع الألسن[1]، مع "أن اللغات لا تُبدي تباينًا كبيرًا في نظمها الصوتية الوظيفية "[2].

ثالثًا : أن جمعًا من علماء اللغة من المحدثين - كما تقدم - اعترفوا بدلالة التنغيم والنبر في العربية، وأنهما كثيرًا ما يكونان من النوع الوظيفي (التمييزي) و جعل كثير من المهتمين باللغة العربية يؤلفون كتبا ورسائل وبحوثًا ومقالاتٍ في هذا الجانب[3]، جامعين بين الدراسة الفونيتيكية والفونولوجية، وهذا يدل على أنهم وجدوا ما يعتمد عليه من النصوص والنقول فيها، **والمثبت للشيء أولى من النافي له، لأن المثبت معه زيادة علمٍ،** كما يقرر علماء الأصول[4].

رابعًا : إن هؤلاء النافين اعتمدوا على استقراء ناقص، ودراسات غير وافية للظاهرة، ثم انطلقوا من قاعدة النفي وعدم الثبوت، فتبنوها مذهبًا، فأخذوا يدافعون عنها، وألزمهم هذا المنهجُ تأويلَ ما يرد عليهم مما يناقض آراءَهم، فكلما وجدوا أن تلحين الكلام أو تطريبه أو تلوينه بأنماط مختلفة تتخلل كلماته وجملَه يغير المعاني والأساليب، ويثير المخاطبين، ويحدد

---

1) انظر : الموسوعة اللغوية ٥٨/١، وأسس علم اللغة لماريو ٩٥.
2) مدارس اللسانيات ، التسابق والتطور ٢٣٠.
3) تقدم ذكر نماذج من هذه الجهود، وانظر أيضا : مناهج البحث لتمام ١٩٨-٢٠٣، والتفكير اللساني للمسدي ٢٦٦.
4) انظر : قواعد الأصول ومعاقد الفصول لصفي الدين الحنبلي ص٧٢، ط١، عالم الكتب ١٤٠٦هـ ،بيروت. والمعونة في الجدل للشيرازي ص٢٧٦، تحقيق عبد المجيد تركي ط١، ١٤٠٨، دار الغرب الإسلامي ، بيروت .

أنواع الجمل .....وغير ذلك مما أورده القدماء وتنبه له المحدثون، كلما ورد عليهم شيء من ذلك وأشباهه في العربية أخذوا في التعليل والتأويل والبحث عن المخرج، فيقولون : هذا لا يعدو أن يكون من أساليب القراءة، والصعود والهبوط في النغْم، وما هو إلا تنويع في النغم، أو : مجرد تزيين للصوت، أو طريق من طرق التعبير الجيد .....وغير ذلك مما يقوله الضالع، ومحيي الدين رمضان، وبراجستراسر، وكمال بشر، وأمثالهم، وأشغلهم ذلك عن الدراسة الموضوعية للظاهرة، وصرف أبصارَهم عن كثير من نصوص العربية وكلام علمائها فيما يدخل في هذه المسألة، فلم يخرجوا بنتيجة سوى ما لديهم من قناعات سابقة .

خامسا : جميع هذه العلل التي عللوا بها ما ورد عن العرب أو في العربية من استعمالات للتنغيم والنبر : يمكن أن يوصف بها التنغيم والنبر في اللغات التي يعترفون لها بالريادة في التنغيم الفونولوجي، كاللغة الإنجليزية، والفرنسية، ....فإن جميع ما فيها من التنغيم لا يخلو من كونه ضربًا من ضروب تنويع الأداء، وتلحين الكلام ....ونحو ذلك، ولكن إن أدت هذه التلحينات والتنغيمات إلى اختلاف الدلالة المعجمية للفظة، أو إلى تفريقٍ بين أنواع الكلم، أو تمييز بين الخبر والإنشاء، أو الإثبات والنفي ....ونحو ذلك فلا منافاة، وهذا هو نفسه الموجود في العربية، فالضغط على فتحة اللام في كلمة(لأكتب) يولد جزءًا من المد، فتلتبس بـ(لا) النافية، و بينهما بَوْن شاسع في المعنى، وزيادة الضغط على الدال في "قد" عند الوقف يدل على أنها مصدر أو فعل ماض، (قدّ قدًّا) وعدم الضغط يدل على أنها مخففة فهي حرف، أو اسم فعل بمعنى : كفى (قَدْ) وهكذا يقال في نحو (بلّ) و(هلّ) ....ونحو ذلك كثير مما سيأتي في الفصل الثاني من هذا الباب .

فإن أرادوا أن هذا ليس قاعدة مستمرة في العربية، وإنما يأتي أحيانا، وقد لا يحتاج إليه دائمًا للتفريق بين المعاني ....فهذا صحيح ولكن الأمر كذلك في اللغات الأخرى، "فليس كل النبر في الإنجليزية مفرقًا بين المعاني، فمعظم كلمات اللغة الإنجليزية لا يؤدي تغيير موضع النبر فيها إلى اختلاف في المعنى[1]، ولكن يتحاشاه المتكلم ولا يستسيغه السامع لخروجه عن

---

١) انظر أسس علم اللغة ٩٣.

المعيار اللغوي"[1] ومعنى هذا أنه لا يعدو كونه معيارًا لغويًا اعتاده الناطقون بها، وليس من الضروري أن يكون ذلك لإكساب النص دلالة ما.

ويذكر ماريو باي في هذا الصدد أن درجة الصوت أو التنغيم في اللغة الإنجليزية نادرًا ما تُعد وحدة فونيمية، "وأن الغالب ظهور أثرها في العبارة أو الجملة، لا في الكلمة المفردة، ولكن بمساعدة الموقف ربما سبب التنغيم اختلافا في المعنى يمكن أن يوصف بأنه فونيمي"[2]. وهذا ينطبق على النبر والتنغيم في العربية بالوصف نفسه.

سادسًا: لم يكن التنغيم في اللغة الإنجليزية ومثيلاتها على حقيقة ما يصفونه به، من أنه "دُرس دراسة مستفيضة توصلت إلى تفاصيل قوالب التنغيم ودقائقه"[3] بل لم يَعْدُ كونه ظاهرة صوتية أدرك دارسو الإنجليزية بعض دلالاتها في لغتهم، فوصفوا ما أدركوه وحاولوا ضبط قواعده انطلاقًا من المقاطع الصوتية [4]، وإلى يومنا هذا يرى بعض علمائهم أن التنغيم لايصلح - في لغتهم - أن يكون فونيمًا وظيفيًا[5]، لأنه ليس إلا أحد العناصر (الفوقطعية) يضيفها المحلل في وصفه اللغة بعد ما يستنفد كل شيء[6]، بل ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك، فرأى أن التنغيم ظاهرة قولية، ولا صلة له بالنحو[7]! ولهم فيه أقوال وآراء مختلفة تدل على قلة استيعاب بعضهم - على الأقل - لظاهرة التنغيم، وعدم نضجه نضجا كاملا في دراساتهم، كما تدل على ترددهم في عده من ضمن الدراسات الفونولوجية (الوظيفية)، وهم يتحدثون عن اللغات غير العربية، ومع ذلك اضطربوا كل الاضطراب في

---

1) دراسة الصوت اللغوي ٢٢٣، والأصوات اللغوية للخولي ١٦٢.

2) أسس علم اللغة ٩٤ (بتصرف يسير).

3) بحث: (قضايا أساسية في ظاهرة التنغيم) للضالع ص١٤.

4) انظر: مدارس اللسانيات، التسابق والتطور ٢٣٢، والأصوات اللغوية للخولي ١٦٦.

5) انظر: في الصواتة الزمنية، الوقف في اللسانيات الكلاسيكية ١٩-٢٠.

6) السابق ٢٤.

7) السابق ١٤١.

تفسير الظواهر النغمية، حتى لدى كبار علمائهم، مثل : فيرث، و هاليه، وتشومسكي، ومالينوفسكي ......وغيرهم[1].

وسبب هذا الاضطراب في التنغيم[2] لدى الإنجليز وأمثالهم، يمكن إرجاعه إلى عدة عوامل، مما يذكره الباحثون المتخصصون في الإنجليزية، منها :

أ. أن اللغة الإنجليزية المعاصرة لغة مستجدة، لا يتجاوز عمرها أربعمائة سنة[3]، وكانت مراحل تطورها مواكبة للتطور العلمي غير اللغوي لدى أهلها، فكان اهتمامهم بالعلوم غير اللغوية طاغيًا على العلوم اللغوية .

ب ـ أن الظواهر التنغيمية تعد من العناصر المصاحبة للكلام المنطوق، وليست من ضمن عناصره التركيبية التي هي الصوامت والصوائت، وآلات تسجيل اللغة المنطوقة حديثة، ولم تكن معروفة من قبل .

ج. قلة علماء الثقافة الصوتية، المشمولة بالتنغيم .

د. صعوبة الملاحظة العلمية للظواهر الصوتية .

هـ : أن الكتابة الصوتية للتنغيم غير دقيقة، ولم تتطور تطورًا مستوعبًا له .

و. لم يتفرغ دارسو هذه اللغات ـ كما يذكر نقادهم ـ لدراسة التنغيم دراسة عميقة عندما ظهرت آلات تسجيل الصوتيات، لأنهم انشغلوا بأمور أخرى، كتعليم اللغات الأخرى، والإلقاء، وهذا كله باعتراف من بعض علمائهم[4].

ز. أن التصوير الطيفي للكلام ـ الذي يغلب اعتمادهم عليه مؤخرًا ـ لا يعطي حقائق واقعية غالبًا، لأنه يخضع لقناعات ومرئيات المحلل، والمحلل

---

1) انظر :مدارس اللسانيات ، التسابق والتطور ٢٣٤–٢٣٧.

2) انظر صورًا من هذا الاضطراب في اللغة الفرنسية في كتاب (وظيفة الألسن وديناميتها) لمارتينيه ص٨٢–٨٦.

3) الصوتيات العربية للغامدي ٨٣. وانظر : the Cambridge Encyclopedia of the Englishelanguage.p.٧٨ Cambridge University presl.١٩٩٠

4) انظر لهذه العوامل الخمسة الأخيرة : في الصواتة الزمنية ٢٧.

للصوت يصعب أن يكون غير متأثر بسوابِقَ ثقافيةٍ تحد من موضوعيته ودقته[١].

ح. أن التسجيلات الصوتية خاضعة لقدرات الناطقين على النطق السليم، وتنوع الألسن في الفصاحة وعدمها، وكل ذلك يؤثر في إخراج الحروف بصفاتها وملامحها المميزة، ويؤثر في الخطوط النغمية المصاحبة ضرورة، وهذا ما جعل أحدهم يقرر أنه " من الأسلم ألا يحاول المرء وضع قانون صارم يحدد طريقة النطق"[٢].

أما اللغة العربية فقد حصر علماؤها جميع دقائق التغيرات الصوتية فيها منذ قديم، وتطورت تطورًا عظيمًا، وأفردت بالتآليف، وخُصّ غالب أصواتها برموز تدل عليها، ووُسِمَ كلُّ تغَيُّر فيها بلقب يدل على طبيعته الصوتية، مثل : الزيادة، الإشباع، الإدغام، المد، الوقف، السكت، الاختلاس، التنوين، الإشمام، التسهيل، النبر، التفخيم، الترقيق، التغليظ، الإمالة .... ونحو ذلك من الألقاب الصوتية التي لا يخرج التنغيم عنها، وإن لم يصطلحوا على تسميتها تنغيمًا .

ويزعم بعض الموقنين بالمكانة التي تتسنمها اللغة الإنجليزية ومثيلاتها في النبر، بأن السبب في ذلك وجود كلمات تنطق بطريقين، فيكون للكلمة معنى مغاير في كل مرة، وأن مثل هذا غير موجود في العربية !

ويبدو أن التفريق بين العربية والإنجليزية هنا سببه قصور اللغة الإنجليزية في نظامها الكتابي[٣]، فإن كتابتهم لا تفرق بين الحركة المنبورة وغير المنبورة، ولا بين الحرف المنبور وغير المنبور، وقد تنبه فريق من الصوتيين العرب المحدثين إلى أن نبر الحركة في العربية كثيرًا ما تنشأ عنه مدود، يُفرق بها بين الصيغ والمباني والأدوات، نحو : فاعِل (بنبر حركة الفاء) وفَعِل

---

١) انظر : مدخل إلى التصوير الطيفي للكلام لإرنست بولجرام ٢٠٤–٢٠٥.

٢) أسس علم اللغة لماريو ٩٥.

٣) ممن أورد أمثلة متعددة لعيوب النظام الكتابي في اللغة الإنجليزية : الدكتور سميح عبد الله أبو مغلي في كتابه : دراسات لغوية ٢٣–٢٦.

(من غير نبر شيء) وفعِيل (بنبر حركة العين) ....[1]، والعرب لا تسميه نبرًا، وإنما اصطلحوا على تسميته مدًا، ومن الواضح أن المدّ هنا ناشئ عن النبر؛ لأنه من جهة المعنى اللغوي للنبر زيادة وارتفاع في الصوت، ومن الناحية الإنتاجية للصوت هو ناشئ عن ضغط زائد على الحركة، فزادت الكمية وزاد المدى الزمني، وذلك يولّد إشباعا ما، ومن جهة القيمة الخلافية يُعَد هذا النبر مفرقًا بين كثير من الكلمات التي تختلف معانيها بسبب اختلاس الحركة وإشباعها، نحو: عَنى /عانى ـ نَدِم /نديم ـ رُم / روم ـ لَم /لام ـ عَلَم /عالَم....

وفيما يلي بعض الأمثلة التي يوردونها للتدليل على هذا النوع من النبر في اللغة الإنجليزية، مع بيان وجه تلاقيها مع العربية في بعض طرق النبر:

١ـ Import : نبرها على المقطع الأول (إيمبُرْت) تكون به بمعنى : استيراد.

ونبرها على المقطع الثاني (إمبورت) تكون به بمعنى : يستورد .

والملاحظ أن النبر هنا نبر الحركة الذي قد يؤدي إلى إشباع ومدّ، مهما اختلفت طبيعة النطق العربي عن العجمي، فقد تكون النبرة في نطقهم شاملة للكمية والمدة الزمنية والحدة، والنبرة العربية قد تختلف في بعض سماتها النطقية عن هذه، ولكن إذا تأمل الإنسان في هاتين النبرتين وجد أنهما في النهاية صيّرتا الكلمة كلمتين مختلفتين معنىً في العربية والإنجليزية، ومختلفتين معنى وكتابة في العربية، نحو : قَلى، (فعل بمعنى : غضب، بنبر المقطع الأخير فقط) وبنبر المقطع الأول معه (قالا) تصير من القول، أو القيلولة . ويقال مثل ذلك في نحو : جَدَّ وجادَّ، ومِلْ ومِيل ....بحسب المعيار الذي تقدم.

٢ـ export بنطقها (إيكسبُرْت) تكون بمعنى : التصدير . وبنطقها : (إكسبورت) تصير بمعنى يصدر .

٣ـ object بنطقها (أوبجِكْت) بمعنى شيء،وبنطقها (أبجيكْت) تصير بمعنى يعترض[2]

---

١) انظر : الأصوات اللغوية للخولي ١٦٢،ودراسة السمع والكلام ٢٣٩.

٢) انظر لهذه الأمثلة من اللغة الإنجليزية : الأصوات اللغوية للخولي ١٦٢، ودراسة الصوت اللغوي ٢٢٢

وهذا في العربية أكثر الظواهر شيوعًا، بجميع أنواع النبر، نبر الحركة نبرًا يؤدي إلى تطويلها، ونبر الحرف الصامت بالضغط على مخرجه حتى يكون مشددًا، كما في الأمثلة الآتية :

Ithan : بنغمة مستوية خالية من النبر(إذَنْ) حرف جواب، وبنبر المقطع الأول(إيذن) تصير فعل أمر من (الإذن)، وبنبر المقطعين الأول والأخير (إيذان) تصير بمعنى إعلام، لأنها مصدر الفعل (آذَنَ) . ونحو: *بدا /باد . * تولّى / تولٌ . *آتِ /آتي * عنْ /عنٌ.

والخلاصة أن النبر في العربية يكثر أن يكون له رمز يدل عليه، بخلافه في الإنجليزية، مع أن الصوت المرموز له في العربية قد يكون هو نفسه المنطوق به نبرًا في الإنجليزية، كما هو ظاهر في بعض أنبار الحركات، ومن ثم توهموا أنهم ينطقون شيئًا واحدًا، يكون منبورًا أحيانًا، ويكون غير منبور أحيانًا، لأنهم لم يعتبروا النبر اختلافًا أو تغييرًا في الكلمة، وهو في الحقيقة مختلف، لأن نبر الكلمة يغير صوتها كما يغير معناها في كثير من المواطن، ولأجل ذلك غيرت العرب صورة الكلمة المنبورة، إشارة إلى التغاير في اللفظ والمعنى، كما في الأمثلة السابقة، والعبرة بالنطق لا بالكتابة، وكانت العرب لا تكتب هذه النبرات إلا قليلا، ولا تزال بعض الكلمات باقية على ذلك، نحو: (هذا) فهي بمعنى الإشارةِ إلى مفرد مذكر، بنبر مقطعيها، وفعل ماض من الهذيان، بنبر المقطع الثاني فقط، ولا تكتب نبرة المقطع الأول (هَـ) في الحالين، وفي الكتابة يفرق بينهما بكتابة ألف الثانية على صورة ياء، وأما في النطق فلا يفرق إلا بالسياق والنبر، كما هو شأن الإنجليزية .

٢- أقسام التنغيم في الكلام العربي

التنغيم تلوينات صوتية ـ كما تقدم ـ تتنوع بنسب متفاوتة في الكلام، ولا يبدو من الإمكان حصر أنواعها وطرقها، غير أنه يمكن النظر إليها باعتبار مجموعاتها العامة، المقيسة بدرجات الصوت واتجاهاته الأفقية، بحسب "الذبذبات الرئيسة للمقاطع المتتابعة في التعبير "[1] وعندئذ يمكن

---

١) التشكيل الصوتي للعاني ١٤١، ودراسة السمع والكلام ٢١٩.

تقسيم أنماطه الرئيسة في الكلام العربي إلى ثلاثة مستويات عامة، تندرج تحتها فروع كثيرة جدّا ودقيقة التحديد، هذه المستويات هي :

المستوى الأول: المرتفع أو الصاعد النغمة، وهو ما يحدث بإثارة قوية للأوتار الصوتية، بواسطة الهواء المندفع من الرئتين فيسبب ذلك اهتزازا أكبر في الأوتار الصوتية فيعلو الصوت .

وهذا النوع من التنغيم يُلجأ إليه غالبا في المواقف التي تستدعي ارتفاع الصوت، كما في الخطابة، والنداء للبعيد، والصياح، ومواقف الانفعال، ومن ثم ارتأى بعض الباحثين تقسيمه إلى مرتفع ومرتفع جدًا، (أو عالي وفوق العالي)[1].

المستوى الثاني : المتوسط النغمة، وهو الذي يحدث عندما يكون اندفاع الهواء اندفاعا متوسطا ليس بالقوي ولا الضعيف من الرئتين، فتهتز الأوتار الصوتية اهتزازا غير شاق ولا صاخب، كما في القراءة الهادئة .

المستوى الثالث : التنغيم ذو النغمة الضعيفة أو الهابطة : ويحدث بتسلل هواء الرئتين بلين وضعف عبر الأوتار الصوتية، كما يحصل عند خفض الصوت، والمناجاة، وموقف الحزن والإسرار بالحديث، ونحو ذلك .

وكل هذا تابع لعلو الصوت وانخفاضه، وقد يكون التنغيم تصاعديا أو تنازليا، بمعنى أن المتكلم يبدأ حديثه في هبوط وانخفاض ثم يعلو ويزداد علوا، أو العكس، حسب الموقف، والغالب أن المتكلم يبدأ بنغمة صاعدة،ويقف بنغمة هابطة، إلا إذا وقف قبل تمام المعنى، فتكون نغمته مشعرة بذلك لما يصطحبها من نبر متوسط، ونغمة متساوية لما سبقها.[2]

ويقسم النبر أيضا . باعتباره جزءًا تنغيميا (له نغمة تصاحبه) . إلى أقسام مقاربة للأقسام السابقة في معانيها، فيقال : نبر قويّ، ونبر متوسط، ونبر

---

١) انظر : التشكيل الصوتي للعاني ١٤١، والأصوات اللغوية للخولي ١٧٠.

٢) انظر لهذه المستويات :الموسوعة اللغوية ٢٣/١. واللغة العربية معناها ومبناها ٢٢٧– ٢٣١. و علم الأصوات لكمال بشر ٥٣٤. ودراسة الصوت اللغوي ٢٢٩ . والأصوات اللغوية للخولي١٦٩– ١٧١. وعلم وظائف الأصوات لعصام نور الدين ١١٩، ودراسة السمع والكلام٢٢٢–٢٢٤.

ضعيف[1]، غير أن الغالب في النبر أن يتعلق بالشدة والحدة والارتفاع، والنغمة توصف درجاتها بالصعود والهبوط والاستواء .

وله الدلالة نفسها، فنبر كسر النون في كلمة (ابني) نبرا ضعيفا يدل على أنها فعل أمر، إذا قيل :(ابنِ محمد) أي : اعمل البناء يا محمد، ونبرها نبرًا قويا تطول به الحركة ينبني عليه كونها اسمًا، ويكون (محمد) خبرًا عنه، أو بدلا، لأن النبر القوي تلزم منه الزيادة في الكسر، والزيادة فيه تحسب حرفًا . في العربية . وذاك الحرف يعدّ ضميرًا، ونحو ذلك : فتوَلَّ / فتولّى . ارمِ / ارمي ......والمقصود هنا نبر التنغيم الذي هو الصعود بالنغمة[2]وعكسه الهبوط بها، كما سبق شرحه .

٣ - مصدر النغمة ودلالتها

النغمة تتوقف على عدد ذبذبات الأوتار الصوتية[3]واهتزازاتها حسب طبقات الصوت، ودرجاتها السالفة الذكر، ويخضع هذا للسرعة التي تهتز لها الحبال الصوتية، فإذا كان ذلك في الكلمات ذوات المعاني المفردة . كأدوات الاستفهام وحروف النداء[4]، فقد لا يكون له تأثير في المعنى والدلالة النحوية، لأن الغالب الاستكفاء بدلالة الأداة عن دلالة النغمة، إلا إذا حذفت الأداة استغناء بالتنغيم، كما سيأتي .

لكن إذا كانت الكلمة نائبة عن جملة أو كانت في سياق مرتبط معها في النغم ، كان لذلك تأثير في المعنى، و تنويع للدلالة النحوية، وهو ما يسمى بالتنغيم الذي يفصل بين أنواع الجمل، ويكوّن المنحنى اللحني للجملة، الذي يكون طوع وظائفه النحوية .[5]

---

١) انظر : علم الأصوات اللغوية لمناف مهدي ١٣٢.

٢) انظر اللغة لفندريس ١٠٩. وعلم وظائف الأصوات ١٠٩.

٣) معجم علم الأصوات للخولي ١٧٥.

٤) انظر التشكيل الصوتي للعاني ١٤٢.

٥) انظر: الموسوعة اللغوية ٢٣/١. واللغة العربية معناها ومبناها ٢٢٧– ٢٣١. وعلم الأصوات لكمال بشر ٥٣٤. ودراسة الصوت اللغوي ٢٢٩ . والأصوات اللغوية للخولي١٦٩– ١٧١ ، وعلم وظائف الأصوات لعصام نور الدين ١١٩ . والصوتيات العربية للغامدي ٧٩.

وترتبط النغمة في اللغة العربية بالقطع الصوتية، وهي القطع المنتظمة عن طريق الإيقاع المسموع من النبرات . لأن "وظيفة النبر الصوتية هي تحديد إيقاع اللفظ"[1]. بحسب الزمن المستغرق لكل قطعة[2].

وفي هذا الإطار العام للتنغيم والنبر يمكن للمتفحص لمصادر النغمة ومصادر النبرة الصوتية الوظيفية في العربية، أن يحدد لهما المواضع العامة الرئيسة التي يدور عليها جميع هذا الباب، وهي كما يلي:

الموضع الأول : الحركة : فالحركة تعد قمة الإسماع في المقطع، وعندما تنبر يكون لها مزية خاصة[3]، وتعطي دلالات متنوعة، سواء أكان النبر قويا أو ضعيفًا أو متوسطًا، فلكل دلالته، كما في نبر حركتي كلمة (نَعَمْ) الجوابية، أو تنغيمها : عند الاستفهام، وعند الإجابة، وعند الاستغراب أو التعجب أو الإنكار.

وقد يكون نبر الحركة بالنطق ببعضها، وذلك إخفاءٌ لها، ويكون بتمطيطها، وهو الإشباع، وباختلاسها[4]، وهو أمكن من الإخفاء، وما زاد على التمطيط من الإشباع فَصِلَة (حرف كامل) وما دون الإخفاء سكون، وقرئ بكل ذلك في القرآن، ونطقت به العرب[5].

الثاني : التضعيف في مقابلة التخفيف : كما في : قدْ / قدٌّ . عُدْ / عُدٌّ . شاقَ /شاقَّ أسَدَ(بتخفيف الدال) /أسَدَّ(بتشديد الدال) فالمقاطع المشددة منبورة، وعن طريق النبر جاء التشديد فاختلف المعنى[6]، **ومن ثم قال أحد علماء العربية القدامى في وصف الحرف المشدد :"فإن اللسان يرتفع في المضعف بلفظ الثاني منهما بنبرة واحدة مشددة"**[7].

---

1) الموسوعة اللغوية ٥٩/١.

٢) انظر للاستئناس : الموسوعة اللغوية ٢٥/١، و : في الصواتة الزمنية ٤٦ ، ٢٢٠.

٣) انظر : علم الأصوات لبرتيل ١٨٧. والتشكيل الصوتي للعاني ١٣٤-١٣٥، والموسوعة اللغوية٥٧/١.

٤) وقد تقدم عند شرح معنى النبر أنه يطلق على الاختلاس أيضا (انظر اللسان "نبر")

٥) الدر النثير للمالقي ٦٣١، وانظر الخصائص ١٢٩/٣-١٣٠، وشرح الشافية ٢٥٩/٣.

٦) انظر : علم الصوتيات لعبد العزيز علام وعبد الله ربيع ٣٣٤. ودراسة السمع والكلام ٢٣٥، ٢٣٩.

٧) الإيضاح في القراءات للشيخ أحمد بن أبي عمرو الأندرابي المتوفى ٥٠٠هـ ص١٠٦(نقلا عن المدخل إلى علم أصوات العربية لغانم قدوري ص٢٢٠).

الثالث: الوقف في مقابلة الوصل، والمراد الوقف بأنواعه جميعها، والغالب هبوط النغمة عند الوقف، واستواؤها عند الوصل، وامتدادها مع التقطيع عند التذكر والروم، بدرجات متفاوتة نسبيا[1]. وقد تقدم في باب الوقف ما يدل على أنه من أهم الظواهر الصوتية التي يتعلق بها التنغيم.

الرابع : المدّ في مقابلة القصر، وهو ما يمكن أن يسمى بـ(النبر المدي) أي النبر المتعلق بالمدّ، لأن المد رفع وزيادة، مثل النبر، والحرف الممدود يكون دائماً عالي النغمة، وقد ينتج من نبر الحركات ما يشتبه بالمد، لأن الزيادة في الحركة مدّ وإشباع لها[2]، والصوت المنبور أطول منه حين يكون غير منبور[3]، وقد لا يكون الغرض من الإشباع إثباتَ مدّ في البنية الصرفية للكلمة، ولكن لمجرد التنغيم، لإعطاء دلالات إيقاعية، أو غيرها، كما في الكلمات : فأنظور . بمنتزاح . ألم يأتيك . بينا . خاتام . درهام . الصياريف ......الواردة في الأبيات المشهورة في كتب النحو، والأصل فيهن : فأنظرُ . بِمُنتَزَح . ألم يأتك . بين . خاتم . درهم . الصيارف[4]، **قال سيبويه : " أما إذا ترنّموا فإنهم يلحقون الألف والياء والواو ما يُنَوّن وما لا يُنَوّن، لأنهم أرادوا مدّ الصوت "**[5].

ويدخل في هذا إطالة الصوت بحروف الندبة والنداء والإنكار والتعجب[6]، كما يدخل فيه الزيادة في حرف المد لتمكينه إذا وقعت الهمزة بعده[7]، كل هذا من ضروب النبر النغمي الذي يصاحب المدّ، **وقد نص بعض الصوتيين من المحدثين على إدراجه في أنواع النبر وطرقه**[8].

---

١) انظر: التشكيل الصوتي للعاني ١٤٠، و: في الصواتة الزمنية ٤٦، ٥٣.

٢) انظر الخصائص ٣/١٢٨-١٣٠.

٣) الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس ١٥٥.

٤) سر صناعة الإعراب ١/٢٥-٢٦.

٥) سيبويه ٤/٢٠٤.

٦) انظر : سيبويه ٢/٢٣٠، ٢٣١. ودلالة الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم ١٥٧، ١٥٨.

٧) الدر النثير ٣٣٩. والأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس ١٥٨.

٨) انظر مثلا: علم الأصوات لبرتيل ص٢٠٧من تعليق الدكتور عبد الصبور شاهين .وعلم وظائف الأصوات ١٠٩-١١٤. والأصوات اللغوية للخولي ١٦٢، ودراسة السمع والكلام ٢٣٥-٢٣٩.

الخامس : الإشمام الصوتي، والمراد به : النطق بالصوت بين صوتين، وتنغيم الكلمات بطريقة تجعل بعض الفونيمات مشوبة بما يقاربها ويجعلها غير خالصة، كخلط الصاد بالزاي في (الصراط) وخلط الكسرة بالضمة في (قيل) و(جيء) ونحو ذلك [1]، وقد يكون ذلك في بعض الأصوات بسبب السرعة في الكلام، وعند تسهيل الهمزات، والبطح والإضجاع[2]، ومنه ما أسماه ابن جني:"إمساس الألفاظ أشباه المعاني"[3]. وهو تناغم يكون بين اللفظ ومعناه، حتى كأن اللفظ أُشمّ معناه، وهو- مع دقته ولطافة مأخذه - من أوضح دلائل التنغيم، كدلالة وزن (فعللة) على التكرير، كقعقعة، وصلصلة، وزعزعة .....ودلالة (فَعَلان) على الحركة والاضطراب، كالغَلَيان والطيَران ....وروي عن الخليل أنه قال : **"كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدّاً فقالوا : صرّ، وتوهموا في صوت البازي تقطيعاً فقالوا : صرصر"**[4]

وهذا النوع من التنغيم، أو النبر النغمي الذي يخص الصيغ والمباني ويأتي مناسبًا لما تحمله من دلالات - أعني مناسبة اللفظ للمعنى - يُعَدُّ من أنواع التنغيم الشائع في القرآن الذي هو أفصح وأبلغ كلام عرفه الإنسان، ولو تتبعه المرء لأدرك أن العربية لغة نبر وتنغيم[5]، تدل على معانيها بأصواتها المفردة والمركبة .

السادس : نبر الحروف الصوامت بالضغط على مخارجها في كلماتها، أو الإسراع بها بطريقة تؤثر في صفاتها زيادة أو نقصًا، وقد حذر الإمام مكي القيسي من نبر الياء إذا شـدّدت أو تكررت، نحو : حيّ، يستحيي، أحييناها....[6] والحرف المقلقل تتبعه نبرة عند الوقف[7]، وكذلك ذو الغنة، والمفخم،والمهموس، والرخو - كما تقدم - ويؤدي هذا النوع من النبر إلى

---

1) انظر جهد المقل ٢٨٠.
2) انظر الدر النثير ٤٥٧-٤٥٨.
3) الخصائص ٢/١٥٢.
4) الخصائص ٢/١٥٢-١٥٣.
5) انظر لهذا النوع : التعبير الفني في القرآن لبكري شيخ أمين ص١٨٥-١٩١، والتنغيم اللغوي في القرآن الكريم ص١٤٣ وما بعدها .
6) انظر الرعاية ١٨٠-١٨١.
7) المقتضب ١/٢٩٢، ٣٣٠.

إبراز بعض المقاطع، أو بعض أجزاء الجملة بنغمة معينة، **وهو ما يسمى بـ(نبر التنغيم)**[1]، وقد يعمد إلى هذا النوع من النبر لتحقيق أغراض التحقيق والبطء والتعليم والمدح والذم والدعاء والنداء ....وربما كان إضعافه لأجل السرعة والحذر، **وقد تنبه ابن جني لهذا النوع من التنغيم الذي يكون بتفخيم الألفاظ وزيادة قوتها وتمطيط نغمتها، عندما يريد الإنسان أن يكتفي بذلك عن ذكر بعض الألفاظ والعبارات، فعلل ابن جني ذلك الاستغناء بأنه راجع لما يحس به المستمع في كلام القائل من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم .....وما يزيده من قوة اللفظ وتمطيطه وتمكينه** [2].

ومما يلحق بنبر الحروف الصوامت: نبر الهمز، محققا ومخففا ومبدلا[3]، "لأن الهمزة نبرة تخرج من الصدر بكلفة"[4] وتسمى بالحرف الجَرَسيّ، والحرف المهتوف، لأجل زيادة جرسها،أي صوتها[5]، وهذه الزيادة بمثابة الضغط على المقطع، ومن هنا شابه نبرُ الهمزة نبرَ المقطع أو نبر الحركة.

وللعرب في التنغيم بالهمزات طرائق متعددة، منها: التسهيل، والتليين، وهو أنواع منه: مذاق الهمز، ومنه بين بين، ومنه البدل، والنقل، والحذف، وقد يكون معه الإدغام[6]، وإذا التقت همزتان أو سبقت الهمزة بسكون فمنهم من يحقق، ومنهم من يخففها،، ومنهم من يمد، ومنهم من ينقل الحركة، ومنهم من يسهل الثانية، ومنهم من يبدلها ألفاً، وغير ذلك مما يجده المطلع على المراجع المحال إليها[7]، نحو: أأنت /أانت - أإنك /أينك......أنبياء /أنبئاء - النبيين /النبيئين - زكريا /زكرياء - رأس /راس -

---

1) علم الأصوات لبرتيل ١٨٧.

٢) الخصائص ٢ /٣٧٠–٣٧١، (بتصرف). والتطريح : الرمي والإبعاد والاقتلاع بشدة وكثرة ، والتطويح : الذهاب بالشيء في مناح مختلفة ، والرمي به من هاهنا وهاهنا ...(انظر اللسان "طرح" و"طوح").

٣) انظر: سيبويه ٣ /٥٤١،٥٤٨، والرعاية ٩٥.

٤) سيبويه ٣ /٥٤٨، المقتضب للمبرد ١ /١٥٥، واللباب للعكبري ٢ /٤٤٣، والتبيان له ١ /٢٢.

٥) الرعاية لمكي ١٣٣، ١٣٧.

٦) الدر النثير ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٦٩.

٧) انظر: سيبويه ٣ /٥٤١ـ ٥٥٦، والمقتضب ١ / ٢٩٢ـ ٣٠٢، والتكملة ٢١٢ - ٢٢٠، والتحديد للداني ٩١، والدر النثير ٣٤١ - ٤٢٣، واللباب للعكبري ٢ /٤٤٣، والتبيان له ١ /٢٢.

المؤمن /المومن ـ بئر /بير ـ الأول /الَوَّل ـ الأرض /الَرْض.....ويسمي بعض المحدثين النوع الذي ينشأ عنه جَعْل الهمزة مدًّا بـ"النبر الطولي"[١]نحو: رأس /راس ـ المؤمن /المومن ـ بئر /بير، وإنما كان هذا نبرا لأنه نوع من زيادة الضغط على الحركة حتى ينشأ عنها همز أومد، أوزيادة ضغط على الهمزة لتكون بارزة محققة بوضوح.

الموضع السابع : المستوى العام للصوت، والمراد به في النبر كون الكلمات بضغط عالٍ، وحدّة مرتفعة واحدة، أو ضعف واختلاس، أو توسط واستواء، فتكون النبرات موزّعة على المقاطع بطريقة واحدة، تؤدي إلى توحيد النغمة، وهو في التنغيم توزيع نمط النغمة على المستوى العام للجمل أو الكلمات، فتكون لها إيقاعات متوازية متوافقة صعودًا أو هبوطا أو في استواء، بتتابع مستمر، أو متدرج، أو متلوّن[٢]، والنمط العام للنغمة هو الذي يحدد المعنى، ويكون صوتا وظيفيا في اللغة[٣].

إن دلالة التنغيم والنبر في هذه الظواهر الصوتية، وأثرّها في الدلالة المعجمية والتركيبية مما لا مجال للشك فيه، أو الترددِ في الإقرار به، وقد يجتمع في الكلمة أو العبارة سببان أو أكثر، من أسباب النبر أو أسباب التنغيم، فيكون من قبل تضعيفها أو مدها أو إشمامها أوحركتها.....إلخ.

غير أن بعضها أقوى من بعض فيقع النبر عليه، كما هو حال المد والتضعيف، وحرف التفخيم وحرف القلقلة، وهذا كحال الحرف المضعّف نفسه فهو درجات بعضها دون بعض في الصوت والنبر به[٤]، وكذلك المد متفاوت النبر ومتنوع النغمة[٥].

هذه هي القاعدة العامة في العربية، وإذا تتبع الإنسان النبر فيها ـ وكذلك التنغيم ـ وجده لا يكاد يخرج من هذه الأنواع والمواضع، أما ما درج عليه بعض المحدثين في الصوتيات من تقنين مواضع النبر في العربية بحسب عدد المقاطع، وأنواعها، فلا يبدو منضبطًا مع الواقع في الاستعمال العربي .

---

١) انظر التنغيم اللغوي في القرآن ١٢٣.

٢) انظر : دراسة السمع والكلام ٢٢٢–٢٢٤. وعلم الصوتيات لعبد العزيز علام وعبد الله ربيع ٣٣٢–٣٣٩. والأصوات اللغوية للخولي ١٦٤–١٧١.

٣) انظر علم الأصوات لبرتيل ١٩٢.

٤) انظر الرعاية ٢٤٦–٢٥٤.

٥) انظر الموضح للقرطبي ١٤٣.

الفصل الثاني
وظائف التنغيم النحوية

أولا:وظائف التنغيم بالنبر (على مستوى المفردات والصيغ)

تقدمت معرفة النبر ومحدداته التي تدل على مواضعه في اللغة العربية، وهو قائم على الزيادة في الأصل، زيادة في طول الصوت، أو في كميته، أو في مستوى النغمة، ونحو ذلك، فهو يتم عن طريق الارتكاز أو قوة الاعتماد على عنصر من العناصر المكونة للكلمات، ليتولد صوت زائد يكون ملمحًا تمييزيا[1]، ويكثر أن يكون ذلك الارتكاز في الحركات، لأنها قابلة للزيادة والنقص، وهذا النوع من النبر هو الشائع في اللغة الإنجليزية، نحو :

accent (النبر) : بالارتكاز على المقطع الأول . وهو همزته . ينطق هكذا : (آكسنت) . وبمعنى : ينبر، بالارتكاز على المقطع الثاني . وهو كسرة السين . (أكسينت) . فهذا الارتكاز غيّر الصيغة فتغير المعنى[2]، وهذا نفسه ما يحدث في العربية، نحو: سُقْ(فعل) فإذا زيد في نبر الضمة بطريقة معينة صار النطق : (سوق) وهو اسم . ومثله: جُدْ(فعل) – جود(اسم) . أنْ(حرف) . آن(فعل) . مِلْ(فعل) ـ ميل(اسم) ....غير أن العرب يسمونه التفريق بالصيغة لا بالنبر، كما تقدم [3]، وعند التدقيق والتأمل في النطق نجد أن الصيغة تكونت عن طريق النبر، وهو ما يحصل في اللغة الإنجليزية، وفي العربية يتجاوز هذا إلى أنواع أخرى كالتي تقدمت .

وإذ قد تبين بهذه الأمثلة شيوع النبر التمييزي (الوظيفي) في العربية، فلنستبن إدراك علماء العربية لهذا المعلم الوظيفي، واهتمامهم بمعرفة أنواعه، وأماكن تأثيره في اللفظ والمعنى، ولا يكاد يخلو من هذا كتاب من الكتب المتخصصة في علـوم العربية والتجـويد إلا قليل منها، وإن كانوا

---

١) انظر لشرح كيفية الزيادة هذه على المستوى الإنتاجي للصوت : الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس ١٦٩–١٧٠، ودراسة السمع والكلام ٢٣١–٢٣٣.

٢) انظر : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ١٩١–١٩٢.

٣) انظر ما تقدم في ص٣٨٦ –٣٨٧

لا يصرحون بلفظ (النبر) أو لفظ (التنغيم) وقد تقدم ذكر لبعض أقوالهم في هذا المَنْحَى، وأكتفي الآن بإيراد نص واحد للاستدلال والتمثيل، للإمام عبد الوهاب القرطبي المتوفى (٤٦١هـ) ـ أي قبل ميلاد اللغة الإنجليزية المعاصرة بحوالي ألف سنة . إذ يقول : " تحقق للطالب بما ذكرناه أن الألف والواو والياء[١] تكون تارة ممدودة، وتارة مشبعة، ويكون امتداد الصوت بها دون امتداده في هذه الأحوال، فتمد المقدار الذي هو طبعها، كنحو الواو في (موسى) والياء في (عيسى) والألف في (طارد) وأن إهمال الإشباع يخرجها عن كونها حرفًا،ويلحقها بالحركة، والإفراط في التمكين يلحقها بالممدود، وكلاهما مكروه ....ومتى سمعت التحريض على إشباع المد في موضع ما، وليس بممدود، فاعلم أن المراد بذلك توفية حقّه من غيرِ إفراط ولا تفريط، لعلة توجب ذلك، إما ليفرق بذلك بين بابه وبين مثله مما يُسرع إليه الهمز لكونه على زنة المهموز بأدنى مدّ في الواو والياء والألف"[٢]. ثم شرع في تعليل ما يمد وما لا يمد، وفي وصف الحروف الصوامت، وما ينتج باختلاف النطق على المستويين الصوتي المجرد والصوتي الوظيفي .

والمقصود أنه عبر عن التنوعات الصوتية، والتغيرات النغمية، ووصفها بما يتفق مع مفهوم النبر، المتقدم شرحه، ونبه على اختلاف الكلمات بسبب ذلك .

وللتنغيم بالنبر وظائف عدة في النحو العربي، نجد من أهمها ما يلي :

أ ـ وظائف تركيبية

- كالتفريق بين المفرد والمركب بالنبر، وتبيين دلالات المركب بالنبر، ويأتي هذا فيما يعرف في البلاغة بـ(**جناس التركيب**) وهو أن تتفق حروف كلمة مفردة مع مجموع كلمتين مركبتين[٣]، فلا يكون الفرق

---

١) هذه هي الحروف الناشئة عن النبر ، فهي هنا نبرات .

٢) الموضح ١٣٢–١٣٣(بتصرف يسير). وانظر القواعد والإشارات للحموي ٥٣، وهو كتاب مخصص لشرح مصطلحات القراء في النبر وضروب الأداء .

٣) انظر المطول ٦٨٣.

بين المفرد والمركب إلا بقرائن صوتية أو سياقية (معنوية) كقول الشاعر:

عضّنا الدهرُ بِنابِهْ ليت ما حلّ بنا بِهْ[1]

(بنابه) الأولى كلمة واحدة، وهي (ناب) مضاف إلى هاء الكناية، والثانية مركبة من (بنا) جار ومجرور، و(به) جار ومجرور أيضا، فالتفريق بينهما نطقًا يكون باستواء النغمة على المفرد، وتقسيمها على المركب، بأن تنبر ألف (بنا) بسكتة لطيفة خفيفة، أو نبرة قوية أو متوسطة تخالف نغمتها ما بعده .

وكقول الآخر:

إذا مَلِكٌ لم يكنْ ذا هِبَهْ فدعْه فدولتُه ذاهِبهْ[2]

(ذاهبه) الأولى مركبة من (ذا) و(هِبّة) بمعنى: عطية، والثانية اسم فاعلة من (ذهب) فهي مفردة، والتفريق بينهما يكون بنبر (ذا) من المركبة، والشواهد من هذا النحو كثيرة في كلام العرب.[3]

*ومنه: أ: تدري به. تدريه. ب: تهذي به. تهذيه.

ج: تجري به. تجريبه. د: تغلي بها. تغليبها ....

فإن نبر مدة الفعل المعتل بضغطة تميزه عما بعده يكون بها فصل المركب عن المفرد، وكذلك نبر الحركة المختلسة بسكتة لطيفة دون تنفس مع الإسراع إذا كان الفعل مجزومًا، نحو: لا تجرِ به حين تجريبه، ولتغلِ بها قبل تغليبها ....

- **ومن وظائفه التركيبية**: تبيين دلالات المركب من جهة العدد، نحو: مررت بساكنِ الدار، و بساكني الدار، فيفرق بين المركب الأول والثاني

---

1) بيت من مجزوء الرمل، ورد غير منسوب في معاهد التنصيص ٢/ ٢١٠.

2) بيت من المتقارب، لأبي الفتح البستي، ورد في مفتاح العلوم للسكاكي ٤٣٠، والمطول ٦٨٣، ومعاهد التنصيص ٢/ ٢١٠.

3) انظر: أبحاث في أصوات العربية لحسام النعيمي ٧٥-٧٨.

بالإسراع على نون الأول، وعدم تخصيصها بنبرة، وزيادة الاعتماد على نون الثاني (بضغطة) لإعطائها نبرة مميزة عالية من غير مد تدل على العدد، وليست تلك النبرة كنبرة المدّ ؛ لأن هذه النبرة تنشأ عن زيادة اعتماد على النون مع حركتها من غير زيادة في حركتها، بينما تنشأ نبرة المد من الزيادة في الحركة .

- **ومن دقيق هذا النوع ما يكون فيه فونيم النبر من نوع نبر الحركة القصيرة لا الطويلة**، ففي هذه الحال يحتاج المتكلم إلى دقة متناهية في نبر الصوت لأجل التمييز بين التركيبين اللفظيين، نحو :

* كلَّمَتْني و كلّ مَتْني . *هَدَّمَتني و هدَّ مَتْني، * فرمتني و فرمتني .

رُكبت الأفعال المسندة إلى ضمير الغائبة مع تاء التأنيث : كلمتْ . هَدَّمَتْ . فرمَتْ، ثم رُكبت مع ضمير المتكلم (ني)، فهذه كلمة واحدة يجب إخراجها بنغمة مستوية، وهي النبرة الموسيقية، التي تصاحبها نغمة موسيقية[1]، فيها مزج للفعل بما بعده، تمييزا لها عن النوع الآخر الذي رُكب فيه الفعل مع فاعله، كما في (كلّ متني) فينبغي هنا نبر حركة اللام من (كلّ) ختمًا للفعل، والمركب فيه مع مفعوله كما في (هدّ متني) بنبر حركة الدال من (هدَّ) فصلا للفعل، والمركب فيه مع فاء العطف، كما في (فرمتني) بنبر حركة الراء من (فَرَ) قطعًا لها عن الفاء إيذانًا بانفصال الفاء عن الفعل، وهذه النبرة مشهورة لدى قراء القرآن ويحرصون عليها، لتمييز حرف العطف عما بعده، نحو : (**فسقى - وكفى - وترى - أفلا - فيمَ....**)[2] بنبر حركة الحرف الثاني من كل كلمة، نبرًا خفيفًا لا يؤدي إلى مدّ، قطعًا له عن حرف العطف، لئلا يتوهم السامع أن الكلمة بسيطة غير مركبة، فتخرج إلى معنى غير معناها .

- **ومنه التفريق بين الظرف وغيره** في نحو : " إلى هنا، صيرنا إلهنا " . أي: إلى هذا المكان صيّرنا الله الذي هو إلهنا، فالصوت واحد ولكن التركيبين مختلفان، وقد يغني الوقف على الكلمة أو الجملة الأولى، وقد لا يغني في

---

١) انظر علم الأصوات لبرتيل ١٩٢والأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس ١٧٥.

٢) انظر دلالة الظاهرة الصوتية في القرآن ١٤٦.

التفريق، وأما الوصل فلا بد فيه من النبر المميّز على (إلى) الأولى، أو الثانية، للدلالة على حرفيتها وانفصالها، ولاسيما في حال عدم وجود قرائن سياقية أو حالية، أخرى ونحوها.

ب ـ وظائف تركيبية تخصيصية

قد يغني النبر التنغيمي عن الصفة المحذوفة فيدل عليها، ويقوم مقامها، وذلك يكون عندما تميز الكلمة بنبر مقطع منها، نحو قولك ـ لمن تمدحه ـ (أراك رجلا) فإن هذا الكلام وإن كان تاما من جهة التركيب النحوي، فغير مفيد من جهة المعنى، لأن كلمة (رجلا) نكرة عامة غير مخصّصة، وإنما تخصصها النغمة الدالة على المدح أو الذم، أو نحوهما، فتكون تلك النغمة بمنزلة قولك : شجاع، أو كريم، أو عالم، أو نحو ذلك .

قال ابن جني : " وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها ....وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول : (كان والله رجلا) فتزيد في قوة اللفظ بـ(الله) هذه الكلمة، **وتمكّن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها**، وعليها، أي : رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما، أو نحو ذلك، وكذلك تقول : "سألناه فوجدناه إنسانا" **وتمكّن الصوت بـ(إنسانا) وتفخمه**، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك : إنسانا سمحا أو جوادًا، أو نحو ذلك .... فعلى هذا وما جرى مجراه تحذف الصفة، فأما إن عريت من الدلالة عليها من اللفظ أو من الحال فإن حذفها لا يجوز "[1].

والنبر التنغيمي الصاعد هنا يقابله الهابط الذي وظيفته الدلالة على عكس ذلك المعنى، كقول الشاعر :

وقد كنتُ في الحرب ذا تُدْرَإٍ   فلم أُعْطَ شيئًا ولم أُمْنَعِ[2]

فإنه ينبغي أن تؤدى كلمة (شيئًا) بما يوافق مراد الشاعر من تحقير ما أُعطيه، ولهذا فُسِّر على حذف الصفة أيضًا، وأن المعنى : شيئا طائلا، أو : نافعًا، أو: شيئًا لائقًا....ونحو ذلك[3]. لأنه أُعطيَ شيئا ما، بدليل قوله (ولم أمنع) وقوله من بعده :

---

1) الخصائص ٢/٣٧١ .

2) بيت من المتقارب ، للعباس بن مرداس ، من قصيدة له يخاطب فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في ديوانه ١١١، وقوله (ذا تُدرإ) أي صاحب دفاع ومَنَعَة .

3) انظر : المغني ٦٩٤-٦٩٥، والتصريح ٣/٥٠٢-٥٠٣.

و إلا أفائلَ أعطيتها عديدَ قوائمِها الأربعِ[1]

* ويستحسن في الأداء مراعاة هذا النوع من نبر الكلمات والصيغ بحسب معانيها لأجل التوكيد أيضًا، نحو: قدير. عظيم. واسع. صاحب. شجاع. فتّاك .....إلخ، فتنبر بضغط على الحركة الطويلة، فتصحبها نغمة فخمة صاعدة فيها زيادة الكمية الصوتية، لتتناسب مع المعنى، فتتضافر القرينة الصوتية مع اللفظية الأخرى، فيكون بذلك تأكيد للمعنى وتمكين له في نفس السامع، ويقال مثل ذلك في النبر المقابل، وهو الضعيف، للعلة نفسها، نحو: حقير. ذليل. ضعيف. جبان. قليل. خائف. مريض...... فيصاحَب بنغمة فيها رقة وضعف.

* ومن نبر التوكيد هذا ما ذكره مكي (ت ٤٣٧هـ) من أنه " إذا كان المشدّد مفخمًا للتعظيم والإجلال، وجب بيان التشديد متمكنًا، ليكون ذلك أمكن لظهور التفخيم، نحو: ﴿ قال الله ﴾ و ﴿ فالله خيرٌ حافظا ﴾[2] وشبهه، يُظهَرُ التشديد إظهارًا متمكنًا ليظهر التفخيم في اللام التي جيء بها للتعظيم والإجلال والإكبار "[3].

ج ـ وظائف أسلوبية

من أظهر ما يكون فيه النبر التنغيمي فونيما وظيفيا (تمييزيا): **التنويع الأسلوبي**، في الأدوات والكلمات، وأمثلته كثيرة، كالتفريق بين الأدوات النافية والناهية والاستفهامية المتشابهات، وتوضيح دلالات الأداة الواحدة بالنبر، ونبر الكلمة في جملتها لتمييزها، **ومن الأمثلة على ذلك:**

١. التفريق بين دلالة (لا) نافية وناهية بالنبر، عندما ينفي الإنسان أمرا مذكورا فيقول: لا، يريد: لا يكون ذلك. وعندما ينهى عن أمر ما فيقول: لا، يريد: لا تفعل. فإن النبر في النوعين مختلف، والغالب كون نبر النهي قويا صاعد النغمة[4]، ونبر النفي متوسط النغمة، كقوله:

---

١) ديوانه ١١٢، والأفائل: صغار الإبل، جمع أفِيل.

٢) سورة يوسف (٦٤).

٣) الرعاية ٢٥٧–٢٥٨.

٤) انظر معجم علم الأصوات للخولي ١٧٥.

قُلْنَ اتَّضَعْتِ فقالتْ لاَ فقلْنَ لها فكيف تَقْوَيْنَ يا سلمى على الجملِ[1]

فانظر إلى النبر التنغيمي المناسب لمعنى النفي في قولها (لا) مع كون هذه اللفظة مفيدة للنفي بلفظها، ولكنها في مثل هذا السياق تحتاج إلى تلوين صوتي يفيد أنها جواب لما قبلها، ويميزها عن النهي.

٢. وكذلك التفريق بين (لا) المراد بها النفي فقط، والتي يراد بها النفي مع الإنكار، أو مع التعجب، فإن النبر هو القرينة الدالة على هذه المعاني الأسلوبية. وهذا النوع أيضًا مما أدركه بعض المتقدمين من علماء العربية، قال السمرقندي:

"وأن العرب ترفع الصوت بـ(ما) النافية والجاحدة، وتخفض بالخبرية، وتُمكِّن بالاستفهامية، بحيث يصير[2] بين بين، أي: بين النافية والخبرية. مثال ذلك: إن قال قائل: ما قلت، ويرفع الصوت بها، يعلم أنها نافية، وإذا خفض الصوت، يعلم أنها خبرية، وإذا جعلها بين بين، يعلم أنها استفهامية"[3]. فقد بين أن العرب تفرق بين المعاني بدرجات الصوت وتنوّعاته، وارتفاعه وانخفاضه، وهذا هو مفهوم النبر عند المحدثين، كما تقدم.

وذكر السمرقنديّ أيضا أن (لولا) تأتي لمعنيين: لامتناع الشيء لوجود، فتقع الجمل الاسمية بعدها، و للتحضيض، فتكون بمعنى (هلاّ) فتقع الجمل الفعلية بعدها، ثم ذكر أن الفرق بينهما في اللفظ أن الداخلة على المبتدإ والخبر يُخفض الصوت فيها بـ(لو) ويرفع بـ(لا)، و أما التي للتحضيض فإن الصوت فيها يرفع بـ(لو) دون لا[4].

---

١) أنشده المبرد عن الأصمعي، انظر الفاضل للمبرد ص٤٧، تحقيق عبد العزيز الميمني، ط٣، ١٤٢١هـ دار الكتب المصرية، القاهرة.ومعنى (اتضعت): قلت للجمل: ضعْ ضعْ، ليبرك.

٢) أي يصير الصوت.

٣) نجوم البيان للسمرقندي ١٥٣.

٤) نجوم البيان ١٩٠-١٩١.

يريد أن العرب جعلت نبر مقطعي (لولا) قرينة على الامتناع، وجعلت نبر المقطع الأول وهو (لَوْ) قرينة على معنى التحضيض، وعبر عن النبر بـ(رفع الصوت) وهو المعنى اللغوي للنبر كما ذكر المتقدمون والمتأخرون .

٣. ومن دقيق هذا النوع من النبر التنغيمي الفونولوجي ذي الوظائف الأسلوبية : **ما ذكره الإمام مكي بن أبي طالب** المتوفى (٤٣٧هـ) من أن مقدار المدّ في تركيب الخبر، أقل منه في تركيب الاستفهام، لأجل التمييز بينهما، نحو : آدم - آمن - آتى .....المد فيها أقصر صوتًا وأضعف نبرًا من المد في نحو : آنذرتهم - آنت - آمَنْتم (في الاستفهام) عند من يسهّل الهمزة الثانية أو يبدلها مدًا من العرب، وقد قرئ بذلك في القرآن، وهي رواية ورش عن نافع[1]، والأصل فيهن : أأنذرتهم - أأنت - أآمنْتم؟ ومن ثم يشبع القراء المدّ هنا (في الاستفهام) للتفريق بينه وبين الخبر، وليس في اللفظ فرق بين الأسلوبين سوى المدّ[1].

٤. الدلالة على الاستفهام في نبر الإشمام، وهو يعد من جنس التوفيق الصوتي، الذي من أبرزه نطق الصوت ممزوجًا بغيره، كمزج المقطعين الأول والثاني من كلمات : أأعجمي، وأالآن، وأالذكريْن، وأالله، الواردات في القرآن، قال الله تعالى ﴿ولو جعلناه قرآنًا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته، أأعجمي وعربيّ﴾[2] وقال تعالى ﴿آلآنَ وقد عصيتَ قبلُ وكنتَ من المفسدين﴾[3] وقال تعالى ﴿قل آلذكرَيْنِ حرّمَ أم الأنثيين﴾[4] وقال تعالى ﴿ قُلْ آللّهُ أذِنَ لكم ﴾[5] فقد وردت قراءتها بالنبر القويّ والضعيف، وعلماء العربية يسمون هذا بالمدّ والتسهيل، والتسهيل نوع من النبر الضعيف، وهو نبر نغمي بعلوّ نسبيّ ؛ لأنه تغيير في نغمة الصوت وإيقاعه، حتى يصير له جرس جانح إلى حرف آخر، وهو تقريب للصوت إلى آخر

---

١) كتاب : تمكين المد ، للإمام مكي بن أبي طالب ص٢٧، ٣٥، تحقيق أحمد حسن فرحات ، ط١، ١٤٠٤هـ دار الأرقم ، الكويت .

٢) سورة فصلت (٤٤).

٣) سورة يونس (٩١).

٤) سور الأنعام (١٤٣، ١٤٤).

٥) سورة يونس (٥٩).

لأجل الانسجام، لتخفيف الجهد على أعضاء النطق، وفي هذه الكلمات استعمل النبر الضعيف مرادفًا للنبر القوي في الدلالة على معنى الاستفهام الإنكاري[1]، بمد الصوت أحيانًا مبالغة في الإنكار، وبالتسهيل أحيانًا للغرض الصوتي المذكور.

٥. قال الله تعالى ﴿سَأُورِيكُمْ دارَ الفاسقين﴾[2] هكذا كتبت هذه الكلمة (سَأُورِيكُمْ) في المصحف، والواو إشارة إلى ضم الهمزة فحسب، والقراءة (سأُريكُمْ) بدون إشباع لضم الهمزة. غير أن إشباعَ الضم هنا قرئ به في الشاذ، مرويًا عن الحسن البصري[3]، فكان مما وُجهت به هذه القراءة أنها للدلالة على أسلوب التهديد والوعيد والإغلاظ الذي تحمله الآية، قال ابن جني - **في معرض تعليقه على هذه القراءة -: "زاد في احتمال الواو في هذا الموضع أنه موضع وعيد وإغلاظ، فمكّن الصوت فيه وزاد إشباعه واعتماده"**[4].

وهذا التعليل يبدو واضحًا؛ لأن النبرة القوية التي يمتد بها الصوت هي المناسبة للمعنى عند الوعيد، وأما من لم يزد في الصوت فقد استكفى بالمعنى العام للسياق، إلا أن يزيد قوة اللفظ بنبر كسرة الراء من (سأُوريكم) لأنها ممدودة، والزيادة فيها تدل على هذا المعنى وتؤكده.

ومثلها الزيادة في نبر الحرف المضعف لأجل أسلوب التهديد المذكور، في قول الله تعالى: ﴿قال سنُقَتّل أبناءَهم ونستحيي نساءَهم﴾[5] فقوله: (سنقتّل) مع ما فيه من الدلالة المعجمية على الوعيد والتهديد يحسن عند التلاوة أن يُسايَرَ بنبرةٍ قويةٍ على الحرف المضعف - وهو التاء - للتدليل على هذا المعنى وتأكيده.

---

١) انظر الكشاف للزمخشري ٢/٤٤، ١٩٥، والبحر المحيط ٦/٧٧.

٢) سورة الأعراف (١٤٥).

٣) انظر: المحتسب ١/٢٥٨، وإعراب القراءات الشواذ للعكبري ١/٥٦١، والبحر المحيط ٥/١٧٢.

٤) المحتسب ١/٢٥٨، وانظر البحر المحيط ٥/١٧٢.

٥) سورة الأعراف (١٢٧).

إنّ هذا النوع من الأداء الذي تراعى فيه المعاني النحوية هو الذي يؤكد علماء القرآن أنه لا يحسنه إلا الحذاق في العربية، والإخلال به هو الذي يسمونه اللحن الخفي"[1]، وبه فُسِّر الأثر المشهور: **[اقرؤوا القرآن بلحون العرب وأصواتها]**[2] واللحن هنا عبارة عن هذه التلوينات الصوتية المكوّنة بالأنبار والأنغام، و"**النغم للحن بمنزلة الحروف للكلام، منه يتركب وإليه ينحل**"[3].

ولو كان الأمر مجرد أصوات أدائية، أو مجرد طريق من طرق التعبير[4].. ونحو ذلك، لما اختص به العلماء وأهل الحذق والدراية والمعرفة والاطلاع في علم العربية، **ومن ثم نرى الإمام أبا العلاء الهمذاني العطار** (ت ٥٦٩هـ) - بعد أن وصف قراءة القرآن وكيفيات الأداء - يعقد بابا "في حث قراء الكتاب على الاجتهاد في طلب الإعراب"[5] للتدليل على ارتباط لحون العرب بالإعراب، أما اللحن الخارج عن الإعراب فهو الخطأ والميل عن الصواب[6].

د - وظائف تقسيمية

يأتي النبر - كغيره من القرائن الصوتية - فونيمًا وظيفيا دالا على أقسام الكلم في العربية، ويشمل ذلك الدلالة على الاسم، والفعل، والحرف، وتمييز كل عنصر عن الآخر، ثم يشمل أيضا تحديد النوع المنبور من بين أجناس القسم الذي ينتمي إليه، ومن أمثلة ذلك:

---

١) انظر: مختار الصحاح، مادة (لحن) والتحديد للداني ٨٢-٨٣،٩١، والتنبيه على اللحن الجليّ والخفيّ لأبي الحسن السعيدي، ضمن "رسالتان له في تجويد القرآن" ص٢٨، تحقيق غانم الحمد ط١، ١٤٢١هـ دار عمار الأردن، والتمهيد في معرفة التجويد للإمام أبي العلاء العطار ٢٣٧، وجهد المقل ١١٣.

٢) رواه الداني بسنده مرفوعًا، كما في التحديد ٨٢، والإمام أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن ص٨٠، تحقيق وهبي غاوجي، ط١، ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣) مفاتيح العلوم للخوارزمي ٢٦٣.

٤) كما يقول المعترضون على وجود النبر التمييزي في العربية.

٥) التمهيد للعطار ١٩١.

٦) التنبيه على اللحن للسعيدي ٢٨، وجهد المقل ١١١.

١. إذا قيل "ساعدا الفتى، إن ساعدَ الفتى قويّ". فإن النبر القويّ على فعل الأمر (ساعدا) يميزه عن الاسم: (ساعد) حين تغيب قرينة ضمير التثنية بسبب ملاقاة الحركة الطويلة للساكن، فتنطق كلتا الكلمتين بصفة واحدة (ساعدَلْفتى) فلا يميز بينهما إلا نبر المثنى بزيادة الضغط على حركته، والمتكلم لا بد أن يستعمل هذا النبر لأنه لا يشعر أنه يُفهِم مستمعيه من دونه، إلا أن يعتمد على قرائن أخرى.

٢. **هُنْ**: فعل أمر، من (هان). و: **هُنّ**(عند الوقف) ضمير جمع الإناث، والمفرق بين الفعل والاسم نبر النون بزيادة الضغط على الضمير، وتخفيفه على الفعل. وهكذا يقال في أمثاله، نحو: (سِرْ): فعل أمر من السير، و: (سِرّ) من الإسرار والخفاء، و: (عَنْ)، حرف، و: (عَنّ) فعل، والتفريق يكون بتضعيف غنة النون على الفعل، أي بزيادة كمية صوت الحرف المضعف، ونحو ذلك كثير مما هو من نوع نبر الحرف المضعَّف، الذي يعد ملمحًا تمييزيًّا[1].

وتقدم في بيان مصادر النغمة بيانُ طرقِ نبر العرب للهمز، وكثير منه يدخل في التفريق بين أنواع الكلمة (الاسم - الفعل - الحرف) نحو: سما / سماء - ما / ماء - بلى / بلاء - عَلا / عَلاء - نبا / نَبَأ - حَمَى / حَمَأ ..... لا يفرق بين الكلمتين في النطق إلا زيادة الضغط على المقطع الأخير من الكلمة الثانية في جميع هذه الأمثلة، **وهذا هو النبر عينه.**

٣. **ومن النبر ذي الوظائف التقسيمية ما تقدمت تسميته بـ(النبر المديّ)** نحو: لَنْ: حرف، و: لانْ (عند الوقف) فعل، والفرق بنبر حركة اللام إشباعًا حتى تطول، ومن ثم كان من اللحن الخفي الذي يؤثر في المعنى عدم الإسراع بالفتحة بنبرة ضعيفة في نحو: مَنْ وعَنْ ولَنْ وأنْ ......لأن أدنى زيادة في الفتحة تؤثر في المبنى[2]، إذ تصبح: مانْ - عان - لان - آن ...ومهما قصرت الألف أو طالت أدت إلى هذا التغيير، وصارت فونيمًا تمييزيا ذا وظيفة تقسيمية، وقد تقدم بيان وجه التقاء المد

---

١) انظر: دراسة السمع والكلام ٢٣٩.

٢) انظر التحديد للداني ٩٥ن والقواعد والإشارات للحموي ٥٣، والتنبيه للسعيدي (رسالتان في التجويد ٣٤-٣٦).

بالنبر في الدراسة. ومن أمثلته : طُلْ / طول، و: سُق /سُوق، و: دِنْ / دِين، و: قِلْ (أمر من القيلولة) / قيل ...وهذا النوع كثير، والمراد به أن نبر الحركة بزيادة فيها يجعل المبنى زائدًا بزيادة كمية الصوت، فيلتبس الاسم بالفعل والحرف، لشدة التشابه بين أنواع الكلم هنا، إذ ليس بينها إلا زيادة قليلة في الكمية الصوتية بالحركة، وتلك الزيادة ما هي إلا نوع من النبر. كما تقدم في الفصل الأول من هذا الباب . ومن ثم نبه علماء الأداء إلى وجوب التحفظ بالحركة في مثل هذه المواضع[١] .

٤ -: ويفرق بالنبر بين الفعل والحرف في نحو: لِ الشغل، و : لِلشغل . عند غياب قرينة أخرى كحركة الآخر عند الوقف، فإنه ينبغي خطف حركة اللام التي هي فعل ، ونبرها بنبرة تشبه السكت لبيان مزايلتها لما بعدها واستقلالها، وينبغي عدم ذلك في اللام الثانية التي هي حرف.

وفي ضوء هذه الأمثلة وما شابهها يمكن للمرء أن يستنتج أن صفة التقابل الصوتي التي يبديها النبر هنا بصفته فونيما غير تركيبي : تلحق هذا النوع من القرائن الصوتية بمجموعة الفونيمات القطعية (التركيبية) من جهة الوظائف النحوية، وتفتح مجالا رحبًا للنبر التنغيمي الوظيفي في اللغة العربية .

وكل هذا يؤكد ما تقدم من أن "وظيفة النبر في اللغة العربية لا تقتصر على إعطائها إيقاعها الخاص بها، وإنما يقوم بدور وظيفي بوصفه قيمة صوتية لإظهار التباين الدلالي على مستوى السياق، وعلى مستوى المفردات، والمقاطع الصوتية أيضًا"[٢].

هـ: وظائف تصريفية

١. يُفرّق بالنبر بين المفرد والجمع وأنواع الضمير في نحو :

- كاتبو الكتابِ و كاتبُ الكتابِ . *مقيمي الصلاة ومقيمِ الصلاة.

---

١) انظر : مراجع الحاشية السابقة ، مع : دلالة الظاهرة الصوتية في القرآن ١٤٥-١٤٦.
٢) دلالة الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم لخالد بني دومي ١٤٥(بتصرف يسير).

- ساكنو الدارِ وساكنُ الدار. * أقاما الصلاة وأقامَ الصلاة.
- كتبْنَ الدرس / وكتبنا الدرس.

فيكون التفريق بين علامتي الجمع والمفرد بنبر حركة الجمع، أي بضغطة عليها تميزها، يكون فيها تمهل وعدم الإسراع في الانتقال إلى المضاف إليه، مع إصعاد للنغمة، ليكون ثمة ارتكاز وجهارة وحدّة تعوّض ما فات من المدّ بسبب الثقل المقطعي، الناشئ من مجيء حرف ساكن بعد المدّ، وأما المفرد فلا نبر في آخره، بل يكون عليه إسراع في النطق، مع نغمة مسطحة (مستوية). وفي التفريق بين ضمير المتكلمين وضمير المخاطبات في (كتبْنَ/ كتبنا) والمسند لضمير التثنية مع المسند لضمير المفرد (قاما/ قام) تتبع الخطوات الصوتية المذكورة نفسها.

وكذا يقال في أمثال هذا النبر الحركي للتفريق بين أنواع الضمائر، والدلالة على العدد، نحو:

- عامِلوهم وعامِلُهمْ. *مستطيلاً ومستطيلانْ.
- أكرمْناهمْ وأكرَمْتَهمْ. *كلِمَةً وكلمتانْ.
- يَعِدُهم ويَعِدوهُمْ. *وَسِعَه ووَسِعاه.

٢. يفرّق بالنبر بين المضارع والأمر في نحو:

- أستغفِرُ اللهَ واستغفروا الله.
- أعبُدُ الله واعبدوا الله.
- أرجِعُ اليومَ وارجعوا اليومَ.
- أجْلِسُ الآن وأجلِسوا الآن.

فينبر آخر الفعل في (استغفروا) و (اعبْدوا) وآخر (ارجعوا) للتفريق بين الصيغتين التركيبيتين؛ لأن العلامات الفارقة حذفت لالتقاء الساكنين، فتنضم قرينة النبر إلى قرينة حركة الهمزة، وقد لا يحسن الإنسان توظيف حركة همزة القطع وهمزة الوصل في التفريق بين الفعلين المتشابهين، كما أن السياق أحيانًا قد لا يكون ظاهر الدلالة

على المراد، فتكون قرينة النبر مهمة جدًّا في هذه الحال . وأما الفعلان الأخيران (أجلسُ) مضارع المتكلم، و(أجلسوا) أمر المخاطب، فلا يفرق بينهما في مثل هذا التركيب إلا النبر الطولي، وهو نبر آخر المقطع من الأمر، ويستحب قراء القرآن عند التلاوة نبر المقطع الثاني من فعل أمر الرباعي دائمًا للدلالة على الأمر، نحو: آمِنوا ـ وأحسنوا ـ أقيموا....

٣ ـ **الدلالة على التذكير والتأنيث :** يفرق بين أمر المذكر، وأمر المؤنث بالنبر المدي وهو إشباع الحركة في المؤنث، إذا كان الفعل يصير إلى حرف أو حرفين عند الأمر، نحو : لِ، و: لي، ع و : عي، دِ، و: دِي، قِ، و: قِي ......[1]، فالإشباع . وهو نبر قويّ . يفرق بين المذكر والمؤنث في مثل هذا، ولكن النبر التنغيمي يظهر دوره قويًّا وضروريًّا عندما يأتي بعد هذا الفعل كلمة أولها ساكن، نحو: لِ العملَ . لِي العملَ . و: دِ المقتولَ . دي المقتولَ . ع القولَ . عي القولَ ....فلا يمكن أن يُفرِّقَ بين المذكر والمؤنث هنا إلا برفع نغمة النبرة على كسرة العين وضغطها بقوة من المؤنث، ونبرة ضعيفة مختلسة، خافضة النغمة على فعل المذكر لتكون مستوية مع ما بعدها، وكذا يقال في أمثال هذه الكلمات، نحو : هاتِ وهاتي . اقضِ واقضي . ارتقِ وارتقي . (اذكرِ اسم الله) و(اذكري اسم الله) . (قُمِ الليل) و(قومي الليل) ....

يُلحظ في كل هذا أن أحوال الصوت واحدة، وفرص اللبس بين كل نوعين سانحة، لغياب القرينة اللفظية[2] . غير النغمية . فلا بد إذن من النبر لأداء وظيفة التمييز بين المخاطبَيْنِ .

٤– **: تكوين الصيغ الصرفية عن طريق نبر المقاطع الصوتية :**

نحو : فَعِل ← فاعل(بنبر حركة الفاء).
← فَعيل (بنبر حركة العين) .

فَعَل ← فَعال(بنبر حركة العين) ← فَعّال (بنبر عين فَعَال).

مِفْعَل ← مِفْعال(بنبر حركة العين) ....[3]

---

1) انظر : سر صناعة الإعراب ٢/٨٢١–٨٣١.

2) دلالة الظاهرة الصوتية في القرآن ١٤٦.

3) انظر الحديث على النبر من هذا النوع وهذه الأمثلة : الدلالة الصوتية في اللغة العربية ١٩٤، والأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس ١٧١–١٧٤.

٥- : نبر الإشمام ، للدلالة على أصل الصيغة : نحو :

قُيل . جُيء . سُيء . صُيمَ . زُير ....تنطق حركة الحرف الأول كسرة مشوبة بالضم، فهو تلوين صوتي، أو نبر نغمي، نشأ عنه تحديد صيغة الفعل الأصلية، بفروق نغمية عن طريق نبر الحركة[1]، فيه زيادة في الكمية والزمن وتلوين للنغمة، لأجل الدلالة على أن أصل الصيغة : فُعِل، وقد يكون من المضعف، نحو : رُدَّ، للدلالة على أن الأصل : رُدِدَ[2].

وهذا النوع من النبر شائع في اللغة الإنجليزية ولكنه قد لا يكون تمييزيا ، نحو كلمة: no بمعنى النفي، فإن هذه الحركة التي بعد النون في نطق أهلها الأصلي مذبذبة بين الضم والكسر الممال والفتح .

ونبر الإشمام المذكور يُعدُّ من جنس التقارب الصوتي، الذي من أبرزه **الإمالة**، فإنها عند التأمل لا تعدو كونها نوعا من النبر؛ لأنها تغيير في نغمة الصوت وإيقاعه، حتى يصير له جرس جانح إلى الكسر، وهذا يعني أن الغرض منها صوتي صِرْفٌ، وهو تقريب الصوت إلى الكسر؛ لأجل الانسجام؛ لتخفيف الجهد على أعضاء النطق[3]، وفي ضوء هذه القاعدة يكون لنبر الإمالة وظيفة صرفية، هي الدلالة على الكسر، وتظهر فائدتها في معرفة أصل الألف المنقلبة عن الياء عندما تمال هذه الألف نحو الكسرة، فيما كان أصله ياء، نحو: هدى . رأى . مصطفى ...... وأما إمالة الألف التي أصلها واو، أو التي لا يُعرف أصلها[4] فلوظيفة صوتية فقط، وهي إيثار العرب الناطقين لها للياء على الواو لأجل الخفة في النطق، فحملوا الألف على الألف للشبه الصوتي، كما ذكر سيبويه وغيره[5].

---

١) انظر الحديث عن (النبر النغمي) وأمثلته في الموسوعة اللغوية ٥٨/١. علم الأصوات لبرتيل ١٨٧-١٩٢.

٢) انظر : سيبويه ٤ /٤٢٣، ٣٤٣، والتحديد للداني ٩٧.

٣) انظر: الفتح والإمالة لأبي عمرو الداني ص١٣.

٤) كألف الحروف المقطعة في أوائل بعض سور القرآن نحو: طه . حم . الر ....وألفات الضمائر نحو: لها ولنا..

٥) انظر: سيبويه ٤ /١١٧وما بعدها، والسبعة لابن مجاهد ١٤٥وما بعدها، والرعاية لمكي ١٢٩. ١٣٠، والكشف له أيضا ١/ ١٨٤وما بعدها.

ولا يفوت التنبيه هنا على أن الإمالة ـ مع كونها ظاهرة صوتية صِرْفةً ـ تعد من أنواع التنغيم التي أولاها علماء العربية اهتمامًا كبيرًا حتى إن بعضهم أفردها بالتأليف[١].

٦ـ ومما يندرج ضمن الوظائف التصريفية للنبر: التمييز بين المقصور والممدود بنبر آخر الممدود، لأجل إظهار الهمزة، وقد تقدمت له أمثلة في الوظائف التقسيمية، ومن أمثلته: هوَى /هواء ـ حيا /حياء ـ غِنى /غِناء. واللحى /اللحاء: الأولى جمع لِحيةٍ، والثانية (وهي الممدودة) الشتم والذم[٢]

إن هذه الظواهر النبرية والتنغيمية قد أولاها علماء العربية اهتمامًا متميزًا في دراساتهم، وليس بضارهم ولا منغص عنهم أنهم لم يبوبوا لها باسم (النبر) أو (التنغيم) ولا يكاد الحديث عنها وبيان أمثلتها ووظائفها يغيب في كتاب من كتب النحو، وكتب القراءات والتجويد، بل أفردها بعضهم بالتأليف[٣]، كما أُفردَ الإدغام، والوقف، والمدود، والتضعيف، وما شابه ذلك من ضروب التلحين والتطريب الصوتي الذي هو **(التنغيم)** ويُعد من مكونات هذه اللغة وسماتها البارزة، فالواجب إذن على أهلها وصفها كما وردت وتعليلها، ثم البحث عن وظائفها.

وعلى مستوى علماء العربية يجد المتتبع لآثارهم دورانَ لفظ (النبر) في كثير من عباراتهم في العربية، وتقدمت أمثلة لذلك، ويحسن ختمها بقول مكي القيسي ـ المتوفى سنة (٤٣٧هـ) ـ:

---

١) كأبي عمرو الداني في كتابه: *الفتح والإمالة*. حققه عمر بن غرامة العمري.

٢) انظر: شرح المقصور والممدود لابن درستويه ص٣٨.

٣) ككتاب مكي بن أبي طالب: (تمكين المد). وكتاب (بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء) لابن البناء المتوفى ٤٧١هـ. حققه غانم قدوري، وكتاب (التنبيه على اللحن الجلي والخفي) لأبي الحسن السعيدي المتوفى٤٦١هـ. وكتاب (القواعد والإشارات) للحموي المتوفى٧٩١هـ وشرح فيه أنماطًا من الألقاب الصوتية للنبر والتنغيم، مثل: المدّ والمطل واللين والقصر، و الاعتبار والتمكين والاتساع، والإدغام والإظهار والبيان، والإخفاء والقلب، والتسهيل والحذف والتخفيف، والتشديد والتثقيل، والتتميم والنقل، والتحقيق والإرسال، والإمالة والبطح والإضجاع، والتغليظ والترقيق، والروم والإشمام، والإشباع، ودرجات النطق بالحركات، وأنواع الإسكان. فبين المراد من كل مصطلح صوتي منها.

" إذا تكررت الياء وسكن ما قبل الأولى، والثانية ساكنة، وجب بيانها والتحفظ بإظهارهما برفق من غير تفكيك ولا نبر...." وساق أمثلة ثم قال : " هذا كله يجب التحفظ ببيانه وإعطائه من الحركة حقه من غير تعسف ولا نبر، لأن الياء حرف ثقيل، وإذا تكررت تكرر الثقل، وإذا تحرك كان أثقل، وإذا تحركت الياء بكسرة وقبلها فتح، أو بفتح وقبلها كسر : وجب أن تخفف الحركة على الياء، ويُسهَّلُ اللفظُ بحركتها لئلا يشوبَها شيء من التشديد أو النبر ......فإن كانت الياء مكسورة وبعدها ياء ساكنة وجب أن تخفف الكسرة على الياء من غير تعسّفٍ ولا نبر، ويُسهّل اللفظ بها، نحو (أفَعَيينا) فإذا انكسرت الياء الساكنُ بعدَها وجب أن تخَفَّفَ الكسرة ولا تُنْبَر ..."(1)

جاء لفظ (النبر) في هذا النص خمس مرات مرادًا به ما يلي :

١ - المرة الأولى : الزيادة في إظهار الحرف، والمبالغة في التصويت به .

٢ - الثانية : الزيادة في حركة الحرف .

٣ - الثالثة : المبالغة في الحرف المشدد بالزيادة في ضغطه.

٤ - الرابعة : الزيادة في الكسر حتى يكون مدًّا .

وهذا متفق مع المفهوم اللغويّ للنبر في الدراسات الصوتية الحديثة، فقد شرح النبر وصرّح بلفظه، وعبر عن التلوينات الصوتية الناتجة عنه، وحذر منه في الأماكن التي يكون فيها خللا في القراءة، وعبّر عن نبر الحرف الصامت بـ(التشديد والزيادة)، ونبر الحركة بـ(ما ينافي التسهيل والتخفيف واللين)، ونبر النغمة بـ(التعسف والمبالغة والتفكيك) وحذر منه ؛ لأن النبر في هذه المواطن قد ينشأ عنه تضعيف للحرف، أو مدّ لحركة، أو إمالة لها، أو مزجٌ لصفة الحرف بأخرى .....وهو غير لائق بالأداء الصحيح للحروف والحركات، وقد يؤدي إلى تغيير نغمة الأسلوب كما في (أفَعَيينا ؟) والسامع الذي يفهم اللغة لا يرتاح له، سواء أدى إلى تغيير في المعنى أو لم يؤدّ .

---

1) الرعاية ١٨٠-١٨٢.

ثانيا : وظائف التنغيم في الجمل

تقدم التنبيه على أن اللغات كلها تستخدم التنغيم[1]، غير أنه يختلف من لغة إلى أخرى بحسب طريقة النطق، فلكلٍّ أنماطٌ متعارف عليها[2]، وفي اللغة العربية أنواع مختلفة من التنغيم، استخدمها العرب، ويمكن أن يفسر بها كثير من الأساليب والتعابير التي ترد في نصوصهم .

ويحسن التنبيه - أيضا - على أن غلبة التنغيم على الجمل لا يجعله بمنأى عن النبر، فإن الغالب أن تلوينات النغمات تصدر من مقاطع منبورة، كما أن النبرة ينشأ عنها تنويع نغمي صعودًا وهبوطا، فالارتباط بين التنغيم والنبر قائم لا محالة، وفي مواطن كثيرة قد يحتار المرء في الذي ينسب إليه الوظيفة منهما[3]، بسبب التفاعل الصوتي الموجود بين النبر والتنغيم، كما مرّ في المبحث السابق .

أ- وظائف تركيبية

تتجلى وظائف التنغيم التركيبية بوضوح كبير في الوقف التنغيمي، وهو الوقف بنغمة تشعر بعدم تمام الموقوف عليه،فيكون التنغيم بمنزلة الوصل المؤلّف للتركيب النحوي[4] كالوقف بنغمة صاعدة مرتفعة على الجزء الأول من الجمل ذوات الجزءين، لتدل تلك النغمة على عدم تمام الكلام ، وأنه مرتبط بما بعده معنى وإعرابا، نحو :

١ – . إنّ زيدًا ، لم يحضر – إنْ يجتهد الطالب، يكن خيرًا له .

ومنه قول الله تعالى ﴿ فويل للمصلين، الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾[5]

---

١) انظر الموسوعة اللغوية ٦٠/١

٢) أسس علم اللغة لماريو ٩٥.

٣) انظر : اللغة العربية معناها ومبناها ٢٣٠، والموسوعة اللغوية ٥٨–٥٩.

٤) انظر : علم الأصوات لكمال بشر ٥٤١–٥٤٣.

٥) سورة الماعون (٤، ٥).

بالوقف على (للمصلين) وهو منعوت، والابتداء بما بعده، وهو نعته، وهذا مع كونه من سمات الأداء الحسن، لا يخفى أثره في تركيب الكلام، لما ينشأ عنه من ربط العلاقة بين أجزائه .فإن الصفة لا يجوز فصلها عن الموصوف، ومع ذلك تواتر الوقف عليها هنا، كما هو بيّنٌ في المصحف، لأن الفاصلة عليها، فينبغي أن يكون الوقف بنغمة صاعدة دالة على أن (الذين) نعت، وليس مسندًا إليه .

*وقال الشاعر :

تقـول لي عَمْـرة ما ذا الذي	تهذي به في السر والجهرِ
قلت لها والجود من شيمتي	آمركم في العُسْرِ واليُسْرِ
بِضيْفكـم إنّ له حُرْمَـــةً	فاقْروا ضيوفِي قَحَدَ الْجُزْرِ[1]

جملة (والجود من شيمتي) معترضة بين القول ومقوله، ويظهر هنا أثر التنغيم في ربط (قلت لها) بـ(آمركم .....) ويكون ذلك بتلحين جملة (والجود من شيمتي) بلحن مختلف، تظهر به النغمة العامة للجملة مغايرة لما قبلها وما بعدها، فيكون التركيب بهذا متراصًا صوتيا .

٢ – وعكس ذلك الوقوف بنغمة هابطة لدى تمام الكلام، كقوله تعالى

﴿ وآخِرُ دعواهم أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين ﴾[2] فإن الوقف على هذه الجملة وأمثالها يحسن أن يكون بنغمة هابطة مرتخية مخالفة لصدرها (وآخر دعواهم) لأجل موافقة معنى الآية، ليكون توافق بين البنية السطحية والعميقة، وبذلك تجد القراء الحاذقين يقفون بهذا المستوى التنغيمي، إشعارًا بنهاية المعنى وتمام التركيب .

---

١) من البحر السريع ، لعمرو بن الحُمَيس ، أحد المعمَّرين في الجاهلية ، انظر : المعمرين لأبي حاتم السجستاني ص٤٦، (فاقروا) : من القِرى ، وهو طعام الضيف ، و(القَحَدَة) : السنام ، و(قحد) جمعها ، و(الْجُزر) جمع جَزور، ما يصلح للنحر من الإبل ، وسكّن الزاي للوزن .

٢) سورة يونس (١٠).

٣ – **فيما يسمى في النحو: بدل الغلط**؛ يقول المتكلم : رأيت زيدًا، عمرًا، أو : جاءنا خالدٌ، محمد . أو : مررت برجل، امرأةٍ ....يبدأ المتكلم ناويا الإخبار عن الاسم الثاني، فيسبق لسانه إلى الأول[1]، ثم يستدرك بتغيير نمط التنغيم، فيأتي بنغمة مختلفة مثيرة لانتباه السامع، تدل على استدراكه، فيذكر الاسم الثاني الذي ينويه، ويفهم عنه مراده عن طريق التنغيم، ولولا هذا التنغيم لما كان الكلام هنا مركبًا تركيبًا مفيدًا بتلاوته، لأنه يَفْقِدُ أيَّ رابط بين أوله وآخره .

٤ – **وتكمن وظيفة التنغيم التركيبية أيضًا في التعبير بكلمة عن جملة تركيبية كاملة**، ويغلب على هذا النوع من التنغيم مصاحبة النبر[2]، "وهو عامل مهم من عوامل التنغيم"[3]

كأن يلفظ الإنسان باسم من يناديه، بنغمة مشعرة بالنداء، أو الاستغاثة، أو التعجب، أو نحو ذلك، نحو : (الله) فإن هذه الكلمة غير مركبة، فلا تؤلف كلاما مفيدًا بمفردها، ولكن التنغيم هنا جزءٌ من التركيب، بدليل أنه يُفَرَّقُ به بين الأساليب من نداء، واستفهام، واستغاثة، وتعجب ....وقد تكون تعبيرًا عن الألم، أو الفرح، أو الإعجاب .....ونحو ذلك من المشاعر العاطفية، ولو أن إنسانًا قال (الله) هكذا بنغمة مسطحة مجردًا من أي تلوين صوتي لما كان كلامه مفيدًا لدى السامعين؛ لأنه غير مركب، ومن ثم قال ابن معطٍ في ألفيته :

*** اللفظ إنْ يُفِدْ هو الكلامُ *** [4]

ومفهوم هذا أنه إذا لم يفد فليس كلامًا، وهذه الإفادة قد تكون بدلالة الحال، وقد تكون بالتنغيم، أو بقرائن أخرى، ومن ثم صح الاستغناء باللفظة الواحدة، إذا أفادت بمصاحبة القرائن ما تفيده الجمل؛ قال ابن أبي الربيع : "

---

١) انظر : شرح شذور الذهب ٤١١– ٤١٢، وشرح قطر الندى ٣٩٩.

٢) انظر : علم الصوتيات لعبد العزيز علام وعبد الله ربيع ٣٢١–٣٢٢.

٣) علم الأصوات لكمال بشر ٥٣٣.

٤) شرح ألفية ابن معطي للقواس الموصلي ١٩١/١، تحقيق علي موسى الشوملي ، ط١، ١٤٠٥هـ الرياض.

وإطلاق الكلام على اللفظة الموضوعة لمعنىً صحيحٌ ومستعملٌ عند أئمة الصنعة"[1]. ويدل على هذا استكفاء المخاطب، وعدم سؤاله عن المراد عندما يسمع اللفظة المركبة بالتنغيم . ومثل هذا كثير في العربية، نحو: عجبًا . نَعَم . لا[2] ....ونحوها من الألفاظ التي تنوب عن الجمل أحيانًا لتؤدي وظائف دلالية بسبب التلوين الصوتي المقصود به إحداثُ معنىً مركب .

٥ – **ومن وظائف التنغيم التركيبية : استئناف النغمة وتغييرها بعد المسكوت عليه،** في الكلمات التي يُسكت عليها دفعا لإيهام عدم التركيب، كسكت حفص على (مَن) و(بل) في قول الله تعالى : ﴿وقيل مَنْ راق﴾[3] وقوله تعالى ﴿كلا بل ران على قلوبهم ﴾[4] كما تقدم في باب الوقف، فإن النغمة التي يُقرأُ بها المسكوت عليه غير نغمة ما بعده، ولا يكون هذا النوع من الوقف إلا بالتنغيم للتمييز بينه وبين الوقف الكامل، ونحوه : بلْ رديه ←/ بردّيه . هلْ رام ←/هرّام .....إذا أريد دفع إيهام عدم التركيب، فلا بد من سكتة لطيفة تصاحبها نغمة تمييزية على الكلمة الأولى من الكلمتين .

٦. **من جملة التنغيم ذي الوظائف التركيبية :** تنغيم الجمل أو الكلمات المتعاطفة من غير حرف عطف، فيلجأ إلى تنغيمها بطريقة مشعرة بتركيبها النحوي، في تناسق إيقاعي متردد بين صعود وهبوط في النغمات، نحو: كتبت، ذهبت، رجعت إليكم .قال الشاعر :

كيف أصبحتَ، كيف أمسيتَ مما ... يزرع الودّ في فؤاد الكريمِ[5]

---

١) البسيط في شرح جمل الزجاجي ١/١٥٨.

٢) انظر : مدخل إلى علم اللغة لمحمود فهمي حجازي ص٤٨، ط٢، ١٩٧٨، دار الثقافة ، القاهرة.

٣) سورة القيامة(٢٧).

٤) سورة المطففين (١٤).

٥) بيت من الخفيف ، ورد غير منسوب في الخصائص ١/٢٩٠، ٢/٢٨٠، وديوان المعاني لأبي هلال العسكري ٢/٢٢٥، طبعة عالم الكتب ، وفيه : (مما يثبت الود) .

أي : كيف أصبحت وكيف أمسيت[1] فاستغنى عن حرف العطف بما يصحب الكلام في أثناء أدائه من تنغيم دال على معنى العطف . وكقول الراجز :

وكيف لا أبكي على علاتي   صبائحي، غبائقي، قيلاتي[2]

أي : صبائحي وغبائقي و قيلاتي، أو : وهن صبائحي، وهن غبائقي، وهن قيلاتي،

ونحو ذلك مما يجوز تقديره[3]. فللتنغيم هنا أثره البارز في ربط الكلام ببعضه، تعويضا لما حُذف من اللفظ، المتمثل في الفونيمات التركيبية، و"اللفظ المحذوف متى دل عليه دليل كان بمنزلة الملفوظ به"[4].

ب . وظائف تركيبية إسنادية :

قد يفصل بين ركني الجملة بكلام، أو يَخفى العنصرُ الثاني من ركنيها، فيكون للتنغيم أثر ظاهر في الربط بينهما، أو إفهام المخاطب ما قد يكون خافيًا منها، ومن أمثلة ذلك :

١ – قول النابغة الجعدي :

ألا زعمتْ بنو كعب بأني   ألا كذبوا . كبيرُ السنِّ فاني[5]

فصل بين المسند إليه في (بأني) والمسند (كبير السن) بجملة (ألا كذبوا) فلو قرئ البيت بنغمة مستوية كلُّه لَما ظهر ارتباطُ المسندِ بالمسند إليه بسهولة، ولكن إذا مُيّزت الجملة المعترضة بنغمة مغايرة لما قبلها وما بعدها، ظهر الإسناد بجلاء، والغالب في مثل هذه المواطن صعودُ نغمة (بأني) ثم الهبوطُ بنغمة الجملة المعترضة، ثم الصعود بنغمة (كبير السن) للتناسق الأدائي .

---

١) السابق نفسه .

٢) ورد غير منسوب في الموضع السابق من الخصائص ، والراجز يريد إبله يحلبهن في الصباح والمساء ووقت القيلولة ، ويتعلل بحليبهن .

٣) الخصائص ١/٢٩٠، ٢/٢٨٠.

٤) الخصائص ١/٢٩٣.

٥) من الوافر، ديوانه ١٦٢.

*ومما يُحمل على هذا النوع من التنغيم الذي يربط بين المسند والمسند إليه، ويتوجه به الإعراب. من غير اللجوء إلى دعوى التقديم والتأخير أو الضرورة أو الشذوذ. قول الشاعر:

يا أقرعُ بنَ حابسٍ يا أقْرَعُ إنك إنْ يُصْرَعْ أخوك تُصرَعُ[1]

خرَّجه النحويون على معنى: إنك تصرع إنْ يُصرعْ أخوك[2]، فإذا قرئ البيت بتوحيد النغمة بين (إنك) و (تصرعُ) استقام الكلام وحسن الإعراب:

إنك. إنْ يصرعْ أخوك. تُصْرعُ. ويجعل تنغيم جملة الشرط مخالفًا لما قبله ولما بعده[2]، ويغني ذلك عن التقديم والتأخير.

ومثله قول ذي الرمة:

وإني. متى أُشرفْ على الجانب الذي به أنت من بين الجوانب. ناظرُ[3]

فإن وظيفة التنغيم هنا وتأثيره تكمن في الربط بين جزأي الجملة المفصول بينهما بكلام آخر، وبذلك يكون الإعراب واضحا، لا يعروه خلل، ويحصل هذا بأن يكون مستوى النغمة على (إني) و (ناظر) واحدا، وما بينهما بمستوى آخر مختلف.

*ومما ورد عن علماء العربية في التصريح بدور التنغيم هنا قول النسفي (ت ٧١٠هـ) في قول الله تعالى ﴿قال الله على ما نقول وكيل﴾[4]: " بعضهم يسكت على (قال) لأن المعنى: قال يعقوب، غير أن السكت يفصل بين القول والمقول، وذا لا يجوز، فالأولى أنْ يُفَرِّقَ بينهما بالصوت، فَيَقْصِرُ بقوة النغمة اسم الله تعالى "[5]

---

١) الرجز لجرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، وقيل لعمرو بن خثارم العجلي، انظر: سيبويه ٣/٦٧، والمقتضب ٢/٧٠، و أمالي ابن الشجري ١/١٢٥، والخزانة ٨/٢٠، وما بعدها.

٢) انظر: الجملة الشرطية لإبراهيم شمسان ص٢٤٥.

٣) من البحر الطويل، ديوانه ٢/١٠١٤، وسيبويه ٣/٦٨، والمقتضب ٢/٦٩.

٤) سورة يوسف (٦٦).

٥) تفسير النسفي (مدارك التأويل ١/٢٣٠، ط/ دار إحياء الكتب العربية. نشر دار الفكر.

وعلق عليه المرعشي (ت ١١٥٠هـ) فقال: "قوله (فيقصر) معناه: يمنع اسم الله تعالى عن أن يكون فاعلا لـ(قال) بقوة النغمة، فَيُعلَم أنه ليس بفاعل لـ(قال)"[1].

فقد صرح بالتفريق بالتنغيم وسماه باسم وحدته التي هي (النغمة) وعزا القرينة إلى مستواها اللغوي، وهو الصوت، وحدد وظيفتها التركيبية، وهي تمييز ركني جملة الإسناد، وهذا يضاف إلى جملة الأقوال الواردة عن علماء العربية في الإقرار بدور التنغيم ومعرفتهم له، وهو ما ينكره كثير من المعاصرين، كما تقدم.

٢ – إذا نطق الإنسان بأحد ركني الإسناد ثم ماطل في صوته متذكرًا للآخر، يأتي بنغمة مسطحة ممطولة، آخذة في الهبوط، إلى أن يتذكر اللفظ الذي يريده فينطقه بنغمة صاعدة تكون بمثابة الإخبار، نحو: أنتـــا عاقل .الناســـو ذهبوا . قامـــا محمد ......إلخ[2]، أي أنت عاقل، والناس ذهبوا وقام محمد.

ولولا إطالة الصوت وتمطيطه بهذا التنغيم الملحوظ بإشباع النغمة المصاحبة لنبر الحركة "لأوهم كل الإيهام أنه قد أتمّ كلامه، ولم يبق من بعده مطلوب متوَقَّع له، لكنه لما وقف ومطل الحرف عُلِم بذلك أنه متطاول إلى كلام تالٍ للأول منوطٍ به، معقود ما قبله على تضمنه وخلطه بجملته"[3] ويُلْحَظُ هنا ما تقدم من علاقة التنغيم بالنبر، وأن الغالب فيه أن يُبنىَ على مَدَّة أو حركة أو شَدة، أو نحوِ ذلك من الأسس السبعة السابق بيانها.

٣ – قال امرؤ القيس:

فقلت يمين الله أبرحُ قاعدًا ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي[4]

---

١) جهد المقل ٢٨٥.

٢) انظر الخصائص ٣/١٣٠.

٣) الخصائص ٣/١٢٨(بتصرف).

٤) من الطويل، ديوانه بشرح السندوبي ص١٦١، والخصائص ٢/٢٨٤. و(أبرح) بمعنى: لا أبرح.

قوله (أبرح قاعدًا) جملة مستأنفة، فينبغي أن تقرأ بنغمة مشعرة بذلك، لتخالف جملة القسم قبلها، ولو قرئت جملتا القسم وجوابه هنا بنغمة واحدة لأوهم ذلك إسنادًا آخر، وهو كون (يمين) مسندًا إليه، و(أبرح) هو المسند، وهذا لا يصح، ولكون (أبرح) متضمنا نفيا[1] استدعى نغمة صاعدة قوية تميزه .

٤ – تتضافر القرائن المعنوية واللفظية والصوتية على الوظائف التركيبية، وقد ينفرد بعضها في مواطن كثيرة، وكلما كانت القرائن كثيرة متواردة كان ذلك أوضح للكلام وأدل على المراد منه، ومما تدل عليه القرائن السياقية واللفظية ولا يستغني ـ مع ذلك ـ عن التنغيم بوصفه قرينة صوتية مهمة : ما يكون فيه المسند أو المسند إليه محذوفًا، أو يحذفان معًا، فيكون للتنغيم أثر بارز في الدلالة على المحذوف، نحو (محمد) ـ (كتاب) جوابا لمن سأل: من حضر؟ ـ ما هذا ؟ فإن قرينة السياق تنضم إليها قرينة التنغيم للدلالة على المحذوف، والتقدير : حضر محمد، وهذا كتاب، فاستُغنِيَ بالتنغيم مع قرينة السياق عن المحذوف من ركني الإسناد، والدليل على ذلك أن الإنسان قد ينطق بهاتين الكلمتين بعد هذين السؤالين من غير أن يدل ذلك على الإجابة، وذلك بسبب ما يصاحبهما من التنغيم، فقد يقول : (محمد) بنغمة ندائية، أو استئنافية تدل على أنه يريد أن يخبر عن محمد بكلام تال، فكأنه لم يبال بسؤال السائل، أو لم يسمعه، أو أراد الالتفات إلى غيره، وكل ذلك يظهر بالتنغيم المصاحب للكلمة المنطوقة، قال ابن مالك:

وحذف ما يُعلَم جائز كما ... تقول زيد بعد مَنْ عندكما
وفي جواب كيف زيد قل دَنِف ... فزيد استغني عنه إذ عُرِف[2]

ومن شواهد هذا النوع إضمار جملة القول، كقول الله تعالى : ﴿ فأما الذين اسودّت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم﴾[3] أي : فيقال لهم أكفرتم ..... وقول الله تعالى ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء، ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى

---

١) انظر الخصائص ٢/ ٢٨٤.

٢) ألفية ابن مالك (باب الابتداء) وانظر شرح المكودي على الألفية ص٥٣، والتصريح ٥٦٧/١.

٣) سورة آل عمران (١٠٦).

اللّه زُلْفى﴾[1] فلولا التلوين النغمي لكان ثمة احتمال إيهام كون جملة (ما نعبدهم) خبرًا عن (والذين) وذلك لا يصح، بل الصواب أن المعنى : يقولون ما نعبدهم .....[2]. وشواهده من القرآن الكريم كثيرة[3].

ج ـ وظائف أسلوبية

من أظهر وظائف التنغيم على مستوى الجمل الدلالة على الأساليب المتنوعة، فإنه يستعمل للتعبير عن العواطف ، والتقرير، والإنكار، والإثارة، والنفي، والتوكيد، والنداء، والقسم، والإجابة بالموافقة أو عدمها، والزجر، والتعجب، والاستغراب، والإغراء، والتحذير، والاستفهام، والاستبعاد، والتهديد والوعيد، والأمر، والنهي ....ونحو ذلك من الأساليب المتنوعة التي يُوظف لها التنغيم، ويندر أن يخلو كتاب من كتب الصوتيين من شرح هذه الوظيفة للتنغيم، فهي محل اتفاق بينهم[4].

وهذا النوع من التنغيم مثل النبر في شيوعه في اللغة، ولأجل ذلك أمكن إدراكه في مواطن متعددة من كلام المتقدمين في وصفهم للغة، وأحكامهم النحوية، ولكنهم لا يعبرون عنه عادة بلفظ (التنغيم) كما لا يعبرون عن النبر بلفظه هذا، وإنما يعبرون بألفاظهم الدالة على مرادهم، لأن هذه السمات النطقية والأحوال النغمية تكون مصاحبة للألفاظ، فهي بمنزلة الأحوال المشاهدة، يغلب عدم التعبير عنها بألفاظ معينة، اكتفاء بالفونيمات التركيبية التي تعدّ رموزا على المعاني بأصواتها وتراكيبها وطرق نطقها، **وأمثلة ذلك في كلام النحويين غير قليلة، أجتزئ منها بقول سيبويه:**

---

1) سورة الزمر (٣).

2) انظر الدر المصون ٩/ ٤٠٧.

3) انظر : معاني القرآن للفراء ١/ ٢٢٨-٢٢٩، والبيان للأنباري ١/ ٢١٤، والبحر المحيط ٣/ ٢٩٣-٢٩٥، والدر المصون ٣/ ٣٤٠ وما بعدها .

4) انظر على سبيل المثال : علم الأصوات لكمال ٥٤٣، واللغة العربية معناها ومبناها ٣٠٩-٣١٠، والتنغيم اللغوي في القرآن للعزاوي ٧٣، ١٤٧-١٥٨، ودلالة الظاهرة الصوتية في القرآن ١٥٥-١٥٩ والصوتيات والفونولوجيا لمصطفى حركات ٤٤-٤٥، وعلم الأصوات اللغوية لمناف مهدي ١٣٤-١٣٥، وعلم الأصوات بين القدماء والمحدثين لعلي مزيان ١١٣-١١٦وغير ذلك كثير.

" يقول الرجل (أتاني رجل). يريد واحدا في العدد لا اثنين ـ فيقال: ما أتاك رجل، أي أتاك أكثر من ذلك، أو يقول: (أتاني رجل لا امرأة) فيقال: ما أتاك رجل ـ أي امرأة أتتك ـ ويقول: (أتاني اليوم رجل). أي في قوته ونفاذه ـ فتقول: ما أتاك رجل، أي أتاك الضعفاء، فإذا قال: ما أتاك أحد صار نفيا لهذا كله"[1].

لو أراد الإنسان أن يحلل هذا الكلام لوجده كله مبنيا على التنغيم، غير أن سيبويه فسر دلالات التنغيم بأسلوبه المعهود وألفاظه المعروفة في زمانه، ولم يصرح بلفظ (التنغيم) ولكنه دل عليه بالألفاظ المرادفة له، فدل على النغمة الصاعدة بـ(القوة والنفاذ والكثرة)، ودل على النغمة التي هي دون ذلك بـ(النفي والضعف)، ودل على النغمة المسطحة المستوية بـ(إرادة الإخبار بظاهر اللفظ) في قوله: (يريد واحدًا في العدد لا اثنين) لأن هذا هو منطوق اللفظ، فلما لم يكن شيء من التنغيم المصاحب بوصفه قرينة على أحد هذه المعاني، استعمل القرينة اللفظية، وهي: (أحد) لنفي الجميع، كما صرح.

وهذا الذي شرحه سيبويه هنا هو الذي جاء المحدثون فسموه بـ(خط التنغيم) وهو أن السامع يميز مراد المتكلم العام عن طريق تنغيم الجمل، حتى لو لم يعرف محتوى ما سمع[2].

١ – **من ذلك التفريق بين الاستفهام والنهي والتوكيد**، نحو قول القائل: (هذا موجود) يمكن أن تقال هذه الجملة بنغمة تفيد الاستفهام، فيكون حرف الاستفهام مقدرا، كأن القائل قال: هل هذا موجود؟ وقد يكون مع ذلك نغمة تفيد الإنكار، أو التعجب، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه لمن قال له ـ (قرأت المفصّل في ركعة) ـ فقال ابن مسعود: " هذًا كهذّ الشعر"[3]! فحذف أداة الاستفهام المتضمن للإنكار والتعجب ثقة بالقرينة الصوتية، المتمثلة في تنغيم الجملة.

---

١) سيبويه ١/٥٥.

٢) انظر: الأصوات اللغوية للخولي ١٧٠، وأسس علم اللغة لماريو ٩٥.

٣) رواه بهذا اللفظ البخاري في الصحيح ١/١٦٩ كتاب الأذان، ومسلم في الصحيح ١/ ٥٦٣ كتاب صلاة المسافرين.

وقد تقال العبارة السابقة بنغمة تفيد الإخبار كذلك، كأنه قال : نعم هذا موجود، ويكون كلام ابن مسعود على هذا التفسير بمعنى : نعم إنك هذذت كهذ الشعر ..كل ذلك عن طريق اختلاف درجات النغمة برفع الصوت وخفضه، أو ترقيقه وتفخيمه بما يناسب المعنى المراد[1] .

٢ – **ومنه التمييز بين جملة النداء وجملة الإخبار،** نحو: " زيد الفاضل عندنا "

فإن نغمة النداء تختلف عن نغمة الإخبار، ولذا يُنطق (زيد) بنغمة صاعدة مرتفعة في حال النداء، وربما وُقف عليه، ليدل ذلك على أن الجملة بعده مستأنفة .

فإذا نُطِقت الجملة كلها ابتداء من كلمة (زيد)ـ في خطها التنغيمي ـ بنغمة واحدة مستوية دل ذلك على أنها إخبارية، ولا يراد بها نداء (زيد).[2]

٣ ـ قال عمر بن أبي ربيعة :

أبرزوها مثلَ المهاةِ تهادى بين خمسٍ كواعبٍ أترابِ

ثم قالوا تحبها قلت بهــرًا عدَدَ النجمِ والحصا والترابِ[3]

في البيت الأخير شاهدان للتنغيم ذي الوظيفة الأسلوبية، وهما : قوله (تحبهــا) أي : أتحبهــا؟ فأســقط أداة الاســتفهام اكتفــاء بلحــن النغمــة المنطوق، كما يدل على ذلك البيت الذي قبله[4] من جهة السياق.

---

١) انظر : الكلمة لحلمي خليل ٦٣–٦٤ ، و : (علم الأصوات في القرن العشرين نظريات القواعد ونظريات التمثيل لاستيفن ر. اندرسون ص٩٣٣) تحليل محمد سامي أنور، في مجلة عالم الفكر الكويتية ، المجلد ١٨، العدد ٣.

٢) انظر حول هذا المفهوم لخط التنغيم : الأصوات اللغوية للخولي ١٥٨، ١٦٩ و الجملة الشرطية لإبراهيم شمسان ٢٤٥ وعلم وظائف الأصوات اللغوية ١٢٠ـ١٢١ ، ١٧٥ وعلم الأصوات لكمال بشر ٥٣٣ وما بعدها ، وأسس علم اللغة لماريو باي ٩٣ .

٣) بيتان من الخفيف ، ديوان عمر بن أبي ربيعة ٦٤، وبينهما بيتان آخران أسقطتهما اقتصارًا على موضع الشاهد .

٤) انظر الخصائص ٢/ ٢٨١.

والثاني : قوله: (بهرًا) أي : عجبًا ! كيف لا أحبها؟! أو : نعم، أحبها كثيرًا[١].

فقد اختزل الكلام واكتفى بهذه اللفظة ثقة بما قارنها من التنغيم المتمثل في طريقة تلحينها وتفخيمها وتنكيرها .

٤ – قال عمران بن حطان :

فأصبحت فيهم آمنًا لا كمعشرٍ أتوني فقالوا من ربيعة أو مضرْ

أمِ الحيِّ قحطانٍ وتلكم سفاهةٌ تقربني منه وإن كان ذا نفرْ[٢]

قوله : (من ربيعة أو مضر) استفهام، والمعنى : أمن ربيعة أنت ؟ أو من مضر؟ فحذف أداة الاستفهام، واكتفى بالصورة الصوتية المسايرة للسياق، ولولا ذلك لما عطف عليه بقوله : (أم الحي قحطان)؟ بمعنى أنه لو أراد " أنت من ربيعة أو مضر" على سبيل الإخبار، لقال بعده : " أو الحي قحطان"؟ بـ(أو) العاطفة، لا بـ(أم) المعادلة، لأنه أراد التسوية بين حي ربيعة ومضر، وحي قحطان[٣]، فجاء الخط التنغيمي كاشفًا عن هذا الأسلوب التركيبي في أثناء أداء الجملة .

ولا ريب أن تنغيم الاستفهام غير تنغيم الخبر، ولن يُسوِّيَ بينهما في النطق عند أداء الكلام إلا من لا يراعي المعنى، ولا تحذف الألفاظ الدالة على هذه الأساليب إلا لقوة القرينة النائبة عنها .

*وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال [فعن معادن العرب تسألوني][٤] فأسقط حرف الاستفهام، والمعنى : أعن معادن العرب تسألوني؟ أو: فهل عن معادن .....والتنغيم يبرز هذا المعنى بوضوح .

* ومن هذا النوع قول الصحابة للرسول صلى الله عليه وسلم في قصة الذي سقى كلبًا : [وإنّ لنا في البهائم أجرا ؟][٥] فقد أغنى تنغيم الجملة عن

---

١) انظر : سيبويه ٣١١/١–٣١٢، وشرح المفصل ١٣٥/١.

٢) من البحر الطويل ، من قصيدة له في الكامل للمبرد ١٨٨/٣.

٣) انظر الكامل للمبرد ١٠٩٥/٣، والخصائص ٢٨١/٢.

٤) بعض حديث أخرجه مسلم في صحيحه ١٨٤٧/٢، كتاب الفضائل ، الباب (٤٤).

٥) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري في صحيحه ٧ /٧٧ في كتاب الأدب ، الباب (٢٧) وأخرجه مسلم في صحيحه ١٧٦١/٢، كتاب السلام ، الباب(٤١).

الاستفهام حين خلت الجملة من الأداة، ومن المؤكد أن الصحابة هنا لا يخبرون الرسول صلى الله عليه وسلم، بل يستفهمونه، ولذلك أجابهم بقوله : [في كل ذات كَبِدٍ رطْبَةٍ أجرٌ][1].

٥ - **وتختزل الجمل الدعائية والتعجبية، فيقتصر على كلمة أو كلمتين تحملان قرائن صوتية ولفظية أخرى كالتنغيم والتنوين للدلالة على الأسلوب**، والتنغيم حينئذ يعد من أهم هذه القرائن في الدلالة على الأسلوب، نحو: سقيًا ورَعْيًا، وتعسًا وبُعْدًا وسُحْقًا، وخيبة، وويلٌ، وأُفٍّ، وواهًا، وإيهًا ....إلخ[2].

فالغالب ألاّ تقال هذه الكلمات إلا بتنغيم دال على معانيها، يكون فيه تفخيم وتمطيط أو ترقيق، و إصعاد للنغمة، وتمويجٌ للصوت بما يناسب المعنى الأسلوبي للكلمة .

٦ - **أسلوب الإغراء والتحذير من الأساليب التي لا تخلو من تنغيم مناسب للمعنى**، عوضًا عن بعض الألفاظ المقدرة، نحو : الصلاةَ الصلاةَ، والجهادَ الجهاد، والأسدَ الأسدَ .....قال الله تعالى ﴿فقال لهم رسولُ الله ناقةَ الله وسقياها﴾[3] أي : احذروا ناقةَ الله وسقياها[4]، فإن دلالة الفتحة على المحذوف يمكن أن تصاحَب بنغمة صوتية تناسب هذا المعنى .

٧ - **أسلوب التعجب بغير الصيغ القياسية :** - والتعجب يعم كل ما يدل على استعظام الشيء[5]. نحو : سبحان الله! الله أكبر ! لله درّك ! يا له من فارس ! أو : لله درُّه فارسا ! ما شاء الله ! ....ونحو ذلك[6]، فلا يخفى ما تصاحب به هذه الجمل من أنماط التلوين الصوتي، والتلحين المناسب، تعظيما وتفخيما وإثارة عن طريق الترنيم والتمطيط والتمويج لنغمة

---

١) السابق نفسه .

٢) انظر سيبويه ٣١١/١ وما بعدها ، وشرح المفصل ٢٣٤/١ وما بعدها .

٣) سورة الشمس (٣١).

٤) انظر: البحر المحيط ٤٩٠/١٠، والبرهان للزركشي ٢٢٥/٢.

٥) انظر مقاييس اللغة ٧١٧(عجب) والبرهان للزركشي ٣١٧/٢، وانظر ما بعدها .

٦) انظر : سيبويه ٢٣٧،٢٩٣/٢.

الصوت، وخفضًا له أحيانًا وترجيعًا به، للتعبير عما يقتضيه حال الموقف الكلامي.

* ومن هذا النمط في التعجب: ما له ؟! مالي ولفلان ؟! أيّ رجل هذا ؟! فإنه استفهام، ولكنه استحال تعجبًا لما فيه من تعظيم مدلول عليه بنوع الأسلوب المستفاد من التنغيم، قال ابن جني "لفظ الاستفهام إذا ضامه معنى التعجب استحال خبرًا، وذلك قولك: مررت برجل أي رجل ؟! فأنت الآن مخبر بتناهي الرجل في الفضل، ولست مستفهمًا"[1].

٨- مما يحتاج فيه إلى قرينة التنغيم: **التمييز بين (كم) الاستفهامية والخبرية**، عند فقد قرينة لفظية أخرى، نحو: كم فتىً فيكم . وكم مستشفى بنيت . فهذا الكلام يدور حول نغمته عند أدائه، إن كانت استفهامية - وهي الصاعدة عادة - فهو استفهام، وإن كانت نغمة مسطحة أو متدرجة إلى الهبوط فهو إخبار[2].

والأمثلة على هذا النحو كثيرة في كلام العرب، ولعله ليس من المبالغة أن يقال: **لو شاء الإنسان لصنف في هذا كتابا مستقلاً، يتضمن ضروبًا من أساليب العرب في تنغيمها للكلام، واستعانتها بالنبرات والنغمات كاستعانتها بالأحوال المشاهدة، في بلوغ أغراضها من الكلام.**

ثم ينبغي التنبيه هنا على أن جميع ما تدل عليه أدوات مخصوصة من الأساليب يتميز بتنغيمه المناسب لتلك الأدوات، وهذا النوع هو الذي درج المهتمون بالصوتيات من المحدثين على ذكره والاستدلال به، ولا يبدو ذلك مما يعطي التنغيم أهمية كبرى في مجال القرائن الصوتية في النحو العربي، وإنما يبرز دور التنغيم الأسلوبي - وغيره - ويعظم فيما هو خالٍ من قرينة لفظية تدل عليه، كما في الأساليب التي سبق التمثيل بها، نحو مثال أسلوب (كم) الخبرية والاستفهامية السابق، و أسلوب الخط التنغيمي الذي شرحه سيبويه، ونحو ذلك مما يكون فيه التنغيم قرينة رئيسة.

---

١) الخصائص ٣ / ٢٦٩.

٢) انظر: بحث التنغيم في التراث العربي ٧-٨.

فهذا حين ينفرد التنغيم عن القرينة اللفظية فصار ضروريا، بوصفه فونيمًا تمييزيا له القيمة الفونولوجية التي لغيره من القرائن الصوتية الكبرى، كالوقف والإدغام، من جهة كونه تلوينًا صوتيا مصاحبًا للألفاظ، لقصد الدلالة على معانٍ معينة، وتغيب تلك الوظيفة بغيابه، أو يحصل اللبس أو تتعدد الاحتمالات عند عدم مراعاته.

أما مع وجود القرائن اللفظية كأدوات الاستفهام والنداء و(ما) التعجبية ....إلخ فلا يبدو للتنغيم تلك القيمة التي تكون له عند الانفراد.

وفي نهاية هذه الجولة في وظائف التنغيم يحسن التنبيه على أمرين:

الأمر الأول: أن التنغيم - وكذلك النبر التمييزي - كغيره من القرائن الصوتية الأخرى، لا يشترط وجوده دائما، أو استعماله في كل موضع يمكن نبره أو تنغيمه، لعدم الحاجة إليه، ولكن يحسن استعماله في أكثر الكلام، وقد يجب أحيانًا، كما تقدم، مثال ذلك: لو قال إنسان لمن يخاطبه: (تجيء معي). يقولها بنغمة استفهام، فأجابه المخاطب: "نَعَم" فهذه الإجابة تحتمل أمرين بحسب نبر حركة العين، أولهما: أن تكون استفهامًا مجردًا، كأنه يقول له: ما ذا قلت؟ أو استفهامًا مقرونًا بتعجب أو إنكار، كأنه يقول له: أمثلي يجيء معك؟ ونحو ذلك.

وثانيهما: الإجابة بالموافقة على المطلوب، أي: نعم أجيء معك. ولا بد للمتكلم إذا أراد المعنى الأول أن ينبر حركة العين من (نعم) بقوة وتلحين مثير...وأن يأتي بنغمة مستوية هادئة في الحروف الثلاثة إذا كان مريدًا للثاني، ويجب أحد الأمرين، فإن لم يفعل لم يفد شيئًا بقوله (نعم).

ومعنى هذا أن مقاصد المتكلمين هي التي تفرض طبيعة التنغيم المؤثر في التركيب النحوي [1] ونظير التنغيم في هذا حركة الفاعل والمفعول في نحو: ضرب زيدًا عمرٌو، إذا قال الإنسان هذا مبتدئًا ومنشئًا للخبر من غير سابقِ علمٍ به لأحد، فلا بد له من التدليل على المفعول بحركته، وعلى

---

١) انظر: عناصر تحقيق الدلالة في العربية، دراسة لسانية، لصائل رشدي، ص٩٤، ط١، ٢٠٠٤، الأردن.

الفاعل بحركته الخاصة، فإن لم يفعل لم يفد. فالتركيب النحوي فرض الحركة اللازمة.

الأمر الثاني : قد لا يكون نبر المفردات ولا تنغيم الجمل قرينة بمفرده، كما في التنبيه السابق، بل كثيرًا ما يكون قرينة مضافة لغيرها من القرائن النحوية الأخرى معنوية ولفظية، وليس معنى ذلك أنه لا دلالة له، أو لا تأثير له نحويًّا، وقد يبدو أن أكثر المعترضين على وجود هذا الفونيم في العربية ينظرون إليه من هذه الجهة، فيعتلون بعدم وجوبه، وأن المعنى المعجمي أو التركيبي مستفاد من دونه، وكأنهم لم يتنبهوا إلى أنه في ذلك كغيره من القرائن اللفظية، وقد تقدمت الأدلة على ذلك . والله أعلم .

الخاتمـــة

الحمد لله وصلى الله وسلم على نبينا محمد، أما بعد: فقد ألمت هذه الدراسة بما تيسر من موضوع ((القرينة الصوتية في النحو العربي)) إلماماً يوضح أبعاده، ويبرز أهميته في مجال ربط الدراسات النحوية الحديثة، بالدرس النحوي القديم، وتناولت الدراسة القرينة الصوتية في خمسة أبواب رئيسة، يمثل كل باب منها معلماً صوتياً ذا أثر بالغ في النحو على العموم، وفي مجال التركيب على الخصوص، وجاءت دراسة كل باب في فصلين: **الفصل الأول**: مقدمة صوتية تتناول المفهوم العام لعنوان الباب، والمعاني الخاصة له، وما يندرج تحته من تفصيلات تخدم الجانب التطبيقي، كتقسيمات التنوين، وصور إدغام الحرفين، ومواطن النبر الوظيفي ونحو ذلك، واستعان الباحث بالأشكال الهندسية والرسوم والصور الطيفية للأصوات في إيضاح معالم هذه الصوتيات، وتحليل دقائق التركيب الصوتي الذي هو أساس بناء الألفاظ.

الفصل الثاني: يتناول الجانب التطبيقي، الذي يتمثل في الوظائف النحوية بالمفهوم الشامل للنحو[1]، وقد اعتمد البحث على عدد كثير من النصوص العربية الفصيحة، مع التركيز على الشواهد من القرآن خاصة، ولا سيما في باب الإدغام، مع كثير من الأمثلة الواضحة، لبيان أهمية القرينة الصوتية في تشكيل المعنى النحوي في اللغة، وبان من خلال التطبيق على النصوص العربية أن القرينة الصوتية تعد معلماً بالغ الأهمية في تحليل الجملة العربية وظيفياً.

وبعد هذه الدراسة في تفصيل الجوانب الوظيفية للقرينة الصوتية في التراكيب النحوية، والمباني الصرفية، مطبقة على تلك الشواهد والنماذج،

---

١) جاءت هذه الدراسة موزعة بين وظائف في أبواب التركيب والإعراب وفي الأبواب الصرفية والصوتية، بما يخدم مفهوم المعاني النحوية التي تكشف عنها القرينة الصوتية.

وبعد جولة استمرت ما يزيد على خمس سنين في مصادر النحو العربي قديماً وحديثاً خرجت الدراسة بالنتائج التالية :

١. أبرزت هذه الدراسة مفهوم القرينة الصوتية في النحو العربي، وفصلت الجوانب التي تتعلق فيها بالنحو، ومالها من أهمية بالغة في إنشاء العلاقات التركيبية في الجمل العربية .

٢. حصر القرائن الصوتية الرئيسة التي تخدم الجانب الوظيفي في النحو العربي بدرجة كبيرة .

٣. بيان العلاقة الوثيقة بين الصوتيات الوظيفية والتركيب، عن طريق أوجه المقابلة بين سلسلة عناصر السياق النحوي والسلسلة الصوتية، وقد بيّن البحث أن السلسلتين تنطلقان من بداية واحدة وهي "الكلام " ثم تجتمعان أخيراً في مكوّن واحد هو النصّ (المعنى) .

٤. جاءت هذه الدراسة في شقين يمثل كل واحد منهما جانباً من القرينة الصوتية، الأول : الدراسة الصوتية، وهذه الدراسة تعد تمهيداً للشق الثاني .الثاني : جانب الوظائف النحوية، وهو الجانب التطبيقي وهو الجانب الأكبر، فكانت النتيجة اكتشاف الروابط التي قد تخفى أحيانًا بين الوحدات والظواهر الصوتية من جهة، والمعاني النحوية من جهة أخرى، وأن هذه الدراسة الصوتية تكشف عن علاقات كبيرة في التركيب لا يستغني دارس عن معرفتها .

٥. شاع بين كثير من المهتمين بالدراسات النحوية التركيز على الحركة الإعرابية في بيان المعاني النحوية، وقد بينت هذه الدراسة أن الحركات البنائية تدخل في هذا الجانب بحظ وافر ، لما لها من وظائف تتعلق بالمعاني النحوية بمفهومه الشامل، وكذلك حركات التخلص من التقاء الساكنين، والإتباع، والإطلاق .

٦. من أهم نتائج هذا البحث إخراج ما يسمى بـ(الحركات المقدرة) من دائرة العلامات الدالة، بناءً على أن هذه الدراسة صوتية لا تتناول عناصر غير صوتية، ولا تعتمدها لإثبات حكم نحوي، والعلامة المقدرة لا وجود لها في اللفظ، فلزم إسقاطها في التعبير عن الوظائف .

٧. ناقشت هذه الدراسة مفهوم الحركة الطويلة (حرف المد) عند القدماء والمحدثين فانتهت إلى أن حرف المد حركة وليس حرفاً ساكناً، وأن هذا مفهوم كثير من تحليلات المتقدمين، وإن لم يلتزموه عند التطبيق، وهو الرأي الذي تؤيده الدراسات الصوتية الحديثة .

٨. يعد من أهم نتائج هذه الدراسة إثبات المعيار العام والمنضبط في مجيء الحركة الإعرابية دالة على المعاني التركيبية، وأنها ليست دالة مطلقاً، ففي كثير من المواطن تتخلف دلالتها، ويستغنى عنها في بيان المعاني والمواقع الإعرابية، كما أنها تتضافر مع غيرها من القرائن المعنوية واللفظية الأخرى في كثير من المواطن، وليس من الصواب الاقتصار عليها في اكتشاف العلاقات التركيبية، كما شاع في كثير من الدراسات النحوية . كما أن السكون، يتعاقب مع الحركات وجوداً وعدماً، كما يتعاقب معها في بيان المعنى الوظيفي.

٩. ظهر في الدراسة إمكان الاستعانة بالأجهزة الحديثة في الوصول إلى الحكم الدقيق، والوصف الأكثر مطابقة للحقيقة الصوتية، لما لهذه الأجهزة من القدرة على إظهار الحقائق الصوتية المجردة، التي تعين على تحليل الأصوات، وتمييز الفروق الدقيقة فيما بينها .

١٠. ناقشت هذه الدراسة بعض المسائل التي اعترض فيها بعض المحدثين على النحو القديم، فخلصت الدراسة في بعضها إلى دقة رأي القدماء فيها، فكانت تأكيداً وتأييداً لمن صححها من المحدثين، كاعتراض بعض المحدثين على تنوين المقابلة، وحرف التضعيف ودلالة الحركة الإعرابية، واعتراض بعضهم على دلالة النبر والتنغيم في العربية.

١١. قد لا يكون من المبالغة أن يقال إن أهم ما أثبتته هذه الدراسة هو إثبات كون النبر والتنغيم قرينتين وظيفيتين في اللغة العربية ،كما جاء في الباب الأخير من الرسالة، وأثبتت الدراسة عدم دقة الرأي القائل بأن ظاهرتي النبر والتنغيم في العربية لا دور لهما في الدلالة، فقد تبين من خلال النماذج التطبيقية ما ينبني على النبر والتنغيم من وظائف ودلالات لها علاقة كبيرة بالجانب التركيبي والمعجمي، كما

بينت الدراسة أن القدماء تعرضوا لهذه الظاهرة في الشرح والتحليل في مواطن كثيرة من دراساتهم، وإن لم يصطلحوا عليها باسم (التنغيم) أو(النبر) ولم يفردوها بالدراسة،وأن النبر خاصة أفردت له مصنفات من قبل علماء التجويد والقراءات، واعتمدوا في كثير من المواطن على ما يُظهره من فروق دلالية في التركيب لإثبات ضرورة الاهتمام به في الأداء،كما بينت الدراسة تعدد مواطن النبر في اللغة العربية، وأن سبب عدم ملاحظته عند كثير من الدارسين هو دقته، وأن المتكلمين قد يفرقون بين المعاني والألفاظ بالنبر من غير شعور، أو بأشياء تعد من قبيل النبر من الجهة اللغوية على الأقل، ومن ثم أدرجها بعض المتأخرين في أنواع النبر، كالمد والتضعيف والإشمام ونبر النغمة.

١٢. لقد ظهر في هذا البحث الترابط الكبير بين القرائن النحوية على العموم، الصوتية واللفظية والمعنوية، وترابط القرائن الصوتية فيما بينها على وجه الخصوص، كما بدا من علاقة بعضها ببعض في كثير من المواطن، كعلاقة النبر بالتنغيم، وعلاقة الحركات بالإدغام، وعلاقة الوقف بالتنغيم .

وأخيرًا ينبغي ذكر حقيقة تجلت بوضوح في هذه الجولة في القرائن الصوتية، وهي أهمية ضرورة اتجاه البحوث والدراسات النحوية إلى الجوانب الصوتية، لمواصلة الجهد الكبير الذي ظهر عند المتقدمين، ويمثله في هذا المجال سيبويه في كتابه، وابن جني في كتابيه : سر صناعة الإعراب، والخصائص، لكن الدراسات الصوتية بعدهما لم تخرج كثيرًا عما ورّثاه أبناءَ العربية، بل تكاد تكون متوقفة، ومن ثم يجد المرء التفوق الظاهر للدراسات الصوتية عند الأمم غير العربية .

أسأل الله أن يجعل هذا الجهد المتواضع نافعًا ومقبولا، وأن يغفر ما وقع من تقصير، وأن لا يكلنا إلى نفوسنا وجهودنا القاصرة، وأن يجزي الموجه المشرف على هذا العمل خير الجزاء، وأن يختم لي وله بالحسنى في الدنيا والآخرة .

الفهارس العامة

فهر الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية والآثار

فهرس الأمثال والأقوال

فهرس الشعر

فهرس المراجع والمصادر

فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
١٨١	٤٦	﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾	آل عمران
٣٣٦	٧٢	﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ﴾	آل عمران
٢٠١	٧٥	﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾	آل عمران
٣٥٠ ،٣٤٠	٨٥	﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾	آل عمران
٤١٩	١٠٦	﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾	آل عمران
٣١٩	١١١	﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾	آل عمران
١٩٠	١٤٢	﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾	آل عمران
٢٩٧	١٤٦	﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾	آل عمران
٧٦	١٦٠	﴿يَنصُرْكُمُ﴾	آل عمران
٣٣٨	١٨٥	﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ﴾	آل عمران
٢٦٣	،١٨٥ ٥٧،٣٥	﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾	آل عمران والأنبياء والعنكبوت
١٢٠ ،٨٠	٣٥ ،١٣٩	﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾	آل عمران، محمد
١٦٨	١٧١-١٧٠	﴿فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ﴾	النساء
١٦٨	١٧١-١٧٠	﴿ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ﴾	النساء
٣٥٦	٥٨	﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾	النساء
١٧١	١٧١	﴿وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ﴾	النساء
٣١١	١	﴿غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ﴾	المائدة
٣٠٣	٣	﴿وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾	المائدة
٢٠٦	٦	﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾	المائدة

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
المائدة	﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾	٩٥	٢٤٥
المائدة	﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾	٩٥	٢٤٦
المائدة	﴿أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾	٩٥	٢٤٦
المائدة	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾	١٠٥	١٩٢
الأنعام	﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾	٣٦	٢٩٣، ٣٠١
الأنعام	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾	٧٤	١٧٤
الأنعام	﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى﴾	٨٠	٣٥٥
الأنعام	﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾	٨٣	٢٤٥
الأنعام	﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾	٩٤	١٨٦
الأنعام	﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾	١٠٩	٧٦
الأنعام	﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	١٦٢	١٢٢
الأنعام	﴿شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾	١٣٧	١٧٧
الأنعام	﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾	١٤٣,١٤٤	٤٠٢
الأعراف	﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا﴾	٢٧	٣٤٠
الأعراف	﴿عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟﴾	٩٥	٣٦١
الأعراف	﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ﴾	١٢٧	٤٠٣
الأعراف	﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾	١٤١	٣٥٥
الأعراف	﴿سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾	١٤٥	٤٠٣

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
الأعراف	﴿يَأْمُرُهُم﴾	١٥٧	٧٦
الأعراف	﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾	١٦٤	٢٧٢
الأنفال	﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾	٧	٢٠٨
الأنفال	﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ﴾	٧	٣٤٠
الأنفال	﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾	٢٦	٢٣٩
الأنفال	﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾	٤٢	٣٣٨
الأنفال	﴿ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ﴾	٧٢	٣٦١
التوبة	﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ﴾	٣	١٦٥
التوبة	﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ التوبة:	٢٨	٣٤٠
يونس	﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	١٠	٤١٣
يونس	﴿يَهِدِّىٓ﴾	٣٥	١١١
يونس	﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾	٥٩	٤٠٢
يونس	﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ﴾	٩٠	٣٤٠
يونس	﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾	٩١	٤٠٢
يونس	﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾	٩٤	٣٠٧
هود	﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾	٤٢	٢٧٢
هود	﴿ٱرْكَب مَّعَنَا﴾	٤٢	٣٣٩
هود	﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾	٤٦	١٨٩
هود	﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم﴾	٦١	٣٤٦

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
هود	﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾	٦٦	٢٣٩
هود	﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾	٦٦	٢٥٨
هود	﴿قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾	٦٩	١٦٤
هود	﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾	١٠٥	٢٠٠
هود	﴿وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾	١١١	٢٤٧
يوسف	﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾	٥	٣٤٦
يوسف	﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا﴾	١١	٣٥٤
يوسف	﴿وَجَاءُو عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾	١٨	٢٠٧
يوسف	﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾	٢٦	٣٣٨
يوسف	﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾	٣١	٢٦٥
يوسف	﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾	٦٤	٤٠٠
يوسف	﴿قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾	٦٦	٤١٧
يوسف	﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾	٩٢	٢٩٨
إبراهيم	﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (١) اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾	٢,١	٣٠١
الحِجر	﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾	٣٠	٢٤٧
الحِجر	﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾	٦١	٣٤٦
النحل	﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾	٨	١٧٩
الإسراء	﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾	٧	٣٠١
الإسراء	﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾	٢١	٢٣٧

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
الإسراء	﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾	٢٣	٢٧٠
الإسراء	﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾	٩٧	٣١٥
الإسراء	﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾	١١٠	٢٥٤
الإسراء، الروم	﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾	٣٨,٢٦	٣٤٥، ٣٤٩
الإسراء، السجدة	﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى﴾	٢٣,٢	٣٤٦
الكهف	﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ (١) قَيِّمًا﴾	١، ٢	٣٠٣
الكهف	﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾	٢٣-٢٤	٢٦٣
الكهف	﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾	٢٢	١٧١
الكهف	﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾	٢٥	١٩٤
الكهف	﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾	٣٨	٣٤٤
الكهف	﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾	٦٤	٢٠٠، ٣٤٩
الكهف	﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ (١) قَيِّمًا﴾	٢,١	٣٠٣
مريم	﴿فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾	٣٦	٣٤٦
مريم	﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾	٢٦	١٧٢
مريم	﴿كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾	٧٩	٢٦٤
طه	﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾	١٢	٢٧٥
طه	﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾	١٥	٣٠٢
طه	﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾	٦٣	٢٠٠

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
طه	﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا ﴾	٨٩	١٧٠
طه	﴿ طه ۝١ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ ﴾	١-٤	٣٠٣
الأنبياء	﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾	٣٥	٢٦٣
الحج	﴿ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ ﴾	٥	١٩١
الحج	﴿ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾	٧٢	١٨٩
المؤمنون	﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾	٣٦	٢٧٠
النور	﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾	١١	٣٠٠
الفرقان	﴿ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ ﴾	٣٩	٢٣٧
الفرقان	﴿ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾	٥٤	٣٤٦
النمل	﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ ﴾	١٦	٣٣٨
النمل	﴿ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾	٢٢	٢٧٣
النمل	﴿ أَحَطتُ ﴾	٢٢	٢٧٦، ٣٣٦
النمل	﴿ فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ﴾	٢٨	٢٠١
النمل	﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ ﴾	٣٦	١٧٣
النمل	﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ﴾	٤٤	٣٠٢
النمل	﴿ وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴾	٨٩	٢٥٨
القصص	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾	٥٠	٢٩٣
القصص	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ۝٣٣ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾	٣٣,٣٤	٢٩٩
القصص	﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾	٦٨	٢٩٨

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
القصص	﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾	٨٧	١٧٢
الروم	﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾	٤	١٨٦، ٢٤٨
الروم	﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٤٧	١٦٩
السجدة	﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾	١٨	٣٠٤
الأحزاب	﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾	٥	١٧١
سبأ	﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾	٣	١٧٧
سبأ	﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾	٥	١٧٥
سبأ	﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾	٩	٣٤٠
فاطر	﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾	٣	١٩١، ٢٦٠
فاطر	﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾	٨	١٨٣
فاطر	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾	٢٧	٢٥٩
يس	﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ﴾	١٢	٢٧٣
يس	﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٣٢)﴾	٣٢	١٨٢
يس	﴿يَخِصِّمُونَ﴾	٤٩	١١١
يس	﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾	٥٢	٣٠٤
يس	﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾	٧٦	٣٠٠

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
الصافات	﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾	٤٢	٣٠٣
ص	﴿لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾	٤٧	٨٠
ص	﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾﴾	٥٥,٥٤	٣١٢
الزُّمَر	و﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾	٣	٤٢٠
الزُّمَر	﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾	٤٦	١٨٠
الزُّمَر	﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ﴾	٦٤	٣٥٥
غافر	﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾	٩	١٢٠
غافر	﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا﴾	٢٨	٣٤٥
غافر	﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ﴾	٤١	٣٤٦
غافر	﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾	٧١	٢٣٨
فُصِّلَت	﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾	٤٤	٤٠٢
الزُّخرُف	﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾	٨١	٣٠٧
الجاثية	﴿لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾	١٤	١٧٠
محمد	﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾	٤	١٩٨
محمد	﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾	٣٥	١٢٠
الفتح	﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾	١٠	٢٠٤
ق	﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾﴾	٤٣	١١١

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
الذاريات	﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾	٢٣	١٨٦
الذاريات	﴿إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ﴾	٢٥	٢٥٣
الذاريات	﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾	٢١,٢٠	٢٩٩
النجم	﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾	٥٠	٢٧٣
القمر	﴿يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ﴾	٦	٣٤٩
القمر	﴿خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾	٧	٢٩٥
القمر	﴿وَلَقَدۡ جَآءَ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ ٱلنُّذُرُ﴾	٤١	٩٦، ١٧٠
الواقعة	﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ (١٨) لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ (١٩) وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ (٢١) وَحُورٌ عِينٞ﴾	١٧-٢٢	١٧٦
الواقعة	﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ﴾	٤	١٢١
الصف	﴿مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُ﴾	٦	٣٠٣
الصف	﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾	٨	٢٤٤
المنافقون	﴿لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾	١٠	٨٩، ٩٦
التغابن	﴿وَّتَوَلَّواْۖ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ﴾	٦	٣٤٤
الطلاق	﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾	٢	١٦٤
الطلاق	﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦ﴾	٣	٢٤٤
التحريم	﴿وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ﴾	١٠	٣٠٢
القلم	﴿مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ (٣٦)﴾	٣٦	٣١
الحاقة	﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ (٢٥) وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ (٢٦)﴾	٢٦,٢٥	٣٠٩

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
الماعون	﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾	٥,٤	٤١٢
المَسَد	﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾	٤	٧١
الإخلاص	﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾	٢,١	٣٠١
الناس	﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾	١-٤	٣١٨

فهرس الأحاديث والآثار

الحديث أو الأثر	الصفحة
أحَيٌّ والداك	٢٤١
إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم	١٩٧
اقرؤوا القرآن بلحون العرب وأصواتها	٤٠٤
إنك بأرض الربا فيها فاشٍ	٢٤٣
إن الله حرم ثلاثا	١٩٥، ٢٦٢
أوَمُخْرِجِيَّ هم	٣٤٧
بئس الخطيب أنت	٣١٢
شهادةُ القومُ المؤمنين شهداء الله في الأرض	٢٤١
فأيٌّ المؤمنين آذيته	٣٤٥
فرب كاسيةٍ في الدنيا عاريةٌ في الآخرة	١٧٢
فعن معادن العرب تسألوني	٤٢٣
في كل ذات كَبِدٍ رطْبَةٍ أجرٌ	٤٢٤
قرأت المفصّلَ الليلة	٢٥٢، ٤٢١
قلَّ عربيا مشى بها	٢٥٣
كان يتعمد الوقف	٣٠٤
كان يمد صوته مدًّا .أنس بن مالك رضي الله عنه	١٣٢
لا وعافاك الله . أبو بكر الصديق	٣٠٦
ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد كسردكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام بيّن فصْل، يحفظه من جلس إليه	٣٧٣
مَن يطع الله ورسوله فقد رشد	٣١٢
هذًّا كهذّ الشعر؟ ابن مسعود	٢٥٢، ٤٢١
وإنّ لنا في البهائم أجرا ؟	٢٥٢، ٤٢٣
ونهى عن ثلاث	١٩٥، ٢٦٢
ونهى عن قِيلٍ وقال	١٩٥، ٢٦٢

فهرس الأمثال والأقوال

فهرس الشعر

القافية	البحر	القائل	الصفحة
عناءُ	الخفيف	أبو زيد الطائي	٢٦٤
مذهبُ	الطويل	للكميت	١٩٣
الحقائبُ	الطويل	نصيب	١٩٧
قريبُ	الطويل	كعب بن سعد الغنوي	٢٠٢
بلبيبِ	الطويل	أبو الأسود الدؤلي	١٣٩
أترابِ/الترابِ	الخفيف	عمر بن أبي ربيعة	٤٢٢
مُذهبَهْ	الرجز	الأغلب العجلي	٢٧٧
أضربُهْ	الرجز	زياد الأعجم	٣١١
بِهْ	مجزوء الرمل	غير منسوب	٣٩٧
ذاهبهْ	المتقارب	أبو الفتح البستي	٣٩٧
جدبا/ربّا	الكامل	بعض الأعراب	٣٧٢
أصابنْ	الوافر	جرير	٢٧٨
مسلمتْ/بعدمتْ/ أمتْ	الرجز	أبو النجم العجلي	٣٢٠
تا	الرجز	لقيم بن أوس	٣١٦
علاتي/قيلاتي	الرجز	ورد غير منسوب	٤١٦
بِجْ /وفْرتِجْ	الرجز	بعض أهل اليمن	٣١٤
سلاح	الطويل	مسكين الدارمي	١٦٧
فأستريحا	الوافر	المغيرة بن حيناء	٩٦
الخلدُ	الطويل	جران العود	١٩٦
زيادِ	الوافر	قيس بن زهير	٩٠، ٢٠٨
البلدِ	البسيط	الراعي	٩٩

القافية	البحر	القائل	الصفحة
الأربع	المتقارب	العباس بن مرداس	٤٠٠
صنعْ	البسيط	تميم بن مقبل	١٢٩
مصرعنْ	الطويل	امرؤ القيس	٢٧٦
طائعا	الرجز	مجهول	١٧٤
إلافُ	الوافر	مساور بن هند العبسي	٣٠٦
كما/دنِفْ/عُرفْ	الرجز	ابن مالك	٤١٩
تخلقِ	الكامل	كعب بن مالك	١٩٨
المخترَق/الخفقْ	الرجز	رؤبة بن العجاج	٢٧٩
ومنزلِ	الطويل	امرؤالقيس	٢٧٦
خِلَلُ	مجزوء الوافر	كثير عزة وقيل ذو الرمة	١٩٤
شمليلُ	البسيط	كعب بن زهير	٢٩٧
تجمّلِ	الطويل	امرؤ القيس	١١٧
وقالِ	الرمل	تميم بن مقبل	١٩٥
المقيلِ	الوافر	المرار بن منقذ التميمي	٢٤٥
مهلهلِ	الطويل	الحطيئة	٢٧٧
الجملِ	البسيط	أنشده المبرد عن الأصمعي	٤٠١
أدخِلُهْ	الرجز	أبو النجم العجلي	٣١٠
أوائلُهْ	الطويل	غير منسوب	٢٦٤
فحوملي	الطويل	امرؤ القيس	١٣٠، ١٤٩
ليبتلي	الطويل	امرؤ القيس	١٨٢
أوصالي	الطويل	امرؤ القيس	٤١٨
هابلُ	الطويل	غير منسوب	١٢٥
حرمُ	البسيط	زهير	٩٠،٩٩،٢٠٠

القافية	البحر	القائل	الصفحة
ظالمُ	الطويل	رجل من بني أسد	١٦٥
عظيمُ	الكامل	أكثر من شاعر	١٨١
حرامُ	الوافر	الأحوص الأنصاري	١٩٧
تعلمِ	الطويل	زهير	١١٦
الحميمِ	الوافر	يزيد بن الصعق	٢٤٨
الكريمِ	الخفيف	ورد غير منسوب	٤١٥
عُصُمْ	المتقارب	الأعشى ميمون	٣١٣
واجموا	الطويل	الأعشى	١٣٠
الخيامنْ	الوافر	جرير	٢٧٦
الشجعما	الرجز	العجاج	٩٦
المباينُ	الطويل	مالك بن خالد الهذلي	٢٦٥
مثلانِ	البسيط	حسان بن ثابت	١٦٥
أرقانِ	الطويل	يعلى الأحول الأزدي	٢٠١
أنكرنْ	المتقارب	الأعشى	١٢٩
يعنونا	البسيط	نسبت لأكثر من شاعر	٣٠٦
سخينا	الخفيف	غير منسوب	٣٥١
فاني	الوافر	النابغة الجعدي	٤١٦
بسيِّ	الوافر	الحطيئة	٢٠٦
جائيا	الطويل	زهير	٩٦
راضيا	الطويل	أمية بن أبي الصلت	١٨٠

فهرس المراجع والمصادر

- ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، لعبد اللطيف الزبيدي، تحقيق طارق الجنابي، ط١، ١٤٠٧هـ، عالم الكتب، بيروت .
- أبحاث العربية الفصحى، لغانم قدوري الحمد، ط١، ١٤٢٦هـ دار عمار، الأردن.
- أبحاث في أصوات العربية لحسام النعيمي، ط١، ١٩٩٨م، بغداد.
- الأبعاد المعنوية في الوظائف النحوية لأسامة كامل جرادات، دار الفرقان ٢٠٠٤- الأردن.
- اتجاهات البحث في قضية الإعراب عند اللغويين العرب المحدثين) لخالد الحجيلان (مخطوط).
- الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية، لأحمد عبد العزيز دراج، ط١، ١٤٢٤هـ مكتبة الرشد ناشرون، الرياض .
- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، تحقيق مصطفى ديب البُغا، ط١، ١٤٠٧هـ دار ابن كثير / دمشق.
- أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، لعبد الصبور شاهين، ط١، ١٤٠٨هـ، مطبعة المدني، مصر .
- أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، لفوزي حسن الشايب، ط١، ١٤٢٥هـ، عالم الكتب الحديث، الأردن .
- إحياء النحو لإبراهيم مصطفى، ط٢، ١٤١٣، القاهرة .
- إحياء النحو وتجديده بين إبراهيم مصطفى وأمين الخولي لعبد الله أحمد خليل، ط١، ١٩٩٤، ليبيا.
- إدغام القراء للسيرافي، تحقيق محمد الرديني، ط٢، ١٤٠٦هـ نشر دار أسامة، دمشق.
- الإدغام الكبير في القرآن لأبي عمرو الداني، تحقيق زهير غازي زاهد، ط١، ١٤١٤هـ عالم الكتب، بيروت .
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق مصطفى النماس،ط١، ١٤٠٤هـ مطبعة النسر الذهبي .
- إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم،للحكيم المتطبب(ابن الأكفاني) تحقيق عبد المنعم محمد عمر، ط دار الفكر العربي، القاهرة .
- أساس البلاغة للزمخشري، تحقيق محمد باسل عيون السود، ط١، ١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية، بيروت .
- الأساليب الإنشائية في النحو العربي لعبد السلام محمد هارون، ط٣، ١٩٨٥.
- أساليب التأكيد في اللغة العربية لإلياس ديب، ط / دار الفكر العربي - بيروت

- أسباب حدوث الحروف، لابن سينا، ط٢، ١٣٥٢هـ المطبعة السلفية، القاهرة.
- أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، ط١، ١٤١٢هـ مطبعة المدني، مصر.
- أسرار العربية لأبي البركات الأنباري، تحقيق فخر صالح قداره،ط١، ١٤١٥هـ دار الجيل، بيروت.
- أسس علم اللغة لماريوباي، ترجمة أحمد مختار عمر، ط٢، عالم الكتب، القاهرة ١٩٨٣.
- الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي، عبدالعال سالم مكرم، ط١، ١٤٠٦هـ مؤسسة الرسالة، بيروت .
- الأشموني = شرح الأشموني .
- الإصباح في شرح الاقتراح للفجال، ط١، ١٤٠٩، دار القلم. دمشق.
- الأصمعيات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون،ط ٥، بيروت .
- الأصوات العربية بين اللغويين والقراء لمحمود زين العابدين، ط١، ١٤٢٤هـ دار الفجر الإسلامي، المدينة المنورة .
- الأصوات العربية المتحولة وعلاقتها بالمعنى، لعبد المعطي نمر موسى، ط١، دار الكندي،الأردن.
- الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس، نشر مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٢، القاهرة .
- الأصوات اللغوية لمحمد علي الخولي دار الفلاح. الأردن، ١٩٩٠.
- أصول النحو العربي لمحمد عيد، ط ٤، ١٤١٠هـ، عالم الكتب، القاهرة .
- الأصول في النحو لابن السراج، تحقيق عبد لحسين الفتلي، ط١، ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه تحقيق أحمد السيد أحمد، ط: المكتبة التوفيقية، مصر
- إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، ط١،١٤١٣هـ مطبعة المدني، مصر.
- إعراب القراءات الشواذ للعكبري، تحقيق محمد عزّوز، ط١١٤١٧هـ عالم الكتب. بيروت .
- إعراب القرآن للنحاس، تحقيق زهير غازي زاهد، ط٢، ١٤٠٥هـ عالم الكتب.
- الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، بعناية سمير جابر، ط٢، ١٤١٢هـ دار الكتب العلمية، بيروت.
- الاقتداء في معرفة الوقف والابتداء للعلامة عبد الله بن محمد النكزاوي المتوفى سنة ٦٨٣هـ، تحقيق مسعود أحمد، (مخطوط).

- أمالي ابن الحاجب تحقيق فخر قداره، ط/١٤٠٩هـ دار عمار ـ الأردن
- أمالي ابن الشجري لهبة الله ابن الشجري، تحقيق محمود محمد الطناحي، ط١، ١٤١٣هـ نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة .
- أمالي السهيلي تحقيق محمد البنا، ط: ٢٠٠٢، المكتبة الأزهرية للتراث
- أمالي القالي، ط دار الكتب العلمية، بيروت .
- الإمتاع والمؤانسة، دار مكتبة الحياة ـ بيروت.
- الإنصاف في مسائل الخلاف أبي البركات الأنباري، تعليق محمد محي الدين عبد الحميد، ط دار الفكر .
- الإنصاف للبطليوسي، تحقيق محمد رضوان الداية، ط٣، ١٤٠٧هدار الفكر ـ دمشق.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام الأنصاري، تعليق محمد محي الدين عبد الحميد، ط ٥، ١٣٩٩هـ دار الجيل بيروت .
- إيجاز التعريف في علم التصريف لابن مالك، تحقيق حسن أحمد العثمان، ط١، ١٤٢٥هـ مؤسسة الريان ، بيروت .
- إيضاح الشعر (شرح الأبيات المشكلة الإعراب) لأبي علي الفارسي، تحقيق حسن هنداوي، ط١، ١٤٠٧هـ، دار القلم دمشق .
- إيضاح المبهج في معاني السلم للشيخ أحمد الدمنهوري ٥٧، تحقيق عمر الطباع، ط١، ١٤١٧هـ، بيروت.
- إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري، تحقيق محيي الدين عبد الرحمن، دمشق ١٣٩٠هـ.
- إيضاح شواهد الإيضاح لأبي علي الحسن بن عبد الله القيسي، تحقيق محمد بن حمود الدعجاني، ط١، ١٤٠٨هـ دار الغرب الإسلامي ـ لبنان.
- الإيضاح في القراءات للشيخ أحمد بن أبي عمرو الأندرابي المتوفى ٥٠٠هـ.
- الإيضاح في علل النحو للزجاجي، تحقيق مازن المبارك، ط ٥، ١٤٠٦هـ دار النفائس، بيروت .
- باب الهجاء، لابن الدهان الأنصاري، تحقيق فايز فارس ط١، ١٤٠٦هـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.
- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي، بعناية الشيخ زهير جعيد، ط/ المكتبة التجارية بمكة المكرمة .
- البديع في الرسم لابن معاذ الأندلسي، تحقيق غانم قدوري، ط١، ١٤٢١هـ دار عمار، الأردن .
- البديع في علم العربية لابن الأثير، تحقيق صالح العايد (مخطوط) .
- البرهان في علوم القرآن للزركشي،تحقيق محمد أبو الفضل، دار المعرفة، بيروت.

- البسيط في شرح جمل الزجاجي، لابن أبي الربيع، تحقيق عياد الثبيتى، ط١، ١٤٠٧، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت .
- البغداديات = المسائل البغدادية .
- بغية المستفيد لابن بلبان الحنبلي، تحقيق رمزي دمشقية، ط١، ١٤٢٢هـ دار البشائر الإسلامية، بيروت.
- البناء الموازي، نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة، لعبد القادر الفاسي الفهري، ط١، ١٩٩٠، دار توبقال، المغرب .
- البنية الصوتية للكلمة العربية لعبد القادر جديدي، ط المطابع الموحدة ١٩٨٦م تونس .
- بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء؛ لابن البناء المتوفى ٤٧١هـ . حققه غانم قدوري،ط١،١٤٢١هـ دار عمار، الأردن .
- البيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات الأنباري، تحقيق طه عبد الحميد طه، ط /الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٠هـ .
- البيان والتبيين للجاحظ تحقيق عبد السلام محمد هارون،ط ٥، ١٤٠٥هـ مطبعة المدني بالقاهرة.
- تاريخ علم اللغة الحديث لجرهارد، ترجمة سعيد حسن بحيري؛ط١، ٢٠٠٣، القاهرة.
- التأويل النحوي في القرآن الكريم لعبد الفتاح الحموز، ط١، ١٤٠٤هـ، مكتبة الرشد، الرياض .
- التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري، تحقيق علي محمد البجاوي، ط / عيسى البابي الحلبي .
- التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين لأبي البقاء العكبري، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، ط١، ١٤٠٦هـ دار الغرب الإسلامي .
- التحديد في الإتقان والتجويد لأبي عمرو الداني، تحقيق غانم قدوري الحمد، ط١، ١٤٢١هـ دار عمار عمان .
- التخمير = شرح المفصل .
- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل لأبي حيان الأندلسي، تحقيق حسن هنداوي، ط١، ١٤١٨هـ دار القلم دمشق .
- تركيب اللغة العربية، مقاربة نظرية جديدة، لمحمد الرحالي، ط١، ٢٠٠٣، دار توبقال، المغرب .
- التشكيل الصوتي في اللغة العربية (فونولوجيا العربية) للدكتور سلمان حسن العاني، ط١، ١٤٠٣هـ، جدة .
- التصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد الأزهري، تحقيق عبد الفتاح بحيري، ط١، ١٤١٨هـ .

- التطور النحوي للغة العربية لبرجشتراسر، ط٣، ١٤١٧هـ مكتبة الخانجي بالقاهرة .
- التعبير الفني في القرآن لبكري شيخ أمين، ط٦، ٢٠٠١م، دار العلم للملايين بيروت .
- التعريفات للجرجاني، تحقيق محمد المرعشلي ط١، ١٤٢٤هـ دار النفائس، بيروت .
- تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد للدماميني، تحقيق الدكتور محمد المفدى، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ
- التعليقة على كتاب سيبويه لأبي علي الفارسي، تحقيق عوض بن حمد القوزي ط١، ١٤١٦/١٤١٥هـ الرياض.
- تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز .
- تفسير ابن كثير،ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٨هـ .
- تفسير الطبري ،تحقيق محمود محمد شاكر، ط: دار المعارف . مصر.
- تفسير الطبري، ط٣، ١٣٩٨هـ دار المعرفة . بيروت.
- تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن .
- التفسير الكبير لفخر الدين الرازي،ط١، ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية بيروت.
- تفسير النسفي = مدارك التنزيل .
- التفكير العلمي في النحو العربي لحسن خميس الملخ، ط١، ٢٠٠٢، دار الشروق، الأردن.
- التفكير اللساني في الحضارة العربية لعبد السلام المسدي،ط٢، ١٩٨٦م الدار العربية للكتاب ليبيا .
- تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، وقائع ندوة جهوية، الرباط، ١٩٨٧.
- تقويم المقرر التدريسي في النحو العربي، لمجموعة من المؤلفين، طبع المطبعة العربية ااـنهج طالبي أحمد غرداية ٢٠٠٥، الجزائر.
- التكملة لأبي علي الفارسي، تحقيق كاظم بحر المرجان، ط١٤٠١هـ العراق .
- تمكين المد، للإمام مكي بن أبي طالب، تحقيق أحمد حسن فرحات، ط١، ١٤٠٤هـ دار الأرقم، الكويت
- التمهيد في علم التجويد للإمام ابن الجزري، تحقيق على حسين البواب، ط١، ١٤٠٥٩هـ مكتبة المعارف، الرياض .
- التمهيد في معرفة التجويد لأبي العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني العطار، تحقيق غانم قدوري حمد، ط١، ١٤٢٠هـ دار العمار .
- التنبيه على اللحن للسعيدي = رسالتان في التجويد.
- التنغيم اللغوي في القرآن الكريم، للعزاوي، نشر داء الضياء، الأردن ١٤٢١هـ.
- التنغيم في التراث العربي، لعليان الحازمي، منشور على الشبكة الالكترونية، مجلة /shariaramag/mag٢٣

- تهذيب اللغة = معجم تهذيب اللغة .
- التهذيب الوسيط في النحو لابن يعيش الصنعاني بتحقيق فخر قداره، الطبعة الأولى ١٤١١هـ بيروت .
- توجيه اللمع لابن الخباز، تحقيق فائز زكي، ط١، ١٤٢٣هـ دار السلام، القاهرة.
- توضيح المقاصد للمرادي، تحقيق عبد الرحمن سليمان، ط١، ١٣٩٧، القاهرة .
- التوطئة لأبي علي الشلوبين، تحقيق يوسف أحمد مطوع، دار الكتب ١٩٨٠م .
- تيسير النحو التعليمي لشوقي ضيف ، ط٢، دار المعارف، القاهرة .
- الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي،دار إحياء التراث العربي، ١٩٦٧، بيروت .
- الجمل في النحو، للزجاجي، تحقيق علي توفيق الحمد، ط٢، ١٤٠٥هـ مؤسسة الرسالة، بيروت .
- الجملة الشرطية عند النحاة العرب لإبراهيم شمسان،ط١، ١٤٠١هـ .
- جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام،لأبي زيد القرشي، تحقيق محمد علي الهاشمي، ط٢،١٤٠٦هـ دار القلم، دمشق.
- جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، ط١، ١٣٨٤هـ المؤسسة العربية الحديثة القاهرة .
- جمهرة اللغة لابن دريد، تحقيق رمزي منير بعلبكي، ط١، ١٩٨٨م دار العلم للملايين بيروت .
- الجنى الداني للمرادي ، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم، ط١، ١٤١٣هـ بيروت.
- جهد المقل للعلامة محمد ساجقلي،تحقيق سالم قدوري الحمد، ط١،١٤٢٢هـ الأردن.
- حاشية ابن حمدون على شرح الأزهري للأجرومية، ط دار الفكر للطباعة والنشر.
- حاشية البغدادي على شرح(بانت سعاد) لابن هشام، تحقيق نظيف محرم خواجه، ط١، ١٤١٠هـ دار صادر، بيروت .
- حاشية الخضري على ابن عقيل، ط١، ١٤١٩هـ دار الكتب العلمية بيروت .
- حاشية الدسوقي على مغني اللبيب، بعناية عبد السلام محمد أمين، ط١، ١٤٢١هـ دار الكتب العلمية بيروت .
- حاشية الصبان على الأشموني، ط / فيصل عيسى البابي الحلبي، مكتبة دار إحياء الكتب العربية القاهرة .
- حاشية العليمي على التصريح،ط / المكتبة التجارية الكبرى توزيع دار الفكر بيروت،
- حجة القراءات لابن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، ط٤، ١٤٠٤هـ مؤسسة الرسالة . سوريا .

- الحجـة للقـراء الـسبعة لأبـي علـي الفارسـي، تحقيـق بـدر الـدين قهـوجي وبـشير جويجاتي، ط١، ١٤١٣هـ دار المأمون للتراث ،دمشق .
- الحـدود للإمـام أحـمـد بـن محمـد الأبـذي، تحقيـق المتـولي الـدميري، ط/١٤١٠هـ نـشر وكالة الشروق ،القاهرة .
- الحلبيات = المسائل الحلبية .
- الحماسـة لأبي تمام، تحقيق عبد الله عسيلان، ط١، ١٤٠١هـ جامعة الإمام بالرياض .
- الحمل على الجوار في القرآن لعبد الفتاح الحموز، ط١، ١٤٠٥هـ الرياض .
- حوليات الجامعة التونسية، العدد ١١، سنة ١٩٧٤
- خزانـة الأدب ولـب لبـاب لـسان العـرب لعبـد القـادر البغـدادي، تحقيـق عبـد الـسلام محمد هارون، ط٢، ١٤٠٨هـ، مطبعة المدني، القاهرة .
- الخصائص لابن جني ، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي. بيروت.
- الخطابة لابن سينا تحقيق محمد سليم سالم، القاهرة، ١٩٥٤م.
- الـدر المـصون فـي علـوم الكتـاب المكنـون لأحـمـد بـن يوسـف المعـروف بالـسمين الحلبي، تحقيق أحمد محمد الخراط، ط١، ١٤٠٨هـ، دار القلم، دمشق .
- الـدر النثير والعـذب النمير لعبد الواحـد بن محمـد المـالقي المتوفى ٧٠٥هـ، تحقيـق: عادل أحمد وعلي محمد، ط١، ١٤٢٤هـ دار الكتب العلمية. بيروت
- الدراسات الصوتية عند علماء العرب والدرس الصوتي الحديث، لحسام البهنساوي، ط١، ٢٠٠٥، زهراء الشرق، القاهرة .
- الدراسات الصوتية عند علماء العربية لعبد الحميد الهادي الأصيبعي،ط١، ١٤٠١هـ ليبيا.
- دراسات في الإعراب لعبد الهادي الفضلي، ط١، ١٤٠٥هـ السعودية
- دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن لـصلاح الدين صالح حسين،ط١، ١٤٠٥هـ دار العلوم، الرياض السعودية
- دراسـات فـي علـم الأصوات، الأصـول النظريـة لعلـم التجويـد .... لـصبري المتـولي، ط١، ٢٠٠٦، زهراء الشرق، القاهرة .
- دراسات في علم اللغة لكمال بشر، ط/دار غريب، القاهرة .
- دراسات في فقه اللغة، لصبحي الصالح، ط١، ١٣٧٩هـ دار العلم للملايين، بيروت .
- دراسات في فقه اللغة والفونولوجيا العربية، ليحيى عبابنة، ط١، ٢٠٠٠، دار الشروق، القاهرة .
- دراسـات في نحـو اللغـة العربيـة الـوظيفي، لأحـمـد المتوكـل، ط١، ١٤٠٦هـ دار الثقافـة، الدار البيضاء .
- دراسـات لأسـلوب القـرآن لمحمـد عـضيمة القـسـم الأول، ط/١٤٢٥هـ دار الحـديث القاهرة.

- دراسات لغوية لسميح أبو مغلي، ط١، ١٤٢٥، الأردن.
- دراسات لغوية لمحمد على الخولي ط/١٩٩٨،دار الفلاح، الأردن.
- دراسة البنية الصرفية في ضوء اللسانيات الوظيفية للدكتورعبد المقصود محمد عبد المقصود،ط١، ١٤٢٧هـ، دار الفيصل الثقافية .
- دراسة السمع والكلام، لسعد مصلوح، ط١، ١٤٢٠هـ عالم الكتب، القاهرة.
- دراسة الصوت اللغوي لأحمد مختار عمر ٦٩ ط / ١٤١١هـ عالم الكتب . القاهرة.
- دراسة في قواعد النحو العربي في ضوء علم اللغة الحديث لحازم علي كمال الدين، ط١، مكتبة الآداب، مصر .
- الدرر اللوامع للشنقيطي، تحقيق عبد العال سالم مكرم، ط١، ١٤٠٤هـ مؤسسة الرسالة، بيروت .
- دروس في الألسنية العامة لـ(فردينان ديسوسير) ترجمة صالح القرمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة، ط دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م طرابلس ليبيا.
- دروس في التركيب، بين النظرية التوليدية التحويلية، والنحو المعجمي الوظيفي، لمحمد الشكيري، ط١، ١٤٢٦هـ، دار الأمان، الرباط.
- دلائل الإعجاز للعلامة عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.
- دلالة الألفاظ لإبراهيم أنيس، ط٦، ١٩٨٦، دار المعارف . القاهرة.
- الدلالة الصوتية في اللغة العربية، لصالح سليم عبد القادر الفاخري، نشر المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، مصر.
- دلالة الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم لخالد قاسم بني دومي، ط١، ٢٠٠٦م عالم الكتب الحديث، الأردن .
- ديوان أبي ذؤيب الهذلي، بعناية سهام المصري، ط١، ١٤١٩هـ، المكتب الإسلامي، بيروت .
- ديوان أبي النجم العجلي، تحقيق سجيع الجبيلي، ط: الأولى ١٩٩٨، دار صادر، بيروت.
- ديوان الأحوص الأنصاري، تحقيق عادل سليمان جمال، ط٢، ١٤١١هـ مطبعة المدني .
- ديوان الأعشى ميمون بن قيس، بعناية محمد أحمد قاسم، ط١، ١٤١٥هـ، المكتب الإسلامي، بيروت .
- ديوان الحطيئة، تحقيق نعمان محمد أمين، ط١، ١٤٠٧هـ مطبعة المدني . مصر
- ديوان الخنساء، بشرح ثعلب، تحقيق أنور أبو سويلم، ط١، ١٤٠٩هـ دار عمار، الأردن.
- ديوان الراعي تحقيق راينهرت، دار صادر، بيروت ١٤٠١هـ .
- ديوان الشماخ بن ضرار ، ط: الأولى ١٤١٤هـ، دار الكتاب العربي ، بيروت.

- ديوان العباس بن مرداس، تحقيق يحيى الجبوري، ط١، ١٤١٢هـ مؤسسة الرسالة بيروت .
- ديوان العجاج تحقيق الدكتور سعدي ضناوي،ط١، ١٩٩٧، دار صادر، بيروت.
- ديوان المعاني لأبي هلال العسكري، طبعة عالم الكتب.
- ديوان النابغة الجعدي، ط١، منشورات المكتب الإسلامي .
- ديوان النابغة الذبياني، بشرح ابن السكيت، تحقيق شكري فيصل، ط٢، ١٤١٠هـ دار الفكر، بيروت .
- ديوان امرئ القيس، شرح حسن السندوبي، ط٧، ١٤٠٢هـ المكتبة الثقافية . بيروت.
- ديوان أمية بن أبي الصلت، بتعليق سيف الدين الكاتب وأحمد عصام، نشر دار مكتبة الحياة، بيروت.
- ديوان جران العود ط٣، ١٤٢١هـ، دار الكتب المصرية بالقاهرة .
- ديوان جرير، ط١، ١٤٠٦هـ دار الكتب العلمية . بيروت
- ديوان حسان بن ثبت الأنصاري رضي الله عنه ، ط : دار صادر، تحقيق الدكتور وليد عرفات.
- ديوان ذي الرمة تحقيق عبد القدوس أبو صالح، ط٢، ١٤٠٢هـ مؤسسة الإيمان - بيروت،
- ديوان رؤبة بن العجاج، نشر مكتبة ابن قتيبة . الكويت .
- ديوان زهير بن أبي سلمى، ط دار صادر ١٣٩٩هـ بيروت .
- ديوان زهير، شرح علي فاعور الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ دار الكتب العليمة . بيروت.
- ديوان طرفة بن العبد، ط١٤٠٢/ دارصادر، بيروت .
- ديوان الطرماح، تحقيق عزة حسن، ط٢، ١٤١٤هـ دار الشرق العربي، بيروت.
- ديوان عمر بن أبي ربيعة، بشرح علي مهنا، ط١، ١٤٠٦هـ، دار الكتب العلمية بيروت.
- ديوان الفرزدق، ط / دار صادر، بيروت.
- ديوان كثير عزة، شرح مجيد طراد، ط١، ١٤١٣هـ، دار الكتاب العربي، بيروت .
- ديوان كعب بن زهير، شرح أبي سعيد السكري، ط١٤٢٢هـ، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .
- ديوان كعب بن مالك، تحقيق مجيد طراد، ط١، ١٩٩٧م، دار صادر بيروت .
- ديوان لبيد بن ربيعة رضي الله عنه،ط / دار صادر، بيروت.
- الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي، تحقيق شوقي ضيف، ط٣، دار المعارف القاهرة.
- رسالة في توجيه النصب، لابن هشام الأنصاري ، تحقيق حسن موسى الشاعر، ط١، ١٤٠٤هـ الأردن .

- رسالتان للسعيدي في تجويد القرآن". تحقيق غانم الحمد ط١، ١٤٢١هـ دار عمار الأردن .
- رصف المباني في شرح حروف المعاني للإمام أحمد بن عبد النور المالقي، تحقيق أحمد محمد الخراط، ط٢، ١٤٠٥هـ دار القلم، دمشق .
- الرعاية لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق أحمد حسن فرحات، ط٢، ١٤٠٤هـ دار عمان . الأردن.
- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية للسهيلي،ط ١٤٠٩هـ، دار الفكر بيروت.
- زاد المسير لابن الجوزي،ط ٢، ١٤٠٤هـ المكتب الإسلامي، بيروت.
- الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر ابن الأنباري، تحقيق حاتم صالح الضامن، ط١، ١٤١٢هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت .
- الزمان في اللغة العربية والفكر، لعلي شلق، ط١، ٢٠٠٦، دار ومكتبة الهلال، بيروت .
- السبعة في القراءات، لابن مجاهد، تحقيق شوقي ضيف، ط٣ دار المعارف،القاهرة.
- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي، ط١، ١٤٠٢، دار الكتب العلمية،بيروت.
- سر صناعة الإعراب لأبي الفتح ابن جني، تحقيق حسن هنداوي، ط١، ١٤٠٥هـ، دار القلم، دمشق .
- سيبويه = الكتاب.
- شرح أبيات سيبويه للسيرافي، تحقيق محمد علي سلطاني، ط١، ١٩٧٩م، دار المأمون، دمشق .
- شرح أشعار الهذليين لأبي سعيد السكري، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ط / مطبعة المدني بالقاهرة .
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ط دار إحياء الكتب العربية، القاهرة .
- شرح ألفية ابن معطي للقواس الموصلي، تحقيق علي موسى الشوملي، ط١، ١٤٠٥هـ الرياض.
- شرح البردة للأنباري، تحقيق محمود حسن زيني ط١، ١٤٠٠هـ نشر تهامة، جدة .
- شرح التسهيل لابن مالك، تحقيق عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، ط١، ١٤١٠هـ، هجر، مصر .
- شرح التصريف للثمانيني، تحقيق إبراهيم البعيني، ط١، ١٤١٩هـ، مكتبة الرشد، الرياض .
- شرح التلخيص للبابرتي (محمد بن محمد) تحقيق محمد مصطفى صوفيه، ط١، ١٣٩٢، المنشأة العامة، ليبيا.
- شرح الحدود النحوية للفاكهي، تحقيق صالح حسين العايد، ط١، ١٤١١هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض .

- شرح الحماسة للمرزوقي، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، ط٢، ١٣٨٨هـ القاهرة
- شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، تحقيق أحمد أمين و عبد السلام هارون، ط٢، ١٣٨٧هـ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة .
- شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، تحقيق حسن بن محمد حفظي، ويحيى بشير مصري، ط١، ١٤١٤هـ. جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض .
- شرح السنة للإمام البغوي، تحقيق محمد زهير الشاويش، وشعيب الأرناؤوط،ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت
- شرح شافية ابن الحاجب لرضي الدين الإستراآبادي، تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محي الدين عبد الحميد،ط دار الكتب العلمية ببيروت ١٤٠٢هـ.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لابن هشام الأنصاري، ط / المكتبة العصرية ١٤٠٩هـ، بيروت .
- شرح صحيح مسلم للقرطبي، حققه مجموعة من المحققين، ط / دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني
- شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك، للقاضي عبد الله بن عقيل، تعليق محمد محي الدين عبد الحميد، ط٦، دار الفكر، بيروت.
- شرح عيون الإعراب، للمجاشعي، تحقيق عبد الفتاح سليم، ط١، ١٤٠٨هـ دار المعارف.
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، لابن الأنباري، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٤، ١٤٠٠هـ دار المعارف، القاهرة .
- شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام الأنصاري، تحقيق عرفات مطرجي، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت .
- شرح الكافية الشافية لابن مالك، تحقيق عبد المنعم أحمد بريدي، ط١، دار المأمون، دمشق
- شرح الكافية للرضي = شرح الرضي لكافية ابن الحاجب .
- شرح كتاب سيبويه للسيرافي، تحقيق رمضان عبد التواب وصاحبيه، ط /الهيئة المصرية للكتاب،١٩٨٦.
- شرح اللمع للأصفهاني، تحقيق إبراهيم أبو عباة، ط١، ١٤١٠هـ جامعة الإمام بالرياض .
- شرح اللمع في النحو للقاسم بن محمد الضرير، تحقيق رجب عثمان محمد، ط١، ١٤٢٠هـ مكتبة الخانجي بالقاهرة.

- شرح مختصر التصريف العزي في فن الصرف للتفتازاني، تحقيق عبد العال سالم مكرم ط١، ١٩٨٣م الكويت .
- شرح المفصل في صنعة الإعراب الموسوم بالتخمير لصدر الأفاضل الخوارزمي، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، ط١، ١٩٩٠م دار الغرب الإسلامي .
- شرح المفصل لابن يعيش، تحقيق أحمد السيد سيد أحمد، ط المكتبة التوفيقية، القاهرة .
- شرح المقدمة الكافية في علم الإعراب لابن الحاجب، تحقيق جمال عبد العاطي، ط١، ١٤١٨هـ مكتبة الباز، بمكة .
- شرح المقدمة الجزولية الكبير للشلوبين، تحقيق تركي العتيبي، ط١، ١٤١٣هـ مكتبة الرشد، الرياض .
- شرح المكودي على الألفية، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط١، ١٤٢٢هـ، المكتبة العصرية، بيروت .
- شرح ملحة الإعراب لمصنفها الحريري، تحقيق أحمد محمد قاسم، ط٢، ١٤١٢هـ، دار التراث
- شرح الملوكي في التصريف لابن يعيش، تحقيق فخر الدين قباوة، ط١، ١٣٩٣هـ، المطبعة الصليبة بحلب .
- الشعر والشعراء لابن قتيبة، تحقيق مفيد قميحة، ط٢، ١٤٠٥، دار الكتب العلمية، بيروت
- الشمائل المحمدية للإمام الترمذي، تحقيق محمد عفيف الزعبي، ط١، ١٤٠٣، دار العلم للملايين، بيروت .
- شواهد التوضيح والتصحيح لابن مالك، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط /دار الكتب العلمية . بيروت.
- الصاحبي في فقه اللغة للعلامة أحمد بن فارس ، تحقيق مصطفى الشويمي، بيروت ١٩٦٣.
- الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٣، ١٤٠٤هـ دار العلم للملايين، بيروت .
- صحيح البخاري، ط٢، دار سحنون . تونس.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته، للعلامة محمد ناصر الألباني، ط٣، ١٤٠٨هـ المكتب الإسلامي، بيروت .
- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط٢، دار سحنون، تونس.
- الصناعتين لأبي هلال العسكري ط٢، ١٤٠٤، دار الكتب العلمية . بيروت
- الصوائت والمعنى في العربية لمحمد محمد داود، ط /دار غريب، القاهرة.

- الصوتيات العربية للدكتور منصور الغامدي ط١، ١٤٢١هـ الرياض.
- الصوتيات و الفونولوجيا، لمصطفى حركات، ط١، ١٤١٨، المكتبة العصرية . بيروت.
- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، لعبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ط٣، دار القلم، دمشق.
- الطرازات المعلمة لعبد الدائم الأزهري المتوفى سنة ٨٧٠هـ، تحقيق نزار خُورْشيد، ط١، ١٤٢٤هـ دار عمار، الأردن
- ظاهرة التنوين في اللغة العربية، لعوض المرسي جهاوي، ط١، ١٤٠٢هـ، مكتبة الخانجي بالقاهرة .
- العامل النحوي بين مؤيديه ومعارضيه لخليل عمايره (خالي من المعلومات) .
- العربية وعلم اللغة الحديث لمحمد محمد داود، دار غريب . القاهرة،٢٠٠١.
- العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث لمحمد حماسة عبد اللطيف، ط دار غريب، القاهرة .
- العلامة في النحو العربي لمحمود سليمان ياقوت، ط١، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية .
- علل الوقوف للسجاوندي؛ تحقيق محمد العيدي، ط٢، ١٤٢٧هـ مكتبة الرشد، الرياض .
- علم الأصوات اللغوية لمناف مهدي، ط١، ١٤١٩، عالم الكتب . بيروت.
- علم الأصوات بين القدماء والمحدثين لعلي مزيان، ط١، ٢٠٠٣، ليبيا .
- علم الأصوات في القرن العشرين نظريات القواعد ونظريات التمثيل لاستيفن ر. اندرسون تحليل محمد سامي أنور، في مجلة عالم الفكر الكويتية، المجلد ١٨.
- علم الأصوات لبرتيل مالمبرج ترجمة عبد الصبور شاهين، نشر مكتبة الشباب.
- علم الأصوات لكمال بشر، ط٢٠٠٠م، دار غريب . القاهرة .
- علم الأصوات لمحمود أحمد، ط١، ١٤٢٤، الرياض .
- علم الدلالة للخولي، ط /٢٠٠١، الأردن.
- علم الصوتيات لعبد العزيز أحمد وعبد الله ربيع، ط١، ١٤٢٥هـ الرياض.
- علم اللغة بين القديم والحديث، لعبد الغفار حامد هلال،ط٢، ١٤٠٦هـ
- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي لمحمد السعران، طبعة دار النهضة . بيروت.
- علم وظائف الأصوات اللغوية لعصام نور الدين ط١، ١٩٩٢، دار الفكر اللبناني.
- عناصر تحقيق الدلالة في العربية، دراسة لسانية، لصائل رشدي، ط١، ٢٠٠٤، الأردن .
- العين = معجم العين .
- غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام ط١، ١٤٠٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

- الفاضل للمبرد، تحقيق عبد العزيز الميمني، ط٣، ١٤٢١هـ دار الكتب المصرية، القاهرة.
- فتح الباري لابن حجر، ط / دار الفكر.
- الفتح والإمالة، لأبي عمرو الداني تحقيق عمر بن غرامة العمروي، ط١، ١٤٢٢هـ دار الفكر. بيروت.
- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، ط١، ١٤٢١هـ دار الكتب العلمية.
- الفصول في القوافي، لابن الدهان النحوي، تحقيق صالح العايد، ط١، ١٤١٨هـ الرياض .
- فصول في فقه العربية لرمضان عبد التواب، ط ٥، ١٤١٨هـ، مكتبة الخانجي، القاهرة .
- فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام ،تحقيق وهبي غاوجي، ط١، ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت .
- فقه اللغة في الكتب العربية لعبده الراجحي،ط دار النهضة العربية، بيروت .
- فقه اللغة وأسرار العربية لأبي منصور الثعالبي، بعناية ياسين الأيوبي،ط١، ١٤١٩هـ المكتبة العصرية، بيروت .
- الفوائد والقواعد للثمانيني، تحقيق عبد الوهاب الكحلة ط١، ١٤٢٢هـ مؤسسة الرسالة ببيروت.
- في أصوات العربية دراسة تطبيقية لمجدي إبراهيم، ط١، ١٤٢٢هـ، مكتبة النهضة المصرية .
- في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المد العربية " للدكتور غالب فاضل المطلبي العراق ١٩٨٤.
- في التحليل اللغوي، منهج وصفي تحليلي، لخليل أحمد عمايره . ط١، ١٤٠٧هـ مكتبة المنار. الأردن.
- في علم اللغة والأصوات، لسليمان أحمد سليمان، ط١، ١٤٢٦هـ مكتبة المتنبي، السعودية .
- القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية منهج لساني معاصر، لسمير استيتية، ط /عالم الكتب الحديث ٢٠٠٥، الأردن.
- القرائن المعنوية في النحو العربي للدكتور عبد الجبار توامي (مخطوط) .
- القسطاس في علم العروض للزمخشري، تحقيق فخر الدين قباوة، ط٢، ١٤١٠هـ بيروت .
- قضايا أساسية في ظاهرة التنغيم = المجلة العربية للعلوم الإنسانية .
- القضايا الأساسية في علم اللغة، لـ(كلاوس هيشن) تعريب الدكتور سعيد حسن بحيري، ط١، ١٤٢٤هـ، مؤسسة المختار. القاهرة.
- قضايا نحوية لمهدي المخزومي، ط المجمع الثقافي، ١٤٢٤هـ أبو ظبي، الإمارات العربية.

- القطع والائتناف لأبي جعفر النحاس، تحقيق أحمد فريد المزيدي، ط١، ١٤٢٣هـ دار الكتب العلمية. بيروت.
- قواعد الأصول ومعاقد الفصول لصفي الدين الحنبلي، ط١، عالم الكتب ١٤٠٦هـ،بيروت.
- القواعد والإشارات في أصول القراءات للحموي تحقيق عبد الكريم بكار، ط١، ١٤٠٦هـ، دار القلم. بيروت.
- الكافي في علمي العروض والقوافي، لشهاب الدين أحمد بن عباد المعروف بالخواص، تحقيق الدكتور عبد المقصود محمد عبد المقصود، ط١، ١٤٢٢هـ.
- الكافي لابن أبي الربيع الأندلسي، تحقيق فيصل الحفيان، ط١، ١٤٢٢هـ، مكتبة الرشد بالرياض.
- الكامل للمبرد، تحقيق الدالي، ط١، ١٤٠٦هـ مؤسسة الرسالة، بيروت.
- كتاب الكُتّاب لابن درستويه، تحقيق إبراهيم السامرائي وعبد الحسين الفتلي، ط١، ١٣٩٧هـ الكويت.
- كتاب الموسيقى الكبير للفارابي، تحقيق غطاس عبد الملك خشبة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة.
- الكتاب لسيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون،ط٢، ١٤٠٢هـ، دار الجيل، مصر.
- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي، تحقيق د: علي دحروج، ط١، ١٩٩٦م، لبنان.
- الكشاف للزمخشري، ط/دار المعرفة. بيروت.
- كشف المشكل في النحو، لعلي بن سليمان الحيدرة اليمني، تحقيق هادي الهلالي، ط١، ١٤٢٣هـ دار عمار، الأردن.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي، تحقيق محيي الدين رمضان، ط ٢، ١٤٠١هـ مؤسسة الرسالة. بيروت.
- الكلمة لحلمي خليل،ط دار المعرفة الجامعية ١٩٩٦م، مصر.
- الكناش في فني النحو والصرف لعماد الدين الأيوبي، تحقيق رياض بن حسن الخوام، ط١، ١٤٢٠هـ المكتبة العصرية، بيروت.
- اللامات للزجاجي، تحقيق مازن المبارك، ط٢، ١٤١٢هـ دار صادر، بيروت.
- لباب الإعراب للإسفراييني، تحقيق بهاء الدين عبد الوهاب، ط١، ١٤٠٥هـ دار الرفاعي- الرياض.
- اللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء العكبري، تحقيق عبد الآله نبهان، ط١، ١٤١٦هـ دار الفكر، بيروت.
- لسان العرب لابن منظور الأنصاري، ط دار صادر، بيروت.

- اللسانيات العامة وقضايا العربية، لمصطفى حركات،ط١، ١٤١٨هـ المكتبة العصرية، بيروت .
- اللسانيات، المجال والوظيفة والمنهج، للدكتور سمير شريف استيتية ط ١، ١٤٢٥، الأردن .
- اللسانيات واللغة العربية، لعبد القادر الفاسي الفهري، ط ٤، ٢٠٠٠، دار توبقال، المغرب .
- اللغة لـ:ج.فندريس، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، المكتبة الفيصلية.
- اللغة العربية معناها ومبناها، لتمام حسان،ط:١٤٢١، دار الثقافة، الدار البيضاء.
- اللغة ليست عقلا من خلال اللسان العربي، لأحمد حاطوم، دار الفكر اللبناني .
- اللهجات العربية في القراءات القرآنية لعبده الراجحي، ط١، ١٩٩٩م دار المعرفة الجامعية ، مصر .
- المؤتلف والمختلف للآمدي، ط١، ١٤١١هـ، دار الجيل، بيروت.
- مؤلفات الكندي الموسيقية، تحقيق زكريا يوسف، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٦٢م .
- ما لا ينصرف، للزجاج، تحقيق هدى محمود، ط٢، ١٤١٤هـ، مكتبة الخانجي. القاهرة .
- مبادئ اللسانيات لأحمد قدور، ط٢، ١٤١٩، دار الفكر. دمشق.
- المبدع في التصريف لأبي حيان الأندلسي، تحقيق عبد الحميد السيد طلب، ط١، ١٤٠٢هـ، دار العروبة، الكويت .
- مجالس ثعلب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط ٥، دار المعارف .
- مجالس العلماء للزجاجي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٢، ١٤٠٣هـ مطبعة المدني، القاهرة .
- مجلة "أشغال ندوة اللسانيات في خدمة اللغة العربية " بتونس، العدد ٥، ١٩٨١.
- مجلة (اقرأ). بحوث لغوية وأدبية. جامعة أم القرى، عدد ١٤٠٦/هـ.
- مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات، المجلد الثالث، العدد الثاني، عام ١٤٠٦هـ.
- مجلة الأزهر. ١١، السنة٦٣، ذوالقعدة١٤١١هـ
- مجلة التواصل اللساني المجلد السادس، العددان : الأول والثاني ١٤١٥هـ
- المجلة العربية للعلوم الإنسانية من جامعة الكويت، العدد ٦٧، السنة ١٧، صفر ١٩٩٩م .
- مجلة جامعة الملك سعود العدد الأول ١٤١٣هـ .
- مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية، عدد ٢٣، شوال ١٤٢٢.
- مجلة دارة الملك عبدالعزيز، العدد٣، السنة ١٧، ١٤١٢هـ الرياض.

- مجلة عالم الفكر، المجلد١٨، العدد ٣، الكويت ١٩٨٧.
- مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة، العدد ٥٥، عام ١٩٩٢.
- مجلة كلية الآداب في جامعة الملك سعود العدد ٢ المجلد ١٣.
- مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز / العدد الثاني ١٣٩٧هـ.
- مجلة كلية الشريعة واللغة العربية بالقصيم / العدد الأول، ١٤٠٠هـ.
- مجلة معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى / العدد الأول ١٤٠٣هـ.
- مجمع الأمثال للميداني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط٣، ١٣٩٣هـ، دار الفكر.
- مجمل اللغة لأحمد بن فارس، تحقيق زهير عبد المحسن، ط١، ١٤٠٤هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات لأبي الفتح ابن جني، تحقيق علي النجدي وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح شلبي، ط لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٣٨٦هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للإمام عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري وصاحبيه، ط١، ١٩٨٢م، قطر.
- المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط١، ١٤٢١هـ دار الكتب العلمية، بيروت.
- المحلى في وجوه النصب لأبي بكر أحمد بن الحسن بن شقير، تحقيق فايز فارس، ط١، ١٤٠٨هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- مخارج الحروف وصفاتها للإمام أبي الأصبغ الإشبيلي المعروف بابن الطحان، تحقيق محمد يعقوب تركستاني، ط٢، ١٤١٢هـ.
- مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر الرازي، ط مكتبة لبنان – ناشرون – ١٩٩٣م، بيروت.
- مدارس اللسانيات التسابق والتطور، لجفري سامسون، ترجمة محمد زياد كبة، نشر جامعة الملك سعود.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للإمام عبد الله بن أحمد النسفي، ط / دار إحياء الكتب العربية. نشر دار الفكر.
- مدخل إلى التصوير الطيفي للكلام لـ(إرنست بولجرام)، ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح، عالم الكتب ١٤٢٢هـ
- مدخل إلى اللسانيات لرونالد ايلوار، ترجمة بدر الدين القاسم، وزارة التعليم العالي السورية ١٤٠٠هـ.

- المدخل إلى علم أصوات العربية لغانم قدوري الحمد، ط١، ١٤٢٥هـ دار عمار، الأردن .
- مدخل إلى علم الأصوات، لمحمود فهمي حجازي، ط٢، ١٩٧٨، دار الثقافة بالقاهرة .
- المدخل إلى علم اللغة لـ(كارل ديتر بونتنج) ترجمة سعيد حسن بحيري، ط١، ١٤٢٤هـ مؤسسة المختار . القاهرة .
- مدخل إلى علم اللغة لمحمود فهمي حجازي، ط٢، ١٩٧٨، دار الثقافة، القاهرة
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي لرمضان عبد التواب، ط٣، ١٤١٧هـ مكتبة الخانجي القاهرة .
- مدخل للصواتة التوليدية، لإدريس السغروشني، ط١، ١٩٨٧، دار توبقال، المغرب .
- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، لمهدي المخزومي، المجمع الثقافي، أبوظبي، الإمارات العربية .
- المذكر والمؤنث للمبرد، تحقيق رمضان عبد التواب، وصلاح الدين الهادي، ط٢، ١٤١٧هـ مطبعة المدني، مصر
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي، بعناية محمد أحمد جاد المولى وعلى البجاوي ومحمد أبو الفضل، ط دار الفكر .
- المسائل البغداديات لأبي علي الفارسي، تحقيق صلاح الدين عبد الله السنكاوي، ط مطبعة العاني ببغداد .
- المسائل الحلبيات لأبي علي الفارسي، تحقيق حسن هنداوي، ط١، ١٤٠٧هـ دار القلم دمشق .
- المسائل المنثورة لأبي علي الفارسي، تحقيق شريف عبد الكريم النجار، ط١، ١٤٢٤هـ دار عمار، الأردن .
- مشكل إعراب القرآن للإمام مكي بن أبي طالب القيسي، ط٢، ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة .
- المصباح المنير للعلامة أحمد الفيومي، بعناية يوسف شيخ، ط١، ١٤١٧هـ، المكتبة العصرية .
- مصطلحات النحو الكوفي للدكتور عبد الله الخثران، ط١، ١٤١١هـ، هجر، مصر .
- المطوّل في شرح تلخيص مفتاح العلوم، للتفتازاني، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط١، ١٤٢٢هـ دار الكتب العلمية . بيروت .
- معالم الاهتداء للشيخ محمود خليل الحصري، ط١، ١٤٢٣هـ مكتبة السنة، القاهرة.
- معاني التنوين لعبد الوهاب حمد حسن " مقال منشور في موقع المنشاوي للدراسات والبحوث على الشبكة الالكترونية للمعلومات .
- معاني القرآن لأبي زكريا الفراء، ط٢، ١٩٨٠م، عالم الكتب بيروت .
- معاني القرآن للأخفش، تحقيق هدى محمود، ط١، ١٤١١هـ مطبعة المدني . مصر .

- معاني القرآن وإعرابه للزجاج، تحقيق عبد الجليل شلبي، ط١، ١٤٠٨هـ، عالم الكتب، بيروت .
- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص للشيخ عبد الرحيم العباسي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط١٣٧٦هـ، عالم الكتب، بيروت .
- معجم الأدباء لياقوت الحموي . ط٣، ١٤٠٠هـ دار الفكر.
- معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ط دار ومكتبة الهلال .
- معجم المصطلحات الألسنية لمبارك مبارك (علم الصوتيات الوظيفي) ط١، ١٩٩٥، دارالفكر، بيروت.
- معجم تهذيب اللغة للأزهري، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط١، ١٣٩٦م مكتبة الخانجي بالقاهرة .
- معجم علم الأصوات للخولي ، ط: ١٩٩٨، دار الفلاح . الأردن .
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط المكتبة الإسلامية، تركيا .
- المعرفة اللغوية طبيعتها وأصولها واستخدامها، لتشومسكي، ترجمة محمد فتيح، دار الفكر العربي ١٩٩٣، القاهرة .
- الْمُعلِم بفوائد مسلم، للإمام المازري، تحقيق محمد الشاذري، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت .
- المعمرين من العرب لأبي حاتم السجستاني، تحقيق محمد إبراهيم سليم، ط دار الطلائع، القاهرة .
- المعونة في الجدل للشيرازي، تحقيق عبد المجيد تركي ط١، ١٤٠٨، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- المغني لابن هشام ، تحقيق مازن المبارك وزميله، ط١، ١٣٩٩هـ باكستان.
- مفاتيح العلوم للخوارزمي (محمد بن أحمد بن يوسف)، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط٢، ١٤٠٩هـ، دار الكتاب العربي، بيروت .
- مفتاح العلوم للإمام أبي يعقوب السكاكي، بعناية نعيم زرزور، ط١، ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت .
- المفضليات، للمفضل الضبي، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون، ط٧، دار المعارف، القاهرة .
- المفيد في شرح عمدة المجيد في النظم والتجويد للإمام حسن بن قاسم المرادي، تحقيق جمال السيد رفاعي، ط مكتبة أولاد الشيخ دكتورات، مصر .
- مقاييس اللغة للعلامة أحمد بن فارس، مادة (وقف) ط١، ١٤٢٢هـ دار إحياء التراث العربي . بيروت.

- المقتصد قي شرح الإيضاح لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق كاظم بحر المرجان، من منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية ١٩٨٢م .
- المقتضب لأبي العباس المبرد، تحقيق عبد الخالق عضيمة، ط١، القاهرة ١٣٩٩هـ مصر.
- مقدمة ابن خلدون ، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية بيروت، ١٤٢٢.
- مقدمة لدراسة اللغة لحلمي خليل، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٧. القاهرة.
- المقصد لتلخيص ما في المرشد لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري (مطبوع على هامش منار الهدى للأشموني).
- مقومات الدلالة النحوية للدكتور رشيد بلحبيب موقع : " نحو العربية" على الشبكة الالكترونية للمعلومات .
- المكتفى في الوقف والابتدا لأبي عمرو الداني ، تحقيق يوسف المرعشلي، ط٢، ١٤٠٧هـ مؤسسة الرسالة - بيروت.
- الملخص في ضبط قوانين العربية لابن أبي الربيع الأندلسي، تحقيق علي بن سلطان الحكمي، ط١، ١٤٠٥هـ .
- الممتع في التصريف لابن عصفور الإشبيلي، تحقيق فخر الدين قباوة، ط١، ١٤٠٧هـ دار المعرفة، بيروت .
- منار الهدى في بيان الوقف والابتدا لأحمد الأشموني .طبعة دار الكتب العلمية ببيروت، سنة ١٤٢٢.
- من أسرار اللغة لإبراهيم أنيس، ط٨، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة .
- مناهج البحث في اللغة لتمام حسان، ط٢، ١٩٧٤م، دار الثقافة .
- مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي. لـ(بريجيته)، ترجمة سعيد حسن بحيري، ط١، ١٤٢٥هـ مؤسسة المختار، القاهرة.
- من البنية الحملية إلى البنية المكوّنية الوظيفة المفعول في اللغة العربية، لأحمد المتوكل، ط١، ١٤٠٧هـ دار الثقافة، الدار البيضاء .
- المنح الفكرية، للعلامة ملا علي القارئ، ط١، ١٤٢٤هـ، دار المنهاج بالقاهرة.
- المنصف في شرح التصريف، لابن جني، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، ط١، ١٣٧٩هـ، مطبعة البابي الحلبي .
- المنهج الصوتي للبنية العربية لعبد الصبور شاهين، ط١، ١٤٠٠، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- المورد الوسيط لمنير البعلبكي ، ط١٠، ١٩٩٢م دار العلم للملايين، بيروت.
- الموسوعة اللغوية تحرير الدكتور ن.ي.كولنج، نشر جامعة الملك سعود بالرياض
- موسيقى اللغة لرجب عبد الجواد، نشر مكتبة زهراء الشرق بالقاهرة، ط: الأولى

٢٠٠٣.

- الموضح في التجويد للإمام عبد الوهاب القرطبي، تحقيق غانم قدوري الحمد، ط١، ١٤٢١هـ، دار عمار، الأردن .
- النبر وبعض مظاهره في القراءات القرآنية، لولاء صادق، مقال في مجلة الرسالة الإسلامية، تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في العراق، العدد ١٢٣٧ سنة ٢٢ شعبان ١٤١٠هـ .
- نجوم البيان في الوقف والابتداء وماءات القرآن، للسمرقندي، تحقيق محمد بن مصطفى بكري (غير منشور).
- النحو العربي نقد وبناء لإبراهيم السمرائي، ط١، ١٤١٨هـ، دار البيارق، ودار عمار
- النحو العربي والدرس الحديث للراجحي،دار النهضة، ١٤٠٦هـ.
- نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، لمازن الموعر، ط٢، ١٩٩٢، دار طلاس، دمشق.
- النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة لمحمد أحمد عرفة (بدون معلومات) .
- النشر في القراءات العشر لابن الجزري، بعناية علي محمد الضباع، ط دار الكتب العلمية، بيروت .
- نظام الأداء في الوقف والابتداء لأبي الأصبغ ابن الطحان الأندلسي، تحقيق علي البواب، ط١، ١٤٠٦هـ الرياض .
- نظرات في التراث اللغوي العربي لعبد القادر المهيري، ط١، ١٩٩٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- نظرية الأصل والفرع في النحو العربي لحسن خميس الملخ، ط١، ٢٠٠١م دار الشروق، الأردن .
- نظرية علم اللسانيات الحديث وتطبيقها على أصوات العربية) لـ(كونغ إلجو) مقال منشور في مجلة دارة الملك عبد العزيز العدد ٣ سنة ١٤١٢هـ، الرياض .
- النكت في تفسير كتاب سيبويه، للأعلم الشنتمري، تحقيق زهير عبد المحسن، ط١، ١٤٠٧هـ، الكويت.
- نهاية القول المفيد في علم التجويد لمحمد مكي نصر ، ط المكتبة التوفيقية.
- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير،ط١، ١٤١٨هـ دار الكتب العلمية، بيروت.
- النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري، تحقيق محمد عبد القادر أحمد، ط١، ١٩٨١م دار الشروق، بيروت .
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، وعبد العال سالم مكرم، ط١٤١٣هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت .
- الواضح لأبي بكر الزبيدي الإشبيلي، تحقيق عبد الكريم خليفة، من منشورات الجامعة الأردنية .

- الوافي بمعرفة القوافي لأبي العباس أحمد بن محمد العنابي الأندلسي، تحقيق نجاة بنت حسن،ط١، ١٤١٨هـ، جامعة الإمام بالرياض .
- الوظائف التداولية في اللغة العربية لأحمد المتوكل، ط١، ١٤٠٥هـ الدار البيضاء.
- وظيفة الألسن وديناميتها لمارتينيه، ترجمة نادر سراج، ط١، ١٤١٦، دار المنتخب . بيروت.
- الوقف والابتداء في كتاب الله لأبي جعفر محمد بن سعدان المتوفى (٢٣١هـ)، تحقيق محمد خليل الزروق، ط١، ١٤٢٣هـ الإمارات.

Mansour Alghamdi :Analysis, Synthesis and Perception of Voicing in Arabic. P:١٤٤-١٤٥. Al-toubah bookshop. jareer St.-Riyadh .

Firth, papers in Linguistics, p. ٩٥.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الفصل الثاني وظائف التنغيم النحوية	
أولا: وظائف التنغيم بالنبر (على مستوى المفردات والصيغ)	٣٩٥
أ. وظائف تركيبية :	٣٩٦
ب. وظائف تركيبية تخصيصية :	٣٩٩
ج. وظائف أسلوبية :	٤٠٠
د. وظائف تقسيمية :	٤٠٤
هـ: وظائف تصريفية :	٤٠٦
ثانيا : وظائف التنغيم في الجمل	٤١٢
أ. وظائف تركيبية :	٤١٢
ب. وظائف تركيبية إسنادية	٤١٦
ج. وظائف أسلوبية	٤٢٠
الخاتمـة	٤٢٩
الفهارس العامة	٤٣٣
١. فهرس الآيات القرآنية	٤٣٥
٢. فهرس الأحاديث والآثار	٤٤٩
٣. فهرس الأمثال والأقوال	٤٥١
٤. فهرس الشعر	٤٥٣
٥. فهرس المراجع والمصادر	٤٥٧
فهرس الموضوعات	٤٧٩

Each section has two chapters. The first chapter includes an introductory of phonetics for general concept of sound relationship and meanings that relate to it, and whatever details relate to the application. The second chapter includes all applicable sides which represent syntactical rules of general concept of syntax; that is, phonetics and morphology. It has distinguished the rule of sound relationship in all syntactical sections throughout classical Arabic statements.

Finally, the study has come to a set of results, the most important of which are:

1- To discover the bonds which might be unnoticed between phonetics and structural meanings.
2- The obvious importance of 'unchangeable movement',(i.e. a sign that indicate how a word it pronounces) in semantics.
3- Clarifying the valuable sings, which made up, (as short vowel a in a final letter of 'Sami') out of evidential signs.
4- Proofing the precise standard of how the syntactical movement is an evidence for structural meanings.
5- proofing that the utterance and tune are phonemes in Arabic language.

To conclude, the study has eventually recommended to learn syntactical Arabic studies through phonetics and phonology, since they are huge fields to syntax.

Summary of The Research

This research called, " the sound relationship in syntactical Arabic; theoretical and applicable study" is put in introduction, preface, five sections, and conclusion.

I specified the introduction to limit the topic of the research. It is a study specialized in aplliable phonology and what it has of syntactical relations; thus, in order to explain the effects of sounds' relation about showing the syntactical principles in general.

The research has recently mentioned previous studies in this regard, and also a descriptive curriculum for the study. The curriculum is a descriptive, interruptive study depends on designating the phenomenal sound from a linguistic and idiomatic concept and the fundamental sound of it. Then, restrict the important elements which involve in " Syntactical Arabic", and talk about each element, considering its phenomenal sound whether old or modern one.

In addition, it includes a report of crucial aims for this study. Its purpose made for clarifying the effects of sounds' relation and clogging the existing shortage in this field as well as specifying the aplliable sound side with the study in order to link modern linguistics to syntactical study.

The preface talks about phonology and its relation with syntax as well as what linguists have thought about it. After that, I mention an entire section about the sound relationship in syntactical study, providing varieties of sound relations.

However, each section of the important five, which are the gist of the research, is specified to learn a phonetic insight which is so vital in syntactical Arabic on the whole, and particularly in morphology; which are: Unstressed, stress, double stress, stop, nasal diphthong, tune, and utterance.

مكتبة لسان العرب
أ. علاء الدين شوقي
رابط بديل
lisanerab.com
www.lisanarb.com

Kingdom of Saudi Arabia
Ministry of Higher
Education
Imam Muhammad Bin saud
Islamic university

The Sound Relationship in Syntactical Arabic; Theoretical and Applicable Study

By

D. Abdullah Mohammad Mahdy AL-Ansary

2013

PH.D 130

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
AL- IMAM MUHAMMAD IBN SAUD
ISLAMIC UNIVERSITY
Deanery Of Academic Research

The Sound Relationship in Syntactical Arabic
Theoretical and Applicable Study

By

D. Abdullah Mohammad Mahdy AL-Ansary

1434 h - 2013 m

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٥٠٥-١٩٤-١

www.imamu.edu.sa
e-mail: journal@imamu.edu.sa